تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

الإيجي الشيرازي الشافعي

المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي

المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الرابع

المحتوى:

من أول سورة غافر - إلى آخر سورة الناس

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

سورة المؤمن مكية

وآياتها خمس وثمانون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿حم[1]﴾ الكلام على الحروف المقطعة قد تقدم، وقيل: حم اسمٌ من أسماء الله تعالى

---

(١) وفى الحديث الحواميم ديباج القرآن وفيه من أراد أن يرتع فى رياض من الجنة فليقرأ الحواميم ١٢ وجيز - الحديث الأول أخرجه أبو الشيخ وأبو نعيم والديلمى [موضوع، انظر ضعيف الجامع (٢٧٩٩)]، والثانى أخرجه ابن الضريس - در منثور. [ضعيف لإرساله].

وقيل معناه:[1] قضى ما هو كائن فيكون من حُمّ بالضّم وتشديد الميم ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾، عطف هـذه الصفة من بين الصفات يدل على زيادة ارتباط وجمعية أو الواو دال على نوع مغـايرة وليست فى الموصوف، فيعتبر فى المتعلق أى: غافر الذنب لمن شاء وقابل التوب لمن تاب ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ هذه الإضافة لفظية البتة؛ لأنها من إضافـة الصفـة المشـبهة إلى فاعلها؛ فالأولى أن نقول إن الصفات كلها أبدال ليندفع خلل تخلل بدل بين النعـوت فيلزم أن البعض من الأوصاف مقصود والبعض غير مقصود والمتبوع مقصـود غـير مقصود أو هو أيضًا نعت والأصل الشديد العقاب فحذف اللام لـلازدواج[2]﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: ذى السعة والغناء، أو ذى النعم والفواضل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ[3]﴾، فيجازى كلاً بعمله، ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إطفاء نورها ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾: تصرفهم فى البلاد للتجارات وسلامتهم وربحهم، فإنها لا تـدل علـى حسن عاقبتهم، بل عاقبتهم كعواقب كفار الأمم السوالف، ثم بـين حـالهم فقـال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾: الذين تحزبوا على رسلهم بالتكذيب، ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾: كعاد وثمود، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾: من هؤلاء ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾:

---

(١) وقيل: معناه حُمَّ أمر الله أى قرب نصره لأوليائه ولهذا.

(٢) يعنى مع غافر وقابل فى الخلو عن الألف واللام.

(٣) أخرج ابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ "من قرأ حـم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حـين يمسى حفظ بهما حتى يصبح" [ضعيف، أخرجه الترمذى فالعزو إليه أولى، وانظر ضعيف الجامع (٥٧٨١)]، ولما ذكر أن القرآن كتاب أنزله ليهتدى به فى الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد إبطاله فقال: "ما يجادل" الآية /١٢ فتح.

ليأسروه فيقتلوه أو يعذبوه، ﴿وَجَادَلُوا[1] بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾: أخذ إهلاك جزاء لهمّهم وفعلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، هذا الاستفهام بكيف حمل على الإقرار وفيه تعجيب للسامعين ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى: كما وجب إهلاك الأمم ﴿حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أى: كلمته بالعذاب، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قومك ﴿أَنَّهُمْ﴾ أى: لأنهم، ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أو أنهم أصحاب النار بدل من كلمة ربك وحينئذ معناه كما وجب عذابهم فى الدنيا بالاستئصال وجب عذابهم فى الآخرة بالنار، فالمراد من الذين كفروا الأمم السالفة ﴿الَّذِينَ[2] يَحْمِلُونَ[3] الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾: من الملائكة المقربين الذين هم الكروبيون ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ متلبسين

---

(١) والمراد الجدال بالباطل والقصد إلى دحض الحق كما فى قوله: "وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق" وأما الجدال لاستيضاح الحق ورد أهل الزيغ فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون قال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن"[العنكبوت:٤٦] فتلخص أن الجدال نوعان: جدال فى تقرير الحق، وجدال فى تقرير الباطل، أما الأول فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح -عليه السلام: "يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا"[هود:٣٢]، أما الثانى فهو مذموم وهو المراد هنا وفى الحديث "إن الجدال فى القرآن كفر" رواه أبو داود [صحيح، أخرجه أحمد والحاكم، وعزوه إلى أبى داود وهم، وانظر صحيح الجامع (٣١٠٦)]، ثم نهى رسول الله ﷺ عن الاغترار بشىء من حظوظهم الدنيوية فقال: "فلا يغررك" الآية /١٢ فتح.

(٢) ولما ذكر حال الكفار المجادلين فى آيات الله وعصيانهم، ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه، فقال: "الذين يحملون العرش" الآية[الطور:٢١] /١٣ وجيز. فكأنه قال إن كان هؤلاء الأراذل يبالغون فى العداوة فلا تبال بهم، ولا تلتفت إليهم فإن حملة العرش يحبونكم ويستغفرون لكم وهم أشرف طبقات المخلوقات/١٢.

(٣) أخرج ابن أبى شيبة عن أبى أمامة قال: الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية/ ١٢ در منثور. قلت: وفى هذا الأثر نكارة، فإن العربية أشرف اللغات.

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، فائدة إثبات الإيمان لهم إظهار فضل الإيمان والترغيب فيه، كإثبات الصلاح والصدق للأنبياء ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، لما بينهم من المناسبة بالإيمان، ﴿رَبَّنَا﴾ أى: يقولون ربنا، ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصله وسعت رحمتك كل شيء، فنصب الفاعل بالتمييز وأسند الفعل إلى صاحب الرحمة للمبالغة، كأن ذاته رحمةٌ واسعةٌ كلَّ شيء﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ أى: لمن علمت منه التوبة ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾: إياها، ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾، عطف على مفعول أدخل ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أى: أدخلهم وهؤلاء، وساو بينهم فى المترلة، لتُتم سرورهم وتُقر أعينهم. عن سعيد بن جبير[1] إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أقاربه أين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك فى العمل فيقول: إنى إنما عملت لى ولهم، فيلحقون به فى الدرجة، ثم تلا هذه الآية وهذا معنى قوله تعالى: "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان" الآية[الطور: ٢١] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب القادر على كل شيء، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى جميع أفعالك ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أى: العقوبات أو وبال السيئات، وهو تعميم بعد تخصيص ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾ أى: تقه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾، وجاز أن يراد من السيئات فى الموضعين المعاصي، فيكون معناه ومن تقه فى الدنيا عن المعاصي، فقد رحمته يوم القيامة ﴿وَذَلِكَ﴾: الرحمة والوقاية، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

---

(١) أخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعًا بمعناه ١٢ در منثور.[ذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١١٤/٧) وقال: "رواه الطبرانى فى الصغير والكبير وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف".]

ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞

﴿**إِنَّ الَّذِينَ**[١] **كَفَرُوا يُنَادَوْنَ**﴾: فى القيامة ويقال لهم ﴿**لَمَقْتُ اللَّهِ**﴾: إياكم، ﴿**أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**﴾ أى: لمقت الله تعالى أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا فأعرضوا أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا العذاب فى القيامة، فإنهم أبغضوا أنفسهم ومقتوها غاية المقت عند غمرات النيران لسبب ما اكتسبوا من الآثام، الموجبة للعذاب المخلد، ثم من يجوز الفصل فى الظرف لسعته بأجنبى وهو الخبر بين المصدر ومعموله يجوز أن يكون إذ تدعون ظرفًا للمقت

(١) لما ذكر فى أول السورة أحوال الكافرين المجادلين فى آيات الله عاد إلى شرح أحوالهم وبين أنهم فى القيامة يعترفون بذنوبهم، واستحقاقهم العذاب يسألون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم، فقال: "إن الذين كفروا ينادون" الآية/ ١٢ كبير.

الأول، ومن لم يجوز فعنده أنه منصوب بمقدر، هو اذكروا، أو مصدر آخر أى: مقته إياكم إذ تدعون، وقيل متعلق بمقتكم، أو أكبر على سبيل العلية والسببية، ومعناه بغض الله تعالى إياكم أكبر من بغض بعضكم بعضا؛ لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان فى الدنيا فكنتم تكفرون ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أى: إماتتين وإحياءتين وذلك لأنهم فى أرحام أمهاتهم نطف، لا حياة[1] فيهم، فأحيوا فى الدنيا ثم أميتوا عند آجالهم ثم أحيوا للبعث وهذا هو الصحيح الذى عليه ابن عباس وابن مسعود وكثير من السلف رضى الله عنهم وهذا إقرار منهم بالبعث، والقدرة التامة التى أنكروها فى الدنيا، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾: من النار، ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ فنسلكه فأجيبوا بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ أى: ما أنتم فيه من العذاب، ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أى: منفردا بالذكر ﴿كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾: بالإشراك ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾: حيث حكم بالعذاب السرمد عليكم ﴿الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾: من أن يشرك به ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ[2] آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده وكمال قدرته، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

---

(١) وعلى هذا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز، وقد جوز فى المثنى والمجموع كالأمهات والجدات قال تعالى: "وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم"[البقرة:٢٨]، وهذا كقولك: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل. أراد الإنشاء على تلك الهيئة، والسبب فى صحته أن الصغر والكبر جائزان على مصنوع واحد من غير ترجيح، فإذا اختار الصانع أحدهما وهو متمكن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع من الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقل منه ١٢/ وجيز.

(٢) لما ذكر ما يوجب التهديد فى حق المشركين، أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته، ليصير ذلك دليلا على أنه لا يجوز جعل غيره شريكًا له، والمعنى أن الوقوف على دلائل توحيد الله كالأمر المركوز فى العقل إلا أن القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصير كالمانع من تجلى تلك الأنوار، فإذا أعرض العبد عنها وأناب إلى الله تعالى زال الغطاء والوطاء فظهر النور التام، ولما قرر هذا المعنى صرح بالمطلوب وهو الإعراض

﴿رِزْقًا﴾: أسباب رزق أى: المطر، **﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾**: بالآيات، **﴿إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾**: يرجع إلى الله تعالى، فإن المنكر المعاند لا ينظر فيما ينافى مقصوده **﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**: أخلصوا له العبادة **﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**: إخلاصكم **﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾** كناية عن علو شأنه، أو درجات الجنة للمؤمنين، خبر ثان لهو(۱) أو خبر لمحذوف **﴿ذُو الْعَرْشِ﴾**: مالك أصل العالم الجسمانى ومدبره **﴿يُلْقِى الرُّوحَ﴾**، خبر رابع، والروح الوحى فإنه محيى القلوب من موت الكفر أو المراد جبريل **﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾**: من قضائه ومن ابتدائية متعلقة بيلقى أو حال من الروح "قل الروح من أمر ربي"[الإسراء:٨٥] **﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾**، فيجعله نبيا **﴿لِيُنْذِرَ﴾**: الضمير لمن **﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾**: يوم القيامة يلتقى فيه الخالق والمخلوق، وأهل السماء والأرض، والظالم والمظلوم، والعباد وما عملوا من خير وشر، **﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾**: ظاهرون لا يسترهم شىء بدل من يوم التلاق الذى هو مفعول به، ويوم مضاف إلى جملة "هم بارزون"**﴿لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾** من أعمالهم وأحوالهم وذواتهم **﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾** حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم حين إفناء الخلق **﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**، حكاية لما يجاب به، لا أحد يجيبه فيجيب نفسه(۲)، وقيل: الجواب للعباد كلهم، والسؤال عنهم **﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾**: يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته **﴿لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾**، فإنه سبحانه عادل متفضل حرم الظلم من فضله على نفسه **﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**،

= عن غير الله، والإقبال بالكلية على الله تعالى فقال:" فادعوا الله مخلصين له الدين"/۱۲ كبير.

(۱) للفظ هو فى قوله تعالى: **"هو الذى يريكم"**/۱۲.

(۲) بعد أربعين سنة يكون الصوت بالسؤال بين العرش والكرسى، وهذا مصرح فى الأحاديث المعتمدة /۱۲ وجيزة.

لأنه لا يشغله حساب أحد عن حساب آخر، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾: القيامة الآزفة القريبة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: من الخوف زالت عن مقارها فلا هى تعود ولا تخرج فيموتوا أو يستريحوا ﴿كَاظِمِينَ﴾: ممتلئين كربا، أو ساكتين والكظوم السكوت وتعريف القلوب والحناجر[1] عوض أى: قلوبهم لدى حناجرهم، "فكاظمين" حال من المضاف إليه فى حناجرهم، والعامل ما فى الظرف من معنى الفعل أو من الضمير ف "لدى" الراجع إلى القلوب ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: محب مشفق ﴿وَلاَ شَفِيعٍ[2] يُطَاعُ﴾: فيشفع ويكون للشفاعة فائدة، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ[3] الأَعْيُنِ﴾ أى: خيانتها كلحظة المرأة الحسناء إذا غفل الناس وغمزها، أو الخائنة صفة للنظرة ﴿وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾ أى ما تخفيه، وجملة يعلم خائنة الأعين مستأنفة كالتعليل لقوله تعالى: "وأنذرهم"﴿وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ﴾ لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) عن المضاف إليه /١٢.

(٢) والمقصود نفى المعين لهم، ولذلك قال حميم وشفيع يطاع فإن محبا غير مشفق وشفيعًا غير مطاع وجوده وعدمه سواء /١٢ وجيز.

(٣) أخرج أبو داود والنسائى وابن مردويه عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة أمّن[هكذا بالأصل، والمراد: أمن أهل مكة] رسول الله ﷺ إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: "اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة" منهم عبد الله بن سعد أبى سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به فقال: يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى أن يبايعه،ثم بايعه، ثم أقبل على أصحابه فقال: "أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت يدى عن بيعته فيقتله، فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما فى نفسك هلا أومأت إلينا بعينك قال: "إنه لا ينبغى لنبى أن يكون له خائنة الأعين" [صحيح، وانظر صحيح سنن أبى داود(٣٦٦٤)]/١٢ درمنثور.

﴿يَدْعُونَ﴾ أى: المشركون إياهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لأنهن جمادات ففيه تهكم لأن لا يقال فى الجماد يقضى أو لا يقضى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وعيد للمشركين وتقرير لإحاطة علمه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فإنه يظهر من مساكنهم علامات سوء عاقبتهم ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قدرة وتمكنًا، وهم ضمير الفصل والأصوب أن يُجعل هم مبتدأ لا فصلاً ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ مثل الحصون والقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ و لم تنفعهم قوتهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ يقيهم من عذابه فمن زائدة وواق اسم كان ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الدالة على صدقهم، ﴿فَكَفَرُوا

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾: لا عجز له أصلاً، ﴿شَدِيدُ[1] الْعِقَابِ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: حجة ظاهرة، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: وزير[2] فرعون ﴿وَقَارُونَ﴾ أغنى الناس فى ذلك الزمان ﴿فَقَالُوا﴾:هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وفى هذه الحكاية تسلية وبشارة لرسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: الدليل على نبوته، ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: للخدمة وهذا أمر من فرعون بإعادة ما كانوا يفعلون بهم، فإنه كان قد أمسك عن قتل أبناءهم ولما بعث موسى أعاد القتل عليهم[3]، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع وزوال ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ كان فيهم من يمنعه نصحًا عن قتله خوفًا من العذاب، ﴿وَلْيَدْعُ﴾: موسى، ﴿رَبَّهُ﴾: الذى يزعم أنه أرسله فيقيه منا، وفيه دليل على أن قوله ذرونى تمويه وتورية، فإن ظاهره الاستهانة به وباطنه الخوف من دعائه[4] ربه ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: الذى أنتم عليه إن لم أقتله ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾: من الفتن والتهارج والخلاف أراد يبدل دينكم أو دنياكم ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ حقيقة وهو الله تعالى ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ[5] الْحِسَابِ﴾ أظهر التوكل على الله وعلمهم.

---

(١) ولما حثهم على السير والنظر فى عاقبة من كفر ولم يرفع رأسه إلى المعجزات الظاهرات، جاء بحكاية موسى مع فرعون فقال: "ولقد أرسلنا موسى" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وكان فى نهاية الكبر والحشمة /١٢ وجيز.

(٣) غيظًا وتشفيا عما فى صدره من الهم والحزن /١٢ وجيز.

(٤) فإنه كان سفاكا لا يشاور أحدًا /١٢ وجيز.

(٥) فإن من آمن بيوم الحساب لا يجترئ على الظلم وعلمهم التوكل وقال "ربى وربكم"، ولم يسم فرعون، بل جاء بما يشمله /١٢ وجيز.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن
يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ
﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ
دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ
عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: من أقاربه وهو ابن عمه[1]، وعن بعض السلف أنه إسرائيلي، وعنده إن قوله: "من آل فرعون" متعلق بقوله: **﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾**:

(١) آمن بموسى سرًّا، وكان اسمه حزئيل عند ابن عباس والأكثر/١٢.

من فرعون، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا[1] أَنْ يَقُولَ﴾ أى: لأن يقول: ﴿رَبِّى اللَّهُ﴾: وحده، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات على صدقه، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، هذا إظهار لإيمانه وإرشاد ثم أخذ فى الاحتجاج فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: وبال كذبه على نفسه لا يتخطاه، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ﴾ أى: لا أقل من أن يصبكم ﴿بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، ففيه إظهار الإنصاف وكمال الشفقة فإنه بنى الكلام فى النصح على التنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، كلام ذو وجهين يعنى لو كان مسرفًا لما هداه الله إلى البينات، ولو كان كاذبا فهو غير مهتد، فخلوا سبيله ولا تعظموا شأنه وكان فيه تعريضًا لفرعون بالإسراف والكذب ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، وهذا من تتمة نصحه ﴿ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ﴾: غالبين فى مصر،﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾: عذابه،﴿إِنْ جَاءَنَا﴾، فلا تتعرضوا لبأس الله بقتله، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: حين منع من قتله: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾: من الرأى، أى: لا أشير عليكم،﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾: من المصلحة يعنى قتله،﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾، بهذا الرأى: ﴿إِلَّا سَبِيلَ[2] الرَّشَادِ﴾: طريق صلاحكم، ﴿وَقَالَ الَّذِى آمَنَ﴾ من قوم فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾: يوم وقائع الأمم الماضية، ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾

---

(١) أخرج البخارى وابن المنذر وابن مردويه من طريق عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى ﷺ ثم قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم /١٢ در منثور.

(٢) وهذه الكلمات من فرعون الذى يدعى الألوهية مع تجبره وسفكه الدماء من غير تأول نص صريح فى أنه خائف، وهو عالم بأن ما جاء به موسى حق لكن يتجلد دفعًا لخجله/١٢.

عطف بيان لمثل الأول ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أى: مثل جـزاء عادتهم من الكفر وتكذيب الرسل، ترك جمع اليوم والدأب لعدم الإلباس فـإن لكـل منهم[1] يومًا ودأبًا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، فلا يعاقبهم من غير اسـتحقاق، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يوم القيامة سمى بذلك لكثرة النداء فيـه بالسعادة والشقاوة[2]، ونداء بعضهم بعضًا خوفهم عن عذاب الدنيا أولاً ثم عن عذاب الآخرة،﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾: عن الموقف، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: فارين عن النار ذاهبين،﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَـدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾: يوسف بن يعقوب[3] بعثه الله تعالى من قبل موسى رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه تلك الطاعة، نعم أطاعوه لمجرد الـوزارة والجاه الدنيوى وهذا أيضًا من كلام مؤمن آل فرعون، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾: من الدين، ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: مات، ﴿قُلْتُمْ لَـنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: جزمتم بأن لا رسول بعده مـع الشـك فى رسـالته ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَـنْ هُـوَ مُسْـرِفٌ﴾: فى معصيتـه، ﴿مُرْتَابٌ﴾: شاك فى دينه المبين بالحجج ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾، بدل مـن "مـن هـو مسرف"، وهو فى معنى الجمع أو تقديره هم الذين ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: ليبطلوه، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: حجة، ﴿أَتَاهُمْ﴾، بل بمجرد تشهيهم ﴿كَبُرَ﴾، فاعله ضمير راجع إلى مـن والحمل على المعنى أولا ثم على اللفظ ثانيًا، جائز من غير ضعف أو إلى الجدال المدلـول

---

(١) لظهور أن الأحزاب ما هلكوا فى يوم واحد /١٢ وجيز.

(٢) بأن نادى مناد ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعده أبدًا وفلان شقى شقاوة لا يسعد سعادة بعدها أبدًا /١٢ كمالين.

(٣) وهو الصحيح /١٢ وجيز.

عليه بقوله يجادلون،﴿مَقْتًا﴾: بغضًا تمييز، ﴿عِنْدَ اللَّهِ[1] وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الطبع، ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[2]﴾: يختم عليه فلا يعى خيرًا، ولا يفقه الرشاد،﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾: قصرا عاليًا ظاهرًا، ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ أى: الطرق أو الأبواب ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ أبهمه ثم أوضحه تعظيمًا وتشويقًا إلى معرفته، ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ من قرأ بالنصب فبجواب الترجى، تشبيهًا بالتمنى من جهة إنشاء التوقع ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، فهو جاهل، أو متجاهل، يلبس على قومه، فإن الوصول إلى السماء بالبناء محال، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ[3] كَاذِبًا﴾: فى أن

---

(١) والأولى فى إعرابه أن الذين مبتدأ وكبر خبره وفيه ضمير إلى مصدر يجادلون نحو من كذب كان شرًّا له، وهذا إعراب لا غبار عليه /١٢ وجيز.

(٢) وتلك الصفات فى فرعون وأكثر قومه، وقد عدل عن مخاطبتهم لحسن محاورته لهم فى كبر مقتا ضرب من التعجب/١٢ وجيز.

(٣) فى ادعائه بأن له إلهًا غيرى مستويًا على العرش فوق السماوات /١٢ فتح احتج به أهل الحديث وأئمة الإسلام وأعلام الهدى، على أن الله عز وجل فوق سماواته على عرشه وعلى أن جميع الرسل متفقون عليه، وأن فرعون اللعين كذب موسى فى قوله إن الله فى السماء بوجوه منها: أن فرعون كان من المنكرين لوجود الله وكل ما يذكره فى صفات الله تعالى فذلك إنما بذكره لأجل أنه سمع أن موسى يصف الله بذلك، فلولا أنه سمع موسى يصف الله بأنه موجود فى السماء لما طلبه فى السماء، ومنها أنه قال: وإنى لأظنه كاذبًا، و لم يبين أنه كاذب فى ماذا، والمذكور السابق متعين لصرف الكلام إليه، فكان التقدير فأطلع إلى الإله الذى يزعم موسى أنه موجود فى السماء، ثم قال انى لأظنه كاذباً أى: وإنى لأظن موسى كاذباً فى ادعائه أن الإله موجود فى السماء، وذلك يدل على أن دين موسى هو أن الإله موجود فى السماء، ومنها أن العلم بأنه لو وجد إله لكان فى السماء علم بديهى متقرر فى كل العقول والفطر، ولذلك ترى النساء والصبيان والجهال والأعراب إذا تضرعوا إلى الله رفعوا وجوههم وأيديهم إلى السماء، وأن فرعون مع =

له إلهاً فى السماء[1] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزين، ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: عن[2] طريق رشاده ومن قرأ صَدَّ فمعناه صَدَّ فرعونُ الناس عن الحق بأن أوهم رعاياه بأنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى العلم بكذبه ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار لا ينفعه كيده.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ

= نهاية كفره لما طلب الإله فقد طلبه فى السماء، وهذا يدل على أن العلم بأن الله موجود فى السماء علم متقرر فى عقل الصديق والزنديق والملحد والموحد والعالم والجاهل، وقد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وجميع أئمة الهدى ومصابيح الدجى فى كل عصر، وقد نقلوا إجماع الرسل عليهم السلام على ذلك كما قال الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله- فى كتاب الغنية: وكونه سبحانه فى السماء مذكور فى كل كتاب أنزل على نبى أرسل، وقد مر بعض عبارات الأئمة فى سورة القصص تحت قوله تعالى: "وإنى لأظنه من الكاذبين" فتذكر/١٢.

(١) فى أن له إلها فى السماء، وقد سمع من موسى أن الله فى السماء كما هو وارد فى صحاح الأحاديث وحسانها/١٢ وجيز.

(٢) وهو لأنه كان معاندًا فحاله أسوء وهو أضل/١٢ وجيز.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وَقَالَ الَّذِى آمَنَ**﴾ مؤمن آل فرعون: ﴿**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾: أدلكم عليه، ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ أى: ما هذه الحياة، إلا ﴿**مَتَاعٌ**﴾: تمتع قليل تذهب عن قريب،﴿**وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾: فإنها لا تزول، ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: بغير تقدير لا كالسيئة فإنها بموازنة العمل وما هذا إلا من سعة فضله ورحمته ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ**﴾: إلى ما هو سبب لها ﴿**وَتَدْعُونَنِى إِلَى النَّارِ**﴾، وهذا المنادى عطف على قوله ياقوم اتبعونى لا على يا قوم إنما هذه؛ لأن الثانى كالبيان للأول ولهذا تراه بغير عطف بخلاف الثالث ﴿**تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ**﴾، بيان للثاني، والدعاء كالهداية فى التعدية بإلى واللام ﴿**وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ**﴾: شيئًا ليس لى بربوبيته حجة وبرهان أى ما ليس بإله ﴿**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ**﴾: الغالب القادر المطلق ﴿**الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا**

﴿تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ﴾: لا ردّ لما دعوه إليه وجَـرَمَ فعل بمعنى حق وما بعده فاعله أى: حق، وثبت أن الذى تدعوننى إليه باطل ليس له ثبوت أصلاً فى زمان، أو بمعنى كسب، وفاعله ضمير إلى ما قبله وما بعده مفعول أى: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوة ما تدعوننى إليه، أى: ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، أو اسم بمعنى القطع ولا لنفى الجنس وما بعده خبره أى لا قطع ولا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام، ومعنى ليس له دعوة أن ليس له دعوة إلى نفسه ومن شأن المعبود الحق أن يدعو العباد إلى طاعته أو معناه ليس له استجابة دعوة فيكون من تسمية أثر الشيء وثمرته باسم ذلك الشيء ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾: مرجعنا إليه، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾: المشركين، ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ[1] لَكُمْ﴾: من النصح وتتحسرون على عدم القبول ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ﴾: فيعصمنى عن كل سوء، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، وذلك حين أوعدوه بمخالفة دينهم ﴿فَوَقَاهُ[2] اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾، فما وصل إليه آثار مكرهم، ونَجَا مع موسى ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾: بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك، ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ الغرق فى الدنيا ثم النقلة منه إلى النار ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ[3]

---

(١) ولما بلغ ذلك المؤمن فى باب النصيحة إلى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما أقول لكم، وفى هذا الإبهام من التخويف والتهديد ما لا يخفى/١٢ فتح.

(٢) قال مقاتل: قصدوا قتله ففر إلى جبل فبعث فرعون إلى أخذه ألف رجل فهلك بعضهم بالعطش وبعضهم بأكلهم السباع وبعضهم لما رجعوا اتهمهم فأمر فرعون بقتلهم وصلبهم فهلك الألف عن آخرهم ونجا /١٢ وجيز.

(٣) قيل: المراد من العرض الإحراق بها، يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم وفيما بين الغدو والعشى الله أعلم بحالهم، إما التنفيس أو التعذيب بغير النار وجاز أن يراد من الغداة والعشى الدوام/١٢ وجيز [قلت: والأخير هو الصواب، وهو ما رجحه الطيبى فى شرحه على المشكاة بتحقيقى فى بعض المواضع، وسماه بالكناية الزبدية].

﴿عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ مبتدأ وخبر أو النار بدل من سوء العذاب، ويعرضون حال، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، قيل لهم، ﴿أَدْخِلُوا[١] آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، فى الصحيحين "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"، وهذه الآية أصل فى استدلال عذاب القبر وعليه سؤال وهو أن الآية لا شك فى أنها مكية، وفى مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية فى المدينة كانت تعيذ عائشة عن عذاب القبر، فسألت عنه رسول الله ﷺفقال: "كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة"، فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمرا عيناه بأعلى صوته: "أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر(*)، فإنه حق" فقيل فى جوابه: إن الآية دلت على عذاب الأرواح فى البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبته عليه السلام عذاب الجسد فيه، والأولى أن يقال الآية دلت على عذاب الكفار فيه وما نفاه ثم أثبته عذاب القبر للمؤمنين ففى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية قالت: أشعرت أنكم تفتنون فى القبور فلما سمع عليه الصلاة والسلام قولها ارتاع وقال: "إنما يفتن اليهود" ثم قال بعد ليال: "أشعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور"، ثم كان بعده يستعيذ من عذاب القبر ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾، واذكر وقت تخاصمهم ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: فى الدنيا جمع تابع كخدم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾: نصيبًا مفعول اسم الفاعل بتضمين مغنون معنى دافعون ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾: نحن وأنتم وكفانا

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر بحذف الألف والوصل وبضمها فى الابتداء وضم الخاء من الدخول، وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال أى: يقال للملائكة أدخلوا /١٢ معالم.

(*) أخرجه أحمد فى "المسند" (٦/٨١) بسند صحيح.

ما علينا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ فأعطى كلا ما يستحقه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾، وعذاب جهنم غير منحصر[1] فى النار،﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ أى: قدر يوم، ومن العذاب بيانه، أو بعضًا من العذاب فى يوم من الأيام ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى: أكنتم غفلتم عن هذا و لم تك تأتيكم؟ إلخ، ﴿قَالُوا بَلَى﴾: جاءوا بها، ﴿قَالُوا﴾ الخزنة: ﴿فَادْعُوا﴾: أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعوا لكم وفيه إقناط لهم، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع لا نفع له.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

(١) ولذا لم يقل لخزنتها ١٢/.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: بظهور حجتهم والانتقام من أعدائهم والنصرة بهذا المعنى عام لكل رسول والمؤمنين وقيل: الخبر عام وأريد به الأكثرون فإن بعضا منهم قد قتل، كيحيى وزكريا وغيرهما،﴿فِي الْحَيَاةِ[1] الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: فإن الملائكة يشهدون للرسل وعلى الكفار، والجمهور على أن فاعلا لا يجمع على أفعال، وفى الصحاح أنه جمع شَهْدٍ بالسكون وفى المرزوقى جمع شهود ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾، بدل ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، وإن رخصوا فى الاعتذار ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: يعنى جهنم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: ما يهتدى به فى أمر الدين، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: تركنا عليهم من بعده التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرَى﴾، مفعول أوحال، هاديًا ومذكرًا ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم[2]،﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: فى نصرتك، ﴿حَقٌّ﴾، واسْتَشْهِدْ بحال موسى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، لفرطاتك لِيُعْلى درجتك، وليصير سنة لأمتك ﴿وَسَبِّحْ﴾: متلبسا، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أواخر النهار وأوائله أو صل العصر والصبح ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿أَتَاهُمْ﴾: يردون الحجج بالشبه،﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ[3]﴾: إلا تكبر عن اتباع الحق يريدون إبطاله،﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾:

---

(١) قيل: بالانتقام من الأعداء فى الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعون ألفا فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، قاله البغوي وزاد فى الفتح وكما نصر الحسين بن على الشهيد فإنه قتل به سبعون ألفًا أيضًا /١٢.

(٢) فإن فيهم من ليس من أولى الألباب.

(٣) ولما كان من أوّل هذه السورة الرد على المجادلين بالباطل نبه هنا أن الكبر هو الذى يحملهم على هذا الجدال الباطل، وذلك الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن

بواصلى مقتضيه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فى إطفاء نارهم، وعن كعب وأبى العالية -رضى الله عنهما- نزلت حين قالت اليهود: إن صاحبنا الدجال[1] يخرج، فنملك به الأرض فأمر الله تعالى أن يستعيذ من شره[*]، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ[2] السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ﴾: أعظم وأشق فى نظر العقل، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾: إعادهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، فلهذا ينكرون الإعادة مع الاعتراف بخلق الأعظم من غير أصل وهذا رد لجدالهم فى رد البعث، ومن قال: الأمر بالاستعاذة من الدجال، فهذا رد لمقال الدجال من دعوى الألوهية، وإنكار البعث ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى[3] وَالْبَصِيرُ

= يكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك، لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسته فى صدورهم كبر لا يرضون أن يكونوا فى خدمتك، فهذا هو الذى يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاصمات الفاسدة/١٢ كبير.

(١) قد وردت أحاديث صحيحة فى ذكر الدجال وخروجه فى آخر الزمان وما يقع منه، وإليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين والفقهاء خلافًا لمن أنكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة،وخلافًا للجبائى وموافقيه فى أنه صحيح الوجود، لكن الأشياء التى يأتى بهما زعموا أنها مخاريف وخيالات لا حقائق لها والأخبار الصحيحة ترده ردًّا مشبعًّا/١٢ فتح.

(*) عزاه السيوطى فى "الدر المنثور"، (٦٦١/٥) إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم وصحح سنده.

(٢) لما تقول وتعمل ولما يقولون ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك منهم ولما كان أعظم النظر فى آية المجادلة من أول السورة إلى البعث، وصيرورة العباد إلى الله للحساب والثواب والعقاب فقال مؤكدًا: "لخلق السموات" الآية /١٢ وجيز.

(٣) ولما تقدم قوله: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، ناسب أن يبتدئ بالأعمى ثم بالمثل الآخر ابتداء بالممدوح لمجاورته البصير وقد يخالف هذا الطريق، وكل ذلك تفنن فى البلاغة/١٢وجيز.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ مزيد لا للمبالغة فى نفى مساواته للمحسن، والأولان مثلان للغافل والمستبصر، والآخران للمحسن والمسيء لتغاير وصفيهما أو كأنه قال لا يستوى الأعمى والبصير فكذلك المحسن والمسيء فشبه حالهما فى عدم الاستواء بحالهما،﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ(*) ﴾ أى: تذكرون تذكرًا قليلاً، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لأن من تأمل فى أطوار الخلق لعلم أنه لابد من معاد يجازى المحسن والمسيء، ولاتفاق كلمة الأنبياء عليهم السلام مع ظهور معجزتهم عليها،﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بها لغفلتهم وجهلهم ﴿وَقَالَ[1] رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾: سلونى، ﴿أَسْتَجِبْ[2] لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: عن دعائي[3]، والدعاء[4] مخ العبادة، وفى الحديث "من لم يدع الله" وفى رواية "لم يسأل الله يغضب[5] عليه"، أو معناه اعبدونى أثبكم، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ صاغرين ذليلين.

(*) بالأصل: يتذكرون.

(١) ولما بين أن قيام الساعة حق أرشد عباده إلى ما هو الوسيلة إلى السعادة فى دار الخلود فقال: "وقال ربكم ادعوني" الآية /١٢ فتح.

(٢) من دعا حق الدعاء لا محالة يستجيبه الله /١٢ وجيز.

(٣) وفى مسند الإمام أحمد الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﷺ "ادعونى أستجب لكم" الآية، وهكذا روى أصحاب السنن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن صحيح/١٢ وجيز.[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)]

(٤) رواه الترمذى /١٢ فتح.[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣)]

(٥) أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة /١٢ فتح.[حسن، وأخرجه أيضا الترمذى فالعزو إليه أولى، وانظر صحيح سننه (٢٦٨٦)]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿اللَّهُ[1] الَّذِى جَعَلَ﴾: أنشأ، **﴿لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا[2] فِيهِ﴾**: وتستريحوا من تعب النهار، **﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾**: الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار، فأثبته له مجازًا أو مبالغة

---

(١) ولما ختم بأمر الساعة، التى ينكرها الكفار عقبه بما يدل صريحًا على كمال قدرته، ولا يمكن إنكاره فقال: "الله الذى جعل" الآية /١٢ وجيز.

(٢) ولو قال جعل لكم الليل ساكنًا لا يفهم تلك المبالغة لجواز وصف الليل بسكون هو ملحق فى العرف بالحقيقة نحو: ليلا ساكنًا أى: لا ريح فيه كما يقال: ليل مظلم بارد بخلاف وصفهما بوصف أهلهما فإنه مجاز صرف /١٢ وجيز.

وجعله حالاً، و لم يقل لتبصروا فيه لتلك الفائدة،﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ وفى التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، حيث أوقع على صريح اسمهم الظاهر الموضوع موضع المضمر الدال على أن ذلك كأنه شأن الإنسان وخاصيته﴿ذَلِكُمُ﴾: المختص بتلك الأفعال،﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبار مترادفة أى: هو الجامع لتلك الأوصاف ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف ومن أى وجه؟! ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن عبادته ﴿كَذَلِكَ﴾ أى كما أفكوا ﴿يُؤْفَكُ﴾ فعل المضارع للاستحضار، والمعنى على المضى، ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أى: من غير دليل ولا تأمل، ﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرًا، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: قبة على الأرض،﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ[1] صُوَرَكُمْ﴾: خلقكم فى أحسن صورة، فإحسان الصورة بعد التصوير بحسب الاعتبار، وإن لم يكن تعدد بحسب الوجود،﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من اللذائذ، ﴿ذَلِكُمُ﴾: المخصوص بتلك الأفعال، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، هذا دليل آخر على وحدته ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾: المتفرد بالحياة الذاتية الدائمة، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: موحدين له، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى: قائلين له عن ابن عباس -رضى الله عنهما-: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين ﴿قُلْ﴾: يا محمد حين يدعونك إلى دين قومك، ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِى الْبَيِّنَاتُ﴾: الأدلة على وحدانيته ﴿مِنْ رَبِّي﴾ جواب "لما" يدل عليه ما قبله، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾: أنقاد ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾: من بطون أمهاتكم، ﴿طِفْلًا﴾: وحده لإرادة الجنس أو على تأويل كل واحد، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أى: ثم يبقيكم لتبلغوا سن

---

(١) ويكفى فى الحسن استواء القامة /١٢ وجيز.

الشباب، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا﴾ أى ثم يبقيكم لتكونوا، ﴿شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أى: من قبل هذه الأحوال ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ أى: ويفعل ذلك لتبلغوا، ﴿أَجَلًا مُسَمًّى﴾ هو أجل الموت المقدر، وقيل: يوم القيامة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: وحدته، عطف على لتبلغوا أجلاً ﴿هُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى﴾: أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: لا يحتاج إلى مادة ومدة وآلة وعدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ[1] فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الجهل؟!، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾: بالقرآن، ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾:

---

(١) تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن، وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله =

من سائر الكتب، أو المراد من الكتاب جنس الكتب ومن ما أرسلنا رسلنا الشرائع ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: وباله، ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، جعل المتوقع فى حكم الوجود لتيقنه، ولهذا جمع بين سوف[1] وإذ فإنه[2] ظرف ليعلمون ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾، عطف على الأغلال ﴿يُسْحَبُونَ﴾، حال من ضمير أعناقهم أى: يجرون ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾، وقيل: تقديره يسحبون بها، فيكون السلاسل مبتدأ، والجملة خبره، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون، ويصيرون وقود النار ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أى: الذى تشركون به، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى: الأصنام ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾، فقدناهم وذلك قبل أن يقرن آلهتهم بهم أو معناه ضاعوا عنا أى: ما كنا نتوقع منهم، ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: جحدوا شركهم كما قالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين"[الأنعام:٢٣]، أو ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئًا أى العمل كلا عمل،﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ حتى لا يهتدوا إلى ما ينفعهم فى الآخرة بوجه ﴿ذَلِكُمْ﴾: الإضلال، أو العذاب، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ الشرك والضلال ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسعون فى الفرح أو تفسدون ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: السبعة المقسومة لكم ﴿خَالِدِينَ﴾: مقتدين الخلود ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: مترل

= تعالى: "إن الذين يجادلون فى آيات الله"، الآية، بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود، هو الأمنية الفارغة فلا تكرار فيه أى: "انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها، كيف يصرفون عنها، بالكلية؟! قاله أبو السعود/١٢ فتح.

(١) الذى للمستقبل /١٢ وجيز.

(٢) الذى للماضى /١٢.

المتكبرين عن الحق جهنم، ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ[1]﴾: بنصرك وإعلاء كلمتك ﴿حَقٌّ﴾: كائن ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: كالقتل، والأسر، وإن شرطية وما زائدة، وجزاؤه محذوف مثل فذاك، أو فهو المقصود ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: فنجازيهم فى القيامة، وهذا جواب للثانى أو هو جواب لهما أى: إن نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم فى الآخرة عذابًا شديدًا، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، وفى مسند الإمام أحمد(*) عن أبى ذر عن رسول الله ﷺ أن جملتهم مائة ألف وأربع وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ليس لهم اختيار فى إتيان مقترح أممهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿قُضِىَ بِالْحَقِّ﴾: فنجّى المؤمنين، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: الكافرون، وقيل: أمر الله تعالى القيامة، والمبطلون المعاندون باقتراح الآيات.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى

---

(١) لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع فى تزييف طريقة المجادلين فى آيات الله أمر فى هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم وإيحاشهم بتلك المجادلات /١٢ كبير.

(*) أخرجه أحمد (٥/٢٦٦)، وذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١/١٥٩) وقال: "رواه أحمد والطبرانى فى الكبير... ومداره على على بن زيد وهو ضعيف".

ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿**اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ**[1]﴾: إنشاء الإبل والبقر والغنم ﴿**لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**﴾: من الصوف والدَّرِّ والوبر ﴿**وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ**﴾: من حمل أثقالكم إلى بلد والغنم للأكل وله المنافع والباقى من الأنعام يصلح للكل ﴿**وَعَلَيْهَا**﴾: فى البر، ﴿**وَعَلَى الْفُلْكِ**﴾: فى البحر، ﴿**تُحْمَلُونَ**[2]﴾ دخول اللام فى بعض دون بعض للفرق بين العين والمنفعة، والأظهر أن الأنعام هاهنا الإبل ولما كان العمدة فى منافعها الركوب والحمل، أدخل اللام عليهما وأما الأكل والانتفاع بالألبان والأوبار وإن كان يصلحان للتعليل أيضًا، لكنهما قاصران عنهما فجعلا مكتنفين لما بينهما من غير دخول لام عليهما وتقديم المعمول فى منها تأكلون، وعليها وعلى الفلك لرعاية الفاصلة وزيادة الاهتمام، ومنها تأكلون عطف على جعل لكم الأنعام عطف جملة على جملة بتقدير وجعل لكم الأنعام منها تأكلون، حتى لا يلزم عطف الحال على العلة وكذلك وعليها وعلى الفلك ﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾ الدالة على كمال القدرة والرحمة، ﴿**فَأَىَّ آيَاتِ اللَّهِ**﴾: أىَّ آية منها ﴿**تُنْكِرُونَ**﴾، هو العامل فى

---

(١) لما أطنب فى تقرير الوعيد عاد إلى ذكر ما يدل على وجود الإله الحكيم الرحيم وإلى ذكر ما يصلح أن يعد إنعامًا على العباد /١٢ كبير.

(٢) ولما ذكر ما امتن به من الركوب للإبل فى البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب فى البحر ولهذا قيل الإبل سفينة البر /١٢ وجيز.

أى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾: فإنهم أجسم، ﴿وَآثَارًا فِى الْأَرْضِ﴾: كقصورهم، ومصانعهم ﴿فَمَا أَغْنَى﴾، ما نافية، أو استفهامية منصوبة بأغنى ودخل الفاء، لأنه كالنتيجة بمعنى أنه ترتب عليه وإن كان عكس المطلوب﴿عَنْهُمْ﴾: العذاب وسوء العاقبة، ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1]﴾: كسبهم أو مكسوبهم ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ﴾، الفاء تفسير وتفصيل لما أبهم، وأجمل من عدم الإغناء ﴿رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا﴾: رضوا، ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ[2]﴾: بزعمهم أو سماه علمًا سخرية، وهو قولهم: نحن

---

(١) والمقصود أن هؤلاء الكفار الذين يجادلون فى آيات الله، وحصل الكبر العظيم فى صدورهم بهذا أو السبب فى ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير فى المال والجاه، فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة لأن الدنيا فانية ذاهبة، وقال: "أفلم يسيروا" الآية يعنى لو ساروا فى أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين ليس إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عدداً ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك المكانة العظيمة والدولة القاهرة، إلا الخيبة والخسارة والحسرة والبائرة فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين /١٢ كبير.

(٢) قال الرازى: ويجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال: "نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا" انتهى.

قال ابن القيم فى الإغاثة بعد ذكر فضائح الفلاسفة وتعطيلهم وكفرهم بالأنبياء فصل: وهذه البلايا ليست عامة لجميع الفلاسفة؛ فإن الفلسفة من حيث هى لا يقتضى ذلك، فإن معناها محبة الحكمة والفيلسوف محب الحكمة وقد صار هذا الاسم فى عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء وذهب إلى ما يقتضيه مجرد العقـــل فى =

....

= زعمه، وأخص من ذلك أنه فى عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وهم فرقة شاذة من فرق الفلاسفة حتى قيل أنه لم يقل من الفلاسفة بقدم الأفلاك غير أرسطو وأصحابه، والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع ومباينة للعالم، وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته إلى أن قال، وحكى أرباب المقالات أن أول من عرف منه القول بقدم العالم أرسطو، وكان مشركًا يعبد الأصنام وله فى الإلهيات كلام كله خطأ قد رده عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة وفلاسفة الإسلام وأنكر أن يعلم الله شيئًا من الموجودات، وقال: لو علم شيئًا لكمل بمعلوماته ولم يكن كاملاً فى نفسه وكان يلحقه التعب من تصور المعلومات وتبعه من تستر باتباع الرسل وهو منحل من كل ما جاءوا به، ويسمونه المعلم الأول لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وزعم أرسطو وأتباعه أن المنطق ميزان المعاني، كما أن العروض ميزان الشعر، وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان وعوجه وتخبيطه للأذهان وصنفوا فى رده وتهافته وآخر من صنف فى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ألف فى رده، وإبطاله كتابين بين فيهما تناقضه وتهافته وفساد كثير من أوضاعه رأيت فيه تصنيفًا لأبي سعيد السيرافي، والمقصود أن الملاحدة درجت على إثر هذا المعلم حتى انتهت النوبة إلى معلمهم أبي نصر الفارابى فوضع لهم التعاليم المصوتية، كما أن المعلم الأول وضع لهم التعاليم الحرفية، ثم وسع هذا المعلم الثانى الكلام فى صناعة المنطقية وشرح فلسفة أرسطو وهذبها والله عند هؤلاء كما قرره -أفضل متأخريهم وقدوتهم الذى يقدمونه على الرسل أبو على بن سينا- هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق وليس له صفة ثبوتية يقوم به، ولا يفعل شيئًا باختياره، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلا، ولا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئًا من المغيبات ولا كلام له يقوم به ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر فى الذهن لا حقيقة له وليس هو الرب الذى دعت إليه الرسل وعرف الأمم بل الرب الذى دعت إليه الملاحدة، وجردته عن الماهية وعن كل صفة ثبوتية وكل فعل اختيارى وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به =

أعلم لا بعث ولا عذاب وهذا فى الحقيقة جهل، وقيل: معناه استهزءوا بما عند الأنبياء من العلم، وقيل: رضوا بما عندهم من علم الدنيا ومعرفة تدبيرها واكتفوا بها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: وبال ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، قيل: فيه إشعار إلى المعنى الثانى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: عاينوا وقوع العذاب، والفاء لمجرد التعقيب ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: منفردًا بالإيمان، ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ﴾: من الأصنام، ﴿مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ﴾ أى: لم يصح[1] أن ينفعهم ﴿إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ﴾ أى: سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فهى من المصادر المؤكدة ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾، استعير اسم مكان للزمان أى: وقت البأس، ﴿الْكَافِرُونَ﴾ أى: ظهر لهم خسرانهم.

والحمد لله على نعمائه.

= ولا مبائنا له ولا فوقه ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله، وقول هؤلاء الملاحدة أصلح من قول معلمهم أرسطو فإن هؤلاء أثبتوا واجبًا وممكنًا هو معلول له، صادر عنه صدور المعلول عن علته وأما أرسطو فلم يثبته إلا من جهة كونه مبدأ عقليا للكثرة وعلة غائية لحركة الفلك فقط، وصرح بأنه لا يفعل شيئًا باختياره وهذا الذى يوجد فى كتب المتأخرين من حكاية مذاهبه من وضع ابن سينا فإنه قربه من دين الإسلام بجهده وغاية ما أمكنه أن قربه من قول غلاة الجهمية انتهى /١٢.

(١) وهذا أبلغ من قولك لم ينفعهم لأنه إنما يلتقى الوقوع لا الصحة والاستقامة/١٢ وجيز.

سورة حم السجدة(*) مكية

وهي ثلاث أو أربع وخمسون آية وست ركوعات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿حٰمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞﴾

﴿حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تنزيل خبر حم إن كان اسمًا للسورة؛ وإلا فهو خبر محذوف، أو مبتدأ مخصص[1] خبره قوله **﴿كِتَابٌ﴾**، وعلى الأولين إما خبر بعد خبر، أو بدل أو خبر محذوف **﴿فُصِّلَتْ﴾**: ميزت وبينت **﴿آيَاتُهُ قُرْآنًا﴾** نصب على المدح أو حال، **﴿عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**: لقوم صفة أخرى لقرآناً، أو متعلق بفصلت أي: هذا التفصيل للعلماء، فإنهم هم العالمون به **﴿بَشِيرًا﴾**: للمؤمنين **﴿وَنَذِيرًا﴾**: للكافرين **﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾**: عن تأمله، **﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾**: سماع قبول،

(*) فصلت.

(١) يعني تنزيل مبتدأ نكرة مخصص بالصفة وهي من الرحمن الرحيم/١٢منه.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أغطية **﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾**: فلا نفقه ما تقول **﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾**: صمم، **﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾** يعنى نحن فى ترك القبول عنك بمترلة من لا يفهم، ولا يسمع، وبينه -مع ما هو عليه- وبين داعيه -مع ما هو عليه- حجاب غليظ، فلا تلاقى ولا ترآى، وفائدة من أن الحجاب ابتدأ منا ومنك، فيدل على استيعاب ما بين الطرفين بالحجاب **﴿فَاعْمَلْ﴾**: على دينك، **﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾**: على ديننا، **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** أى: لست بجنى ولا بملك أتكلم بما لا تفهمون،**﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾**: وجهوا إليه وجوهكم، وأخلصوا له العبادة **﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾**: من سالف الذنوب **﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾**: لا يطهرون أنفسهم، "قد أفلح من زكاها"[الشمس:٩]، "قد أفلح من تزكى"[الأعلى:١٤]، أو المراد زكاة أموالهم، وأصلها مأمور به فى ابتداء البعثة وأما مقدارها وكيفيتها فبين أمرها بالمدينة. ولفظ الإيتاء يساعد المعنى الثاني، بل كالصريح، لكن الأول منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما **﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾**: غير مقطوع وأما المنة فلله على أهل الجنة، "بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان"[الحجرات:١٧].

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟

لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أى فى حقيقة يومين معلومين عند الله، لا نعرف كيفيتهما أو فى قدر يومين لأن الظاهر من قوله: "رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها"[النازعات:٢٨-٢٩]، أن حدوث اليوم والليلة بعد خلق السماء وعن كثير من السلف أن اليومين: الأحد والاثنان وفيه إشكال، اللهم إلا أن يقال: إن الله تعالى لما خلق الأزمان سمى أول يومه السبت ثم الأحد ثم الاثنان ثم وثم، وخلق السماء والأرض وما بينهما فى مقدار ستة أيام قبل حدوث الزمان متصل بحدوثه بمعنى أنه لو كان الزمان حين الخلق موجودًا لكانت مدة الخلق ستة أيام يكون أوله يوم الأحد البتة، وآخره يوم الجمعة **﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ﴾**: القادر العظيم، **﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا﴾**: فى الأرض، **﴿رَوَاسِيَ﴾**: جبالاً ثوابت وهو عطف على محذوف، أى خلقها وجعل، وقيل: عطف على خلق والفصل بالجملتين كلا فصل؛ لأن الأولى بمنزلة الإعادة لتكفرون، والثانية اعتراضية كالتأكيد لمضمون الكلام، **﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾**: مرتفعة ليظهر على الناظرين **﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾**: بخلق المنافع فيها، **﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾**: أقوات أهلها، أو قدر فى كل بلدة ما لم يجعله فى الأخرى، **﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾** أى: تتمتها لقوله: "خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام"

[السجدة:٤][1]، واليومان الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَاءً﴾ أى: استوت استواءً بلا زيـــادة ولا نقصان، والجملة صفة أيام ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ أى: هذا الحصر للسائلين عن مدة خلقها، أو متعلق بقدّر أى: قدر فيها للمحتاجين أقواتها ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصـــد نحوها، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: ارتفع من الماء الذى عليه عرشه، ﴿فَقَالَ لَـــهَا وَلِلْـأَرْضِ ائْتِيَا﴾: ما أمركما أى: افعلاه واستجيبا لأمرى، كما يقال: ائت ما هو الأحسن قيـل: إتيان السماء حدوثها، وإتيان الأرض أن تصير مدحوة. عن ابن عباس -رضى الله عنه- أطلعى شمسك وقمرك ونجومَك يا سماء وشققى أنهارك فأخرجى ثمارك ونباتك يا أرض ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: طائعتين أو مكرهتين أى: شئتما أو أبيتما ذلك ﴿قَالَتَــــا أَتَيْنَـــا طَائِعِينَ﴾: استجبنا لك منقادين لما خاطبهما وأقدرهما على الجواب أجراهمـــا مجـــرى العقلاء عن بعض السلف أن المتكلم موضع الكعبـــة، ومـــن الســـماء مـــا يســـامنه ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾: خلقهن، وأحكمهن الضمير إلى السماء على المعنى ﴿سَبْعَ سَــمَوَاتٍ﴾، حال ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: يوم الخميس والجمعة، وهذه الآيات مشـــــعرة بـــأن خلـــق الأرض ودَحْوَها مقدم على خلق السماوات[2]، وهو مخالف لما فى سورة النازعات "والأرض بعـــد ذلك دحاها"[النازعات:٣٠]، فلابد أن نقول أن ثم فى "ثم استوى إلى السماء" للـــتراخي[3]

---

(١) وثبت أن خلق السماوات فى يومين فلو كان الكلام على ظاهره لزم أن يكون خلـــق المجموع فى ثمانية أيام، وقد ثبت أنه فى ستة وظاهر كلام الزمخشرى أن قوله: "فى أربعـة أيام" خبر مبتدؤه محذوف أى: المجموع فى أربعة /١٢ منه ووجيز.

(٢) لأن خلق الجبال وجعلها رواسى من فوق الأرض والبركة فيها بخلق المنـــافع وتقديـــر الأقوات قبل الدحو بعيد جدا، وإن كان أحد القولين المذكورين وهو قولـــه: وإتيـــان الأرض أن تصير مدحوة هو ذلك البعيد فتأمل/ ١٢ منه.

(٣) وقال الشوكانى بعد ذكر هذا الاستشكال: إن ثم ليست للتراخى الزماني، بل للـــتراخى الرتبي، فيندفع الإشكال من أصله، وعلى تقدير إنها للتراخى الزمانى فالجمع ممكن، بـــأن =

الرتبی لا الزماني، وسنذكره فى سورة النازعات ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قرر ورتب شأنها أى: خلق ما يحتاج إليه من الملك، وما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: الكواكب كلها ظاهرة[1] عليها،﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر لمحذوف أى: وحفظناها من استراق السمع حفظا ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾: مع هذا البيان عن الإيمان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾: مهلكة، ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾، حال من صاعقة عاد أو ظروفها لما فيها من معنى الفعل أى: صعقوا إذ جاءتهم﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: من القرى القريبة من

= الأرض خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد خلقها فهى متقدمة خلقًا متأخرة دحوًا وهذا ظاهر انتهى.

وفى الوجيز بعد ذكر الإشكال والأولى أن ثم هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب الزمان، كأنه قال أخبركم بأنه خلق الأرض وجعل فيها كذا وكذا ثم أخبركم أنه استوى إلى السماء، فلا تعرض فى الآية للترتيب، ولما كان خلق السماء أبدع استؤنف الإخبار فيه بثم وهذا كقوله: "ثم كان من الذين آمنوا" بعد قوله: "فلا اقتحم العقبة" [البلد:١٣-١٧]، ومن هذا القبيل أيضًا "ثم آتينا موسى الكتاب" بعد قوله: "قل تعالوا" الآية [الأنعام:١٥١-١٥٤]، ويدل على أن المقصود الإخبار بوقوع هذه الأشياء من غير ترتيب وقوله فى الرعد "الذى رفع السموات بغير عمد ترونها" الآية ثم قال بعد: "وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى"[٢-٣]الآية فظاهر هذا رفع السماوات، ثم مد الأرض وظاهر ما فى هذه السورة جعل الرواسى قبل خلق السماء، لكن المقصود من الآيتين الإخبار بصدور ذلك منه من غير تعرض لترتيب ما، كأنه لا يندفع الإشكال إلا بهذا / ١٢.

(١) إشارة إلى أنه يمكن تصحيح كلام أهل الهيئة أن السيارات فى سبع سماوات كما قال تعالى: "كل فى فلك يسبحون"[الأنبياء:٣٣] بأن نقول: لما كانت الكواكب ظاهرة على السماء الدنيا ترى كأنها تلالؤ عليها فيصدق أن سماء الدنيا مزينة بها / ١٢ منه.

بلادهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ القرى البعيدة كما قال: "وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه"[الأحقاف:٢١]، وقيل: من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة كما قال الشيطان: "لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم"[الأعراف:١٧]، وقيل: أنذروهم من مثل الوقائع المتقدمة ومن العذاب المتأخر أى: عذاب الآخرة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن بمعنى أى ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾: إرسال الرسل، ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: برسالته فإنما أنتم لستم بملائكة ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: على زعمكم، ﴿كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بغوا وعتوا، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، اغتروا بقوتهم ومزيد قدرتهم وحسبوا أنها تغنيهم عن العذاب،﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أزيد قدرة منهم، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أى: يعلمون وينكرون عطف على فاستكبروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة الصوت من الصرير وشديدة البرد من الصِرِّ[1] ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: مشئومات عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: الذل وصف به العذاب مع أنه فى الأصل صفة المعذب على الإسناد المجازى للمبالغة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: دللناهم على طريق الحق[2]، بلسان نبيهم صالح -عليه السلام ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾: اختاروا الضلالة ﴿عَلَى الْهُدَى﴾، وهذا لا ينافى كون الضلال بمشيئة الله تعالى، وإنما ينافيه لو كان معنى هديناهم[3] أردنا منهم

---

(١) صَرَّ يَصِرُّ صَرًّا وَصَرِيرًا صَوَّتَ / ١٢ قاموس.

(٢) وفى الوجيز بعد ما فسر الآية بما فسر به المصنف وهذا تفسير ظاهر موافق من غير تكلف لمذهب أهل السنة والجماعة.

(٣) رد على الزمخشرى -عفا الله عنه- حيث قال: لو لم تكن فى القرآن حجة على القدرية إلا هذا لكفى بها حجة. سمى أهل السنة باسم المعتزلة وقد صار كالمثل فى =

الهدى ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: صيحة ورجفة؛ وهى الذل والهوان والإضافة إلى العذاب ووصفه بالهوان للمبالغة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من القبائح ﴿وَنَجَّيْنَا﴾: من تلك الصاعقة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَيَوْمَ[1] يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أى اذكره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ما مزيدة لتأكيد ظرفية للشهادة أى: إنما تقع فيه

= الاشتهار أن القدرية هم الذين لا يؤمنون بالقدر خيره وشره نسبة لمبالغتهم فى نفيه/١٢ منه.

(١) ولما ذكر ما عاقبهم به فى الدنيا ذكر ما عاقبهم فى الآخرة فقال: "ويوم يحشر أعداء الله" الآية / ١٢ فتح.

البتة ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من المعاصي، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾، خص الجلود بالسؤال لأن الشهادة منها أعجب إذ ليس شأنها الإدراك بخلاف السمع والبصر ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾: لأى علة؟! وبأى موجب؟! ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أى: كل شيء ينطق فما شهدنا اختيارًا، بل اضطرارًا، والأعضاء فى القيامة هى الناطقة بالحقيقة[1] وفيها القدرة والإرادة، لا كنطق ينسب إلى الجملة، واللسان مجرد آلة حتى إن إسناد النطق إليه ربما يعد مجازًا ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، الظاهر أنه من تتمة كلام الجلود[2] عن ابن عباس –رضى الله عنهما– إن الكافر يجحد شركه ويحلف كما يحلفون لكم فتشهد من أنفسهم جوارحهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو الذى خلقكم أول مرة وإليه ترجعون، فتقر الألسنة بعد الجحود ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: عند المعاصي، ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾: لأن يشهد ﴿عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أى: ليس استتاركم عند المعاصى خيفة شهادة الجوارح، فإنكم ما تصدقون بشهادتها لإنكاركم الحشر والبعث ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ[3]﴾ أى: لكنكم

---

(١) ولذلك قال: "شهد عليهم سمعهم" وقالوا: "لم شهدتم علينا". وليس الشاهد أنفسهم وهذه آلات للنطق بمنزلة اللسان، بل الجوارح فى القيامة هى الناطقة حقيقة/١٢منه.

(٢) رد على البغوى والواحدى حيث قالا تم الكلام، وقال الله: "وهو خلقكم" إلخ وليس هذا من جواب الجلود وهذا الذى نقلنا عن ابن عباس –رضى الله عنهما– يدل على ما قلنا وقد صحح هذا النقل عن ابن عباس –رضى الله عنهما– الشيخ المحدث عماد الدين بن كثير / ١٢منه.

(٣) نقل محيى السنة بإسناده عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت رجال فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جَهَرْنا لا إن أخفينا وقال الآخر: =

إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم الخفيات، فهو بالحقيقة استدراك من المفعول له أى: ليس استتاركم لخوف الشهادة، بل لظن أن[1] الله تعالى لا يعلم ﴿وَذَلِكُمْ﴾، مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ خبر أو بدل ﴿أَرْدَاكُمْ﴾، خبر ثان أو هو الخبر أى: أهلككم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قد صرح بعض المفسرين أن كلام الجلود إلى قوله: "فأصبحتم من الخاسرين"، ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾: ولا يسألوا شيئاً، ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾: لم ينفعهم الصبر، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسترضوا، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، فلم يرضوا تقول استعتبته[2] فأعتبنى أى: استرضيته فأرضانى أو إن سألوا الرجوع عن الآخرة إلى الدنيا لم يجابوا، ﴿وَقَيَّضْنَا[3]﴾: قدرنا، ﴿لَهُمْ﴾: للمشركين، ﴿قُرَنَاءَ﴾: من الشياطين، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أى: أَحْسَنوا لهم أعمالهم الماضية والآتية فلم يروا أنفسهم إلا محسنين أو أمر الدنيا واتباع شهواتها، وأمر الآخرة وإنكارها ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب، ﴿فِى أُمَمٍ﴾ أى: كائنين فى جملتهم حال من عليهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ﴾ استئناف تعليل ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

= إن يسمع ما جهرنا يسمع ما أخفينا. فأنزل الله "وما كنتم تستترون" الآية/١٢ منه أقول وفى البخارى عن ابن مسعود بمعناه / ١٣منه. [أخرجه البخارى فى "التفسير"، (٤٨١٦)، وفى غير موضع من صحيحه]

(١) تفسير القاضى لا يطابق تفسيرنا فتأمل ترى أيهما أصوب، ولا تغفل أيضاً عما نقلنا فى الحاشية من سبب النزول / ١٢ منه.

(٢) العتبى الرجوع لهم إلى ما يحبون / ١٢ منه .

(٣) ولما ذكر الوعيد الشديد على كفرهم، أردفه بذكر السبب الذى لأجله وقعوا فى ذلك الكفر فقال: "وقيضنا لهم قرناء" الآية / ١٣ كبير.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**﴾: كان بعضهم يوصي بعضا إذا رأيتم محمدًا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وكلموا فيه وعيِّبوه أو بالمكاء والصفير، أو أكثروا الكلام والصياح ليختلط عليه ﴿**لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾: محمدًا على قراءته فيترك ﴿**فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أى: نذيقنهم ﴿**عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أى: نجزينهم جزاء أسوء أعمالهم من الاستهزاء، وتحقير القرآن ﴿**ذَلِكَ**﴾: الأسوأ ﴿**جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ**﴾ مبتدأ وخبر ﴿**النَّارُ**﴾ عطف بيان للخبر ﴿**لَهُمْ فِيهَا**﴾: فى النار، ﴿**دَارُ الْخُلْدِ**[1]﴾: فى النار مواضع واسعة، ولهم فيها مكان يخلدون فيه ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**

(١) وجاز أن يكون من باب التجريد نحو: "لكم فى رسول الله أسوة حسنة"[الأحزاب:٢١]. فالنار فى نفسها دار الخلد، والتجريد هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرًا آخر بتلك الصفة مبالغة لكماله فيها / ١٢ منه ووجيز.

رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أى: شيطانى النوعين وعن على -رضى الله عنه- إن مرادهم إبليس، فإنه سن الكفر، وقابيل فإنه سن القتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: أسفل منا فى العذاب، ليكون عذابهما أشد ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ[1]﴾ أى: فى الدرك الأسفل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أقروا بوحدانيته ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: على التوحيد، و لم يشركوا به شيئًا، أو على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت أو عنده وفى القبر عند البعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا[2]﴾ بمعنى أى: أو بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: على لسان أنبيائكم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وفقناكم على الخير وحفظناكم من الشر بإذن الله تعالى ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ نؤنس منكم وحشة القبر، ونوصلكم إلى الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: فى الآخرة، ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: ما تطلبون، والثانى أعم من الأول[3] ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾، النزل طعام النزيل، وهو حال من الضمير المستكن فى خبر ما تدعون لا من مفعول تدعون.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) قيل: ندهسهما انتقامًا منهما ليكونا من الأسفلين مكانا أو ذلا/١٢منه.

(٢) يعنى إن "إن" إما مفسرة أو مصدرية /١٢ منه.

(٣) لأنه يمكن طلب شىء لا تشتهيه نفسه / ١٢ منه.

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ**﴾: إلى طاعته ﴿**وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾، لا من الذين لا يوافق قولهم عملهم ﴿**وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**[1]﴾، جعل الإسلام دينه ومذهبه، أو تكلم بذلك تفاخرًا، والآية عامة فى كل مهدىٍّ هادٍ ولعل مراد من قال: إن المراد به

---

(١) يعنى ليس الغرض التكلم بهذا الكلام بل جعل الإسلام دينه ومذهبه كما تقول: هذا أقول الشافعى أى: مذهبه واعلم أن القول يستعمل بمعان يناسب المقام، كالنصح ومن ذلك ما ورد فى الدعاء المأثور (سبحان من تعزز بالعز وقال به) / ١٢ وجيز.

المؤذنون أنهم أولى وأدخل لا أنها نزلت فيهم، فإن الآية مكية والأذان شرع بالمدينة ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، لا الثانية لتأكيد النفى، ﴿ادفع﴾: السيئة، ﴿بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: وهى الحسنة استئناف كأنه قيل: كيف أصنع؟ قال: ادفع والمراد من الأحسن الزائد مطلقًا عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أمر بالصبر عند الغضب، وبالعفو عند الإساءة. معناه لا تستوى الحسنات، بل يتفاوت إلى الحسن والأحسن، وكذلك السيئات فادفع السيئة التى ترد عليك بحسنة هى أحسن من أختها، مثلا تحسن إلى من أساءك ولا تكتفى بمجرد العفو عنه ﴿فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ أى: إذا فعلت ذلك يصير العدو ﴿كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: صديق شفيق، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أى: تلك الخصلة يعنى مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على مخالفة النفس، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من كمال النفس ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أى: يفسدك فساد. حال كون الفساد من الشيطان يعنى يصرفك عن الدفع بالتى هى أحسن، فيكون من قبيل جَدَّ جدُّه، ومن الشيطان حال مقدم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: حتى يوفقك على دفعه، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: باستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾: بما فى ضميرك، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، الضمير للأربعة نحو: الأيام مضين[1] ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: فإن عبادته مع عبادة غيره غير مقبولة، ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾: عن الامتثال ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أى: الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى: دائمًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: لا يملون وهذا مثل قوله: "فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين"[الأنعام:٨٩]﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: متذللة

---

(١) فإن حكم ضمير جماعة ما لا يعقل، وإن كانت الذكور أن يجعل مؤنثا فلا يكون هذا من باب التغليب / ١٢ وجيز ومنه.

استعارة عن يبسها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات، ﴿وَرَبَتْ﴾: زادت وعلت، ﴿إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى الْمَوْتٰى إِنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على الإعادة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الاستقامة ﴿فِى آيَاتِنَا(١)﴾: يضعون فى غير مواضعها ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، فيه وعيد شديد ﴿أَفَمَنْ

(١) بأن يطعنوا فيها ويأولوها بالباطل ويلغوا فيها ويحرفوا فيها /١٢ منه.

قال السيوطى فى الإكليل تحت هذه الآية: قال ابن عباس -رضى الله عنه هو أن يوضع الكلام فى غير موضعه أخرجه ابن أبى حاتم من طريق العوفى عنه، ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ، كما يفعله باطنيه[كذا بالأصل والمقصود: الباطنية] والاتحادية والملاحدة وغلاة المتصوفة انتهى.

ومن الإلحاد فى أسماء الله وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة ومتفلسفة الصوفية والمتكلمين الذين يجعلون الألفاظ التى جاءت فى القرآن موضوعة لمعانى تخالف لغة العرب، وتناقض ثبوت الصفات كما فعله بلفظ الغنى والقديم والواحد والواجب بنفسه، فصاروا يجعلونها تدل على معانى وتستلزم معانى تناقض ثبوت الصفات، وتوسعوا فى التعبير ثم ظنوا أن هذا الذى فعلوه هو موجب الأدلة العقلية وغيرها. وهذا غلط منهم، فموجب الأدلة العقلية لا يتلقى عن مجرد التعبير، وموجب الأدلة السمعية يتلقى من عرف المتكلم بالخطاب لا من الوضع المحدث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التى جاءت فى القرآن موضوعة لمعانى ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني، بل هذا من فعل الملاحدة المفترين. فإن هؤلاء عمدوا إلى معانى ظنوها ثابتة فجعلوها هى معنى الوحدة، والوجوب والغنى والقدم ونفى المثل ثم عمدوا إلى ما جاء فى القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغنى ونحو ذلك من نفى المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعانى التى سميناها بهذه الأسماء وهذا من أعظم الافتراء على الله، وكذلك المتفلسفة عمدوا إلى لفظ الخالق والفاعل والصانع والمحدث ونحو ذلك فوضعوها لمعنى ابتدعوه، وقسموا الحدوث إلى نوعين: ذاتى وزمانى وأرادوا بالذاتى كون المربوب مقارنا للرب =

﴿يُلْقَى فِى النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يعنى جزاء الإلحاد فيها النار ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، تهديد على تهديد ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، جملة مستأنفة، وحذف خبر إن للتهويل أى: يكون من أمرهم ما يكون، أو يهلكون أو الجملة بدل من إن الذين يلحدون إلخ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: أعزه الله ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾: ليس للبطلان إليه سبيل، أو لا يبطله الكتب المتقدمة ولا يأتيه كتاب بعده يبطله،﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾: فى ذاته وإن لم يحمده الحامدون، ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ أى: لا يقول لك قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أى: إلا مثله أى:

= أزلا وأبدًا وأن هذا اللفظ على هذا المعنى لا يعرف فى لغة أحد من الأمم، ولو جعلوا هذا اصطلاحًا لهم لم ننازعهم فيه، لكن قصدوا بذلك التلبيس على الناس وأن يقولوا: نحن نقول بحدوث العالم وأن الله خالق له وفاعل له وصانع له ونحو ذلك من المعانى التى يعلم بالاضطرار أنها تقتضى تأخير المفعول، لا يطلق على ما كان قديما بقدم الرب مقارنا له أزلا وأبدًا، وكذلك فعل من فعل بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيبويه وبقراط لفسد ما ذكروه من النحو والطب، ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة لفسد العلم بذلك، ولكان ملبوسًا عليهم، فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألحدوا فى أسماء الله وآياته ومن شركهم فى بعض ذلك وكذلك إذا قالوا: الموصوفات تتماثل أو الأجسام تتماثل أو الجواهر تتماثل، وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثله شيء"[الشورى:١١] على نفى مسمى هذه الأمور التى سموها بهذه الأسماء فى اصطلاحهم الحادث، كان هذا افتراءه على القرآن فإن هذا ليس هو المثل فى لغة العرب، لا لغة القرآن، ولا غيرها فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن هذا ما التقطت من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على وجه الاختصار/ ١٢.

فاصبر كما صبروا ولا تجزع ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب، ﴿وَذُو عِقَابٍ[1] أَلِيمٍ﴾: لمن أصر على التكذيب وقيل: معناه لا يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم، وهو إن ربك لذو مغفرة، فقوله: "إن ربك" بدل مما قد قيل ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ[2] قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾: بغير لغة العرب، ﴿لَقَالُوا لَوْلَا﴾ أى: هلا، ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: بينت بوجه نفهمه، ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أى: أكلام أعجمى ومخاطب عربي؟! فالهمزة للإنكار، ومن قرأ بلا همزة فهو إخبار وعن بعضهم أن معناه حينئذٍ هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميًا وبعضها عربيا، لينتفع بها القبيلتان، يعنى هم على أى حال تجدهم فى عناد واعتراض متعنتين. نقل البغوى عن مقاتل أنها نزلت حين قال المشركون: يعلم يسارٌ محمدًا القرآن وهو غلام يهودى، أعجمى يكنى أبا فكيهة، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هُوَ﴾: القرآن، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾: إلى الحق، ﴿وَشِفَاءٌ﴾: من الجهل، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، عطف على المجرور باللام ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، عطف على هدى، والمحققون يجوزون مثل ذلك العطف "وفى آذانهم" حال من الضمير فى الذين لا يؤمنون، ووقر أى: ذو وقر أو كوقر أو الذين كفروا مبتدأ، وخبره فى آذانهم وقر بتقدير مبتدأ أى: هو يعنى القرآن فى آذانهم وقرٌ فيكون من عطف الجملة على الجملة ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أى: ذو عمى أو كعمى فلا ينتفعون به أصلاً ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ لهذا تمثيل أى: مثلهم مثل من يصيح به من مسافة بعيدة، لا يسمع من مثلها إلا مجرد نداء، مثل الذين كفروا، كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء وعن الضحاك ينادون يوم القيامة من مكان بعيد بأشنع أسمائهم.

---

(١) ولما ذكر الملحدين فى آياته وأنهم لا يخفون عليه، والكافرين بالقرآن ذكر ما دل على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم فقال:" **ولو جعلناه**" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) أى: الذكر / ١٢.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ**﴾: بالتصديق والتكذيب، كما اختلف قومك فى كتابك ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**﴾: فى تأخير العذاب وأجل مسمى، ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾: عجل لهم العذاب، ﴿**وَإِنَّهُمْ**﴾ أى: المشركين ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**﴾: من القرآن ﴿**مُرِيبٍ**﴾: موقع لهم فى الريبة أو أن اليهود لفى شك من التوراة ﴿**مَنْ عَمِلَ**

﴿صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ[1]﴾: فلا يعذب أحداً إلا بعد الاستحقاق. ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: ما يعلمها إلا الله، ﴿وَمَا[2] تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾، ما نافية ومن زائدة للاستغراق ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾، جمع كِم بالكسرة، وهو وعاء الثمرة، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: مقرونا بعلمه ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ[3]﴾ أي: اذكر يوم ينادى الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم؟ ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: من أحد يشهد أن لك شريكًا إذ تبرءوا عنهم لما عاينوا الحال والسؤال توبيخ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾: من الأصنام، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل القيامة فلا ينفعهم، ﴿وَظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: مهرب، ﴿لَا يَسْأَمُ﴾: لا يمل، ﴿الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: كالمال والصحة، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: كالفقر والمرض، ﴿فَيَئُوسٌ[4]﴾: من فضله، ﴿قَنُوطٌ﴾: من رحمته، وما هذا إلا حال الكافر فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾: بتفريجها عنه، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾: حقى وصل إلى، أو لا يزول عنى، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾: على فرض أن تقوم القيامة كما يزعمون ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾:

---

(١) ولما ذكر من عمل صالحًا ومن أساء كان فيه دلالة على الجزاء كأن سائلاً قال: متى ذلك؟ فأجاب: "إليه يرد علم الساعة" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) ثم ذكر سعة علمه، فقال: "وما تخرج" إلخ / ١٢ وجيز.

(٣) ولما ثبت بهذا علمه وقدرته وعجز من سواه وجهله، وأمر الساعة مقرر لابد من كونه لينتصر المظلوم، وليتميز المسيء من المحسن ذكر شقاوة المسيء فقال: "ويوم يناديهم" الآية / ١٢ وجيز.

(٤) واليأس صفة القلب، وهو أن يقطع رجاءه من الخير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس/ ١٢ وجيز.

معدٌ لى عند الله الحالة الحسنى من النعمة يتمنى على الله تعالى مع إساءة عمله، وهو جواب القسم ساد مسد جواب الشرط ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نخبرهم، ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: بحقيقة أعمالهم فيعلموا أنها تستوجب ندامة لا كرامة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا[١] عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾: نسى المنعم، ولم يأتمر بأوامره ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أذهب نفسه وتباعد عنه تكبرا، والجانب مجاز عن النفس ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير دائم لأنه إذا كان عرضه واسعًا فما ظنك بطوله فإنه أطول الامتدادين استعير ما هو من صفة الأجرام للدعاء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ كَانَ﴾: القرآن، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف وعداوة ﴿بَعِيدٍ[٢]﴾: عن الطريق المستقيم، أى: من أضل منكم؟ فوضع موضعه، ليكون تعليلاً لكمال الضلال، وهو فى موقع مفعولى أخبرونى على طريق التعليق،

---

(١) ولما حكى الله تعالى أقوال الذى أنعم عليه بعد وقوعه فى الآفات حكى أفعاله أيضًا فقال: "وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض" من التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، ونأى بجانبه أى: ذهب بنفسه وتكبر وتعظم، ثم إن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع /١٢ كبير.

(٢) وتقرير هذا الكلام أنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه، حتى قلتم: قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر، ثم من المعلوم بالضرورة أنه ليس العلم بكون القرآن باطلا علما بديهيا وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحًا، وأن يكون فاسدا فبتقدير أن يكون صحيحًا كان إصراركم على دفعه من أعظم موجبات العقاب، فهذا الطريق يوجب عليكم أن تتركوا هذه النفرة وأن ترجعوا إلى النظر والاستدلال؛ فإن دل دليل على صحته قبلتموه، وإن دل على فساده تركتموه. فأما قبل الدليل فالإصرار على الدفع والإعراض بعيد عن العقل /١٢ كبير.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾: الدالة على حقية القرآن، ﴿فِي الْآفَاقِ﴾: كوقائع لا تتعلق بخاصتهم، مثل ظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: كالوقائع التي حلت بهم، كوقعة بدر وفتح مكة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه﴾: القرآن، ﴿الْحَقُّ﴾: المنزل من عند الله تعالى أو معناه سنريهم آياتنا فى الآفاق، كالشمس والقمر وغيرهما، وفى أنفسهم من عجائب الصنع المركب منها الإنسان حتى يتبين أن الله هو الحق وكل شيء سواه باطل، زائل لا يستحق الألوهية ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ﴾ أى: أليس الأمر كذلك؟ ولم يكف ﴿بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أى: ألم يكف شهادته على كل شيء؟ وهو يشهد على صدق محمد فيما أخبر به عنه أو ألم يكف فى حقية الله تعالى اطلاعه على جميع الأشياء؟ فبربك فاعل كفى، وما بعده بدل منه قيل: أو لم يكفك ربك؟ فإنه عالم بكل شيء فيعلم حالك ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾: الكل تحت علمه وقدرته فإقامة الساعة يسير عليه.

والحمد لله رب العالمين.

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى مكية

وهى ثلاث وخمسون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٩﴾

﴿حم عسق﴾[1] قيل: فصل بينهما ليطابق سائر الحواميم **﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** أى: مثل ما فى هذه من المعانى أوحى

---

(١) وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، ونعيم بن حماد والخطيب عن [كذا فى الأصل، عن ابن المنذر، وكذا فى الدر المنثور للسيوطى (٥/٦٩٢)، وهو أرطاة بن المنذر كما فى تفسير الحافظ ابن كثير (٤/١٠٥).]، ابن المنذر حديثًا طويلاً فى تفسير حم عسق، وهو =

الله تعالى إليك، وإلى من قبلك من الرسل. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس من رسول إلا وقد أوحى إليه حم عسق، فعلى هذا "كذلك" إشارة إليه، وذكر المضارع للاستمرار وبيان العادة، وكذلك فى موقع المصدر أو المفعول به، ومن قرأ "يوحى" بصيغة المجهول، فالله مرفوع بمحذوف كأن قائلاً قال: من يوحى فقال: الله **﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ[1] الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾**: يتشققن من عظمته، أو من قولهم: "اتخذ الرحمن ولداً"(يونس:٦٨، مريم:٨٨، الأنبياء: ٢٦) **﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ[2]﴾** أى: يبتدى الانفطار من جهتهن الفوقانية، فإن أعظم آياته الدالة على جلاله، وهى العرش والكرسى وغيرهما من تلك الجهة **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾** متلبسين **﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾**: من المؤمنين،

= حديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات، والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول، والحط من شأنهم، والإزراء عليهم. وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر عن أبى معاوية قال السيوطى: بسند ضعيف عجيب وقلت: بسند موضوع، ومتن مكذوب، وقد قال ابن كثير فى الحديث الأول: أنه غريب عجيب منكر[كذا فى الأصل، ووصفه ابن كثير كما فى الموضع السابق بأنه أثر غريب عجيب منكر]، وفى الثاني: إنه أغرب من الأول، وعندى إنهما موضوعان مكذوبان، وذكر هذا كله صاحب الفتح، وما أظنه إلا من كلام الشوكانى لكنه ما عزاه إليه.

(١) فى ذاته وصفاته / ١٢ وجيز.

(٢) فى الدر المنثور أخرج ابن جرير عن الضحاك "يتفطرن من فوقهن"، يقول: يتصدعن من عظمة الله. وأخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس "تكاد السموات يتفرطن من فوقهن"، قال: ممن فوقهن، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وأبو الشيخ والحاكم وصححه، عن ابن عباس "تكاد السموات يتفطرن من فوقهن"، قال: من الثقل، انتهى. وفى الفتح، ويدل على هذا المعنى مجيئه بعد قوله: "العلى العظيم"/١٢.

كما قال تعالى: "ويستغفرون للذين آمنوا"(غافر:٧)، وقيل: الاستغفار طلب هدايتهم التى هى موجب الغفران، فيعم الكافر ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: رقيب على أعمالهم، يحصيها ويجزيهم ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: بموكل بهم، "إنما أنت نذير"(هود:١٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى: مثل ذلك الإيحاء البين ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا﴾ مفعول أوحينا ﴿عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾: مكة، أى: أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قرئ الأرض كلها، أو المراد العرب، وترك المفعول الثانى لقصد العموم أى: بأنواع الإنذار ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يقال: أنذرته النار وبالنار. وترك المفعول الأول للعموم أيضًا، أى: لتنذر كل أحد عن هول يوم القيامة، الذى يجمع فيه الأولون والآخرون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له[1] ﴿فَرِيقٌ﴾ أى: منهم فريق يعنى مشارفين للتفريق، والضمير للمجموعين الدال عليه يوم الجمع ﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ والجملة حال من مفعول الجمع، ولذلك قدرنا الجار والمجرور مقدماً؛ لأنه إذا كانت الجملة الاسمية حالا بغير واو، و لم يكن فيما صدرته الجملة ضمير إلى ذى الحال، لكان ضعيفاً ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً[2]﴾: على دين واحد ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عنهم العذاب وينصرهم، وتغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد، وتكثير الفائدة ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذوا

---

(١) من الإعراب / ١٢ منه.

(٢) قال الشوكاني: وهاهنا مخاصمات بين المتمذهبين المتحامين على ما درج عليه أسلافهم، فذبوا عليه من بعدهم، وليس بنا إلى ذكر شيء من ذلك فائدة، كما هو عادتنا فى تفسيرنا هذا، فيهو تفسير سلفى يمشى مع الحق، ويدور مع مدلولات النظم الشريف، وإنما يعرف ذلك من رسخ قدمه، وتبرأ من التعصب قلبه ولحمه ودمه/ ١٢ فتح.

الهمزة للإنكار ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أى: إن أرادوا وليًا، فالله هو الولى بالحق عن ابن عباس —رضى الله عنهما— فالله هو وليك، وولى من تبعك ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ

أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾»

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لإرادة العموم أتى بهذا البيان **﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّـــهِ ﴾** هذا كقوله: "وإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول"(النساء:٥٩). وهذا حكاية لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على طريقة التعليم لقوله:**﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّــي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**: أرجع **﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** خبر آخر لذلكـــم، أو مبتدأ خبره قوله: **﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾** أى: من جنسكم[١] **﴿أَزْوَاجًـــا﴾**: نساء **﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾**: وخلق للأنعام من جنسها أزواجًا، أو خلق لكم مـــن الأنعام أصنافًا **﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾**: يكثركم فى ذلك الطريق والتدبير، وهـــو جعلكـم أزواجًا يكون سببًا للتوالد **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**: قولنا: ليس كذاته[٢]، وليس كمثله،

---

(١) أو خلق حواء من ضلع آدم / ١٢ منه.

(٢) الأصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رســـله نفيًـا وإثباتًا، ففى "ليس كمثله شىء" رَد التشبيه، وفى قوله: "وهو السميع البصير" رد للإلحاد والتعطيل. قال الحافظ العلامة ابن القيم،فى كتابه حادى الأرواح، فى باب الرؤية: هـذه الآية يعنى قوله: "ليس كمثله شيء" من أعظم الأدلة الدالة على كثرة صفات كمالـــه ونعوت جلاله، فإنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وهكـــذا جميـع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوتـه فـاق أمثاله، وبعد عن مشابهة أضرابه، فكيف بالحى القيوم الذى لا مثل له فى ذاته وصفاته؟! فقوله: "ليس كمثله شيء" من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته. انتهى. وأيضًا قال: فى إغاثة اللهفان بعد البيان الطويل:، قوله تعالى: "ليس كمثله شىء وهـــو السـميع البصير" إنما قصد به نفى أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيـم، ولم =

عبارتان عن معنى واحد إلا أن الأولى صريحة والثانية: كناية مشتملة على مبالغة، وهى أن المماثلة منفية ممن يكون مثله وعلى صفته، فكيف عن نفسه. وهذا لا يستلزم وجود المثل، وقيل: الكاف أو المثل: صلة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ﴾: مفاتيح، أو خزائن ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ أى: أظهر وسنَّ لكم من الدين، دين نوح وهو أول[2] أنبياء الشريعة، ومحمد وهو آخرهم، ومَنْ بينهما مِنْ أولى العزم ﴿أَنْ أَقِيمُوا

= يقصد به نفى صفات كماله وعلوه على خلقه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم، كما يُرى الشمس والقمر فى الصحو، فإنه سبحانه إنما ذكر هذا فى سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء، فقال: "والذين اتخذوا من دونه أولياء" ثم ساق الآيات إلى قوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"، ثم قال: فانظر وتأمل كيف ذكر هذا النفى تقريرًا للتوحيد وإبطالاً لما عليه أهل الشرك من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به حتى عبدوهم، فحرفها المحرفون وجعلوها ترسًا لهم فى نفى صفات كماله، وحقائق أسمائه وأفعاله انتهى. ومن أراد زيادة التفصيل فليرجع إلى خاتمة هذا الكتاب/ ١٢.

(١) فإنه إذا علم أن الغنى صلاح لعبده أغناه وإلا أفقره، ولما هدد ووبخ فى شأن من اتخذ من دونه أولياء، أعقبه بأن التوحيد شرع جميع الرسل فقال: "شرع لكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال فى حديث الشفاعة المشهور الكبير: "ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" [جزء من حديث الشفاعة الطويل، أخرجاه فى الصحيحين]، وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول رسول نبى بغير إشكال إلا أن آدم لم يكن معه إلا نبوة ولم تفرض الفرائض، ولا شرعت له المحارم، إنما كان شرعه تنبيهه على بعض الأمور، واقتصارًا على =

﴿الدِّينَ﴾ بدل من مفعول شرع، أو "أن" مفسرة بمعنى: أى ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ المراد إقامة دين الإسلام وعدم الاختلاف فيه، أى: فى التوحيد والطاعة ونحو ذلك من الأصول، لا الشرائع العملية المختلفة باختلاف مصالح الأمم ﴿كَبُرَ﴾: عظم وشق ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من ترك الشرك ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي﴾: يصطفى ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: من يُقْبِلُ إليه، وقيل: يجتبى من جبى الخراج أى: جمعه؛ لأن الكلام فى عدم التفرق يناسب الجمع والانتهاء إليه، وضمير إليه للدين ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أهل الأديان، أو أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأن الفرقة ضلالة، أو المراد من العلم الكتب السماوية ﴿بَغْيًا﴾: لعداوة وعناد ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالإمهال ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة، أو آخر أعمارهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بأن جزيناهم بما يستحقون فى أسرع وقت ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ إنجيل المتأخر بعد القرون الأولى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: من دينهم أو من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: مدخل فى الريبة ﴿فَلِذَلِكَ﴾ أى: إلى ما أوحينا إليك وإلى غيرك ﴿فَادْعُ﴾ الناس. يقال: دعوت له وإليه، وقيل: لأجل ذلك التفرق ادع الناس إلى الاتفاق على دين الإسلام ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ على عبادة الله تعالى ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ لا كمن آمن ببعض، وكفر ببعض ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾: لأن أعدل فى الحكم ﴿بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا

= ضرورات المعاش، وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء واستمر إلى نوح، فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء عليهم السلام واحدًا بعد واحد وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾: لا خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ وهذا قبل نزول آية السيف فإن السورة مكية. وقيل: لا إيراد حجة بيننا، فإنه قد ظهر الحق ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: يوم المعاد ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيفصل بيننا ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾: يجادلون ﴿فِي اللَّهِ﴾: فى دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أى: بعد ما استجاب الناس لله تعالى ودخلوا الإسلام، وقيل: بعد ما استجاب الله تعالى لرسوله بإظهار دينه، وقيل: بعد ما استجاب أهل الكتاب له وأقروا بنبوته ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة زائلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ جنسه ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسًا بعيدًا من الباطل ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العدل وهو شرعه، أو إنزال العدل عبارة عن الأمر به، أو المراد إنزال الميزان على الحقيقة، كما سنذكره فى سورة الحديد من أنه نزل إلى نوح وأمر أن يوزن به ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾: التى هى يوم الجزاء، ووضع الميزان والعدل ﴿قَرِيبٌ﴾ فواظب على العدل، وتذكير قريب، لأن الساعة بمعنى البعث، أو لأن تقديره: لعل مجيء الساعة ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: استهزاء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: الكائن البتة فيستعدون لها ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن طريق الصواب ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: بار بالبر والفاجر ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى: يرزق من يشاء ما يشاء على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ الْقَوِى الْعَزِيزُ﴾: القادر المطلق الذى لا يغلب.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أى: زرعها. سمى عمله زرع الآخرة؛ لأن الفائدة تحصل فيها، كما يقال: زرع الصيف ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بتضعيف ثوابه ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: شيئًا منها بقدر ما قسمنا له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ[1]﴾ نصيب من عمله، إذ لكل امرئ ما نوى ﴿أَمْ

---

(١) ولما قرأ أن الله شرع لكم من الدين ما وصى به النبيون، فهو شرع الله وشرع أهل الهدى، فمن له طريق وشرع غير شرعهم، فما هو إلا من الأصنام والشياطين فقال: "أم لهم شركاء" الآية/ ١٢ وجيز.

لَهُمْ شُرَكَاءُ[1]: بل ألهم آلهة وهم الشياطين، والهمزة للتحقيق والتثبيت **﴿شَرَعُوا﴾**: أظهروا **﴿لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾** غير دين الإسلام **﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ**[2] **اللَّهُ﴾** وهذا إضراب عن قوله: "شرع لكم من الدين"(الشورى:١٣) إلخ **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾**: القضاء السابق بتأجيل العذاب إلى القيامة **﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾** بين المؤمنين والكافرين فى الدنيا **﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تَرَى الظَّالِمِينَ﴾** فى القيامة **﴿مُشْفِقِينَ﴾**: خائفين **﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾**: من وباله **﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾** لا محالة **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**[3] **فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾**: أحسن بقاعها **﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** ظرف لـ"لَهُم" أى: حصل لهم عنده وفى كرمه، أو حال **﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ﴾** الثواب **﴿الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾** أى: به، حذف الجار ثم العائد **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾**: على التبليغ **﴿أَجْرًا**[4]**﴾**:

---

(١) والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه أو رسوله، فيدخل فيه التقليد لأنه مما لم يأذن به الله، بل ذمه فى كتابه فى غير موضع ولم يأذن به رسوله، ولا إمام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الأمة وسادتها وقادتها، بل نهى عنه المجتهدون الأربعة، ومن كان بعدهم من أهل الحق بترك الإيمان وأتباع سنته المطهرة، وإنما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير، فرحم الله امرءا سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدمغه، وبالله التوفيق/ ١٢ فتح.

(٢) اعلم أن الله تعالى لما بين القانون الأعظم والقسطاس الأقوم فى أعمال الآخرة والدنيا، أردفه بالتنبيه على ما هو الأصل فى باب الضلالة والشقاوة فقال: "أم لهم شركاء" الآية/ ١٢ كبير.

(٣) ولما كانت العادة جارية بأن المبشر يطلب شيئًا وإن لم يسأل، لأن بشارته بمنزلة سؤاله قال: "قل لا أسألكم عليه أجرًا" الآية /١٢ وجيز.

(٤) قيل: جمع قريش مالا، وأرادوا أن يرشوه على أن يمسك من سب آلهتهم، فنزلت/ ١٢ وجيز.

نفعًا منكم ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: إلا أن تحبونى فى حق قرابتى منكم ومن أجلها، أو إلا أن تحبوا أهل قرابتى وتجعلوهم مكان المودة، فالظرف حال، وعن الإمام أحمد قال عليه الصلاة والسلام للعباس: "لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتى"(*)، أو إلا أن تحبوا الله فى تقربكم إليه بطاعته ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا﴾: فى الحسنة ﴿حُسْنًا﴾ بأن نضاعف أجرها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقبل الطاعة وإن قَلَّت ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل أيقولون : إضراب آخر أشد من قوله: "أم لهم شركاء[1]" إلخ ﴿افْتَرَى﴾ محمد ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ﴾ أي:خذلانك اللازم للافتراء ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فلا تعى القرآن ولا تفهم الوحى، ويسلبك ما أتاك من الله تعالى، أو فتجترئ على الافتراء[2] عليه، وهذا رد واستبعاد لافترائه على الله تعالى. وعن مجاهد: يربط على قلبك بالصبر فلا يشق عليك أذاهم ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ كلام ابتدائى عطف جملة على جملة لا على الجزاء، ولهذا أعاد اسم الله تعالى، ورفع يحق وحذف الواو من يمحو فى اللفظ لالتقاء الساكنين، وفى الخط فى بعض المصاحف على خلاف القياس كما فى "ويدع الإنسان" (الإسراء: ١١) وهذا عدة بمحو الباطل الذى هم عليه، وإثبات الحق الذى عليه المؤمنون بحججه أو بالقرآن أو بقضائه، وقيل: حاصله أن من عادته محو الباطل وإثبات الحق، فلو كان مفتريًا لمحقه وأثبت الحق ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم ضميرك

(*) أخرجه أحمد (٢٠٨/١) وغيره، وصحح إسناده الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند .

(١) كأنه قال: شرع الله لهم دينا كذا أو كذا ثم قال: بل لهم دين شرع لهم شياطينهم، بل هم فى الكفر أشد، لأنهم ينسبون نبينا وكلامنا إلى الافتراء، ثم الافتراء على الله/١٢ وجيز.

(٢) لكن الله قد شرح صدرك وأنار قلبك، فحاشاك عن الافتراء على الله / ١٢ وجيز.

وضميرهم، فيجزى الأمر على حسب ذلك ﴿وَهُوَ[١] الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: بالعفو عما تاب عنه، وعدم المؤاخذة به ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ من شأنه قبول التوبة والعفو عن الذنوب، والظاهر من لفظ العفو وعطفه على يقبل التوبة، أن هذا فى غير التائب ﴿وَيعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيثبت ويعاقب ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: يجيب الله تعالى دعاءهم ويثيبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ عما استحقوا، وفى الحديث فى تفسير "ويزيدهم" قال -عليه الصلاة والسلام: "الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا"(*). وعن بعض السلف فى قوله: "ويستجيب الذين آمنوا"، قال: يشفعون فى إخوانهم وفى قوله: "ويزيدهم من فضله" قال: يشفعون فى إخوان إخوانهم ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَلَوْ بَسَطَ[٢] اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ بأن أغناهم جميعًا ووفر الدنيا للكل ﴿لَبَغَوْا﴾: أفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بطرا أى: و لم يبسط لئلا يعم البغى ولا يغلب الفساد على الصلاح ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ أى: يترل ما يشاء من أرزاقهم بتقدير وتعيين، وفى الحديث "إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن منهم من لا يصلحه إلا الفقر

---

(١) وفى المعالم عن ابن عباس -رضى الله عنه- لما نزل "إلا المودة فى القربى" وقع فى بعض القلوب منها شىء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فجاء جبريل وأخبره بأهم اتهموك، وأنزل "أم يقولون افترى على الله" الآية فاعتذروا، وقالوا: يا نبى الله إنا نشهد بصدقك فترل "وهو الذى يقبل التوبة عن عباده" الآية ١٢/ وجيز.

(*) ضعيف، أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة وغيره.

(٢) لما قال الله: "يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"، وقال الله تعالى: "لطيف بعباده يرزق من يشاء"، كان للواهم أن يقول: كمال البسط واللطف أن يوفر الدنيا لكل من عباده فقال "ولو بسط الله الرزق" الآية ١٢ وجيز.

ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه(**)" ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فيقدر لهم ما يناسبهم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: المطر، قيل: هو المطر النافع ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: أيسوا منه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يبسط منافع الغيث، أو ينشر سائر رحمته ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: المتصرف للأمور ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ﴾ أى: نشر، وما موصولة عطف على السماوات ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: من حى، ذكر اللزوم وأراد اللازم، أو فى السماء دواب من مراكب أهل الجنة وغيرها، وقيل: فيهما، أى: فى بينهما مما يدب على الأرض ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ أى وقتٍ شاء ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ

(**) جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى تاريخه عن أنس مرفوعا، كما فى الدر المنثور (٧٠٤/٥، ٧٠٥)، وهو ضعيف كما فى الحلية (٣١٩/٨).

شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الجرائم فأنتم السبب، والفاء لتضمين "ما" معنى الشرط، ومن قرأ بغير الفاء فمن غير تضمين **﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾** فلا يعاقبكم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بها "ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا" (فاطر: ٤٥) وعن [1]على -رضى الله عنه- قال: ألا أخبركم بأفضل آية حدثنا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟ "ما أصابكم من مصيبة" الآية قال: وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا، فبما كسبت أيديكم والله أحلم من أن يثنى عليهم العقوبة فى الآخرة، وما عفى الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه"**﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾** فيصل إليكم لا محالة ما قدر الله تعالى لكم **﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ﴾** فإنه هو المتولى والناصر وحده **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ[2]﴾** السفن **﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾** أى: السفن كالجبال فى

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده / ١٢ وجيز.[أخرجه أحمد (١/٨٥)، وفى سنده ضعيف ومجهولان، وضعفه الهيثمى فى "المجمع"، (٧/١٠٣،١٠٤)، ومع ذلك حسنه الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند .]

(٢) قال صاحب البحر: أصله السفن الجوارى، حذف الموصوف وقامت صفته مقامه/١٢وجيز.

العِظَم، والظرف متعلق بما يتعلق به "من آياته" وكالأعلام حال من ضميره ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾: يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابت ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أى: ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: لكل مؤمن سافر البحر ورأى عجائبه، فإنه صبر على شدائد البحر وشكر عند الخلاص، والكافر يجزع فلا يشكر ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: يهلك أهلهن بالغرق بسبب ذنوبهم، عطف على يسكن الريح ﴿وَيَعْفُ[1] عَنْ كَثِيرٍ﴾ تقديره: أو إن يشأ يعصف الريح، فيوبق بعضًا من أهلهن، وينج بعضًا على العفو عنهم ﴿وَيَعْلَمَ[2] الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ لإبطالها ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: مهرب من عذابه المقدر، ومن قرأ بنصب "يعلم" فعنده عطف على تعليل محذوف، أى: يوبقهن لينتقم منهم ويعلم ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ

---

(١) يعنى: إنه تعالى إن شاء ابتلى المسافرين فى البحر بإحدى بليتين، إما سكون الريح فلا تجرى السفن ولا يصل أهلها إلى مقاصدهم، وما ذلك إن طال إلا من عظائم أهوال البحر، لا يعرفه إلا من وقع فيه، أو يهلكهن بعصف الريح، أو بغير ذلك من أسباب إغراق السفن بشؤم ذنوبهم، وإن يشأ يعف عن كثير فلا يسكن ريحهم ولا يهلكون، بل تهب رياحهم فيصلون بالسلامة إلى مقاصدهم، وتلطفنا عليهم بالعفو عن جرائمهم وعلى هذا "أو يوبقهن" عطف على يسكن الريح لأن التقدير: إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها / ١٢ وجيز.

(٢) معنى الآية: وليعلم الذين ينازعون على وجه التكذيب، ألا مخلص لهم إذا وقفت السفن وإذا عصفت الرياح، فيصير ذلك سببًا لاعترافهم بأن الإله النافع الضار ليس إلا الله واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها؛ لأن الذى يمنع من قبول الدليل إنما هو الرغبة فى الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه، فإذا أصغرت الدنيا فى عين الرجل لم يلتفت إليها فحينئذ ينتفع بذكر الدلائل، فقال: "فما أوتيتم من شىء" الآية / ١٢ كبير.

﴿الدُّنْيَا﴾ لا يبقى بعد الموت ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لما كانت سببية كون الشيء عند الله تعالى لخيريته أمرًا مقررًا فى العقول، غنيًّا عن الدلالة عليه بحرف موضوع له، بخلاف سببية كون الشيء عندكم لقلته وحقارته أتى بالفاء فى الأول دون الثانى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قيل: نزلت فى أبى بكر[1]- رضى الله عنه- حين تصدق بجميع ماله ولامه الناس ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ عطف على اللذين، والأصح أن الكبائر: كل ما ورد فيه وعيد شديد فى الكتاب والسنة ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: تزايد قبحه، أو ما يتعلق بالفروج، تخصيص بعد تعميم ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ سجيتهم الصفح لا الانتقام ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أجابوه حين دعاهم إلى الطاعة بلسان رسوله -عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾: ذو شورى، لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: الظلم ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ يعني: يعفون فى محل العفو، وينتقمون فى محل الانتقام، ليسوا أذلة عاجزين ﴿وَجَزَاءُ[2] سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ عقب وصف الانتقام بهذا إشارة إلى منع التعدى، وسمى الثانية سيئة للازدواج ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين عدوه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أبهم الجزاء للتعظيم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: الذين يبدءون بالظلم ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، أى: بعد ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إشارة إلى معنى "من" ﴿مَا

---

(١) كما روى عن على / ١٢ وجيز.

(٢) لما قال: "والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون" أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيدًا بالمثل، فإن النقصان حيف والزيادة ظلم والتساوى هو العدل، وبه قامت السماوات والأرض، فلهذا السبب قال: "وجزاء سيئة سيئة مثلها" الآية /١٢ كبير.

عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بعقوبة ومؤاخذة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أي: ما السبيل بالمعاقبة إلا ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ لا على من ينتصر ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ و لم ينتصر ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى صبره، لا إلى مطلق الصبر، فلا يحتاج إلى تقدير ضمير ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ

عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾: من ناصر يتولاه **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾**: من بعد إضلال الله إياه **﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾** في القيامة **﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾**: هل طريق إلى رجعة إلى الدنيا؟! **﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾**: على النار **﴿خَاشِعِينَ﴾**: خاضعين **﴿مِنَ الذُّلِّ﴾**: مما يلحقهم من الذل **﴿يَنْظُرُونَ﴾**: إلى النار(١) **﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾**: مسارقة فإن الكاره لشيء، لا يقدر أن يفتح أجفانه عليه **﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** بالضلال **﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾** بالإضلال، وقيل: خسروا أهليهم بأن فرقوا بين أنفسهم وبينهم، لأنهم في النار وأهليهم في الجنة **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** ظرف لخسروا، وقال: على التنازع. وهذا القول من المؤمنين حين رأوا أن العذاب أحاط بهم، والماضي(٢) من باب ونادى أصحاب الأعراف[الأعراف:٤٨]، أو هذا القول منهم في الدنيا(٣) **﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾** تصديق من الله تعالى أو تتمة كلامهم **﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾** إلى الهداية والجنة **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾** أي: أجيبوا أمره وداعيه **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾** من متعلق بمتعلق له لا(٤) بمرد أي: لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به، وقيل: متعلق بيأتي

---

(١) دل عليها لفظ العذاب / ١٢ منه.

(٢) أي: قال والمناسب المضارع / ١٢ منه. [غير أنه عدل إلى الماضي لتحقق وقوعه]

(٣) فلا يكون من قبيل التنازع بل الظرف لـ"خسروا" وحده / ١٢ منه.

(٤) لأنه لو كان متعلقا بمرد معمولا له، لما صح بناؤه على الفتح، لكونه مشابها للمضاف فلا تغتر بظاهر عبارة الكشاف / ١٢ منه.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: إنكار لأعمالكم[1]، وجاز أن يـراد إنكار لوعد الله تعالى ووعيده ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيبًا تحفظ أعمالهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ[2] وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: جنسه ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ كصحة وغنى ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ فأشر وبطر ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب قبائحهم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويقنط، علق الحكم بصريح اسم[3] الجنس دون الضمير العائد إلى مثله، تسجيلاً على أن هذا الجنس موسوم بالكفران ﴿لِلَّهِ[4] مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ[5]﴾ فيقسم

---

(١) فإنهم فى هذا اليوم مقرون بقبائح أعمالهم / ١٢ منه.

(٢) والآية تسلية وتأنيس لقلب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولما ضمن هذه الآية ما أرسله له، أتبعه ما جبل عليه الإنسان؛ لأنه –صلى الله عليه وسلم– لا حكم له على الطباع، وأن الذى عليه الإسماع لا السماع، وبين السبب وإصرارهم على مذاهبهم الباطلة، وذلك أنهم وجدوا فى الدنيا الفوز بالمطالب، ومطالب الدنيا يفيد الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق. فقال: "وإنا إذا أذقنا الإنسان" الآية / ١٢ كبير مع الوجيز.

(٣) أى: قال: إن الإنسان و لم يقل: أنه / ١٢ منه.

(٤) ولما فصل من أول السورة أن التصرف والقدرة الكاملة لله وحده، وأن الإنسان من جملة الخلق وكل ما وصل إليهم من الرحمة فما هى إلا من فضلنا، وما وصل إليهم من سيئة فمن شؤم أنفسهم، بين أنهم مجبورون فى أصل وجودهم وخلقتهم قال: "لله ملك السموات والأرض" الآية/ ١٢ وجيز.

(٥) والمقصود منه ألا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه، بل إذا علم أن الكل ملك الله وملكه، وأن ما حصل من إنعامه وفضله تعالى، فحينئذ يصير ذلك حاملا على مزيد الطاعة والخدمة، وأما إذا اعتقد أن تلك النعم إنما تحصل بسبب عقله وجده واجتهاده بقى مغرورًا بنفسه معرضًا عن طاعة الله تعالى، ثم ذكر أقسام تصرف الله فى العالم / ١٢ كبير.

الرحمة والسيئة كيف يشاء ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ وإن لم يشأها(*) ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ تأخير الذكور؛ لأن سياق الكلام فى إطلاق مشيئة الله تعالى من غير اختيار لغيره، والإناث مما لم يشأه الوالدان، وأيضاً للمحافظة على الفواصل، ولذا عرَّفه، أو لجبر التأخير أو قدمهن توصية برعايتهن لضعفهن، لا سيما وكن قريبات العهد بالوأد ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أى: المولودين ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فى موضع الحال من المفعول، وذكر هذا القسم بلفظه أو من غير ذكر المشيئة؛ لأنه ليس قسيمًا على حدة، بل تركيب من السابقين؛ كأنه قيل: يهب لمن يشاء إناثًا منفردات وذكورًا كذلك أو مجتمعين ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يعلم صلاحه ﴿وَمَا كَانَ(١)﴾: ما صح ﴿لِبَشَرٍ(٢) أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: وهو الإلهام(٣) أو المنام(٤) ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: يسمع كلامه ولا يراه، كما لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا(٥)﴾: ملكاً ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه

(*) يقصد: الأب، أو الأب الكافر لأنهم كانوا يكرهون الإناث فيئدونها خشية العار أو العفو.

(١) ولما ذكر قدرته التامة أعقبه بالنعمة العظيمة التي ليست لأحد، إلا من خصه الله تعالى من فضله، فقال: "وما كان لبشر" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) وفى المعالم وغيره أن اليهود قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى – صلى الله عليه وسلم- ونظر إليه؟ فنزل قوله: "وما كان لبشر" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) كما ألهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر / ١٢ لباب.

(٤) كما رأى إبراهيم فى المنام أن يذبح ولده وهو وحى / ١٢ لباب.

(٥) قال ابن عباس –رضى الله عنه: " إلا أن يبعث ملكًا يوحى إليه من عنده أو يلهمه فيقذف فى قلبه أو يكلمه من وراء حجاب /١٢ در منثور.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ أى: الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ أى: الله، ووحيًا وأن يرسل بمعنى: موحيا ومرسلا، ويقدر مُسْمِعًا قبل من وراء الحجاب، وكل منها حال، أو الكل مصدر، فإن الوحى والإرسال نوعان من التكلم، ويقدر قبل من وراء حجاب إسماعًا، أو تقديره: بأن يوحى أو يُسْمِع من وراء حجاب، أو يُرْسل فنصبه بترع الخافض ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن مماثلة خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيفعل ما يقتضيه حكمته ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ أى: وحيًا، فإن حياة القلوب بما أوحى إليه ﴿مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ على التفصيل[1] الذى عرفت بعد الوحى، وعن بعضهم المراد من الإيمان هاهنا الصلاة، كقوله: "وما كان الله ليضيع إيمانكم"(البقرة:١٤٣) ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ الكتاب أو الإيمان ﴿نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ بدل ﴿الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ فيحكم فيها بمقتضى عدله وفضله.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) إشارة إلى جواب ما يقال: إن الأنبياء قبل البعثة مؤمنون عارفون بالإيمان بلا خلاف، فالجواب: أن المراد من الإيمان، الإيمان على التفصيل وهذا بعد البعثة البتة. / ١٢ منه.

سورة الزخرف مكية

قيل إلا قوله "واسئل من أرسلنا"

وهى تسع وثمانون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿حـــم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم بالكتاب المُظْهِرِ(١) طرق الهدى، أو الظاهر الجلى

(١) يعنى مشتق من الإبانة بمعنى الإظهار المتعدى، أو بمعنى الظهور اللازم /١٢ منه.

معناه، والواو إما للقسم وحم أيضًا قسم، فهو من نمط التعديد، أو للعطف على القسم، أو معناه بحق الكتاب المبين أنه حُمَّ الأمر وقُضى، ثم ابتدأ بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا[1]﴾: صيرناه عربيًا بلغتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[2] وَإِنَّهُ﴾ عطف على "إنا" ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾: ذو مكانة وشرف ﴿حَكِيمٌ[3]﴾: ذو حكمة بالغة، والظرف الأول فى موقع الحال، والثانى بدل، أى حال كون ذلك متحققا فى اللوح ثابتاً عندى، كقولك: زيد عندى كامل الشجاعة، أو هما بيان محل الحكم، أى هذا فى أم الكتاب لدينا، وقيل: الأول متعلق بـ "لعليٌّ"، واللام غير مانع ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾، نبعد وننحيه عنكم ونترك إنزاله ونعرض عنه ﴿صَفْحًا﴾: إعراضًا، مصدر من غير لفظه؛ لأن تنحية الذكر إعراض أو حال بمعنى معرضين ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أى: لئن كنتم، والفاء عطف على محذوف، أى: أنهملكم ونترك

---

(١) أخرج ابن مردويه عن طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس -رضى الله عنه- فقال له: يا ابن عباس أخبرنى عن القرآن أكلام من كلام الله أم خلق من خلق الله؟ قال: بل كلام من كلام الله، أو ما سمعت الله يقول: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله"؟(التوبة:٦)، فقال له الرجل: أفرأيت قوله: "إنا جعلناه قرآنا عربيًا" قال: كتبه الله فى اللوح المحفوظ بالعربية، أما سمعت الله يقول: "بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ"(البروج:٢١) المجيد: هو العزيز أي: كتب الله فى اللوح المحفوظ / ١٢ در منثور.

(٢) أي: تكونوا بحيث يرجى منكم التعقل، ولما كان أول من يطلب منهم تصديق القرآن العرب، قال ذلك/١٢وجيز

(٣) أخرج ابن مردويه والديلمى عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض وهو عنده فوق العرش، الخلق منتهون" إلى ما فى ذلك الكتاب، وتصديق ذلك فى كتاب الله، "وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم"[ضعيف]/١٢در منثور.

إنزال القرآن لأنكم مسرفون؟! وعن كثير من السلف[1] معنـــاه ألا نذكركـم قـط وتخليكم ونعرض عنكم ولا نعذبكم ولا نجازيكم لأنكم تركتم أمرنا وأسرفتم[2]؟ كما تقول أحبك أن كنت شتمتني، ومن قرأ "إن كنتم" بالكسر، فمن باب جعــل المحقــق منزلة المشكوك، ابتناءا على أن المخاطب كأنه متردد شاك فى ثبوت الشرط، قصـدًا إلى نسبته إلى الجهل ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِى فِى الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِى إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أى: من القوم المسرفين، وهم قومك ﴿بَطْشًـــا﴾: قوة، وقيل معناه: فأهلكنا أشد المستهزئين من الأولين بطشا ﴿وَمَضَـــى﴾ ســلف فى القرآن ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: قصتهم وحالهم العجيبة، وعن بعضهم معناه مضى عــبرهم، أى: جعلناهم عبرة لمن بعدهم فيه تسلية ووعد لرسول الله -صلى الله عليــه وســلم- ووعيد للمكذبين ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُــنَّ خَلَقَــهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ أنكروا قدرته بالبعث وعبدوا غيره، بعد ما أقروا بكمال قدرته وعزتـه وعلمه ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ تستقرون فيها، وهذا قول الله -تعالى- مـن غير حكاية وصفًا منه لذاته فى سياق واحد[3] ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿لَكُمْ فِيــهَا سُــبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد، أو إلى كمال حكمتـــه فتؤمنـــون ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار معلوم ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾: أحيينا، فيه التفات ﴿بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ البلدة بمعنى: المكان، فذكر صفته ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركـــم

---

(١) منهم ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والسدى، واختاره ابن جرير، والقول الأول هو قول قتادة وكأنه أوفق / ١٢ منه.

(٢) يعنى أن إسرافكم علة نزول القرآن لا لتركه / ١٢.

(٣) وهذا كما يقول مخاطبك: أدبنى زيد، فتقول: الذى أكرمك وأعطاك وربـــاك، تصـــل كلامك بكلامه على أنه من تتمته، لكن لا تجعله من كلامه وهـــذا أولى ممـــا ذكـــره الزمخشرى فتأمل فيهما / ١٢ منه.

﴿وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ[١]﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: تركبونه، جعل السفينة كالدابة فعدى الفعل إليها بنفسه[٢]، فإنه يقال: ركبت فى الفلك ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي: ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ بقلبكم ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾ بلسانكم ﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ[٣]﴾: مطيقين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: منصرفون راجعون، يذكر ركوب النفس بالبدن وسير العمر، وعن طاوس: حق على كل مسلم إذا ركب دابة أو سفينة، أن يقول ذلك، ويتذكر انقلابه فى آخر عمره على مركب الجنازة إلى الله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ يعنى بعد اعترافهم بأن الخالق هو الله تعالى، جعلوا له ولدًا، فإن الولد بضعة وجزء لوالده، فقالوا: الملائكة بنات الله، وقيل معناه: جعلوا جزءًا من عباده، فإنهم جعلوا بعض أنعامهم لله تعالى وبعضها لطواغيتهم[٤] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ جنسه ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الكفران.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ۝١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى

---

(١) قيل: كل ما سوى الله فهو زوج، كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، ذات وصفات، صيف وشتاء وربيع وخريف، غيم وصحو / ١٢ وجيز.

(٢) يعنى من حقه أن يقول ما تركبونه، وفيه تغليب المتعدى بغير واسطة على المستعدى بواسطة / ١٢ منه.

(٣) أخرج مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر : "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر ركب راحلته، ثم كبر ثلاثة، ثم قال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون" / ١٢ منثور.

(٤) نحو: "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والإنعام نصيباً"(الأنعام:١٣٦) الآية / ١٢ منه.

ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أى: اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾: أخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ فالهمزة للإنكار والتعجب من عدم اكتفائهم بنسبة الولد، حتى نسبوا له الجزء الأخس ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ الجملة حالية ﴿أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ﴾ بالجنس الذى جعله ﴿لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾: شبهًا فإن الولد شبه الوالد ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الحزن ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء قلبه من الغيظ ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا﴾: يتربى ﴿فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾: فى المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ليس له بيان أى: تنسبون له من هو ناقص الظاهر- يستكمل نقصه بالحلى -والباطن- لا يقدر على إيراد الحجة على من يخاصمه- وتقديره: أو اتخذ من ينشؤ، عطف على أم اتخذوا، والهمزة بين المعطوفين لمزيد الإنكار، وفى الخصام متعلق بمبين؛ لأن غير فى معنى النفي، فجاز تقديمه عليه، وقيل: من مبتدأ حذف خبره، أي: أمن هذا حاله وَكَدّه، أو عطف على ما يخلق ﴿وَجَعَلُوا﴾: سموا ﴿الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ فهذا كفر آخر منهم، ومن قرأ "عند الرحمن" فمعناه: قربتهم ورتبتهم ﴿أَشَهِدُوا﴾: حضروا ﴿خَلْقَهُمْ﴾: خلق

الله تعالى إياهم فشاهدوا ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ[١]﴾ عنها يوم القيامة ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ﴾ أن لا نعبد الملائكة ﴿مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ كفر آخر، فإنهم أرادوا أن كفرهم بمشيئة الله تعالى، فلا يكون منكرًا منهيًّا عنه، بل مأمورًا[٢] به، فرأيهم رأى القدرية من أن كل مأمور به مراد، وكل منهى عنه غير مراد ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ[٣]﴾ يعني: أنهم جاهلون كاذبون، مصيبين فى استصوابه، معذورين فى ارتكابه ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: قبل القرآن، بأن يعبدوا غير الله تعالى، وينسبوا إليه الولد، ويقولوا هو راض عنا ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ نسبهم إلى الكذب أولاً، ثم أضرب عنه إلى إنكار سندهم من جهة النقل ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾: دين ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ[٤]﴾ جعلوا من جهلهم تقليد جهلتهم اهتداءًا ﴿وَكَذَلِكَ[٥] مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ

---

(١) قيل: سألهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يدريكم أنهم إناث؟ فقالوا: سمعنا ذلك من آبائنا، ونحن نشهد بصدقهم، فأنزل الله "ستكتب شهادتهم ويسألون" / ١٢ وجيز.

(٢) ولم يفرقوا بين الإرادة والرضاء، ولم يعرفوا أن مشيئة الله شيء لا يستلزم رضاه به، فلا يكون عبادتهم مرضيا له تعالى/ ١٢ كمالين.

(٣) كأنه تعالى لما أظهر وجوه فساد مقدمتهم، وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل، ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل، فقال: "أم أتيتهم كتاباً" الآية / ١٢ أبو السعود.

(٤) أي: لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية، بل اعترفوا بألاّ سند لهم سوى تقليد آباءهم، قاله أبو السعود/ ١٢.

(٥) أي: الأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد/ ١٢ أبو السعود.

مُتْرَفُوهَا ﴾ متنعموها ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ[1] مُقْتَدُونَ﴾ فهذه شِنشِنتهم القديمة ليست مخصوصة بقومك ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا

(١) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم، ليس لأسلافهم أيضًا سند غيره، وتخصيص المترفين بتلك المقالة، للإيذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر إلى التقليد/ ١٢ أبو السعود، قال الرازي: ولو لم يكن فى كتاب الله إلا هذه الآية لكفت فى إبطال القول بالتقليد؛ لأنه تعالى ذمهم بأنهم فيما ذهبوا إليه لم يتمسكوا بدليل عقلى ولا نقلى، وذكر هذه المعانى فى معرض الذم والتهجين، ذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل ومما يدل على بطلانه أنه أمر مشترك بين المحق والمبطل، فلو كان حقا لوجب كون الشيء ونقيضه حقا، ومعلوم أن ذلك باطل. انتهى ملخصا. وقال الشوكانى بعدما ذم المقلدة فى الإسلام: وقد وهب لهم الشيطان عصًا يتوكئون عليها عن أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة، وهى أنهم يقولون إن إمامنا الذى قلدناه أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصوراً عظيمًا بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به فى وجوههم، فإنه لو قيل لهم: إن فى التابعين من هو أعظم قدرا وأقدم عصرا من صاحبكم، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء، فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرًا وأجل قدرًا، فإن أبيتم ذلك ففى الصحابة من هو أعظم قدراً من صاحبكم علمًا وفضلاً وجلالة قدر، فإن أبيتم ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدراً وأجل خطراً وأكثر أتباعًا وأقدم عصرًا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم -صلى الله عليه وآله وسلم- ورسول الله إلينا وإليكم، فتعالوا فهذه سنته موجودة فى دفاتر الإسلام ودواوينه التى تلقتها جميع هذه الأمة، قرنا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل بين أظهرنا موجود فى كل بيت وبين كل مسلم، لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تصحيف، ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه، فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه، فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا سمع ولا طاعة، إما بلسان الحال أو بلسان المقال، فتدبر

﴿وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ الظاهر أن قل حكاية أمر ماض[1] أوحى إلى نبينا عليه السلام، ويؤيده قراءة "قال" أي: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى؟! ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأنواع من العذاب ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

= هذا وتأمله إن بقى فيك بقية من إنصاف وشعبة من خير وحياء وحصة من دين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم/ ١٢ فتح.

(١) لكن أكثر المفسرين فسروا على خلاف الظاهر، وقالوا: قل يا محمد أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدى؟ قالوا: "إنا بما أرسلتم به كافرون" وقالوا فانتقمنا منهم أي: من الأمم المكذبة وفى هذا التفسير بعد كما لا يخفى/ ١٢ منه.

﴿وَإِذْ قَالَ[1]﴾ أي: واذكره ﴿إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ مصدر مستو فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي بريء من معبودكم ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ منقطع أو متصل، فإنهم كانوا معترفين بأن الله تعالى هو الإله الأصلي المعبود، و"ما" تعم أولى العلم أو غلّب غيره؛ لأن أكثر معبودهم الأصنام غير العقلاء ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ الأظهر أن السين لمجرد التأكيد والتسويف، والمضارع للاستمرار ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: جعل اللّٰه تعالى، أو إبراهيمُ كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته لا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للبعض من المعقب، أو لهم بحذف المضاف، أي: لعل مشركهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك، فإنهم من عقب إبراهيم ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ في الدنيا فاغتروا بها ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر رسالته ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ﴾ إحدى ﴿الْقَرْيَتَيْنِ﴾ مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال أرادوا وليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، أو غيرهما فإنهما من الأعاظم، ولا يليق تلك الرتبة العظيمة إلا بمثلها ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أي ليس الأمر مردودا إليهم، بل إنه يعلم حيث يجعل رسالته، فإنها لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم وأطهرهم وأظهرهم بيتًا وأصلاً، لا على أكثرهم مالاً وجاهًا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا البعض غنيًّا والبعض فقيرًا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال، ودرجات إما تمييز أو بدل ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ لِيُسَخَّرَ الأغنياء الفقراء بأموالهم، ويستخدموهم فينتظم العالم، وليس هذا من شرف في الغني ونقص في الفقير ﴿وَرَحْمَةُ

---

(١) ولما ذكر تقليد هؤلاء آباءهم، أعقب حكاية إبراهيم مع أبيه وقومه، فإنهم أجابوا بمثل ما أجاب هؤلاء فقال: "وإذ قال إبراهيم" الآية / ١٢ وجيز

رَبِّكَ﴾ بخلقه ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من الأموال ومن حطام الدنيا ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا كراهة اجتماع الخلق على الكفر لرغبة النفس فى الدنيا ﴿لَجَعَلْنَا[1] لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ لبيوتهم بدل اشتمال من "لمن يكفر"، وجاز تعلقه بسقفًا، كما تقول: جعلت لك لوحًا لكتابك ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾: سلالم ومصاعد منها ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يعلون السطوح، لحقارة الدنيا فيغتروا بها أكثر مما اغتروا ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾: من فضة ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر ﴿يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا﴾: ذهبًا، عطف على محل من فضة، والزخرف: الزينة، فعطف على سقفًا، وروى الترمذى وقال: حسن صحيح "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافرًا شربة ماء أبداً"(*) ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إن نافية، و"لما" بمعنى إلا، ومن قرأ "لما" بالتخفيف فإن مخففة، واللام هى الفارقة، وما صلة ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: خاصة لمن هو متقى عند الله وفى عمله، أو حاصل عند الله تُعَدُّ لهم.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ

---

(١) حاصله لو جعلنا الكفر سببًا لكثرة الأموال، لاجتمع الخلق على الكفر لرغبتهم فى الدنيا، وما أردنا ذلك، فلذلك بعض الكفار أغنياء وبعضهم فقراء / ١٢ منه، ففقر بعض الكفرة من سوابق عناياتنا على المؤمنين، وإلا فموضع مال الدنيا أيادى أهالى الشقاوة وسقفهم وسلاليمهم وأبوابهم وسررهم / ١٢ وجيز.

(*) "صحيح" انظر صحيح الجامع (٥٢٩٢)، والصحيحة .

ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾: يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ[1] الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ﴾ نسبب له ونسلط عليه ﴿شَيْطَانًا﴾ يزين له الغواية، ويصده عن الهداية ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: لا يفارقه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أى: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ جمع الضميرين للمعنى ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: عن طريق الحق ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أى: الكفار ﴿أَنَّهُمْ﴾ أى: أنفسهم ﴿مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ الكافر ﴿قَالَ﴾ للشيطان ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بعد المشرق من المغرب، فغلب وأضاف البعد إليهما بعد التثنية ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أنت ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ هذا قول الله تعالى أو الملك لهم ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أى: إذ يتبين ظلمكم أنفسكم فى الدنيا فإذ لتحقق الوقوع، والمعنى على الاستقبال كما فى "ولو ترى إذ وقفوا"

---

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية -رحمه الله-: وذكر الله يراد به تارة ذكرُ العبدِ ربَّهُ، ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال "وهذا ذكر مبارك أنزلناه"(الأنبياء:٥٠)، وقال نوح: "أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم"(الأعراف:٦٣،٦٩)، وقالوا: "يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون"(الحجر:٦)، وقال: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"(الأنبياء:٢)، وقال: "إنه لذكر لك ولقومك"(الزخرف:٤٤)، وقال: "إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم"(التكوير:٢٧)، قال: "وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين"(يس:٦٩) انتهى.

(الأنعام:٢٧،٣٠) وجاز أن يكون بدلاً من اليوم ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا ينفعكم اشتراككم واجتماعكم فى العذاب؛ لأن لكل نصيبه الأوفر، فإنكم فاعلُ لن ينفعكم، وفاعله ضمير يرجع إلى التمني المستفاد من قوله: "يا ليت" وإنكم علة أى لأنكم فى العذاب مشتركون ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ همزة إنكار، فإنه عليه السلام يتعب روحه فى إهدائهم ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أى ليس هذا فى وسعك، والقادر على ذلك هو الله تعالى وحده ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ فإن قبضناك قبل أن نعذبهم، وما زائدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى استجلاب نون التأكيد ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعد موتك ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ أي: إن أردنا أن نريك ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ[1] بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من الشرائع ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ﴾ أي: الذى أوحى إليك ﴿لَذِكْرٌ﴾: لشرف ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ حيث إنه أنزل بلغتهم، فينبغي أن يكون أقوم الناس، أو لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفى من سواهم ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن حقه ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ السؤال عن الرسل سؤال عن أممهم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود "واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رُسلَنا" ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ أي: هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد، ومعنى الأمر به التقرير لمشركى قريش[2] أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى، وعن بعض السلف[3]: جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر أن يسألهم، فلم يشك و لم يسأل.

---

(١) ولما ردّ وبين حياته وموته -صلى الله عليه وسلم- أمره بالاشتغال بشغله فقال: "فاستمسك بالذي" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) هذا قول أكثر السلف / ١٢ وجيز.

(٣) هذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد، وعلى هذا لا يكون المراد السؤال عن أمم بل عن الرسل نفسهم، ولا يكون فائدة الأمر بالسؤال تقرير مشركى =

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * ﴾

﴿وَلَقَدْ[1] أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلايِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ فاجئوا بالاستهزاء بالآيات **﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَة إِلاَّ هِي أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾** أي: صاحبتها التي كانت قبلها، أو هو تمثيل باتصاف الكل بالكمال، بحيث لا يظهر التفاوت ويظن عند النظر بكل واحد أنه أفضل

= قريش، والأول قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل / ١٢ منه.

(١) ولما قال قريش: "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" أى: فى المال والجاه أعقبه حكاية موسى مع فرعون، ليعلم أن فرعون حين قال: أليس لى ملك مصر" الآية قدوتهم فى ذلك، وموسى ما أمر إلا بالتوحيد فقال: "ولقد أرسلنا" الآية / ١٢ وجيز.

من البواقى ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ كالطوفان والجراد وغيرهما ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكى يرجعوا عن الكفر ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل وهذا تعظيمه منهم، فإن السحر عندهم فضيلة لا نقيصة، أو لفرط حيرهم سبق لساهم إلى ما تعودوا به ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ بكشف العذاب عنا ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: بسبب عهده عندك أن يجيب دعوتك، أو بحق ما عندك من عهد الله تعالى وهو النبوة، أو بحق الإيمان، أو بسبب ما عهده الله تعالى من كشف العذاب لمن آمن ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ[1]﴾ فاجئوا نكث العهد ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ أمر بالنداء، أو هو نادى بنفسه فى مجمع عظمائه[2] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ أهار النيل[3] عطف على ملك مصر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصرى أو أمري، جملة حالية، أو خبر لهذه[4] الأهار، والواو للحال ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾: بل أنا خير، والهمزة للتقرير والتحقيق، وقيل: أم متصلة حاصله، أفلا تبصرون أم تبصرون، من إقامة المسبب موقع السبب، فإن إبصارهم سبب لقولهم: أنت خير ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يفصح ويعرب عما فى ضميره، لما فى لسانه من اللكنة ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة إن كان سيدًا مطاعًا، فإنهم إذا كانوا سودوا رجلاً، سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب، يكون ذلك دلالة

---

(١) والقصة مذكورة فى سورة الأعراف بلفظ يا موسى "ادع لنا ربك"(الأعراف:١٣٤) فيحتمل أن الله حكى كلامهم بحسب المعنى، ويحتمل أن يكون هذا كلام بعض وذاك كلام بعض آخر، أو بحسب محلين / ١٢ منه ووجيز.

(٢) لما رأى إجابة الله دعوة موسى فى رفع العذاب وخاف ميل القلوب إليه/١٢وجيز.

(٣) فإنه ينشعب من النيل أهار/١٢منه.

(٤) فالواو: وللحال لا للعطف على ملك مصر كما قلنا / ١٢ منه.

لسيادته ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقرونين يصدقونه، أو متتابعين يشهدون له مرة بعد أخرى ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ أي فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ حملهم على الخفة والجهل ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فأطاعوا فساقا ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾ في اليم ﴿أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾: متقدمين، ليتفكروا المتأخرون فيهم ويتعظوا ﴿وَمَثَلًا﴾: قصة عجيبة ﴿لِلْآخِرِينَ[1]﴾.

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(١) ولما ذكر طرفًا من قصة موسى أعقبه طرفًا من قصة عيسى وقدم من أمره ما يتعلق بقريش فقال: "ولما ضرب ابن مريم"/ الآية ١٢ وجيز.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لما نزل "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"(الأنبياء:٨٩) جادل ابن الزبعرى[1] وقال: رضينا، إن آلهتنا مع عيسى فجعلوه مثلاً حجة[2] سائدة، أو مقياساً ومثالاً فى بيان إبطال ما ذكر من أنكم وما تعبدون ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: قريش ﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: يضجون فرحًا بأنه أسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن قرأ بضم الصاد فمعناه: من أجل هذا المثل يعرضون عن الحق، وعن الكسائي: هما لغتان كيعرُش ويعرِش، قال الواحدى: إذا قومك المؤمنون يضجون من هذا يعنى غمًّا وشكًّا ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى فإن كان هو حصب جهنم فليكن آلهتنا كذلك ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا[3]﴾ لأجل الجدل فإنه معلوم لكل من له نظر، أن المراد مما تعبدون: الأصنام، سيما إذا جعل

---

(١) بكسر الزاى المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين والراء المهملة والألف المقصورة معناه سيئ الخلق / ١٢.

(٢) وقالوا عيسى: يعبد من دون الله والملائكة، فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وفرح قريش: بأنا أسكتنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون" ولا يخفى أن ما قاله ابن الزبعرى باطل من أصله لأن الله قال: "وما تعبدون" و لم يقل ومن تعبدون حتى يدخل فى ذلك العقلاء قال الشهاب: ابن الزبعرى هو عبد الله الصحابى المشهور وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل إسلامه/ ١٢ فتح.[أخرج أصل هذا الحديث أحمد فى "المسند"، (٣١٨/١)، وقال الهيثمى فى "المجمع"، (١٠٤/٧): "رواه أحمد والطبرانى بنحوه وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح"].

(٣) أخرج أحمد والترمذى وصححه وغيرهما مرفوعاً "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية" [حسن، انظر صحيح الجامع (٥٦٣٣)] وقد ورد فى ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة / ١٢ فتح.

ما لغير العقلاء على ما هو المتبادر إلى الفهم عند الإطلاق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ فهذا رد الله تعالى عليه إجمالاً، وتفصيله في موضع آخر، حيث قال: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى" كالملائكة وعيسى وعزيز "أولئك عنها مبعدون" ﴿إِنْ هُوَ﴾: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾: أمرًا عجيبًا ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ بدلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ أي: يخلفونكم في الأرض يعبدوني، فالملائكة وعيسى لا يستحقون الألوهية، وقيل: معنى لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة، كما ولدنا عيسى من غير فحل، لتعرفوا أن الملائكة مثلكم أجسام، وأن الله تعالى قادر على كل شيء ﴿وَإِنَّهُ﴾ :عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: علامتها، فإن نزوله من أشراطها وقيل ما وضعت على يديه من إحياء الموتى وغيرها، كفى به دليلا على علم الساعة وقيل: الضمير للقرآن[1] فإن فيه الدلالة عليها، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: لا تشكن فيها، ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ أي: شرعي وما أخبركم به، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: أي ما أدعوكم إليه صراط لا يضل سالكه، ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: عن اتباعه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: النبوة، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ هو من عطف الجملة أي: جئتكم بالحكمة وجئتكم لأبين لكم، وجاز عطفه على محذوف عام، أي: جئتكم بالحكمة لمصالحكم ولأبين، ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: بعضًا توضيحه صلاح دينكم، أو بعض ما أنتم تختلفون فيه من أحكام التوراة فإن الذي لم يختلفوا فيه لما احتاج إلى تبيين، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ الفرق المتحزبة، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله، ومنهم من يدعي أنه ولد الله أو هو الله ومنهم من يدعي أنه كذاب، ﴿فَوَيْلٌ

---

(١) هذا قول الحسن -رضي الله عنه/١٢منه.

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا[1] **مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ**[2] **أَلِيمٍ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾**: ينتظرون، **﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾**: إلا إتيان الساعة، وأن تأتيهم بدل من الساعة، **﴿بَغْتَةً﴾**: فجأة، مفعول مطلق، **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**[3]**﴾** لإنكارهم، أو لانهماكهم في دنياهم، يعني: أنها تأتيهم لا محالة، فكأنهم ينتظروها، **﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾** يومئذ ظرف، عدو والفصل بالمبتدأ غير مانع، **﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾** فإن محبتهم تبقى.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾

---

(١) والمراد كل ظالم وهؤلاء أدخل فيهم/١٢وجيز.

(٢) ذي ألم هذا العذاب، وفيه مبالغة بليغة/١٢وجيز.

(٣) مجيء الساعة فجأة، ربما يكون مع الشعور به وربما يكون مع الغفلة، فكلا القيدين محتاج إليه/١٢منه.

سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿يَا عِبَادِ﴾: حكاية لما يُنادَى به المتحابون المتقون، **﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ﴾**: منصوب على المدح، **﴿آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾**: المؤمنات، **﴿تُحْبَرُونَ﴾**: تسرون[1]، **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾**: جمع صحفة[2] **﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾**: جمع كوب وهو كوز لا عروة له، **﴿وَفِيهَا﴾**: في الجنة، **﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾**: بمشاهدته، وكأنه لم يعتد بمستلذات السمع والشم والذوق في جنب مستلذات العين[3] فلم يذكرها، **﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** وهو من أتم النعم، **﴿وَتِلْكَ﴾**: الجنة المذكورة، **﴿الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**، والجنة إما خبر، والتي أورثتموها صفة لها، أو صفة

---

(١) تسرون سروراً يظهر حباره أي: أثره على وجوهكم/١٢منه.

(٢) وهي مملوءة من طعام الجنة/١٢وجيز.

(٣) إشارة إلى رد ما قاله الزمخشري، حيث قال: وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب وإما مستلذات في العيون: واعترض عليه بأن مستلذات ما في الحواس إن جعلت داخلة في مشتهيات القلوب فكذا مستلذات الأعين وإن لم يجعل فلا حصر والله أعلم/١٢منه.

والتي خبر، أو هما صفتان والظرف خبر، ﴿**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ**[1]﴾: يبقى بعضها، أبدا لا تجد شجرة عريانة من الثمرة، ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ**﴾: لا يخفف ولا ينقص، ﴿**وَهُمْ فِيهِ**﴾، فى العذاب، ﴿**مُبْلِسُونَ**﴾: ساكتون سكوت يأس، ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾: على أنفسهم، ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾: من قضى عليه، إذا أماته وهو تمنى الموت من فرط شدتهم وحيرتهم، وهذا الكلام والنداء قبل الإبلاس وقبل أن يقال لهم: "اخسئوا فيها ولا تكلمون"[المؤمنون:١٠٨]، ﴿**قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾: المكث يشعر بالانقطاع ولا انقطاع ففيه استهزاء، ﴿**لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ**﴾: جواب من الله تعالى بعد جواب الملك، أو فى قال ضمير يرجع إلى الله تعالى، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**[2] **أَمْ أَبْرَمُوا**﴾: أحكموا، ﴿**أَمْرًا**﴾، فى رد الحق بحيل ومكر، ﴿**فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾: كيدنا فى مجازاتهم، ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ**﴾: ما يخفون من الغير، ﴿**وَنَجْوَاهُمْ**﴾: ما تكلموا به فيما بينهم، ﴿**بَلَى**﴾: نسمعهما، ﴿**وَرُسُلُنَا**﴾: أى الحفظة، ﴿**لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**[3]﴾: ذلك، ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ**

---

(١) لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر فى القرآن/١٢كبير.

(٢) عن بعض السلف أنهم يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يرد عليهم: "إنكم ماكثون" ثم يدعون الله بقولهم "ربنا غلبت علينا شقوتنا" الآيات فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم أجابهم بـ"اخسئوا فيها ولا تكلمون"(المؤمنون:١٠٥/١٠٨) فوالله لا يسمع منهم إلا زفير وشهيق كالحمير، قال: ولكن أكثركم فإن بعضهم كافر بالتبع وبعضهم هجم[كذا بالأصل ولعل الصواب: همج] لا يعرف الحق والباطل/١٢وجيز.

(٣) ولديهم متعلق بيكتبون، قدمه رعاية للفواصل ولما قدم فى أول السورة تبكيتهم فى ادعائهم ولدًا وهددهم بقوله "ستكتب شهادتهم ويسئلون" علّم نبيه جوابهم وردهم فقال: "قل إن كان للرحمن ولد" الآية/١٢وجيز.

﴿الْعَابِدِينَ﴾، لذلك الولد جعل ثبوت الولد ملزومًا لأمر منتف محال فى اعتقاده، وهو عبادته للولد، لكن اللازم منتف فكذا الملزوم، والغرض نفى الولد على أبلغ وجه قال تعالى: "لو أراد الله أن يتخذ ولدًا" (الزمر:٤) وعن بعضهم معناه: إن كان له ولد فى زعمكم فأنا أول الموحدين لله تعالى فإن من عبد الله تعالى فقد دفع[*] أن يكون له ولد، أو معناه: فأنا أول الآنفين[1] من أن يكون له ولد، المنكرين لما قلتم، يقال: عَبِد يَعْبَد: إذا اشتد أنفه أو إن نافية، أي: ما كان له ولد، فأنا أول من قال بذلك، ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من كونه ذا ولد، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾: فى الباطل، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: فى الدنيا، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: القيامة، ﴿وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ[2]﴾ أي: هو إله فيهما، فالظرف متعلق بأل لما فيه من معنى الوصفية[3]، أو لأنه بمعنى المعبود[4] بالحق، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: فى التدابير، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بكل شيء فلا يحتاج إلى ولد، ﴿وَتَبَارَكَ

(*) فى النسخة ن: رفع.

(١) وهذا المعنى حكاه البخارى عن سفيان الثورى يقال: عبِد بالكسر يعبَد بالفتح: إذا اشتد أَنفه: ثم انظر إلى الزمخشرى الجريء الحرى بالسب، كيف ألحد بالمقال، وقام فى هذا المقام باختراع المثال، واقتحم خطبًا خطيرًا لم يسبقه واحد من الفجرة، ولم يخف أن يسقط عليه كسفًا من السماء وأن يشق به الأرض، وأنا أتحاشى أن أذكر لفظه ورفضه عن الدين، وإن لم يداركه عفو الله فالويل ثم الويل/١٢وجيز.

(٢) أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي، فى الأسماء والصفات عن قتادة قال: هو الذى يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض/١٢در منثور.

(٣) بمعنى: المعبود الحق، يعنى فى التضمن معنى المعبود نحو هو حاتم فى الحي/١٢منه.

(٤) يعنى الإله وإن كان اسمًا للمعبود مطلقًا لكن خصه العرف بالمعبود بحق ولهذا صرح لا إله إلا الله مع كثرة المعبودات الباطلة/١٢منه.

﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، لا عند غيره، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: آلهتهم، ﴿الشَّفَاعَةَ﴾: كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله، ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾: بالتوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، حقيقة ما شهدوا به ولا يكونون منافقين، والاستثناء متصل، أي: لا يملكها أحد من المعبودين إلا الموحدين كالملائكة، وعيسى، فإن لهم الشفاعة بإذنه لمن ارتضى أو منقطع أي: متعلق الذين بالأصنام، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ[1]﴾: يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره، ﴿وَقِيلِهِ﴾: بالنصب مفعول مطلق أي: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قيله أي: شكى إلى ربه شكواه من قومه فقال: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أو عطف على سرهم ونجواهم أو على معنى وعنده علم الساعة أي: يعلم الساعة، و"قيله" وبالجر عطف على الساعة أي: عنده علم قيله، ﴿فَاصْفَحْ﴾: أعرض، ﴿عَنْهُمْ﴾، ولا تجادلهم بمثل ما يخاطبونك من الكلام السيء، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ أي: أمرى وشأنى تَسلُّم ومسالمة[2] منكم، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: غِبَّ ما فعلوا، فهذا وعيد أكيد لهم، ومن قرأ بالتاء فهو أيضًا من مقول قل.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) اعلم أنه تعالى ذكر هذا الكلام فى أول هذه السورة وفى آخرها، والمقصود التنبيه على أنهم لما اعتقدوا أن خالق العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى، فكيف أقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة غيره/ ١٢ كبير، وفى الكمالين، وفيه تعجب عن الإشراك فى العبادة مع الإقرار بالتوحيد فى الخلق/ ١٢.

(٢) أي: لم يؤمر بالسلام عليهم وإنما بالتبرء عنهم وعن دينهم/١٢منه.

سورة الدخان مكية

إلا قوله: "إنا كاشفوا العذب"

وهى سبع أو تسع وثلاثون(*) آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٨ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٩ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ۝٢١

(*) كذا بالأصل والصواب: وخمسون.

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿حـــم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، الواو للعطف، إن كان حم مقسمًا بها بإضمار حرف القسم، والجواب قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾، أي: الكتاب المبين، ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ[١]﴾، قال تعالى: " إنا أنزلناه فى ليلة القدر"(القدر:١) أنزل فيها جملة واحدة[٢] من اللوح إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم أنزل مفصلاً بحسب الوقائع، وعن بعض: هى ليلة النصف[٣] من شعبان[٤]، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: محذرين بإنزال الكتاب، مستأنفة تبين

---

(١) يعني ليلة القدر/ ١٢ كمالين.

(٢) أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن من السماء العليا إلى السماء الدنيا جميعًا فى ليلة القدر ثم فصل بعد ذلك فى تلك السنين / ١٢ در منثور.

(٣) عن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى يترل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) / أخرجه الترمذى/١٢ الباب[ضعيف، أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه، وانظر ضعيف الجامع (١٧٦١)].

(٤) كذا روى عن عكرمة، قال الحافظ ابن كثير: ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد، فإن نص القرآن أنها فى رمضان، وأما حديث "تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى أن الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج اسمه فى الموتى"، فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض النصوص، كذا فى المواهب هذا ما فى الكمالين، وذكـــر فى =

فائدة الإنزال، ﴿فِيهَا﴾: فى تلك الليلة، ﴿يُفْرَقُ﴾: يفصل ويثبت(*)، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: محكم لا يبدل من الأرزاق والآجال وجميع أمرهم إلى السعة، الآية، قال تعالى: " تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر"(القدر:٤)، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾، نصب على الاختصاص، أي: أعنى به أمرًا حاصلاً من عندنا، أو حال من كل، أو من ضمير حكيم، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، إلى الناس يتلو عليهم آياتنا، بدل من إنا كنا منذرين، أي: أنزلنا القرآن، لأن من عادتنا إرسال الرسل، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، مفعول له، وقيل "إنا كنا" علة ليفرق، ورحمة مفعول به، أي: يفصل الأمور فيها، لأن من شأننا إرسال الرحمة، وفصل الأمور من باب الرحمة، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، للأقوال والأحوال، والرب لابد أن يكون كذلك، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: فى إقراركم بأن الله خالق السماوات والأرض، تعرفون مضمون ما ألقى إليكم من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتعترفوا به، فإن الكفرة معترفون بأن خالق الأشياء هو الله، أو معناه إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾، فى الدنيا، رد لكونهم موقنين، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر لهم، ﴿يَوْمَ﴾، مفعول به لارتقب، ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: هو الدخان الموعود، الذى هو من علامة قرب القيامة البين الواضح، الذى يراه كل أحد، وإليه ذهب حبر الأمة ابن عباس[1] رضى الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم مع الأحاديث من

= منهية الكمالين، أن الحديث رواه ابن جرير عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس مرسلاً/١٢.[انظر الدر المنثور (٥/٧٤٠).]

(*) وفى نسخة (ن): يبين.

(١) وفى الكمالين وقال ابن عباس رضى الله عنه، وابن عمر والحسن وغيرهم: إن المراد بالدخان، الدخان المعدود من أشراط الساعة البين الواضح الذى يراه كل أحد، وقد =

الصحاح والحسان، ﴿يغْشَى النَّاسَ﴾: يحيط بهم، أما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فهو كالسكران، يخرج من منخريه وأذنيه ودبره، ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ﴾، أي: قائلين هذا عذاب إلى مؤمنون، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾، وعد بالإيمان إن كشف عنهم، كأنه قيل: إن تكشف فإنا مؤمنون، ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾: من أين لهم التذكر؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾، قال بعضهم: يعلمه غلام أعجمي، ﴿مَّجْنُونٌ﴾، وقال بعضهم: مجنون، يعني: لا يتأتى منهم التذكر بهذا السبب، فإنه قد جاءهم أسباب أعلى من هذا، وما التفتوا إليها، ﴿إِنَّا كَاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً﴾: زمانًا قليلاً يكشف الله تعالى الدخان، قيل: بعد أربعين يومًا فيرتدون، ولا يفون بوعدهم، ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾: فى الكفر، ولا يلزم أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم بالكلية، ثم عادوا إليه، قال تعالى حكاية عن شعيب: " قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها "(الأعراف:٨٩) ولم يكن شعيب قط على ملتهم، قال قتادة: إنكم عائدون إلى عذاب الله تعالى، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى﴾، هو يوم القيامة، ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ[1] ﴾، منهم، والعامل فى "يوم"

= ورد به الأحاديث الصحيحة عند مسلم، وغيره وأخرج ابن جرير عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا "إن أول الآيات الدخان، ونزول عيسى بن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر"، فقال حذيفة: يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: " يوم تأتى السماء بدخان مبين " يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، فأما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره" / ١٢ .[ذكره الحافظ ابن كثير فى "التفسير"، (١٣٩/٤)، من طريق ابن جرير، وقال:"موضوع بهذا السند".]

(١) لما بين أن كفار مكة مصرون على كفرهم، بين أن كثيرًا من المتقدمين أيضًا كانوا كذلك، فبين حصول هذه الصفة فى أكثر قوم فرعون، فقال: " ولقد فتنا قبلهم " الآية / ١٢ كبير.

فعل دل عليه "إنا منتقمون"، لأن إن مانع من عمله فيما قبله، أو بدل من "يوم تـأتي"، وعن ابن مسعود رضى الله عنه وبعض آخر من السلف[1] أن المراد من الدخان الظلمة التي فى عام القحط من قلة الأمطار، وكثرة الغبار، أو ما يرى الجائع كهيئة الدخان من المجاعة من ضعف بصره، حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتجئوا وقالوا: ادع الله تعالى لئن يكشف عنا لنؤمن لك، فدعا وكشف و لم يؤمنوا، فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر، وهو البطشة الكبرى، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، على الله، ﴿أَنْ أَدُّوا﴾، أن مفسرة، ﴿إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: بنى إسرائيل وأرسلوهم معى ولا تعذبوهم، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على الوحي، ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾: لا تتكبروا، ﴿عَلَى اللَّهِ﴾، بترك طاعته، ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة ظاهرة على صدق قولي، ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: التجأت إلى الله تعالى، ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾: تقتلوني، أو تشتمونى فإنه الرجم باللسان، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾: كونوا بمعزل مني، لا تتعرضوا إلى بسوء، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾، شاكيًا بعد ما كذبوه، ﴿أَنَّ هَؤُلَاءِ﴾، أي: بأنهم، ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ فَأَسْرِ

---

(١) قال ابن مسعود: من علم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، وسأحدثكم إن قريشًا لما استعصوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا عليهم، فقال: " اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف " فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعظام، وكانوا يرون بين السماء والأرض الدخان، حتى إن الرجل يحدث الرجل فيسمع صوته ولا يرى المتكلم، من الدخان فمشى أبو سفيان ونفر معه فناشدوه الله والرحم، وواعدوه بالإيمان بعد كشف العذاب، فلما كشف عنهم بدعائه -صلى الله عليه وسلم- رجعوا إلى حالهم، فرحم النبى -صلى الله عليه وسلم- وأرسل إليهم صدقة ومالاً، وأنزل الله: " يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون "/ ١٢ وجيز[أخرجه البخارى فى "التفسير"،(٤٨٢١)].

بِعِبَادِي﴾، أي: قال الله تعالى، إذا كان الأمر كذلك فأسر ببني إسرائيل، **﴿لَيْلاً﴾**: قبل الصبح، **﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾**: يتبعكم القبط، **﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾**، أي: اتركه حين قطعته، وعبرت ساكنًا كهيئته، ولا تأمره بأن يرجع إلى ما كان، وذلك لما جاوز أراد أن يضرب بعصاه، حتى يعود كما كان ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فأمر الله تعالى أن يتركه على حاله، **﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا﴾**، كثيرًا تركوا، **﴿مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾**، في مصر وقراه، **﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾**: متنعمين، **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، **﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾**، عطف على الفعل المحذوف، **﴿قَوْمًا آخَرِينَ ﴾**، بني إسرائيل[1]، **﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾**، لكل مؤمن باب في السماء يترل منه رزقه، ويصعد فيه عمله، فإذا مات أغلق بابه فقد بكا عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض بكت عليه وليس لقبط عمل صالح فما بكت[*]، وكلام بعض السلف: على أن بكاء الباب المذكور لكل مسلم، وأما بكاء السماء مطلقًا فما بكت منذ كانت الدنيا إلا على اثنين يحيى بن زكريا، وحسين بن علي عليهما السلام[**] لما قتلا احمرت السماء وبكت، وقيل: مجاز عن عدم الاكتراث[2] بهلاكهم، قالت العرب في موت عظيم: بكته الريح وأظلمت له الشمس، **﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾**: ممهلين لتوبة وغيرها.

---

(١) كذا روى ابن جرير عن قتادة، كما نقله السيوطي في الدر المنثور، وفي الوجيز، قومًا آخرين هم بنو إسرائيل، وفي سورة الشعراء "كذلك وأورثناها بني إسرائيل" (الشعراء:٥٩)، فلا تعتد ولا تعتبر على ما في التواريخ ليس بعزيز / ١٢ .

(*) هذا الكلام ورد نحوه مرفوعا، وقال الهيثمي في "المجمع"، (١٠٥/٧): "رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف".

(**) هذا من كلام زيد بن زياد، وهو يفتقر إلى ما يؤيده.

(٢) يقال ما أكترث له، أي: ما أبالي به / ١٢ صراح .

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٣٧ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنَ العَذَابِ المُهِينِ﴾: قتل الأبناء واستخدام النساء، **﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾**، حال من ضمير المهين، أو بدل من العذاب، **﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ المُسْرِفِينَ﴾**: فى الشرارة، **﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾**، بنى إسرائيل، **﴿عَلَى عِلْمٍ﴾**: عالمين بأنهم أحقاء، **﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾**: على عالمى زمانهم، **﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ﴾**، على يدى موسى، **﴿مَا فِيهِ بَلاءٌ[1]﴾**: اختبار أو نعمة، **﴿مُّبِينٌ إِنَّ هَؤُلاءِ﴾**: قريشًا والكلام فيهم، وحكاية القبط لتذكيرهم، **﴿لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى﴾**، التى هى بعد الحياة الدنيا، وليست بعدها موتة القبر، فلا حياة فيه، **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾**: من القبور، نفوا أولاً بقوله: إلا موتتنا الأولى الإحياء فى القبر بنفى الإماتة فيه، ثم نفوا البعث والإحياء بعد القبر، وهى ضمير مبهم يفسره الخبر، أو ما نهاية الأمر إلا الموت الذى بعد حياة الدنيا، يعني: ليس بعده إلا الفناء المحض، ولهذا

---

(١) نعمة ظاهرة من فلق البحر، والمن والسلوى / ١٢ جلالين .

صرحوا بقولهم: وما نحن بمنشرين، ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[1]﴾، أي: إن صدقتم أنه يمكن النشور بعد الموت، فاسألوا ربكم إحياء من مات من آبائنا، حتى نعلم صدق ما تقولون، ﴿أَهُمْ﴾: قريش، ﴿خَيْرٌ﴾، في القوة، والمنعة، ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: وهم سبأ، أهلكهم الله تعالى، وخرب ديارهم وفرقهم شذر ومذر، وتبع اسم لمن لمك فيهم، كما أن كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر للروم، وفرعون لمصر، والنجاشي للحبشة، وهو الذى بنى سمرقند، وفى الحديث (لا أدرى أتبع كان نبيًا أم لا)(*) وقد ورد أيضًا (لا تسبوا تبعًا، فإنه كان قد[2]

---

(١) ولما كان حمير ومن تبعهم من قوم تبع أقرب المهلكين، لعدم إطاعة نبيهم حذر قريشًا من أن يصيروا مثلهم، فقال: " أهم خير " الآية / ١٢ وجيز .

(*) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٧٤) والحاكم (١/٣٦) وصححه وأقره الذهبي، ووافقهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة (٢٢١٧). ثم قال: (فائدة): قال ابن عساكر: " وهذا الشك من النبي -صلى الله عليه وسلم- كان قبل أن يبين له أمره، ثم أخبر أنه كان مسلما، وذلك فيما أخبرنا ...." ثم ساق الحديث الذى بعده.

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني، وروى ابن إسحاق وغيره، أنه آمن من قبل البعثة بسبع مائة سنة، وكتب كتابًا فيه: أما بعد، فإني آمنت بك، وبكتابتك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإلا فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك، وملة أبيك، ثم ختم الكتاب، ونقش عليه (لله الأمر من قبل ومن بعد) وكتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبي الله، ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين من تبع، فكان الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد حين بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم-، يتوارثونه كابراً عن كابر حتى أدوها النبي صلوات الله وسلامه عليه/١٢ وجيز .

أسلم[1]) وهو كان فى زمن موسى -عليه السلام، ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الكافرة، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، هدد بهم قريشًا، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، كقريش، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: بين الجنسين[2]، ﴿لاعِبِينَ ﴾: لاهين، ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾: بسبب الحق وهو البعث والجزاء وغيرهما، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ[3]﴾: فصل الحق والمحق عن الباطل والمبطل، ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾: وقت وعدهم، ﴿أَجْمَعِينَ يَوْمَ لاَ يُغْنِي﴾، بدل عن يوم الفصل، ﴿مَوْلًى﴾، أى مولىً كان من قرابة أو غيرها، ﴿عَن مَّوْلًى﴾، أى مولىً كان، ﴿شَيْئًا﴾، من الإغناء مصدر، ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾، الضمير إما للمولى الأول، أي: هم ليسوا بناصر، ولا بمنصور[4]، وجاز عوده إلى الثاني، أو إليهما، ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾، بدل من واو "ينصرون"، أو نصب على الاستثناء منه، فإنه جاز النصب، والمختار البدل، والمراد

= وفى الفتح سمى تبعًا لكثرة أتباعه، وقيل: كل واحد من ملوك اليمن يسمى تُبَّعًا، لأنه يتبع صاحبه الذى قبله كما سمى فى الإسلام خليفة/١٢ فتح، وكان فى شعره

وحدثـــت أن رســـول المليـــك يخـــرج حقًـــا بـــأرض الحـــرم
ولـــو مـــد دهـــرى إلى دهـــره لكنـــت وزيـــرًا لـــه وابـــن عـــم

/١٢در منثور

(١) رواه البيهقي، والحاكم، وصححه / ١٢ فتح .[أخرجه أحمد (٣٤٠/٥) فالعزو إليه أولى، وذكر الشيخ الألبانى رحمه الله- فى الصحيحة (٢٥٢/٥) أن له شواهد يرتقى بها إلى درجة الحسن.]

(٢) ولذا لم يقل ما بينهن / ١٢ منه .

(٣) لما كان المقصود من قوله: " ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين " إثبات القول بالبعث والقيامة، فلا جرم ذكر عقيبه قوله: " إن يوم الفصل " الآية/١٢ كبير .

(٤) وجاز عود ضمير جمع إلى الفرد لفظًا، لأن لفظه مطلق شائع فى جنسه متأول لكل ولبعض / ١٢ وجيز .

المؤمنون، ﴿إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾، الغالب الذى لا يُغْلَب، ﴿الرَّحِيمُ[1]﴾، لمن كان أهل الرحمة.

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾، سبق فى الصافات بيانه، ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾: كثير الإثم أي:الكافر لأن الكلام فيه، ﴿كَالْمُهْلِ﴾: دُرْدِى الزيت، وقيل: هو ذائب الفضة والنحاس، ﴿يَغْلِي فِي البُطُونِ﴾، ومن قرأ "يغلي" بالياء فباعتبار أن الشجرة طعام الأثيم، ﴿كَغَلْيِ الحَمِيمِ﴾، غليانًا مثل غليان الماء الشديد الحرارة، ﴿خُذُوهُ﴾، أي: قلنا للزبانية: خذوا الأثيم، ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: سوقوه بعنف، ﴿إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾: وسطها، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ﴾، الملك يضربه بحديد فيفتح دماغه، ثم

(١) ولما كان السياق فى الانتقام أخبر عن حال الفجار بطريق الاستئناف، فقال: " إن شجرة الزقوم " الآية / ١٢ وجيز .

يصب الحميم على رأسه فيسلت ما فى بطنه من الأمعاء، فيتمزق على كعبيه، أعاذنا الله تعالى من ذلك، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾، أي: قولوا له ذلك سخرية وتقريعًا، وعن[1] عكرمة:[2] أنه عليه السلام قال لأبى جهل: (أمرنى الله تعالى أن أقول لك أولى لك فأولى)، فقال: ما تستطيع لى ولا صاحبك[3] من شيء إنى أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم، فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وأنزل: " ذق إنك أنت العزيز الكريم "، وذكر غير واحد من السلف: أن المراد من الأثيم أبو جهل[4]، ﴿إِنَّ هَذَا﴾: العذاب، ﴿مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: ما تشكون فيه، ﴿إِنَّ[5] المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: موضع إقامة، ﴿أَمِينٍ﴾: يأمن صاحبه عن كل مكروه، ﴿فِى جَنَّات﴾، بدل من مقام، ﴿وَعُيُون يَلْبَسُونَ﴾، خبر ثان، أو حال، أو استئناف، ﴿مِن سُندُسٍ﴾: ما رَقّ من الحرير، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ منه، ﴿مُتَقَابِلِينَ ﴾، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره لأنس بينهم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: الأمر كذلك، أو أثبناهم مثل ذلك، ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ﴾: قرناهم بهن، والحور: النساء النقيات البياض، ﴿عِينٍ﴾: عظيمة العينين، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: يأمرون بإحضار أنواع الفواكه، ﴿آمِنِينَ ﴾، من كل مكروه، ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ﴾، بل حياتهم أبدية، ﴿إِلاَّ المَوْتَةَ الأُولَى﴾، لكن ذاقوا الموتة الأولى فى الدنيا، قيل الاستثناء للمبالغة، فإن الغرض من إعلام أنهم لا يذوقون الموت أصلاً، كأنه قال: لو فرضنا ذوق الموت فى

---

(١) أخرج الأموى فى مغازيه / ١٢ فتح .[ضعيف لإرساله]

(٢) وغيره / ١٢ وجيز .

(٣) أراد الرب تعالى وتقدس / ١٢ .

(٤) ولما كانت السورة مكية فالظاهر نزول الآية عند قوله ما تستطيع أنت وصاحبك/١٢ وجيز .

(٥) لما ذكر حال المجرمين أعقبه بحال المتقين كما هو عادة كلام الله / ١٢ وجيز .

الجنة لما ذاق إلا الموتة الأولى وذوق تلك الموتة محال، لأنها ماضية، فـــالذوق محـــال، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً﴾، أي: أعطى كل ذلك تفضلاً، ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[1] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾: سهلنا القرآن، ﴿بِلِسَانِكَ﴾، فإنـــه بلغتـــك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكي يفهمونه فيتعظون به، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر الفتح أو مـــا يحل بهم، ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: ما يحل بك من الدوائر[2].

فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) ولما امتن بأن جميع النعم من فضله سبحانه، أعقبه بفرد من الفضل تام فقال: " فإنمـــا يسرناه" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فيما يزعمون من ظنونهم الكاذبة فهو وعد ووعيد، والحمد لله على كل حـــال/ ١٢ وجيز .

سورة الجاثية مكية

وهي سبع أو ست وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞﴾

﴿**حمٓ تَنزِيلُ**[1] **الكِتَابِ**﴾، إن كان حم اسماً للسورة مبتدأ، فلابد من تقديرٍ أى: تنزيل حم تنزيل الكتاب، إذ السورة نفسها ليست بتنزيل، فإن كان المراد من الكتاب

---

(١) قوله: " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " هذه الآية وأمثالها دلت على أن الله -عز وجل- بذاته فوق العرش بائن من جميع المخلوقات، كما قال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى القصيدة النونية: =

السورة ، ففيه إقامة الظاهر مقام المضمر، كما تقول: شعرُ نابغة شعره، وإن كان المراد القرآن فالمعنى على التشبيه، أى: تنزيل حم كتنزيل سائر القرآن فى البيان، والهداية والإعجاز والحكمة، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وقيل: حم قسم[1] وتنزيل صفته، وجوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ[2]﴾، كالكواكب والحيوان والمعادن، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾، عطف على خلقكم، ﴿مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، من قرأ برفع "آيات" فمحمول على محل اسم إن، ومن قرأ بنصبها فعلى لفظه، ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾، أى: المطر، فإنه سبب الرزق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

=

والله أخـــبرنا بـــأن كـــتابه ... تنزيلـــه بـــالحق والـــبرهان

أيكـــون تنزيـــلاً وليس كلام مَن ... فـــوق العـــباد أذاك ذو إمكـــان؟!

أيكـــون تنزيـــلاً من الرحمن والر ... حمـــن لـــيس مـــبائن الأكـــوان؟!

وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور:

واذكر نصوصًا فى الكتاب تضمنت ... تنزيلـــه مـــن ربـــنا الـــرحمن

فتضـــمنت أصـــلين قـــام عليهما ... الإســـلام والإيمـــان كالبنـــيان

كـــون الكـــتاب كلامه سبحانه ... وعلـــوه مـــن فـــوق كـــل مكان

وعدادهـــا ســـبعون حين تعد أو ... زادت عـــلى الســـبعين فى الحسبان

وذكر شيخ الإسلام أبو العباس -رحمه الله تعالى- أنه سئل بعض أئمة نفاة العلو عن نزول الرب عز وجل، فقال: يترل أمره، فقال له السائل: فممن يترل الأمر من العدم المحض؟! فبهت وكان كبيرًا فيهم، انتهى/ ١٢.

(١) أى: مقسم به/ ١٢.

(٢) فإنهم المتأملون/ ١٢.

﴿الرِّيَاحِ﴾: جنوبًا وشمالاً وغيرهما، ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(١)﴾، فى "آيات" قراءتـــان، وعلى الوجهين عطف على معمولى عاملين مختلفين، إلا أن تقول اختلاف عطف على فى السماوات، بتقدير: فى لا أنه عطف على السماوات، ﴿تِلْكَ﴾: الآيات، ﴿آيَـــاتُ اللَّهِ﴾: دلائله، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾، حال عاملها معنى الإشارة، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبســـين، أو متلبسة به، ﴿فَبِأَى حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾: أى بعد حديثه، ﴿وَآيَاتِـــهِ﴾: دلائلـــه أو كتابه، فيكون العطف لمغايرة الوصفين، أو هو كقولهم: أعجبنى زيــــد وكرمـــه، أى: أعجبنى كرمه، فمعنى بعد الله وآياته بعد آياته، وتقديم اســـــم الله تعـــالى للتعظيـــم، ﴿يُؤْمِنُونَ(٢) وَيْلٌ(٣) لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذاب كثير الإثم، ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾، على كفره، وثم لاستبعاد الإصرار بعد السماع، ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، عــن الانقياد، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، أى: كأنه، والجملة حال، أي: يصر مثل غير السـامع، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾، أى: علم شيئًا أنه من الآيـــات،

---

(١) ذكر فى هذا الموضع ثلاثة مقاطع: أولها: يؤمنون، وثانيها: يوقنون، وثالثها: يعقلـــون، وأظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل: إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائـــل، وإن كنتم لستم من المؤمنين، بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائـــــل وإن كنتم لستم من المؤمنين، ولا من الموقنين، فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العــــاقلين، فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل / ١٢ كبير.

(٢) يعنى إن من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز أن ينتفع بـــــه، وأبطـــل بهـــذا قول من يزعم أن التقليد كاف، وبين أنه يجب على المكلف التأمل فى دلائـــــل ديـــن الله/١٢ كبير.

(٣) ولما قال: " فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون "، عقبه بذكر عقاب مـــن لا يؤمـــن بالقرآن فقال: " ويل لكل أفاك" الآية / ١٢ وجيز .

﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا[(١)]﴾، مقتضى الظاهر ضمير المذكر الراجع إلى شيئًا فأنثه لأن الشيء للآية أو لأنه راجع إلى الآيات، بمعنى إذا علم شيئًا أنه من جملة الآيات، تجاوز فى الاستهزاء إلى جميع الآيات إجمالاً، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مِن وَرَائِهِمْ[(٢)]﴾: من خلفهم، ﴿جَهَنَّمُ﴾، فإنه بعد آجالهم، أو من أمامهم، ﴿وَلاَ يُغْنِي﴾: لا يدفع، ﴿عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾، من العذاب، ﴿وَلاَ مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أى: الأصنام، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ هَذَا﴾: القرآن، ﴿هُدًى﴾: كامل فى الهداية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: هو أشد العذاب، ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

---

(١) قيل: نزلت فى النضر بن الحارث، وما كان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن، والآية عامة فى كل من كان موصوفًا بالصفة المذكورة/١٢ كبير .

(٢) الورى: ما يوارى من خلف وأمام / ١٢ وجيز .

﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِى الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بتسخيره، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾، بالتجارة وغيرها[١]، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، هذه النعم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، مسخران لنا من حيث أنا ننتفع بهما، ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، منه حال من ما، أى: كائنًا من الله تعالى، وجميعًا حال من فاعل منه، أو تقديره هى من الله جميعًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾، حذف المقول لدلالة الجواب عليه، أى: قل لهم: اغفروا، إن تقل لهم: اغفروا يغفروا أى: يعفوا، ﴿لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، لا يخافون وقائعه ونقمته، كانوا فى الابتداء مأمورين بالصبر على أذى المشركين، ثم نزلت آية القتال، وعن بعضهم: أنها نزلت فى عمر رضى الله عنه، حين هم أن يبطش من شتمه بمكة وأمر بالعفو، فعلى هذا لم تكن الآية منسوخة، ﴿لِيَجْزِى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أى: اعفوا أنتم عنهم ليجزيهم الله تعالى سوء أعمالهم، ويكون تنكير قومًا للتحقير، وقيل: المراد من القوم المؤمنون الذين صبروا حينئذ، المراد بما كانوا يكسبون: المغفرة والعفو، فالتنكير للتعظيم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، فيجازيكم، ﴿وَلَقَدْ[٢] آتَيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾، الحكمة،

---

(١) كالغوص والصيد / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان من أول السورة بيان أنه تعالى أنزل كتابًا ليس بعده كتاب، وبعد ما أنزل هذا الذى هو هدى، أضل أكثرهم والله يقضى بينهم بالجزاء، ذكر حال بنى إسرائيل، فإنهم مثلهم حذو النعل بالنعل، فقال: " ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب " الآية/ ١٢ وجيز .

أو فصل[١] الخصومات، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾، إذ فيهم كثير من الأنبياء، ﴿وررَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: كالمن والسلوى، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾، عالمى زمانهم، ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَات مِّنَ الأَمْرِ﴾، أدلة من أمر الدين، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: فى الأمر، ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ﴾، الموجب لزوال الخلاف، ﴿بَغْيًا﴾: حسدًا أو عداوة، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، وعن بعض: معناه آتيناهم أدلة على مبعث محمد عليه السلام، فما اختلفوا إلا بعد القرآن حسدًا، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[٢] ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾: يا محمد، ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾: سنة وطريقة، ﴿مِّنَ الأَمْرِ﴾: من الدين، ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾: آراء، ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا﴾: يدفعوا، ﴿عَنكَ مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿شَيْئًا﴾، إن اتبعتهم، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ[٣] بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِي المُتَّقِينَ﴾، لا تواليهم، فإنما يوالى الظالمين من هو مثلهم، وأما المتقون فوليهم الله تعالى وهم موالوه، ﴿هَذَا﴾: القرآن، ﴿بَصَائِرُ

---

(١) لأن الملك كان فيهم / ١٢ وجيز .

(٢) والمراد أنه لا ينبغى أن يغتر المبطل بنعم الدنيا، فإنها وإن ساوت نعم المحق، أو زادت عليها، فإنه سيرى فى الآخرة ما يسوءه، وذلك كالزجر لهم، ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغى والحسد، أمر رسوله بأن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك بالحق، وأن لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق، فقال تعالى: " ثم جعلناك على شريعة من الأمر " الآية/١٢ كبير .

(٣) بين تعالى أن الظالمين يتولى بعضهم بعضًا فى الدنيا وفى الآخرة لا ولى لهم ينفعهم فى إيصال الثواب، وإزالة العقاب، وأما المتقون المهتدون فالله وليهم وناصرهم وهم موالوه، وما أبين الفرق بين الولايتين، ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة، قال: " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون " وبين الفرق بين المتقين والظالمين بوجه آخر، فقال: " أم حسب الذين " الآية / ١٢ كبير .

﴿لِلنَّاسِ﴾: يبصرهم رشدهم، **﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**: يطلبون اليقين، **﴿أَمْ حَسِبَ﴾**: بل أحسب، فالهمزة لإنكار الحسبان، **﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾**: اكتسبوا، **﴿السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾**: نصيرهم، **﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**، أي: مثلهم، **﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾**، بدل من ثانى مفعولى نجعل، والضمير للمسيئين، ومحياهم ومماقم مرفوع على الفاعلية، أى: مستويًا محيا المسيئين ومماقم، ومحياهم رغد ومماقم نكد، أو الضمير لهم وللمحسنين، أى: مستويًا محيا الفريقين، وهم فى طاعة وهؤلاء فى معصية، ومماقم وهم فى البشرى بالرحمة، وهؤلاء فى اليأس منها، فهم أكرم فى الدنيا والآخرة، أو منصوب بتقدير أعنى، وقيل حال من المفعول الأول، أى: مستويًا فى البعد عن الرحمة، أو من المفعول الثانى، أى: مستويًا فى القرب عن الرحمة، ومن قرأ برفع سواء فالجملة بدل أيضًا كما تقول: حسبت زيدًا أبوه منطلق، **﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**، أى: بئس حكمهم هذا.

﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿وَخَلَقَ[1] اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أى: كيف يستوى، وقد خلقهما بالحق المقتضى للعدل، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، عطف على معنى بالحق، فإنه بمعنى خلقهما للعدل والصواب لا للعبث، أو عطف على علة محذوفة، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾، فإذا استوى المسيء والمحسن فلا يكون للعدل والجزاء، ويكون المحسن مظلومًا، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ[2]﴾، من لا يطاوع ربه، بل يطاوع هواه فهواه ربه، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، حال من الفاعل، أى: عالمًا بضلاله فى الأزل، أو من المفعول، أى: بعد بلوغ العلم وقيام الحجة عليه، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾، فلا يتعظ، ولا ينظر بعين الاعتبار، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾، من بعد إضلاله، أو من غير الله تعالى، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ﴾، الحياة، ﴿إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، أى: يموت بعضنا ويحيا بعض، أو المراد نفى المحيى والمميت، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾، مبين له أى: لا نموت إلا بطول العمر ومر الزمان، وقيل: هذا إثبات التناسخ، فإنه عقيدة أكثرهم، ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ﴾: الذى يقولون، ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾، إذ لا دليل لهم

---

(١) لما بين أن المؤمن لا يساوى الكافر، أتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذه الفتوى، فقال: "وخلق الله السموات والأرض" الآية / ١٢ كبير .

(٢) أخرج الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان الرجل من العرب يعبد الحجر، فإذا وجد أحسن منه أخذه وألقى الآخر، فأنزل الله عز وجل هذه الآية انتهى .

قال سعيد بن جبير: كان العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا حجرًا أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر، قال الشعبى: إنما سمى الهوى لأنه يهوى صاحبه فى النار، وعن ابن عباس والحسن وذلك الكافر اتخذ دينه ما هواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم عليه/١٢ كمالين.

بوجه، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، التى تدل على خلاف معتقدهم، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات الدلالة، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾، متشبثهم فى المعارضة، ﴿إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾، الأموات، حتى نستدل بالبعث، أو حتى يشهدوا، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾، من العدم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾، فى القبر، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾: فى يوم القيامة، فإن من قدر على الإيجاد من العدم -الذى هم مقرون به، أو هو جلى ظاهر لا ينكره إلا غبي- قدر على الإعادة بطريق الأولى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، لقصور نظرهم.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، تأكيد للأول، ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: باركة على الركب، حتى إبراهيم عليه السلام لشدة اليوم، أو مجتمعة للحساب، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾: الذى فيه أعمالها، ومن قرأ بنصب كل فهو بدل من الأول، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، أى: يقال لهم ذلك، ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾، أى: ديوان الحفظة الذى كتبوا بأمرنا، ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾: يشهد عليكم بلا زيادة، ولا نقصان، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نأمر الملائكة بنسخ، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، عن ابن عباس -رضى الله عنه- وغيره -رضى الله عنهم- إذا صعد الملائكة بالأعمال إلى السماء يؤمرون بالمقابلة على ما فى اللوح فلا يزيد ولا ينقص، ثم قرأ " إنا كنا نستنسخ " الآية، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ﴾، عطف على محذوف، أى: فيقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن ﴿آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾، أى: لكم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، أى: موعوده كائن، أو متعلق الوعد كائن، ﴿وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾، أى شيء هى، ﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا﴾، أى: ما نظن إلا ظنًّا حقيرًا، أو ما نعتقد إلا ظنًّا لا علمًا، ونحوه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾، أنها كائنة، وأما جزمهم فى إنكارها فلعله حين عتوهم فى العناد، أو هذا كلام بعضهم، ﴿وَبَدَا﴾: ظهر، ﴿لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾، أى: قبائح، ﴿مَا عَمِلُوا﴾: أو جزاء سيئات أعمالهم، ﴿وَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾، أى: جزاؤه، ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾: نعاملكم معاملة الناسى، فنترككم فى العذاب، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أى: لقاء ما فيه من الجزاء وتركتم العمل له، جعل الظرف مجرى المفعول به وأضاف اللقاء إليه، ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، فنسيتم حياة الآخرة،

﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: من النار، ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾: لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم ويزيلوا العتب، ﴿فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ[1]﴾: العظمة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الحَكِيمُ ﴾، فيما أراد وقضى، وهذا الإخبار كأنه كناية أو مجاز عن الأمر بالحمد.

فله الحمد والثناء والعظمة والكبرياء .

---

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه، "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدًا منهما ألقيته فى النار" أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم، وأبو داود وابن ماجه والبيهقي/ ١٢ فتح .

سورة الأحقاف مكية

وهى أربع أو خمس وثلاثون آية وأربع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

﴿حم تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾، قد مر تفسيرها فى التى قبلها، **﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾**، أي: إلا خلقًا متلبسًا بما يقتضيه الحكمة، وبتقدير مدة معينة تنتهى إليها السماوات والأرض، وهو إشارة إلى فنائها وقيل: خلقها بمدة معينة وهى قوله: "فى ستة أيام" [الأعراف:٥٤]، **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾**، من هول ذلك اليوم، **﴿مُعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾**، بدل من أرأيتم، **﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾**، أي: أخبرونى عما تدعون من دون الله وتجعلون له شريكًا، أخبرونى أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله تعالى؟! أم لهم مع الله تعالى شركة فى خلق السماوات؟!**﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَـذَا﴾**، الإشارة إلى القرآن[1]، **﴿أَوْ آثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾**: بقية من علم بقيت من علوم الأولين تدل على صحة ما أنتم عليه من الشرك،**﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**، فى دعواكم، **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ[2] لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[3]﴾**، أي: لا أضل

---

(١) يعنى القرآن المعجز ناطق بالتوحيد، وكذلك جميع كتب الله، فطلب منهم إتيان كتاب واحد يشهد بصحة دينهم، أو بقية من علوم الأولين الراسخين والأثارة مستعملة فى بقية الشرف، يقال: لبنى فلان أثارة من شرف، إذا كانت عندهم شواهد قديمة/١٢ وجيز.

(٢) أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل، فإنه دعى من لا يسمع، فكيف يطمع فى الإجابة؟! فضلاً عن جلب نفع أو دفع ضر، فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين، والاستفهام للتوبيخ والتقريع / ١٢ فتح، وقال القاضى البيضاوى إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين، حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلاً أن يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم/١٢ .

(٣) أي: أبدًا فهذا كناية عن التأبيد، قال تعالى: " لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم"(فاطر:١٤)/ ١٢ وجيز .

ممن يعبد من لا يستجيب له لو سمع دعاءه أبدًا، ويتجاوز عن عبادة سميع مجيب خبير، ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ[1] غَافِلُونَ﴾، لأنهم جمادات صم لا تبصر ولا تعقل، ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾، أي: كان الناس للمعبودين أعداء، لأنهم بسببها وقعوا في الهلكة، ﴿وَكَانُوا﴾، أي: العابدون، ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: جاحدين، يقولون: "والله ربنا ما كنا مشركين"(الأنعام:٢٣)، أو كان المعبودون للناس أعداء، وكانوا جاحدين لعبادتهم يقولون: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون"، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ[2] قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾، أي: قالوا لأجل الآيات الواضحات وفي شأنها، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، من غير تأمل، ﴿هَذَا سِحْرٌ[3] مُّبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل يقولون، ﴿افْتَرَاهُ﴾، إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرًا إلى ما هو أشنع، فالهمزة للإنكار والتعجب، ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾، على الفرض، ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لا تقدرون على دفع[4] عقاب الافتراء، فكيف اجترئ عليه من أجلكم ؟! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾: تخوضون، ﴿فِيهِ﴾، من القدح[5]، ﴿كَفَى بِهِ﴾: كفى بالله، ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: يشهد بصدقي وبلاغي، وبكذبكم وإنكاركم، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾،

---

(١) لأنهم إما جمادات، وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم / ١٢ بيضاوى .

(٢) واضحات المعاني ظاهرات الدلالات / ١٢ فتح .

(٣) لما رأوه شيئًا خارقًا للعادة وليست لهم بعادة نسبوها إلى السحر/ ١٢ وجيز .

(٤) في صفة الله، وفي رسوله / ١٢ .

(٥) لما حكى عنهم أنهم طعنوا في كون القرآن معجزًا، بأن قالوا: يختلقه من عند نفسه، ثم ينسبه إلى أنه كلام الله على سبيل الفرية، حكى عنهم نوعًا آخر من الشبهات، وهو أنهم يقترحون منه معجزات عجيبة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب تعالى عنه بأن قال: " قل ما كنت بدعًا من الرسل " الآية / ١٢ كبير .

لمن تاب وآمن فلا إقناط من رحمته، ﴿قُلْ[1] مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾: بديعًا غريبًا آمركم بما لا يأمرون به، ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ﴾: لا أدرى إلى ما يصير أمرى وأمركم فى الدنيا وعن بعض: معناه لا أدرى حالى وحالكم فى الآخرة، ثم نزل بعده "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"(الفتح:٢) فقالت الصحابة: هنيئًا لك، وعلمنا ما يفعل الله تعالى بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالي: " ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات " الآية(الفتح:٥)، وعن بعضهم معناه: لا أدرى بماذا نؤمر وبماذا ننهى بعد ذلك؟ أو لا أدرى حالى وحالكم فى الدارين على التفصيل إذ لا أدعى علم الغيب، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾، لا أبتدع من عندى شيئًا، ﴿وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾، قيل: هو جواب عن اقتراحهم الإخبار عن الغيب، أو عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ﴾: القرآن، ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾، هو عبدالله بن سلام، صرح به جماعة لا يحصى من السلف، وعليه حديث البخارى ومسلم، فهذه الآية مستثناة من كون السورة مكية، كما صرح به فى تفسير الكواشى وقد يأول بأن المراد، ويشهد شاهد فيكون على طريقة "ونادى أصحاب الأعراف"(الأعراف:٤٨) فالآية فى حقه الحكم بأنه يشهد بعد ذلك، ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾، أي: على مثل ما أخبر القرآن به، وقيل: المثل صلة، ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، فعطف كفرتم على كان، وعطف واستكبرتم على شهد، وعطف جملة شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم على جملة كان من عند الله وكفرتم وجواب الشرط محذوف، أي: ألستم ظالمين؟ ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ

(١) أأقتل أم أخرج؟ وأتخسفون أم ترمون بالحجارة؟ / ١٢ وجيز .

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: لأجلهم، ﴿لَوْ كَانَ﴾، أي: الإيمان، ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، فإنهم فقراء، وعبيد، وإماء، ونحن أشرف والأشرف للأشرف، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، أي: بالإيمان، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، كما

قالوا: أساطير الأولين والعامل فى إذ محذوف[1]، والفاء مسبب عنه، أي: ظهر عنادهم فسيقولون، وقيل: السين لمجرد التأكيد، والمضارع للاستقرار أو بحيث يتناول الماضى فلا حاجة إلى تقدير، ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾، أي: قبل القرآن، ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾، مبتدأ، وخبر، ﴿إِمَامًا[2] وَرَحْمَةً[3]﴾، نصب على الحال، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾، للكتب السماوية، ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، ﴿لِّيُنذِرَ﴾، النبي، أو الكتاب علة مصدق، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾، عطف على محل لينذر، ﴿إِنَّ[4] الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أقروا بواحدانيته ثم استقاموا على التوحيد، وثم لتراخى مرتبة الاستقامة، فإن لها الشأن كله، ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، مما يستقبلون، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما خَلَّفوا، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾، أي: جُوزوا جزاء، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، لما ذكر التوحيد عطف عليه بالوصية بالوالدين كقوله تعالي: " وقضى ربك أن لا تعبدوا " الآية (الإسراء:٢٣)، وقوله: " أن اشكر لى ولوالديك "(لقمان:١٤)، ﴿إِحْسَانًا﴾، منصوب بوصينا بأنه بمعنى ألزمناه الحسن فى أبويه، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

---

(١) لأن إذ للماضي، والسين للاستقبال، فلا يكون مدخولها العامل فى إذ، فيقدر عامله/١٢ وجيز .

(٢) يُهتدى به، وفيه البشارة بمبعث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين/١٢ وجيز .

(٣) على الخلق لأنه سبب الهداية، أي: كتاب موسى كائن من قبل القرآن فى حال كونه إمامًا ورحمة، فإنهم لما طعنوا فى القرآن، قيل لهم: أنزل الله قبل القرآن التوراة وأنتم لا تنازعون فيه، فما بالكم فى شأن القرآن / ١٢ وجيز .

(٤) لما قرر دلائل التوحيد، والنبوة، وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريق المحقين والمحققين فقال: " إن الذين قالوا ربنا الله " الآية / ١٢ كبير .

وَوَضَعَتْهُ[١] **كُرْهًا﴾**، نصب على الحال، أي: ذات كره، أو صفة لمصدر، أي: حملاً ذا كره ومشقة، **﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾**، أي: مدتهما، والفصال: الفطام، **﴿ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾**، فأقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه حولان كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك، وفى سورة لقمان " وفصاله فى عامين " (لقمان:١٤)وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إذا وضعت بعد تسعة أرضعت إحدى وعشرين، وإذا وضعت بعد ستة أرضعت أربعة وعشرين، **﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾**: استحكم قواه واكتهل، قيل: هو ما بين ثمانى عشر إلى أربعين، وقيل: ثلاث وثلاثون إلى أربعين، وهو غايته، **﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ**[٢] **سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾**: ألهمني، **﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾**، والنعمة: الهداية والإسلام، **﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا**[٣] **تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ**[٤] **لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾**، اجعل لى الصلاح ساريًا فيهم، **﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**، قيل: نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه، اجتمع له إسلام أبويه وأولاده

---

(١) ولما كان الاهتمام فى شأن الأم لضعفها وكثرة احتياجها إلى الإحسان، ذكرما للأم من الحقوق / ١٢ وجيز .

(٢) أي: المحسن فى سن كمال العقل / ١٢ .

(٣) وفى هذه الآية دليل على أنه ينبغى لمن بلغ عمره أربعين سنة، أن يستكثر من هذه الدعوات / ١٢ فتح .

(٤) اعلم أن مراتب السعادات ثلاثة: أكملها النفسانية، وأوسطها البدنية، وأدونها الخارجية، والسعادات النفسانية: هو اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه، والسعادات البدنية: هى اشتغال البدن بالطاعة والخدمة، والسعادات الخارجية: هى سعادة الأهل والولد، فلما كانت المراتب محصورة فى هذه الثلاثة لا جرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه / ١٢ كبير .

جميعًا، و لم يكن ذلك لأحد من الصحابة، وهذا إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد الإنابة إلى الله تعالى: فقد ورد "من بلغ الأربعين، و لم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار"(*)، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: طاعاتهم فإنها أحسن من المباح، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الجَنَّةِ﴾: كائنين معدودين فيهم، ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾، مصدر مؤكد لأن يتقبل ويتجاوز وعد، ﴿الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، بلسان الأنبياء، وعن على رضى الله عنه من الذين قال الله تعالى فيهم: " أولئك الذين نتقبل عنهم " الآية قال: والله عثمان وأصحاب عثمان قالها ثلاثًا، ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾، هو صوت يعلم منه أن قائله متضجر، واللام للبيان أي: هذا التأفيف لكما خاصة، لما ذكر تعالى حال البارّين بهما عقب بحال العاقين لهما، ﴿أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ﴾، من قبرى حيًا، ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾: مضت، ﴿القُرُونُ مِن قَبْلِي﴾، و لم يبعث منهم أحد، ﴿وَهُمَا﴾: الوالدان، ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾: يسألانه أن يغيثه بالهداية، وقيل: الغياث بالله منك، ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾: يقولان له ذلك دعاء عليه بالهلاك، والمقصود التحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك نصب على المصدر، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ﴾، الولد: ﴿مَا هَذَا﴾، الذى تدعوننى إليه، ﴿إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم التى كتبوها، ﴿أُوْلَئِكَ﴾، خبر لقوله: "والذى قال "، فالمراد " بالذى " الجنس القائل ذلك القول حتى جاز أن يكون خبره مجموعًا، ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ﴾: كلمة العذاب وأنهم أهل النار، ﴿فِى أُمَمٍ﴾، كائنين معدودين فيهم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾، فى الدنيا، والآية فى كل كافر عاق، وفى الآية أدلة على ضعف قول من قال: إنها فى شأن عبد الرحمن بن أبى بكر قبل

(*) "موضوع" ذكره ابن الجوزى فى "الموضوعات"، (١٧٨/١)، والسيوطى فى "اللآلئ المصنوعة"، (٧١/١).

إسلامه(*)، وفى النسائى لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبى بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذى أنزل الله تعالى فيه: " والذى قال لوالديه " الآية، فبلغ عائشة رضى الله عنها فقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسمى الذى أنزل الله فيه لسميته[1]، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه فمروان فضض[2] من لعنة الله تعالى(**)، ﴿وَلِكُلٍّ﴾، من الفريقين، ﴿دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾: مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، وتسمية الدركات درجات للتغليب، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي: جزاءها، ومعلله محذوف، أي: وقدر لهم درجات ليوفيهم، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة عقاب ونقص ثواب، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ[3] الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، من باب القلب للمبالغة، أي: يعرض النار عليهم، أو معناه يعذبون عليها، ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، أي: يقال لهم يوم القيامة ذلك، ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾: لذائذكم، ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾، فلم يبق لكم منها

(*) قال الحافظ ابن كثير فى "التفسير"،(٤/١٥٨): "هذا عام فى كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقوله ضعيف، لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه".

(١) وهذا منها رضى الله عنها دال على أن الآية فى معين / ١٢ وجيز .

(٢) فضض -بفتحتين-: ما انتشر من الماء عند الاغتسال به، أو كل متفرق ومنتشر/

(**) أخرجه النسائى فى "التفسير"، من طريق شعبة عن محمد بن زياد: ....فذكره عن عائشة، وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد لم يسمع عائشة، ولذا قال الذهبى متعقبا الحاكم لما صححه فى المستدرك (٤/٤٨١): "محمد لم يسمع من عائشة".

(٣) من عرض فلان على السيف إذا قتل به، والعرض: المباشرة، كما تقول: عرضت العود على النار، وأيضًا فى الكتاب والسنة ما يدل على أن لجهنم عينًا وكلامًا وعلى الوجهين لا يكون الآية من باب القلب القليل الترر / ١٢ وجيز .

شيء، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الذل، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فإن التكبر يمكن أن يكون بحق، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾، رأى[1] عمر رضى الله عنه فى يد جابر لحمًا فقال: ما هذا ؟ فقال: لحمًا اشتهيته، فقال: أو كل ما اشتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية " أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ".

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿وَاذْكُرْ[2] أَخَا عَادٍ﴾، أي: هودًا، ﴿إِذْ أَنذَرَ﴾، بدل من أخا عاد، ﴿قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾: منازلهم فهم ساكنون بين رمال، جمع حقفٍ، وهو الرمل الكثير، ﴿وَقَدْ

---

(١) أخرجه أحمد فى الزهد / ١٢ در منثور .[أخرجه أحمد فى الزهد عن الأعمش، وهو منقطع؛ لأن الأعمش لم يدرك عمر].

(٢) ولما هدد بالعقوبات الأخروية، أعقبه بالعقوبات الدنيوية التى وقعت على قوم فى جزيرة العرب معروفين بالقوة الغالبة والاستكبار والبنيان، الذى ليس له نظير =

﴿خَلَتِ النُّذُرُ﴾، حال من مفعول اذكر، أو معترضة بين أنذر وبين أن لا تعبدوا، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قبله، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ[1]﴾: بعده فأنذروا كما أنذر، ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾، أن مفسرة، أو بألا تعبدوا، فإن النهى عن شيء إنذار عن مضرته، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾: تصرفنا، ﴿عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾، هو يعلم متى يأتيكم العذاب، ولا مدخل لى فى الاستعجال، ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: فما على الرسول إلا البلاغ، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، لأنكم تستعجلون بعذاب يحتمل الوقوع، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، الضمير مبهم يفسره قوله: ﴿عَارِضًا﴾، وهو إما تمييز، أو حال، أو الضمير لما طلبوا إتيانه يعنى سحابًا عرض فى أفق السماء، ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾:متوجه أوديتهم، والإضافة لفظية، ولذا وقع صفة لنكرة، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، وكذا هذه الإضافة لفظية، استبشروا لأنه قد حبس عنهم المطر، ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾، من العذاب، أي: قال هود بل هو، أو الإضراب من الله تعالي، ولا قول ثمة، بل هو عبارة عن سرعة استئصالهم كقوله تعالي: " فقال لهم الله موتوا " بعد قوله: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم " (البقرة:٢٤٣) فإن معناه فأماتهم الله، ﴿رِيحٌ﴾، أي: هى ريح، ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ[2]﴾: تهلك، ﴿كُلَّ

= فى الدنيا، ولقريش معرفتهم بالأخبار ورؤية آثارهم فقال: "واذكر أخا عاد"/١٢ وجيز .

(١) عطف "من خلفه" على "من بين يديه" أما تنزيل الآتى منزلة الماضي، على طريقة " ونادى أصحاب الأعراف" (الأعراف:٤٨) وإما على تقدير: ويأتى من خلفه على طريقة: علفته تبنًا وماء باردًا /١٢منه .

(٢) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وكـــان إذا =

شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى﴾، أي: جاءهم الريح ودمرهم، فأصبحوا بحيث لو حضرهم لا ترى، **﴿إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾**، قيل: كانوا تحت الرمال ثمانية أيام ولهم أنين، ثم قذفتهم الريح فى البحر، **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾**، أي: فى الذى ما مكناكم فيه من المال والقوة والعمر، فإن نافية، وقيل: شرطية محذوفة الجواب، أي: فى شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر، وقيل: صلة، **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾**: شيئًا من الإغناء، أو مادفع عنهم شيئًا من العذاب، **﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾**، ظرف جرى مجرى التعليل، **﴿وَحَاقَ﴾**: أحاط، **﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ[1]﴾**، أي: العذاب، فإنهم استهزءوا به.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ

= رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك فى وجهه، قلت يا رسول الله: إذا رأوا الغيم فرحوا أن فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت فى وجهك الكراهية؟ قال: (يا عائشة وما يؤمننى أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا) وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: (اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) فإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرى عنه فسألته، فقال: (لا أدرى لعله كما قال قوم عاد: " هذا عارض ممطرنا ") / ١٢ فتح .

(١) ولما تم حكاية قوم عاد، هدد قريشًا بغيرهم من الأمم المجرمين، فقال: " ولقد أهلكنا ما حولكم " الآية / ١٢ وجيز .

إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم**﴾، يا أهل مكة، ﴿**مِّنَ الْقُرَى**﴾، كحجر ثمود، وقرى قوم لوط، ﴿**وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ**﴾: بيناها مكررًا، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾، عن ضلالتهم، ﴿**فَلَوْلاَ**﴾: فهلا، ﴿**نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً**﴾، أي: الذين اتخذوهم متجاوزين الله تعالى آلهة متقربًا بهم، كما قالوا: " هؤلاء شفعاؤنا "(يونس:١٨) فقربانا حال من المفعول الثاني، أي: آلهة، أو مفعول له، ﴿**بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ**﴾، لم ينفعهم عند نزول العذاب، ﴿**وَذَلِكَ**﴾، أي: ضلالهم عنهم، ﴿**إِفْكُهُمْ**﴾،

أي: أثر صرفهم عن الحق، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ[1]﴾، وإفترائهم، وهـذا كمـن أدب أحدًا فلم يتأدب، وظهر منه سوء أدب، فيقال له تقريعًا: هذا تأديبك، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾: أملنا، ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا﴾، هوما دون العشرة، ﴿مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ[2]﴾، وهـو عطف على قوله: " أخا عاد "، أي: واذكر إذ صرفنا، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: القـرآن أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿قَالُوا﴾، بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا﴾: نستمع القرآن، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: فرغ عن قراءته، ﴿وَلَّوْا﴾: رجعوا، ﴿إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾، إيـاهم بما سمعوا، والأحاديث الصحاح والحسان بطرق مختلفة، تدل على أنه عليه السلام ذهب إل الجن قصدًا فتلا عليهم، والأظهر كما قاله كثير من العلماء: أن استماعهم القـرآن ليس مرة واحدة ولا يمكن توفيق الأحاديث المتضادة إلا بذلك، فمرة في طريق الطائف،

---

(١) ولما ذكر صريحًا وكناية عناد قريش، ووبخهم بعذاب دنيوى وأخروي، أعقـب ذلـك تقريعًا لهم بمن هو أنقى قلبًا وأبعد سجيًا وطبعًا، فقال: " وإذ صرفنا إليك نفـرًا مـن الجن " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما، عن مسروق قال: سألت ابن مسعود رضى الله عنه من آذن النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال: آذنته بهـم الشـجرة، وأخرج أحمد ومسلم، والترمذى عن علقمة قال: قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم أحد ليلة الجن ؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدنـاه ذات ليلة، فقلنا: اغتيل استطير ما فعل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كـان في وجه الصبح، إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فأخبرناه، فقال: (إنه أتانى داعى الجـن، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن) فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وقد وردت أحـاديث كثيرة أن الجن بعد هذا وفدت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرة بعد مـرة، وأخذوا عنه الشرائع/١٢فتح.

ومرة فى شعاب مكة، ومرة فى بوادى المدينة، ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنـزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، لم يذكروا عيسى لأن الإنجيل فيه مواعظ، وقليل نادر من الأحكام، فهو كالمتمم للتوراة، وقيل: لأنهم كانوا يهوداً،﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من كتب الله، ﴿يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعضها، فإن المظالم لا تغفر فى حق الذمى بالإيمان بخلاف الحربي، فإنه لا تبقى عليه تبعة[1]، ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يعجز الله تعالى فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾، ينصرونهم، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أَوَ لَمْ[2] يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾: لم يتعب، ﴿بِخَلْقِهِنَّ﴾، ولم يضعف عن إبداعهن، ﴿بِقَادِرٍ﴾، خبر أن، والباء لاشتمال النفى على أن وما فى حيزها كأنه قال: " أليس الله بقادر[3] "، ﴿عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى﴾، مقررة للقدرة الواقعة بعد ليس تقديرًا[4]، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ[5] يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: يعذبون عليها، ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾، أي: قال لهم فى ذلك اليوم أليس هذا، تقريعًا،

---

(١) أي: الحرب تسقط عنه القتل والغصب /١٢ كمالين .

(٢) الأظهر أن قوله: " أو لم يروا " كلام الله لا حكاية كلام الجن / ١٢ وجيز .

(٣) إنما جاز إدخال الباء على خبر أن، لدخول حرف النفى على أن وما يتعلق بها، فكأنه قيل: أليس الله بقادر قال الزجاج: لو قلت: ما ظننت أن زيدًا بقائم جاز، ولا يجوز ظننت أن زيدًا بقائم، والله أعلم / ١٢ كبير .

(٤) لا للرؤية الواقعة بعد لم تحقيقًا / ١٢ وجيز .

(٥) واعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالحشر والنشر، ذكر بعض أحوال الكفار، فقال: " ويوم عرض الذين كفروا على النار " الآية/١٢ كبير .

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا[1] قَالَ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ[2] ﴾: بسببه، ﴿فَاصْبِرْ[3]﴾، يا محمد، ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ﴾، أي: أولو الثبات والجد منهم، والأشهر أهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾، حال، ومن للتبعيض وعن بعضهم: إن جميع الأنبياء أولو العزم، فمن للتبيين، ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل﴾، بالعذاب، ﴿لَّهُمْ﴾: لقريش، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، أي: يحسبون يوم القيامة أن مدة لبثهم فى الدنيا ساعة فإنه نازل بهم لا محالة، ﴿بَلاغٌ﴾، أي: هذا يعنى القرآن، أو ما وعظتم به بلاغ كفاية، أو تبليغ من الرسول، ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الاتعاظ[4] والطاعة.

---

(١) إن كان المراد من الحق العدل، فحلفهم بقوله: " وربنا " ظاهر موقعه، وإن كان المراد الوقوع فحلفهم جبر لمبالغاتهم فى الدنيا فى نفيه / ١٢ وجيز .

(٢) واعلم أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة، وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وأجاب عن الشبهات، أردفه بما يجرى مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الكفار كانوا يؤذونه ويوحسون صدره، فقال تعالى: "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل"/ ١٢ كبير .

(٣) أي: لما عرفت أن هذا حال من لم يؤمن بالله فاصبر/ ١٢ وجيز .

(٤) اللهم لا تجعلنا منهم / ١٢ .

سورة محمد مدنية وقيل مكية

وهى ثمانى أو تسع وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا**﴾: أعرضوا، أو منعوا الناس، ﴿**عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: عن الدخول فى الإسلام، ﴿**أَضَلَّ**[١] **أَعْمَالَهُمْ**﴾: أبطلها، وما جعل لها ثوابًا كتصدقهم وصلة

---

(١) فهو من ضل عنى إذا ضاع لا من الإضلال المقابل للهداية/١٢وجيز.

أرحامهم، ﴿وَالَّذِينَ[1] آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ تخصيص بعد التعميم تعظيمًا لشأنه، وأكده بالجملة الاعتراضية يعني قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، الظرف حال من ضمير الحق، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: حالهم وأمرهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإضلال والتكفير، ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾: الشيطان، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾: القرآن، ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾، حال من الحق، ﴿كَذَلِكَ[2]﴾: مثل ذلك الضرب، ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ[3] أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: لأجل الناس أمثال الفريقين، أو أمثال الناس للناس بأن جعل اتِّباع الباطل والإضلال مثلا للكفار، واتباع الحق والتكفير مثلا للمؤمنين[4]، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حاربتموهم، ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أي: فاضربوا رقابهم ضربًا قدم المصدر مضافًا إلى المفعول بعد حذف فعله، والمراد منه القتل بأى وجه كان، ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أغلظتم قتلهم، وجعلتموه كثيرًا كثيفًا قال تعالى: "ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض"[الآنفال:٦٧] ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ أي: فأسروهم، والوثاق ما يوثق به، ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أي: تمنون منا بعد الأسر، أو يفدون فداء أراد التخيير بين الإطلاق بلا عوض وبين العوض، وعند بعض السلف أنها منسوخة بقوله "فاقتلوا

---

(١) لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين، فقال: "والذين آمنوا" الآية/١٢كبير.

(٢) قوله: "كذلك" لا يستدعى أن يكون هناك مثل مضروب، بل معناه أنه تعالى لما بين حال الكافر وإضلال أعماله، وحال المؤمن وتكفير سيئاته، وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الإيضاح، فقال: "كذلك" أي: مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم ويبين لهم أحوالهم/١٢كبير.

(٣) ولما بين سبحانه حال الفريقين أمر بجهاد الكفار فقال: "فإذا لقيتم" الآية/١٢فتح.

(٤) فالمشار إليه فى ذلك لا يقتضى مشاراً إليه مغايرًا لمضمون يضرب الله للناس أمثالهم، لكن لابد من ضرب مثل فى الجملة/١٢وجيز.

المشركين حيث وجدتموهم" الآية[التوبة:٥]، والأكثرون على أنها محكمة، ثم قال بعضهم التخيير بين القسمين فلا يجوز قتله، والأكثرون منهم وهو قول أكثر السلف على التخيير بين المن والمفاداة والقتل والاسترقاق، ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها وآلاتها أي: لا يبقى حرب، وهو بأن لا يبقى كافر، "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله"[الأنفال:٣٩] قيل: حتى تضع الحرب آثام أهلها بأن يتوبوا، أو شرك أهلها وقبائحهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ﴾: لانتقم، ﴿مِنْهُمْ﴾: بأن أهلكهم من غير قتال، ﴿وَلَكِنْ﴾ شرع لكم الجهاد، ﴿لِيَبْلُوَ﴾: الله تعالى، ﴿بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: فيمحص ويخلص المؤمنين بالجهاد، ويمحق الكافرين فهو من البلية، أو من الابتلاء أي: الاختبار قال تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله" الآية[آل عمران:١٤٢]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا[١]﴾: جاهدوا، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ﴾: يضيع، ﴿أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ﴾: إلى سبل السلام، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالهم فيما بقى من عمرهم، وفى الآخرة، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: بينها لهم فكل منهم يعرف مترله، وفى البخارى "والذى نفس محمد بيده إن أحدهم بمترله فى الجنة أهدى منه بمترله كان فى الدنيا" وعن بعض: طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة[*] قيل: عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا إليها، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾

---

(١) قرأ الجمهور "قاتلوا" مبينا للفاعل، وقرئ "قتلوا" مخففا ومشدداً مبيَّنًا للمفعول، وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير ألف، والمعنى على الأولى والرابعة أن المجاهدين فى سبيل الله ثواهم غير ضائع، وعلى الثانية والثالثة أن المقتولين فى سبيل الله كذلك لا يضيع الله سبحانه أجرهم/١٢فتح.

(*) ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم: "من تعلم علمًا مما يبغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني: ريحها. أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما، وانظر صحيح سنن ابن ماجه .

أي: في دينه، ﴿يَنصُرْكُمْ﴾: على عدوكم، ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: في الجهاد والطاعات، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾، مفعول مطلق وجب حذف فعله أي: تعس أو أتعسه الله تعالى تعسًا أي: أهلكه إهلاكًا، والجملة خبر الذين كفروا كأنه قال والذين كفروا أهلكهم[1] الله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ[2]﴾، عطف على ناصب تعسًا، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: القرآن، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا[3] فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ﴾: استأصل، ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي: ولمطلق الكافرين أمثال تلك العاقبة، فيه وعيد لقريش، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾: ناصر، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾: لا ناصر لهم، ولكن هو مولاهم بمعنى مالكهم[4].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ

---

(١) فهذا مجاز عن الإهلاك، ولا قول هناك ولا دعاء، ولذلك جاز أن يكون خبرًا للمبتدأ من غير حاجة إلى تقدير قول، فإن حقيقة الجملة خبرية، وإن كان لفظها دعائية إنشائية، وعلى هذا قوله "وأضل أعمالهم" جاز عطفه، وهو خبر على الإنشاء صورة/١٢وجيز.

(٢) كصدقتهم، وصلة أرحامهم/١٢.

(٣) تعجيب وتحضيض على السير والتأمل/١٢.

(٤) فلا تناقض بين تلك الآية، وقوله تعالى في الكفار: "وردوا إلى الله مولاهم الحق"[يونس: ٣٠]؛ لأن المراد من المولى في تلك الآية الناصر، وفي هذه الآية المالك/١٢منه.

فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: فى الدنيا بها، **﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾**: لا يهتمون بالحل، والحرمة، ولا بالقلة والكثرة لا شكر ولا حمد[1]، **﴿وَالنَّارُ مَثْوًى﴾**: منزل، **﴿لَهُمْ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾** أي: وكم من أهل قرية، **﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾**: مكة، أي: من أهلها، **﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾**: كانوا سبب خروجك، **﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾**: بأنواع العذاب، **﴿فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾**، معناه على المضى أي: لم يكن لهم ناصر فهو كالحال المحكية نزلت حين قال -عليه السلام- فى الغار ملتفتًا إلى مكة: "أنت أحب بلاد الله إلى الله وأَحَبُّ بلاد الله إلى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك"،

---

(١) فى آخره ولا بسملة فى أوله/١٢وجيز.

فأعدى الأعداء من عدا على الله فى حرمه، أو قتل غير قاتله(*)، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حجة، ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: كالقرآن والدلائل، ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا﴾، جمع الضمير باعتبار المعنى، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: لا حجة لهم أصلا، ﴿مَثَلُ(١) الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: وعدها، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغير طعمه ولا ريحه، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: لم يصر حامضًا ولا قارصًا، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾: طيبة الطعم والرائحة لا فيها غول، وهى تأنيث لَذٍّ، وهو اللذيذ أو مصدر وصف به للمبالغة، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى(٢)﴾: من الشمع والوسخ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضه، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، عطف على معنى من كل الثمرات، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: من شدة الحرارة، واعلم أن "مثل الجنة" مبتدأ خبره "كمن هو خالد" بتقدير فى الخبر والمبتدأ على حاله أي: كمثل جزاء من هو خالد أو فى المبتدأ، أو الخبر على حاله أي: مثل أهل الجنة كمن هو خالد وقوله "فيها أنهار" إما صلة لا بعد صلة، أو استئناف، أو مثل مبتدأ، وفيها أنهار خبره من غير احتياج بتقدير أي: صفتها هذه،

(*) ذكره ابن كثير فى "التفسير" (١٧٥/٤) من طريق ابن أبي حاتم بإسناد رجاله ثقات خلا حنش فإنه لا بأس به، وفى الصحيح ما يشهد له.

(١) ولما بين سبحانه الفرق بين الفريقين فى الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما، فقال: "مثل الجنة التى وعد المتقون" الآية/١٢فتح.

(٢) عن معاوية بن حيدة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "فى الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر لم تشقق الأنهار منها بعد" أخرجه أحمد، والترمذى وصححه، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى البعث[صحيح، انظر صحيح الجامع (٢١٢٢)]/١٢فتح.

أو مبتدأ خبره محذوف أي: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ثم أخذ يبين، وعلى هذين الوجهين كمن هو خالد خبر محذوف أي: المنفى الذى له تلك الجنة كمن هو خالد، والقرينة وعد المتقون، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: المنافقون يحضرون ويسمعون كلامه الأشرف، ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: علماء الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَ﴾: محمد، ﴿آنِفًا﴾: الساعة استهزاءً وإعلامًا بأنا ما كنا ملتفتين إليه مستمعين له، وآنفًا ظرف بمعنى أول وقت يقرب منا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: ختم عليها فلا يدخل فيها الهدى، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾: الله، أو قول الرسول، ﴿هُدًى﴾: وفقهم على تكثير الحسنات وتقليل السيئات، ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ(١)﴾: أعانهم على التقوى أو أعطاهم ثواب التقوى أو بين لهم ما يتقون، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون، ﴿إِلا السَّاعَةَ﴾ أي: لا يؤخرون الإيمان إلا لانتظار(٢) القيامة، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾، بدل اشتمال من الساعة، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كالعلة كأنه قال لا ينتظرون إلا إتيانها بغتة؛ لأنه قد جاء أشراطها، وبعد مجيء الأشراط لابد من وقوع الساعة، ومن أشراطها مبعث رسول الله –صلى الله عليه وسلم﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾: فمن أين لهم التذكر والاتعاظ إذا جاءتهم الساعة؟ يعني حينئذ لا تنفعهم، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾ أي: إذا علمت حال الفريقين فاثبت على التوحيد، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، ذكره

---

(١) ولما ذكر حال المنافقين، والكلام فى شأنهم وقوله: "والذين اهتدوا" فى البين للمقابلة كما هو طور القرآن رجع إلى الكلام فى أمرهم فقال: "فهل ينظرون" الآية/١٢ وجيز.

(٢) حاصله أنهم، وإن لم يؤمنوا بالقيامة، ولم ينظروها، لكن لما كانت القيامة متحققة الوقوع وهم يؤخرون الإيمان فكأنهم ينتظرون القيامة/١٢منه.

للتوطئة والتمهيد لقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ[1]﴾، فالمقصود الاستغفار لهم، وأمره به لتستن به أمته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: متصرفكم بالنهار، ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾:

---

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس الحرانى -فى شرح دعاء ذى النون عليه السلام: إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه، كما قال تعالى:"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" الآية[البقرة:١٣٦]، بخلاف غير الأنبياء، فإنهم ليسوا بمعصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء الله، ولهذا من سب نبيًّا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هى التى بها يحصل مقصود النبوة والرسالة، فإن النبى هو المنبئ عن الله، والرسول هو الذى أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي، وليس كل نبى رسولا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا تستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين، ثم أطال الكلام إلى أن قال: وأما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل، أو بالسمع، ويتنازعون فى العصمة من الكبائر والصغائر، أو من بعضها أم هل العصمة إنما هى فى الإقرار عليها فى فعلها أم لا يجب القول بالعصمة إلا فى التبليغ فقط، وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا والكلام على هذا مبسوط فى غير هذا الموضع، والقول الذى عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف فيقع فى الكفر بهم [كذا بالأصل] إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقًا، والرد على من يقول: إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول إلى أن قال: ونصوص الكتاب والسنة فى هذا الباب كثيرة متظاهرة، والآثار فى ذلك عن الصحابة والتابعين، وعلماء المسلمين كثيرة لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف فى هذا الباب وتأويلهم تتبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلام عن مواضعه، وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع فى تكذيبهم، ويريد الإيمان بهم، وقال فى بحث: إن الاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى فى البداية والأعمال بخواتيمها، وساق الدلائل فى ذلك إلى أن قال: وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول: إن الله لا يبعث نبيًّا =

مستقركم[1] فى الليل، أو متقلبكم فى الدنيا ومثواكم فى الآخرة، أو متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم مقامكم فى الأرض أو فى القبور.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ

= إلا من كان معصومًا قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك من قال: إنه لا يبعث نبيًّا إلا من كان مؤمنًا قبل النبوة، فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصًا وإن تاب التائب منها، وهذا منشأ غلطهم، فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصًا فهو غالط غلطًا عظيمًا، فإن الذم والعقاب الذى يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منها شيء أصلا، لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم، والعقاب ما يناسب حاله، والأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون ويسابقون إليها لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب؛ بل هم معصومون من ذلك ومن أخر ذلك زمنًا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذى النون -عليه السلام- هذا هو المشهور أن إلقاءه كان بعد النبوة، وأما من قال: إن إلقاءه كان قبل النبوة، فلا يحتاج إلى هذا، والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع فى الكفر والذنوب، وإذا كان قد يكون أفضل حالاً [فى الأصل: مالا ، وما ذكرناه أقرب للمعنى] فضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله فى الفضيلة انتهى ملتقطًا/١٢.

(١) هو على العموم فى كل متقلب ومثوى أي: موضع سكوت، ولما قال: "والله يعلم متقلبكم ومثواكم" عطف عليه ما هو من المعلومات فقال: "ويقول الذين آمنوا"/١٢ وجيز.

﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا[1] لَوْلا﴾: هلا، ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: تأمرنا بالجهاد، ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: غير منسوخة[2]، ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: الأمر به، ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: من[3] كان له ضعف دين، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: عند الموت، ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: كنظر من أصابته الغشية عند الموت من رعبهم وجبنهم، ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: كان الأولى[4] هم طاعة الله، وقول معروف[5] بالإجابة، أو معناه فالويل لهم[6] من الولي، وأصله أولاه الله ما يكرهه، واللام مزيدة أي: هذا الويل لهم، ثم قال "طاعة" أي: أمرهم طاعة أو طاعة

---

(١) الظاهر أنهم الموحدون المخلصون/١٢وجيز.

(٢) وغير متشابه لا يحتمل إلا وجوب القتال/١٢وجيز.

(٣) وهذا كما قال الله: "ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم" الآية[النساء:٧٧]/١٢وجيز.

(٤) إشارة إلى أن اللام فى "لهم" بمعنى الباء/١٢.

(٥) رد حسن بالإجابة والسمع والطاعة/١٢منه، وفى الصحاح، قول العرب: أولى لك: تهديد، وتوعيد/١٢منه.

(٦) وهذا هو المحكى أيضًا عن ابن عباس/١٢.

خير لهم، ﴿فَإِذَا عَزَمَ﴾: جد، ﴿الأَمْرُ﴾: وفرض القتال، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّـــهَ﴾: في الإيمان والطاعة، ﴿لَكَانَ﴾: الصدق، ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾، وعن بعضهم إذا عزم الأمر حضر القتال فلو صدقوا الله: أخلصوا له النية لكان خيرًا لهم، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: يتوقع منكم، ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: بمعنى الإعراض أي: أعرضتم عن الدين أو رجعتم عن الجـــهاد، ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: أن تعودوا إلى أمر الجاهليـــة، أو بمعـــنى الولاية أي: تأمرتم أن تظلموا و لم تعدلوا فدخلت هل على ما يتضمنه عسى من معـــنى التوقع يعني: هم لضعف دينهم بحيث يتوقع من عرفهم ذلك منهم، ويقول لهـــم هـــل عسيتم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾: فـــلا يســـتمعون الحق ولا يهتدون، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: فيتعظون بمواعظه، ﴿أَمْ عَلَى قُلُـــوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي: أم يتدبرون لكن عليها القفل، فلا يدخل فيها الحق، وتنكـــير قلـــوب للتهويل كأنه قيل لا يقادر قدرها في القسوة والإقفال، أو لأن المراد قلـــوب بعـــض، وإضافة الأقفال للدلالة على أقفال مناسبة لها لا تجانس الأقفال المعـــهودة، وقيـــل: أم منقطعة والهمزة للتقرير، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾: رجعوا إلى كفرهم وهم المنافقون، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾: بالمعجزات، أو هم كفار أهل الكتـــاب كفروا بمحمد -عليه الصلاة والسلام- بعد ما عرفوه من كتابهم، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾: زين وسهل، ﴿لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾: مد لهم في الآمال، أو أمهلهم الله تعالى، وقـــراءة أملي على فعل المتكلم يدل على الثاني أي: وأنا أمهلهم ولا أعجلهم بالعقوبة، ﴿ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ﴾: المنافقين، ﴿قَالُوا﴾: سرًّا، ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾، هم المشـركون، أو كفار أهل الكتاب، أو قال كفار أهل الكتاب للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْـــضِ الأَمْرِ﴾: بعض أموركم في عداوة الإسلام، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: أفشا الله تعـــالى أسرارهم وأفضحهم، ﴿فَكَيْفَ﴾: يعملون[1]، ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَـــةُ يَضْرِبُـــونَ

---

(١) ويحتالون حينئذ/١٢.

﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: ليستخرجوا أرواحهم بالقهر، ﴿ذَلِكَ﴾: التوفى بـــالموصوف ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ[1] اللَّهَ﴾: من الكفر وعـــداوة الإســلام، ﴿وَكَرِهُــوا[2] رِضْوَانَهُ﴾: ما يرضاه، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: حسناتهم التي عملوا.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) فوجهوا وجوههم إليه فضربوا وجوههم/١٢وجيز.

(٢) فتولوا عنه فضربوا أدبارهم ففى ذلك مقابلة أمرين بأمرين/١٢وجيز.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: نفاق، ﴿أَنْ لَن يُخْرِجَ اللَّهُ﴾: يبرز ويظهر، ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾: أحقادهم، وأم منقطعة، والهمزة للإنكار، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: عرّفناهم بأشخاصهم، ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: بأن جعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها، لكن لم يفعل سترًا منه على خلقه، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ما خفى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد نزول هذه الآية أحد من المنافقين يعرفهم بسيماهم، فكأنه -رضى الله عنه- حمله على أنه وعد بالوقوع دال على الامتناع فيما سلف، ولام الجواب كررت فى المعطوف، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ هو إزالة الكلام عن جهته[1] إلى تورية فكان بعد ذلك ما تكلم منافق عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا استدل بفحوى كلامه على فساد باطنه، وهو جواب قسم محذوف، والواو لعطف[2] القسمية على الشرطية، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نعاملكم معاملة المختبر بالتكاليف، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾: نرى ونميز، ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾: على مشاقها، ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾: نعلم أو نُظهر أحوالكم وأعمالكم أو نختبر أخباركم عن الإيمان أنه عن صدق القلب أو عن اللسان وحده، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خاصموه، ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: من المضرة إنما يضرون أنفسهم، ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾: ثواب حسناتهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾: بالردة، والنفاق أو بالرياء والمن والأذى أو بالكبائر،

---

(١) مثل قولهم: راعنا/١٢وجيز.

(٢) والواو لعطف القسمية على الشرطية، وقال فى الوجيز: ولام فلعرفتهم قسمية بقرينة عطف قوله: "ولتعرفنهم فى لحن القول" عليه فإن المضارع سيما مع نون التأكيد ينافى أن يكون جواب لو، وهذه الطريقة التى اخترناها فى بيان تلك الآية كأنها ضالة الحكيم، وفوق كل ذى علم عليم/١٢وجيز.

وعن أبي العالية : كنا معاشر الصحابة نرى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت "ولا تبطلوا أعمالكم"، فخفنا أن يبطل الذنب العمل، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قريب منه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، دل بمفهومه على أنه قد يغفر الذنوب لمن لم يمت على الكفر، ﴿فَلا تَهِنُوا﴾: تضعفوا، ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: ولا تدعوهم إلى الصلح حال كونكم الأغلبين، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: بالنصر، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ[1] أَعْمَالَكُمْ﴾، منصوب بنزع الخافض أي: لن يفردكم الله منها بأن يضيع، أو بالمفعول لتضمين معنى السلب، ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: لا أصل لها ولا ثبات، ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: ثواب أعمالكم، ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ﴾: ربكم، ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: شيئًا منها، فإنه غني عنها، والأمر بالصدقات لنفعكم ما أريد منهم من رزق، أو جميع أموالكم، بل يسأل شيئًا يسيرًا منها، ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: يطلب منكم جميعه[2]، ﴿تَبْخَلُوا﴾: فلا تعطوا، ﴿وَيُخْرِجْ﴾: الله، ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾: عداوتكم على من يطلب منكم، ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ﴾، مبتدأ وخبر أي: أنتم هؤلاء الموصوفون وحينئذ قوله: ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا﴾، استئناف مقرر لذلك، أو هؤلاء موصول، وتدعون صلته، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طرق الخير، ﴿فَمِنكُمْ مَّن يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾: ضرر البخل راجع إليها، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِي وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾: فلا يأمركم إلا بما يسد احتياجكم، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾، عطف على وإن تؤمنوا، ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يقم مقامكم قومًا آخرين، ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا

---

(١) من الوتر وهو الفرد، وقد ورد في الحديث "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"[أخرجه مسلم وغيره]/١٢وجيز.

(٢) مِنْ أحفى شاربه: استأصل/١٢وجيز.

﴿أَمْثَالَكُمْ[1]﴾: فى التولي؛ بل سامعين طائعين، وفى الحديث "من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب عليه السلام يده على كتف سلمان، ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس"[*] وعن الحسن: هم العجم، وعن عكرمة: فارس والروم.

ولله الحمد والمنة.

---

(١) وقوله: "ثم لا يكونوا أمثالكم" فيه مسألة نحوية يتبين منها فوائد عزيزة، وهى أن النحاة قالوا: يجوز فى المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع جميعًا قال الله تعالى هاهنا "وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" بالجزم، وقال فى موضع آخر، "وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون"[آل عمران:١١١] بالرفع بإثبات النون وهو مع الجواز ففيه تدقيق، وهو أن هاهنا لا يكون متعلقًا بالتولى لأنهم إن لم يتولوا يكونون ممن يأتى بهم الله على الطاعة، وإن تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين، وكون من يأتى بهم مطيعين وأما هناك سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون، فلن يكن للتعليق هناك وجه، فرفع بالابتداء، وهاهنا جزم للتعليق/١٢كبير.

(*) "صحيح" أخرجه الترمذى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الدلائل وغيرهم، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٥٩٩).

سورة الفتح مدنية

وهى تسع وعشرون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح: صلح الحديبية[1]، وما فتح الله تعالى على باطنه

---

(١) وعن الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين، فسمعوا كلامهم وتمكن الإسلام فى قلوبهم، ومن هنا استقبل فتح خيبر لم يفتحها إلا =

الأشرف، وروى محيي السنة أنه لما نزل قال عمر -رضي الله عنه- أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم، والذى نفسى بيده"(*) وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة فيه بيعة الرضوان، وظهور الإسلام، وانتشار العلم، وهو سبب لفتح مكة نزلت فى طريق الرجوع إلى المدينة، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾: لما كان ذلك الفتح متضمنًا لأمور عظيمة القدر عند الله تعالى كان سببًا للغفران، فجمع له عز الدارين، ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: من يجوز الصغائر على الأنبياء فمعناه ظاهر، وإلا فجميع ما فرط منك، ويفرط وسماه ذنبًا تغليظًا، وعن بعض ما تقدم فى الجاهلية، وما تأخر مما لم يعمله كما تقول مبالغة: ضرب من لقيه و لم يلقه، وعن بعض ما تقدم أي: ذنوب أبويك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك، ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: يثبتك عليه، أو فى تبليغ الرسالة، ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾: فيه عز، ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة والوقار، ﴿فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية، واطمأنت قلوبهم بالصلح فانقادوا لله تعالى، ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾: يقينًا مع يقينهم، وإيمانًا بما أمر النبى -عليه السلام- ورآه من المصلحة مقرونًا مع إيمانهم بالله ورسوله، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: هو المدبر والمتصرف فيهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فما أمر رسوله من الصلح لمصلحة وحكمة، ﴿لِيُدْخِلَ[1] الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

= أهل الحديبية لم يشاركهم أحد من المخلفين عنها، وهو خير الدنيا والآخرة فيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم وهو سبب فتح مكة/١٢ وجيز.

(*) أخرجه أحمد (٣/٤٢٠) وغيره.

(١) قوله: "ليدخل" اللام متعلق بما دل عليه الكلام، فإنه لما قال: "ولله جنود السموات والأرض" كان فيه دليل على أنه يبتلى بتلك الجنود من شاء، فإن الجند لا يكون إلا لنصرة الموافقين على المخالفين، فكأنه قال ابتلى "ليدخل المؤمنين والمؤمنات" الآية/١٢ وجيز.

﴿الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، فى الصحيحين "لما نزل "ليغفر لك الله" إلخ قالوا: هنيئًا مريئًا بين الله تعالى ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فترلت إلى قوله تعالى: "فوزًا عظيمًا" فعلى هذا الظاهر أنه أيضًا علة "لإنا فتحنا"، أو لجميع ما ذكر، وقيل: لما دل عليه "ولله جنود السموات والأرض" من معنى التدبير أي: دبر ما دبر وسكن قلوبهم ليعرفوا نعمه ويشكروها، فيدخلوا الجنة، ويعذب المنافقين والكافرين لما غاظهم من ذلك وكرهوا، **﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**، و"عند" حال من الفوز مقدم، **﴿وَيُعَذِّبَ﴾**، عطف على يدخل، **﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ**[1] **السَّوْءِ﴾**: يظنون أن لن ينصر الموحدين أي: ظن

---

(١) قال الإمام المقريزى فى كتاب "تجريد التوحيد" بعد ذكر إساءة ظن المشركين برب العالمين قال: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال تعالى: "الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا" وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: "أئفكًا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين"[الصافات:٨٦-٨٧] أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظننتم أنه يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون بابًا للحوائج إليه ونحو ذلك، وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده؛ بل ذلك ممتنع فى العقول، والفطر.

واعلم أن الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح فى نفسه كما قررناه لاسيما إذا كان المجعول له ذلك عبدًا للملك العظيم الرحيم القريب المجيب مملوكا له كما قال تعالى: "ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء

=

الشيء السوء، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي: عليهم خاصة ما يظنونه بالمؤمنين يحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها، والإضافة بمعنى من، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنم، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا[1]﴾: فلا أحد يمنعه من الانتقام الذى فيه الحكَم، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾: على أمتك فى القيامة، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا[2]﴾: للكافرين، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، الضمير للأمة على أن جعل خطابه فى "إنا أرسلناك" مترلا مترلة خطابهم، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تعظموه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تجلوه، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾: تترهوه غدوة وعشيًّا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ[3]﴾: فى الحديبية، وهى بيعة

= فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافوهم كخيفتكم أنفسكم" أي: إذا كان أحدهم يأنف أن يكون مملوكه شريكه فى رزقه، فيكف تجعلون لى من عبيدى شريك فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التى لا تنبغى لغيري، ولا تصلح لسوائى فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدري، ولا عظمنى حق تعظيمى إلى أن قال: واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال، والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء، والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره انتهى مختصرًا، ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ظن السوء وأصناف المسيئين الظن بالله فليرجع إلى كتاب الإمام شمس الدين ابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد فى فضل غزوة أحد تحت قوله تعالى: "وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية"[آل عمران:١٥٤] وقد مر بعض ذلك فى سورة الأحزاب تحت قوله: "وتظنون بالله الظنونا"[الأحزاب:١٠] فتذكر/١٢.

(١) ولما قال: "إنا فتحنا لك" وبين أمة الإجابة ومدحهم، وأمة الدعوة وذمهم ذكر إرساله إلى الجميع فقال: "إنا أرسلناك شاهدًا" الآية/١٢وجيز.

(٢) هذه الأحوال الثلاثة مقدر كما لا يخفى/١٢منه.

(٣) أرسل -عليه الصلاة والسلام- عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنهم جاءوا معتمرين لا محاربين، فأرادوا قتل عثمان فبايع رسول الله -صلى الله عليه =

الرضوان، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، نحو "من يطع الرسول فقد أطاع[1] الله"[النساء:٨٠] ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ[2]﴾ استئناف مؤكد له على سبيل التخييل يعني: يد رسوله يده، وعن بعض: نعمة الله تعالى عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة، أو كناية عن أن كمال القدرة والقوة لله تعالى فيكون مقدمة لقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض العهد، ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: عليه وباله، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ[3] اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن

= وسلم- المؤمنون على الصبر إلى أقصى الجهد، ولذلك قالوا: بايعنا على الموت/١٢ وجيز.

(١) يعني: إن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما/١٢منه.

(٢) الأصوب عدم التأويل بأن يقال إنه تمثيل فلله سبحانه يد لائقة لذاته الأقدس/١٢وجيز.

(٣) وقراءة "عليه" [لأن تفخيم لفظ الجلالة يرتبط بالعهد، فيوقع في نفوسهم الخوف والرحبة من نقض ذلك العهد] بضم الهاء ليبقى تفخيم لفظ الله على حاله/١٢وجيز.

تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ❁﴾

﴿**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ**﴾: الذين وعدوا أن يرافقوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة عام الحديبية فتثاقلوا وأخلفوا الوعد، ﴿**شَغَلَتْنَا**﴾: عن الوفاء بالوعد، ﴿**أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا**﴾: إذ ليس لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا، ﴿**فَاسْتَغْفِرْ لَنَا**﴾: على التخلف، ﴿**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾: تكذيب لهم من الله تعالى، ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا**﴾ أي: لا أحد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذرًا، فلا ذاك يدفع الضر إن أرادوه، ولا ملاقاة العدو تمنع النفع إن أراد بكم نفعًا، واللام في لكم للبيان أو للصلة، ﴿**بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾: فيعلم قصدكم في التخلف، ﴿**بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا**﴾: قالوا: هم أكلة رأس لقريش[1]، فهم يستأصلونهم، ﴿**وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ**﴾ أي: إنهم أكلة رأس، ﴿**وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا**[2]﴾: هالكين عند الله تعالى أو فاسدين لسوء العقيدة، ﴿**وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ**﴾ أي: لهم، ﴿**سَعِيرًا**﴾،

---

(١) أي: هم قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع آكل/١٢منه.

(٢) الظاهر أنه مصدر كالهلك قيل: جمع بائر، كحائل وحول/١٢وجيز.

التنكير للتهويل، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: له الاختيار المطلق فى الأشياء، ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: لا يجب عليه شيء، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيمًا﴾: لمن تاب وآمن فالغفران من دأبه، ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾: المذكورون، ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ أي: غنائم خيبر، ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ[1]﴾: إلى خيبر، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾: فإن الله تعالى وعد أهل الحديبية أن ييسر لهم الخيبر، ويعوضهم من مكة مغانم خيبر لا شريك لهم فيها، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾: فى خيبر، نفى بمعنى النهي، ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن تسألوا الخروج معهم، فإنه حكم بأن تكون غنيمته لأهل الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: فى أن نصيب الغنائم، وليس أمرًا من الله تعالى، ﴿بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا﴾: إلا فهمًا قليلا، وهو فهمهم لبعض أمر دنياهم، ردٌّ من الله تعالى لهم، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ[2] مِنَ الأَعْرَابِ﴾، كرر تسميتهم بهذا الاسم للشناعة[3]، ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: هوازن وثقيف، وذلك فى عهد النبى -صلى الله عليه وسلم- أو بنى حنيفة وأصحاب مسيلمة، وذلك فى خلافة أبى بكر -رضى الله عنه- أو أهل فارس، وذلك فى خلافة عمر -رضى الله عنه- ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام جملة مستأنفة للتعليل والأصح أن لا تقبل الجزية من

---

(١) وأصل القصة أنه لما انصرف النبى -صلى الله عليه وسلم- ومَن معه مِن المسلمين إلى الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست أقام بالمدينة بقية وأوائل المحرم من سنة سبع، وعدهم الله فتح خيبر وخص لغنائمها من شهد الحديبية، فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون: ذرونا نتبعكم/١٢فتح.

(٢) ولما بين أنهم مطرودون لتخلفهم وقع فى النفوس أن طردهم هل هو أبدى، فقال: "قل للمخلفين" الآيه/١٢وجيز.

(٣) ينادى بجهلهم "الأعراب أشد كفرًا" [التوبة:٩٧]الآية/١٢وجيز.

المشركين، وقيل الإسلام الانقياد، فيشمل الجزية، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: عام الحديبية، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ[1] وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا[2] أَلِيمًا﴾.

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن

---

(١) وإن وجد المركب لقصوره فى التردد، والسفر/١٢وجيز.

(٢) ولما وعد المطيع، وأوعد العاصى أعقب بيان ما للمطيع، فقال:"لقد رضى الله" الآية/١٢وجيز.

يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ[1]﴾، وهم ألف وأربعمائة على الأصح، **﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾**: بالحديبية على أن يكونوا متفقين على قتال قريش، فإنهم هَمُّوا قتل عثمان -رضى الله عنه- وهو رسولُ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم **﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾**، أي: سمرة[2] **﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾**: من الإخلاص، **﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾**: الطمأنينة، **﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ﴾**: جازاهم، **﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾**، هو الصلح، وما هو سبب له من فتح خيبر ومكة ثم فتح سائر البلاد، **﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾**: عقار خيبر وأموالها، **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾**: غالبًا، **﴿حَكِيمًا﴾**: مراعيًا للحكمة، **﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾**، هى الفتوح إلى يوم القيامة **﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ**

---

(١) وكفاهم فخرًا/١٢وجيز.

(٢) وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشًا، ولا يفروا وروى أنه بايعهم على الموت والسمرة من شجر الطلح، وجمهور المفسرين على أنه المراد بالطلح فى القرآن الموز، وفى الصحيح عن ابن عمر أن الشجرة أخفيت، والحكمة فى ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضر كما نشاهد الآن فيما دونها، ولذلك أشار ابن عمر بقوله: كان خفائها رحمة من الله كذا فى الفتح، وشرح المواهب وعن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناسًا يأتون الشجرة التى بويع تحتها، فأمر بها فقطعت، أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف/١٢فتح البيان فى مقاصد القرآن.

﴿هَذِهِ﴾: غنيمة خيبر، أو صلح الحديبية، ﴿وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾، هم لما خرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة، فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، أو المراد أيدي قريش، لأجل صلح حديبية، ﴿وَلِتَكُونَ﴾: هذه الكفة وسلامة عيالكم والغنيمة المعجلة، ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: على صدقك، عطف على محذوف أي: لتكون سببًا للشكر، ولتكون آية، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: التوكل وتفويض الأمور إليه، ﴿وَأُخْرَى﴾، عطف على هذه، وهي مكة أو فارس والروم، أو خيبر، وهذا على قول من فسر "عجل لكم هذه" بصلح حديبية، ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: لشوكتهم، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: استولى، ففتحها لكم، وجاز أن يكون أخرى مبتدأ، و لم تقدروا صفتها، وقد أحاط خبرها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة عام الحديبية، ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ﴾: لانهزموا، ﴿ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾: يحرسهم وينصرهم، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سن الله تعالى سنة الأنبياء المتقدمين أن عاقبة أعدائهم الخزي والهزيمة، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: كفار مكة، ﴿عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ[١] عَلَيْهِمْ﴾: مَنَّ الله تعالى بصلح الحديبية، وحفظ المسلمين عن أيدي الكافرين، وعن القتال بمكة، وهتك حرمة مسجد الحرام، وأما ظفرهم على المشركين فهو أن سبعين أو ثمانين[٢] أو ثلاثين رجلا متسلحين هبطوا من جبل التنعيم يريدون غرة النبي -عليه الصلاة والسلام- فدعا عليهم فأخذوا، وعفا

(١) وأما ما قيل المراد به فتح مكة، فهو ضعيف فإن السورة مدنية نزلت قبل الفتح، والحمل على أن الماضي أعني "كف" إلى آخره للتحقق، وهو بمعنى المضارع، فيكون وعدًا من الله، فبعيد جدًا/١٢وجيز.

(٢) كما في مسلم والنسائي وغيرهما/١٢وجيز.

عنهم[1] فأطلقوا، وأما ما ذكر أن ابن أبي جهل خرج فى عسكر يوم الحديبية، فبعث خالد بن الوليد، فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة، ففيه شيء، وكيف لا وخالد بن الوليد لم يكن أسلم!؛ بل كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت فى صحيح البخارى وغيره، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: فيجازيكم، ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ﴾: منعوكم عن الزيارة ومنعوا الهدى، وهى سبعون بدنة ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوسًا، ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾: مكانه[2] الذى يحل فيه نحره، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ أي: المستضعفون بمكة، ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم لاختلاطهم بالمشركين، ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾: أن توقعوا بهم وتقتلوهم فى أثناء القتال بدل اشتمال من رجال ونساء، أو من مفعول لم تعلموهم، ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾: مكروه كوجوب الدية، والتأسف عليهم، وتعيير الكفار بأنهم قتلوا أهل دينهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: تطئوهم غير عالمين بهم، وجواب لولا محذوف، والمعنى: لولا مؤمنون لم تعلموا وطأهم وإهلاكهم وأنتم غير عالمين بإيمانهم، لما كف أيديكم عنهم، والفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف ولا يقاس، أو معناه معرة حاصلة من غير سبق علم وتوجه ذهن، ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: تأخر العقوبة، وكف أيديكم عنهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم، ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قيل: هذا جواب لولا، و"لو

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائى والترمذي، وغيرهم/١٢ فتح.

(٢) قال ابن عباس: نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها ورخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذى وصلوا عليه، وهو الحديبية محلا للنحر، فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدى المحصر هو الحرم/١٢فتح.

تزيلوا" كالتكرير لـ"لولا رجال"؛ لأن مرجعهما واحد، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظرف لعذبنا، أو صدوكم، ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة، ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ[1]﴾: التي تمنع قبول الحق، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: وقاره، ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: حتى صالحوهم، فلم يدخلهم ما دخلهم من الحمية، فيعصوا الله تعالى فى قتالهم، فإنه قد هم المؤمنون أن يأبوا كلام رسول الله فى الصلح، ودخلوا من ذلك فى أمر عظيم كادوا أن يُهلَكوا، ويدخل الشك فى قلوب بعضهم[2] حتى إنه قال -عليه السلام- ثلاث مرات: قوموا وانحروا، ثم احلقوا، وما قام منهم رجل ثم أنزل الله تعالى السكينة عليهم فاطمأنوا، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى[3]﴾: اختار كلمة الشهادة[4] لهم، أو بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه لما أمر -عليه الصلاة والسلام- عليًّا -رضى الله عنه- أن يكتب فى كتاب الصلح "بسم الله الرحمن الرحيم" قالوا: لا نعرف هذا اكتب باسمك

---

(١) قال مقاتل بن سليمان: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا، ويدخلون علينا فى منازلنا، فتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفسنا، واللات والعزى لا يدخلوها علينا، فهذه الحمية هى حمية الجاهلية التى دخلت فى قلوبهم/١٢.

(٢) قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم: ألست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت؟ نطوف به؟ قال: بلى، لكن هل أخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قالوا: لا، قال: فإنكم تأتونه، وتطوفون به، والحاصل أنه -عليه السلام- وعدهم دخول مكة، وتوجه فحسبوا لو منعوا هذه المرة من الدخول يكون فيه خلف وعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما منعوا دخل الشك فى قلوب بعض فأزاح الله بفضله الشك عنهم، وتفضل عليهم/١٢منه.

(٣) المراد من كلمة التقوى الشهادة صرح بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما رواه الترمذي، وغيره[صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود (٢٦٠٣)]/١٢ منه.

(٤) فهو إلزام تشريف وإكرام/١٢فتح.

اللهم، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: من غيرهم، ﴿وَأَهْلَهَا﴾: وكانوا أهلها فى علم الله تعالى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ أي: فى رؤياه، فهو من نزع الخافض، وذلك أنه -عليه الصلاة والسلام- رأى فى المنام قبل الحديبية أنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين غير خائفين، فأخبر أصحابه ففرحوا فلما صدوا عن البيت شق ذلك عليهم فنزلت، ﴿بِالْحَقِّ﴾، حال من الرؤيا أي: متلبسة بالحق، فإنها كائنة لا محالة، وتحقيقها فى العام المقبل، ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾، جواب قسم محذوف، ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، الاستثناء، لأجل تعليم العباد لا للشك، ﴿آمِنِينَ﴾، حال، والشرط معترض، ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ[1]﴾ أي: محلقًا بعضكم،

---

(١) والحلق والتقصير خاص بالرجال، والحلق أفضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح فى استغفاره -صلى الله عليه وسلم- للمحلقين فى المرة الأولى، =

ومقصرًا آخرون حال مقدرة لأن الدخول ما كان فى حال الحلق، **﴿لا تَخَافُونَ﴾**، حال مؤكدة، **﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾**: من الحكم والمصالح، **﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ﴾** أي: من دون دخولكم المسجد، **﴿فَتْحًا قَرِيبًا[1]﴾** هو الصلح الحديبية على الأصح كما ذكرنا فى أول السورة، أو هو فتح خيبر، **﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾**: متلبسًا بالعلم النافع، **﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾**: ليعليه، **﴿عَلَى الدِّينِ﴾**: على جنسه، **﴿كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**: إنك مرسل بالحق، أو إن ما وعده كائن، **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾**، جملة تامة مبينة للمشهود به، أو تقديره هو محمد، ويكون قوله: **﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾**: الصحابة، **﴿أَشِدَّاءُ[2] عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**، جملة معطوفة على جملة، أو محمد مبتدأ، أو رسول الله عطف بيان، والذين معه عطف على محمد، و"أشداء" إلخ خبرهما، أي: يغلظون على المخالفين يتراحمون فيما بينهم، **﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** أي: علامتهم فى وجوههم، و"من أثر" إما حال من ضمير فى الخير، أو بيان

= والثانية، والقائل يقول له: وللمقصرين، فقال فى الثالثة: "وللمقصرين" وقد ورد فى الدعاء للمحلقين، والمقصرين فى البخارى ومسلم وغيرهما منها أحاديث ما قدمنا الإشارة إليه، وهو من حديث ابن عمر، وفيهما من حديث أبى هريرة أيضًا/١٢فتح.

(١) ولما أخبر بهذه الأمور الجليلة الدالة على إحاطة علمه وشرف رسوله، فقال: "هو الذى أرسل رسوله" الآية/١٢وجيز.

(٢) قال الحسن: بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم وتمسها، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وتلزق بها، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنًا إلا صافحه وعانقه، ومن حق المسلم فى كل زمان أن يراعوا هذا التذليل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم، ويعاشروا إخوانهم المؤمنين فى الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والاحتمال عنهم/١٢فتح.

لسيما أي: يوم القيامة يكونون منورى الوجوه، أو المراد خشوعهم وتواضعهم، أو صفاؤهم أو صفرة اللون من السهر أو أثر التراب على الجباه فإنهم كانوا يسجدون على الأرض من غير حائل، ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ﴾ أي: صفتهم العجيبة فى الكتابين، ﴿كَزَرْعٍ﴾ أي: هم كزرع أو "مثلهم فى الإنجيل" مبتدأ وهو خبره[1] أو ذلك إشارة مبهمة، وهو تفسيرها، ﴿أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾: فِراخه، ﴿فَآزَرَهُ﴾: قواه، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾: صار من الدقة إلى الغلظ، أو المراد المبالغة فى الغلظ كما فى استعصم، ونظائره، ﴿فَاسْتَوَى﴾: فاستقام، ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾: على قصبه، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ[2]﴾: لحسن منظره، وعن قتادة: مثل أصحابه فى الإنجيل أنهم يكونون قليلا، ثم يزدادون، وعن بعض: إن أصل الزرع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والشطء الصحابة -رضى الله عنهم- ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، علة للتشبيه، أو تقديره قواهم ليغيظ، وقيل: علة لقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ أي: مِن الصحابة، ومن للبيان، ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

والحمد لله رب العالمين.

(١) عطف جملة على جملة/١٢.

(٢) الذين يعرفون حال الزرع، فكيف من لم يعرف حال الزرع!/١٢وجيز.

سورة الحجرات مدنية

وهی ثمانی عشر آیة وفیها رکوعان

بسم الله الرحمن الرحیم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ (٦) وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾

﴿يَاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لا تتقدموا بين يدى أمرهما ونهيهما، ولا تقطعوا أمرًا قبل حكمهما به؛ بل كونوا تابعين لأمر الله تعالى، ورسوله، يقال: تقدم بين يدى أمه وأبيه أي: عجل بالأمر والنهى دونهما، فهو لازم، وقراءة "لا تقدموا" بفتح التاء يؤيده، أو المفعول محذوف أي: أمرًا عن ابن عباس – رضى الله عنهما– لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى التقدم، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم، ﴿يَاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾: لا تجاوزوا أصواتكم عن صوته، ﴿وَلا تَجْهَرُوا[١] لَهُ بِالْقَوْلِ﴾: جهرًا، ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، بل اجعلوا أصواتكم معه أخفض من أصوات بعضكم من بعض، أو لا تخاطبوه باسمه وكنيته، بل خاطبوه بالنبى والرسول، كقوله " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا"[النور:٦٣] نزلت فى أبى بكر وعمر –رضى الله عنهما– حين تماريا فى محضر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى ارتفعت أصواتهما، فكان أبو بكر وعمر بعد ذلك يُسرَّانه(*)، ﴿أَنْ تَحْبَطَ[٢]﴾

---

(١) لم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة –وتأبه الرجل أي: تكبر/١٢صراح– النبوة وجلال مقدارها/١٢منه.

(*) أخرجه البخارى وغيره.

(٢) فقوله: "أن تحبط" مفعول له لئلا تجهروا بتقدير مضاف، والفعل المنهى معلل، وجاز أن يكون بعض المعاصى محبطًا للطاعات،وأما عند المعتزلة، فجميع الكبائر محبط كالكفر، والعلماء صرحوا بكراهة رفع الصوت عند قبره الأطهر/١٢وجيز.

وفى المنهية يعنى العلة الباعثة فى عدم الجهر كراهة الحبطة أو خشيتها، وقيل: معناه الجهر الذى غايته الحبطة لا يصدر عنكم فعلى هذا الفعل المعلل منهي، وعلى ما فى الكتب الفعل المنهى معلل/١٢.

أي: كراهة أو خشية أن تحبط، ﴿أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾: بحبطها، وفى الصحيح "إن الرجل ليتكم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يكتب له بها فى النار أبعد ما بين السماء والأرض"(*) وقد مر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ﴾: يخفضون، ﴿أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾: أخلصها، فلم يبق لغير التقوى فيها حق يقال: امتحن الذهب إذا أذابه وأخرج خبثه، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن لأجل حصول التقوى، أو كناية عن صبرهم، وثباتهم على التقوى التى جرَّبها ومرنها عليها، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: عظيمة، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، الجملة خبر ثان لإن أو استئناف، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ(١)﴾ أي: من جهة وراء حجرات نسائه، ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(٢)﴾ إذ العقل يقتضى الأدب سيما مع مثله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾: لو ثبت صبرهم، ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾: الصبر، ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾: من الاستعجال، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، حيث يقتصر على النصح لمسيء الأدب، ولو تاب ليغفره نزلت فى وفد بنى تميم أتوا وقت الظهيرة، ونادوا على الباب حتى استيقظوه، وقالوا: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين(**)، أو

(*) أخرجه البخارى وغيره من حديث أبى هريرة مرفوعًا.

(١) أنكر عليهم أنهم نادوه من البر، والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة/١٢منه.

(٢) وفيه دليل أن فيهم عقلاء قال صاحب البحر: ونعم ما قال كلام من قال القلة تقع موقع النفى فى كلامهم، فيمكن أن يكون القصد نفى أن يكون فيهم من يعقل نحو "قليل من عبادى الشكور"[سبأ:١٣] ليس بشيء فإن الحكم بقلة العقلاء مفهوم الآية لا منطوقها، والنفى المحض إما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم، فلا يحتمل قوله: "ولكن أكثر الناس لا يشكرون"[البقرة:٢٤٣] على النفى المحض للشكر/١٢وجيز.

(**) أخرجه بنحوه الترمذى عن البراء بن عازب مرفوعًا، وانظر صحيح سننه (٢٦٠٥).

فی وفد بنی العنبر حین سبیت ذراریهم، وأتی بهم فجاء رجـــالهم یفـــدون الـــذراري، وقدموا وقت الظهیرة، فجعلوا یصیحون، وینادون: یا محمد اخرج إلینا حتی أیقظـــوه، ﴿یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جَاءکُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَیَّنُوا﴾: تفحصوا صدقـــــه، وقـــراءة "فتثبتوا" معناه توقفوا إلی أن یتبین الأمر ﴿أَنْ تُصِیبُـــــوا﴾ أي: کراهـــة إصـــابتکم، ﴿قَوْمًا﴾: بـُرآء، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: جاهلین بحالهم، ﴿فَتُصْبِحُوا[1] عَلَی مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِینَ﴾، نزلت فی الولید بن عقبة بعث إلی بنی المصطلق لأخذ زکاتهم، فرجع من الطریق لخـوف منهم للعداوة التی بینه وبینهم فی الجاهلیة، وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتلي، فقصد رسول الله -صلی الله علیه وسلم- أن یغزوهم فجاء وفد منهم وکذبوه[*]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِیکُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ یُطِیعُکُمْ فِی کَثِیرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ[2]﴾ أي: واعلمـــــوا أن فیکم لا فی غیرکم رسول الله -صلی الله علیه وسلم- علی حال لو أطاعکم فی کثـــیر من آرائکم لوقعتم فی جهد ومصیبة نزلهم مترلة من لا یعلم أنه بین أظهرهم، وجملة "لو یطیعکم" حال إما من الضمیر المستتر، أو البارز فی "فیکم" ﴿وَلَکِنَّ اللَّهَ حَبَّـــبَ[3] إِلَیْکُمُ الْإِیمَانَ وَزَیَّنَهُ فِی قُلُوبِکُمْ وَکَرَّهَ إِلَیْکُمُ الْکُفْرَ وَالْفُسُوقَ[4] وَالْعِصْیَانَ[5]﴾،

---

(۱) أي: تصیروا اعتبر بالإصباح، لأن أشنع الذم ما استقبل فی الصباح/۱۲وجیز.

(*) ذکره الهیثمی فی "المجمع" (۷/۱۰۸-۱۰۹) وقال: "رواه أحمد والطبرانی، ورجال أحمـد ثقات".وجوّد إسناده السیوطی کما فی الدر المنثور (۹۱/٦).

(۲) عن أبي سعید الخدری أنه قرأ هذه الآیة، وقال: هذا نبیکم یوحی إلیه، وخیار أئمتکم لو أطاعهم فی کثیر من الأمر لعنتوا، فکیف بکم الیوم؟! أخرجه الترمذي: وقال حدیـــث حسن صحیح غریب[صحیح الإسناد، انظر صحیح سنن الترمذی (۲٦۰۷)]/۱۲فتح.

(۳) کما تقول زید لو یطیعك لما کان عالمًا؛ لکن هو رجل ذو لب علیم، فعلی هذا قولـــه ولکن استدراك وقع موقعه/۱۲وجیز ومنه.

(٤) الکبائر/۱۲وجیز.

(٥) الصغائر/۱۲وجیز.

ولذلك تطيعونه أنتم لا هو يطيعكم، فلا تُوقعون فى عنت، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، وعن بعض المفسرين: إن قوله "ولكن الله" استثناء لقوم آخرين صفتهم غير صفتهم، كأنه قال فيكم الرسول على حال يجّب تغييرها، وهى إرادتكم أن يتبعكم، ولو فعل لعنتم، ولكن بعضهم الموصوفين بأن الله تعالى زين الإيمان فى قلوبهم لا يريدون أن يتبعهم أولئك هم الذين أصابوا طريق السوى، وعن بعضهم: إن معناه إن فيكم الرسول فعظموه، ولا تقولوا له باطلا، ثم لما قال ما دل على أنهم جاهلون بمكانه مفرطون فيما يجب من تعظيم شأنه اتجه لهم أن يسألوا ماذا فعلنا حتى نسبنا إلى التفريط، وماذا ينتج من المضرة فأجاب إنكم تريدون أن يتبعكم، ولو اتبعكم لعنتم، فعلى هذا جملة "لو يطيعكم" استئنافية، ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ نصب على أنه مفعول له لحب، أو لكره أو مفعول مطلق لهما فإن التحبيب فضل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِنْ طَائِفَتَانِ[1] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا[2]﴾: تقاتلوا، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾: بالنصح نزلت حين قال رجل من الأنصار[3]: والله لحمار رسول الله أطيب ريحًا منك، فى جواب عبدالله بن أبى حين قال لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو راكب الحمار: إليك عني، والله لقد آذانى نتن حمارك، فاستبا، فتقاتل الصحابة قوم ابن أبي، بالجريد، والنعال، أو فى الأوس، والخزرج لما بينهما من القتال بالسعف[4] أو فى رجلين من الأنصار تقاتلا بالنعال، ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾: تعدت، ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾: الطائفة التى

(١) ولما كانت النميمة ونقل الأخبار الباطلة ربما جرت فتنا أوصلة إلى القتال أعقب طريق الحكمة فى رفعه، فقال: "وإن طائفتان" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما كانت الطائفتان فى معنى القوم، والناس جمع الضمير، وقال: اقتتلوا، والقياس اقتتلتا، فهو محمول على المعنى/١٢منه.

(٣) كما رواه البخارى ومسلم وغيرهما/١٢فتح.

(٤) لا بالسيف قيل: ابن سلول أوسي، وذلك الصحابى خزرجي، فهذه هى الأولى لا أنه سبب آخر للنزول/١٢منه.

صدرت منها البغي، ﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾: ترجع، ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: حكمه، ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، قيد بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف لما أنه بعد المقابلة[1]، ﴿وَأَقْسِطُوا[2]﴾: اعدلوا في الأمور، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: من حيث الدين، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، عدل من بينهم إلى بين أخويكم للدلالة على أن المصالحة بين الجماعة أوكد وأوجب إذا لزمت بين الأقل، فبين الأكثر ألزم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) يعني الناصح المصلح لما تقاتل مع الباغي ربما أثار غضبه، فحين الإصلاح لا يراعى العدل، ويحيف على أحد الطائفتين إن قاتلها، فلهذا قيده هاهنا بالعدل دون الأول/١٢ منه.

(٢) والقسط بفتح القاف الجور، وبكسرها العدل/١٢وجيز.

لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، القوم للرجال خاصة[1]، **﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا﴾**: المسخور هم، **﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾**: من الساخرين استئناف علة للنهي، واكتفى "عسى" بالاسم عن الخبر، **﴿وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾**: عند الله، **﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾**: لا يعب بعضكم بعضًا، وإن عيب أخيه عيب نفسه، أو لأن المؤمنين كنفس واحدة، واللمز الطعن باللسان، **﴿وَلا تَنَابَزُوا[2] بِالأَلْقَابِ﴾**: لا يدعوا بعضكم بعضًا باللقب السوء والنبز مختص باللقب السوء عرفًا، **﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾** يعني: إن السخرية واللمز والتنابز فسوق، وبئس الذكر الذى هو الفسوق بعد الإيمان يعني: لا ينبغى أن يجتمعا، فإن الإيمان يأبى الفسوق، أو كان فى شتائمهم: يا يهودي، يا فاسق، لمن أسلم فنهوا عنه، وقال: بئس تشهير الناس بفسق كانوا فيه بعدما اتصفوا بضده، **﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾**: عما نهى عنه، **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ**

---

(١) كما قال زهير:

أقوم آل حصن أم نساء؟/١٢منه.

(٢) والتنابز بالألقاب عادات أهل الجاهلية، وبئس الصفة، والذكر الذى هو الفسوق بعد الإيمان يقال: طار اسمه فى الناس أي: ذكره/١٢منه.

الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾: وهو ظن السوء بأخيك المسلم، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾: فكونوا على حذر حتى لا توقعوا فيه، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، مع أنه فيه، فإن لم يكن فيه، فبهتان، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾، تمثيل لما ينال من عرضه على أفحش وجه، ﴿مَيْتًا﴾، حال من اللحم، أو الأخ، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، الفاء فصيحة[1] أي: إن عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، فهو تقرير وتحقيق للأول، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾: بليغ فى قبول التوبة، ﴿رَحِيمٌ[2]﴾، روى الإمام أحمد،والبيهقى أنه قيل: يا رسول الله فلانة وفلانة صائمتان وقد بلغتا الجهدَ، فقال: "ادعها"، فقال لإحداهما: "قيئ"، فقاءت لحمًا ودمًا عبيطًا وقيحًا، وللأخرى مثل ذلك، ثم قال عليه الصلاة والسلام إن هؤلاء[*] صامتًا عما أحل الله، وأفطرتا عما حرم الله عليهما أتت إحدهما للأخرى، فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحًا"[**] ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: آدم وحواء فأنتم متساون فى النسب، فلا تفاخروا به، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾، الشعب بالفتح رءوس القبائل، والطبقة الأولى، والقبائل تشعبت منه، ﴿وَقَبَائِلَ﴾، هى دون الشعب

---

(١) وفى هذا الفاء معنى الشرط نحو: فقد جئنا خراسانا، فلذلك قدرنا الشرط/١٢ منه.

(٢) ولما منع عن الأذى بكل وجه أعقبه بأن الكل متساوون فى النسب متشاركون فى الجد والجدة فالكل كواحد، فقال: "يا أيها الناس إنا خقلناكم" الآية/١٢.

(*) هكذا بالأصل، وعند الإمام أحمد "إن هاتين".

(**) أخرجه أحمد (٥/٤٣١) بسند فيه مجهول، وانظر الضعيفة .

كتميم من مضر، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضًا لا للتفاخر، وفى الحديث[1] "لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحاكم، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل"، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، بين الخصلة[2] التى بها فضل الإنسان غيره، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[3]﴾: ببواطنكم فى الحديث[4] "لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان" ومن ذلك ذهب من ذهب إلى أن الكفاءة فى النكاح لا يشترط سوى الدين، ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾، قيل: نزلت[5] فى قوم منافقين أظهروا الإيمان لأن يعطوا الصدقة، ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾: يعنى كذبتم[6]، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، فإن الإسلام انقياد وإظهار للتوحيد، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

---

(١) رواه الترمذي/١٢وجيز.

(٢) يعنى إن أكرمكم عند الله مستأنفة كأنه لما قال ليس التشعب والقبائل للتفاخر قيل، فبأى شيء التفاخر ومن الذى يستحق المفخرة؟ فقيل: من هو أتقى الله وأخشى له/١٢منه.

(٣) ولما أمر الله بإجلال نبيه، ونهى عن أذاه فى نفسه وأمته وأخبر بأنه خبير يعلم ما فى صدوركم فما الخلاص من سخطه إلا بالتقوى والإخلاص أعقبه بالذى ينجي، وهو التقوى، فقال: "قالت الأعراب آمنا" الآية/١٢وجيز.

(٤) فى مسند أبى بكر البزار[وأخرجه الترمذى أيضًا بنحوه، وانظر صحيح الجامع(٥٤٨٢)]/١٢منه.

(٥) ذكرنا سبب الترول بقيل مع أن البخارى ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين، لأن الأكثرين من السلف صرحوا بخلافه كما بينا فى آخر الآية/١٢منه.

(٦) عبر عن كذبتم بقوله: "لم تؤمنوا" لأنه ما أراد أن يكافحهم بنسبة الكذب وفيه تعليم وأدب حسن/١٢منه.

﴿قُلُوبِكُمْ﴾، حال من فاعل قولوا كأنه قال، لا تقولوا آمنا؛ بل قولوا حال كون قلوبكم لم يواطئ ألسنتكم أسلمنا، وزيادة ما فى لم لمعنى التوقع، فإن هؤلاء قد آمنوا بعد، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: سرًّا وعلانية، ﴿لا يَلِتْكُمْ﴾: لاينقصكم، ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾: من جزائها، ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وعن ابن عباس، والنخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير: إن هؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، لكن مسلمون ادعوا لأنفسهم أول ما دخلوا فى الإسلام مقام الإيمان الذى هو أعلى من الإسلام، و لم يتمكن الإيمان فى قلوبهم، فأدبهم الله، وأعلمهم أن ذلك مرتبة تتوقع منهم، و لم يصلوا إليها بعد، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا[1]﴾: لم يشكوا فى الرسالة، وثم للتراخى الزمانى أي: آمنوا، ثم لم تحدث ريبة كما تحدث للضعفاء بعد زمان، أو للتراخى الرتبي، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: فى ادعاء الإيمان، ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتخبرون الله به بقولكم: "آمنا"، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أي: بأن أسلموا نزلت[2] فى بنى أسد حين قالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب و لم نقاتلك، ﴿قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَى إِسْلامَكُمْ﴾ أي: بإسلامكم، فنزع الخافض، أو منصوب بتضمين الاعتداد أي: لا تعتدُّوا على إسلامكم، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فى ادعاء الإيمان أولا نفى الإيمان عنهم وأثبت الإسلام، وأنكر منتهم عليه بالإسلام، ثم قال: بل لو صح

---

(١) بتشكيك مشكك من إنس وجن/١٢وجيز.

(٢) ذكره الحافظ أبو بكر البزار[وكذا ذكره الهيثمى فى "المجمع" (١١٢/٧) وقال: "رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح"]/١٢منه.

ادعاؤهم الإيمان الذين هو أعلى من الإسلام فلله المنة عليهم بالهداية[1] له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فكيف يخفى عليه دينكم؟!.

والحمد لله والمنة.

---

(١) اعلم أن هذا التوجيه يصح إذا كان قائل آمنا والمان على رسول الله إسلامه قومًا واحدًا، وهو كذلك، فإن الشيخ أبا الفداء عماد الدين بن كثير نقل فى تفسيره عن مجاهد أن الأعراب الذين قالوا آمنا بنو أسد، وقوله: "يمنون عليك أن أسلموا" أنزل فيهم، وقد ذهب البخاري، وبعض المفسرين: إن هؤلاء الأعراب منافقون/١٢وجيز، وكذا فى المنهية.

سورة ق مكية

وهى خمس وأربعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ق﴾، مثل ص، وقد مر وقيل: من أسماء الله تعالى، أو معناه: قضى الأمر، أو مفتاح أسماء الله تعالى التى فى أوائلها "ق" كالقدير[1]، وغيره[2]، ﴿والقرآن المجيد﴾: ذى

---

(١) وقيل غير ذلك مما هو أضعف منه وأبطل، والحق أنه من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وقد روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس أثرا طويلا فى بيان جبل "ق" قال ابن كثير: لا يصح سنده عنه، وفيه أيضا انقطاع/١٢فتح.

(٢) كالقابض، والقاهر، والقدوس/١٢منه.

المجد والشرف، وجواب القسم مثل ما مر فى ص، ﴿بَلْ عَجِبُوا[1]﴾: الكافرون، ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، فإنهم قالوا: الرسول إما ملك، أو من معه ملك، أو بشر لا يحتاج إلىٰ كسب المعاش، ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وضع الظاهر موضع المضمر للشهادة على أنهم فى هذا القول مقدمون على الكفر،وهذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده، وهو قوله: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي: أنرجع حين نموت ونبلي؟! ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: عن العادة والإمكان، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ[2]﴾: ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم، ومن كان كذلك فهو قادر على رجعهم، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾: حافظ لتفاصيل كل شيء، أو محفوظ من التغيير، وهو اللوح المحفوظ، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كأنه قال، بل جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم، وهو إنكار القرآن من غير تأمل وتوقف، ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: مضطرب، فمرة قالوا: شعر ومرة: سحر، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾: حين أنكروا البعث، ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ أي: كائنة فوقهم، ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾: بالكواكب، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾: من فتوق، بل ملساء لا فتق فيها ولا خلل، ﴿وَالْأَرْضَ﴾، عطف على محل السماء، أو نصب بما أضمر عامله وتقديره، ومددنا الأرض فلينظروا إليها، ﴿مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها، ووسعناها قيل: فيه إشعار بأنها غير كُرّية، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالا ثوابت، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف، ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن، ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾، مفعول له للأفعال المذكورة كأنه قال جمعت بين ذلك تبصرة، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى ربه متفكر فى بدائعه،

---

(١) إضراب عما يتضمنه الكلام من وجوب القبول والإذعان/١٢منه.

(٢) وفى الخبر الثابت: "إن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب"[أخرجاه فى الصحيحين]، وهو عظم صغير جدا منه يركب ابن آدم/١٢وجيز.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّات ﴾: أشجارًا، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: حب الزرع الذى يحصد كالحنطة والشعير، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾: طوالا شاهقات، حال مقدرة، ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ هو أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نَضِيدٌ﴾: منضود بعضه على بعض فى أكمامه، والمراد كثرة ما فيه من الثمر، ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾، مفعول له لأنبتنا، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: بالماء، ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾: أرضًا لا نماء فيها، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ[1]﴾: من القبور، ﴿كَذَّبَتْ[2] قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾، أراد قومهم، ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ أي: قومهم، وسماهم إخوانه لقرابته القريبة، ﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾، سبق فى الدخان، ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد من هؤلاء، ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجب عليهم عذابي، ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ أي: إنا لم نعجز كما علموا عن بدء الخلق حتى نعجز عن الإعادة، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم لا ينكرون قدرتنا، بل هم فى شبهة من البعث.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ

---

(١) من القبور، وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث ذكر فى السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفى الفروج، وفى الأرض ثلاثة المد مقابلا بالبناء لأن البناء رفع، والمد وضع، وإلقاء الرواسى بالتزيين لارتكاز كل منهما والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، ونبه فيما تعلق به الإنبات فيما يقطف، ويبقى أصله على طريقة البعث وكيفيته/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر قوله: "بل كذبوا بالحق" أعقبه من كذب الأنبياء وتسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "كذبت قبلهم" الآية/١٢وجيز.

مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: ما يخطر بضميره، "ما" موصولة والباء صلة لتوسوس أي: الذى تحدث نفسه به أو مصدرية، والباء للتعدية والضمير للإنسان، **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ[1] إِلَيْهِ﴾** المراد قرب علمه منه فتجوز بقرب الذات،

---

(١) قال شيخ الإسلام -أبو العباس أحمد بن عبدالحليم رحمه الله فى شرح حديث النزول: وجميع ما وصف به الرب عز وجل نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما فى المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص وأما قربه ما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب منه كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج. ثم أطال الكلام فى ذلك إلى أن قال: وليس فى القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلا، بل قربه الذى فى القرآن خاص لا عام كقوله تعالى: "وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"[البقرة:١٨٦] فهو سبحانه قريب ممن دعاه إلى أن قال: أما قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" وقوله: =

لأنه سبب أو المراد قرب الملائكة منه، ﴿مِنْ حَبْلِ﴾: عرق، ﴿الْوَرِيدِ﴾: عرق العنق،

= "فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون"[الواقعة:٨٢-٨٥] فالمراد به قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله، ولكن لا تبصرون الملائكة، وقد قال طائفة: ونحن أقرب إليه بالعلم، وقال بعضهم: بالعلم والقدرة والرؤية، وهذه الأقوال ضعيفة فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا إلى أن يقولوا بالعلم والقدرة، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية إلى أن قال: وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه، وقد ذكر ابن عبدالبر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس، والضحاك، ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ثم أطال الكلام في معية القرب إلى أن قال: ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم لأنه قال: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد" فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين فلا يجعل أحدهما هو الآخر، وقيد القرب بقوله: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" وأما من آمن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، وأن ذاته أقرب إلى الميت من أهله، فهذا من غاية الضعف إلى قوله: وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة، فإنه قال: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" فقيد القرب بهذا الزمان وهو زمان تلقى المتلقيان عن اليمين، وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" إلى آخر ما قال رحمه الله.

والإضافة بيانية، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾: يتلقن بالحفظ، ﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾: الملكان الحفيظان، إذ ظرف لأقرب، وفيه إشعار بأنه تعالى غني عن استحفاظ الملكين لكن إقامتهما لحكمة، أو إذ تعليل لقرب الملائكة، ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: قعيد، ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، حذف المبتدأ من الأول لدلالة الثاني عليه، وقيل: الفعيل للواحد والجمع، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ﴾: لدى القول، أو الإنسان، ﴿رَقِيبٌ﴾: ملك يرقبه، ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضر، وهل يكتب كل شيء؟ فيثبت في القيامة ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره، أو لا يكتب إلا الخير والشر؟ فيه خلاف بين السلف، والقرآن يشعر بالأول، ولو قيل: المراد من قوله إلا لديه[1] رقيب ملك يسمعه لا يحفظه، ويكتبه فقلنا: فالمناسب رقيبان، لأن السماع لا يختص بواحد، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدته، ﴿بِالْحَقِّ﴾، الباء للتعدية أي: أتت بحقيقة الأمر الذي كنت تمترى فيه، ﴿ذَلِكَ﴾: الحق، ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تميل فلم تقربه، لما ذكر إنكارهم البعث، واحتج عليهم بشمول علمه وقدرته أعلمهم أن ما أنكروه يلاقون عن قريب فنبه على الاقتراب بلفظ الماضي، أو معناه جاءت سكرته متلبسة بالحكمة ذلك الموت ما كنت تفر منه، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: نفخة البعث، ﴿ذَلِكَ﴾: النفخ أي: وقته، ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾: من الملك يسوقه إلى الله تعالى، ﴿وَشَهِيدٌ﴾: منه يشهد عليه بأعماله فمعه ملكان، وعن بعض المراد من الشهيد[2] جوارحه، وكل نفس وإن كان نكرة صورة، لكن معرفة معنى، لأنه بمعنى النفوس فجاز أن يكون ذا الحال، ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي: يقال لكل نفس، فإن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا يقظة، ﴿فَكَشَفْنَا

---

(١) يعني لو قال قائل: لا نسلم أن هذه الآية مشعرة بالأول لأن الآية بيان لأن عند كل كلمة ملك، وهذا لا يدل على أنه يكتبها فأجاب بما أجاب فتأمل فإنه دقيق/١٢منه.

(٢) روى ذلك عن ابن عباس والضحاك/١٢منه.

عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: حتى عاينته، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: نافذ لزوال الحاجب، وعن بعض الخطاب[1] للكفار، والمراد من الغفلة الإنكار، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٌ﴾ أي: قال الملك -الموكل عليه: هذا ما لدى من كتاب أعماله حاضرًا، وقال ملك - يسوقه: هذا شخص لدى حاضر قيل: القرين الشيطان[2]، ومعناه هذا شيء عندي، وفى ملكتى عتيد لجهتم هيأته بإغوائى لها، وعتيد خبر بعد خبر إن جعلت ما موصولة وصفة لما إن جعلتها موصوفة، قيل: هذا إشارة إلى مبهم يفسره جملة "ما لدى عتيد" ﴿أَلْقِيَا﴾: يا أيها السائق، والشهيد، وقيل: الخطاب للملكين من خزنة النار، ومن قال: الشهيد جوارحه يقول: هو خطاب الواحد بلفظ التثنية على عادة العرب خليلي صاحبي،﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: معاند، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: لما يجب عليه من الزكاة، أو لجنس الخير أن يصل إلى أهله، ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم، ﴿مُرِيبٍ﴾: شاك فى التوحيد، ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ "الذي" مبتدأ، أو "فألقياه" خبره أو بدل من "كل كفّار" والعذاب الشديد نوع من عذاب جهنم، فكان من باب عطف الخاص على العام، ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: الشيطان الذى قيض له، ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: ما أضللته، هذا جواب لقول الكافر[3]، هو أطغاني، ﴿وَلَكِنْ

---

(١) هو قول الضحاك وصالح بن كيسان/١٢منه.

(٢) ذكر الزمخشرى أن المراد من القرين الشيطان الذى قَيَّضَ هذا شيء لدي، وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها بأن أغويته، وقال: قوله بعد ذلك "وقال قرينه ربنا ما أطغيته" يدل عليه، وهو الذى قاله ليس ببعيد لكن السلف صرحوا على خلاف ذلك، ولذلك ما تعرضنا عليه فى الأصل إلا بصيغة التمريض/١٢منه.

(٣) ولذلك استؤنفت الجملة وأخليت من الواو، وأما قوله: "وقال قرينه" بالواو فللدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول، أعنى مجيء كل نفس مع الملكين، وقول قرينه ما قاله له/١٢وجيز.

كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾: عن الحق يتبرأ منه شيطانه كما قال تعالى حكاية عنه: "وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم"[إبراهيم:٢٢] **﴿قَالَ﴾** الله تعالى: **﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾**، الواو للحال أي: لا تختصموا عالمين[1] بأنى أوعدتكم على الطغيان بلسان رسلي، والباء مزيدة، أو للتعدية على أن قدم بمعنى تقدم، **﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾**: لا تبديل ولا خلف لقولي، وقيل: لا يغير القول على وجهه، ولا يمكن الكذب عندى وإنى أعلم الغيب، **﴿وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**: فأعذبهم بغير جرم، قيل: جملة "ما يبدل" مفعول قدمت، و"بالوعيد" حال أي: قدمت إليكم هذا موعدًا لكم.

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

---

(١) لتصح على ما فسرنا جواز كون "وقد قدمت" حالا من "ولا تختصموا" واندفع إشكال أن التقديم بالوعيد فى الدنيا، والخصومة فى الآخرة فكيف يمكن أن يكون حالا، وقيد أمنه، وله واجتماعهما فى زمان واحد واجب/١٢منه.

وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾، نصبه بتقدير نحو: اذكر، أو بظلام، ﴿هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ﴾ جهنم: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، تطلب المزيد، وفي الصحيح لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروى بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط"(*)، أو تستبعد الزيادة لفرط كثرتهم[1] فالاستفهام حينئذ للإنكار، أي: قد امتلأت، وعلى هذا إنما هو بعد ما يضع الرب فيها قدمه فيتروي، والسؤال والجواب على حقيقته[2]، ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: قربت، ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، نصب على الظرف أي: مكانًا غير بعيد بمرأى منهم بين يديهم أو حال، ومعناه التوكيد كعزيز غير ذليل، والتذكير لأن البعيد على زنة المصدر، أو لأن الجنة بمعنى البستان، ﴿هَـٰذَا﴾ أي: يقال لهم هذا، ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رجاع إلى الله تعالى، ﴿حَفِيظٍ﴾: حافظ لأمر الله تعالى ولكل بدل من للمتقين ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾، بدل بعد بدل أو بتقدير أعني أو

(*) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(١) أي: لفرط كثرة أصحابها، فالاستفهام للإنكار نحو: هل ترك لنا عقيل من دار"[لفظ حديث أخرجاه في الصحيحين]، أي: ما ترك، وعلى هذا يكون القول منهما بعد وضع الرب قدمه فيها/١٢وجيز.

(٢) ولا حاجة إلى أن نقول أنه من باب التمثيل والتخييل فنعدل عن الظاهر الدال عليه أحاديث الصحاح/١٢منه.

هم، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عن الأعين أي: خاف الله تعالى فى سره أو غائبًا عن عقابه لم يراء أو حال من المفعول أي: خشي عقابه حال كون العقاب غائبًا، ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى الله تعالى خاشع، ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿بِسَلَامٍ﴾: سالمين من المكاره، أو مسلمين من الله تعالى وملائكته، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾: يوم تقدير[1] الخلود، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا﴾: مما لم يخطر ببالهم، ﴿مَزِيدٌ وَكَمْ أَهْلَكْنَا[2] قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: جماعة من الناس، ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: قوة، ﴿فَنَقَّبُوا﴾: تصرفوا، ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: مفر لهم من قضاء الله تعالى، وهل نفعتهم القوة فأنتم أيضًا لا مفر لكم، أو معناه: فبحثوا وطلبوا، وفتشوا فى البلاد هل من محيص من الموت، فلم يجدوا قيل: معناه فنقبوا وساروا أي: أهل مكة فى أسفارهم فى بلاد القرون، فهل رأوا لهم محيصًا حتى يتوقعوا لأنفسهم، وقراءة الشاذة "فنقبوا" بصيغة الأمر تدل على هذا الوجه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: المذكور فى هذه السورة، ﴿لَذِكْرَى﴾: تذكرة[3]، ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: واع متفكر فإن من لا يعى فكأنه لا

---

(١) قيدنا التقدير، لأن ذلك إشارة إلى زمان الدخول، فهو كقوله: "ادخلوها خالدين"[الزمر:٧٣] فإنه حال مقدرة، قال صاحب الكشف: لا نقدر شيئًا لأن ابتداء الخلود من ذلك الزمان كما تقول: زمان الرمى يوم العيد، والحاصل أن ملابسة اليوم للخلود، وللدخول كافية فى اتحاد زمانيهما لكن فيه توسع فاش على أنه جاز أن يكون من باب هذا آخرك فلا يكون إشارة إلى سابق، ويوم الخلود على حقيقته لأن جميع الأبد الذى هم فيه يوم واحد/١٢منه.

(٢) ولما أثبت لكل من الكافرين والمؤمنين ما يليق بهم هدد الكافرين لئلا يكونوا من أهل المزيد فى جهنم فقال: "وكم أهكلنا"الآية/١٢وجيز.

(٣) أى: تذكرة لإحدى الطائفتين: من له قلب يفقه عن الله، ومن له سمع مصغ من ذهن حاضر، أى: لمن له استعداد القبول عن الفقيه وإن لم يكن فقيها فى نفسه/١٢منه.

قلب له، ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أصغى القرآن، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بذهنه، فإن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، مر تفسيره، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: تعب وإعياء، وهذا رد قول اليهود: إن الله تعالى فرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت، ويسمونه يوم الراحة، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: المكذبون، ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزهه، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: متلبسًا بحمده، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعني: الفجر والعصر فإنهما وقتان فاضلان، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ[1] السُّجُودِ﴾: أعقاب الصلاة، والمراد التسبيح دبر الصلوات، أو المراد صلاة الفجر وصلاة العصر، وصلاة التهجد، وفي بدء الإسلام قبل الإسراء الفرائض هذه الثلاثة، ثم نسخت بخمس صلوات في ليلة الإسراء، والمراد من أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وعليه عمر، وعلي، والحسن، وابن عباس، وغيرهم -رضي الله عنهم﴿وَاسْتَمِعْ﴾: يا محمد لما أخبرك به من أحوال يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾: إسرافيل، ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من السماء، وهي صخرة بيت المقدس أقرب أجزاء الأرض من السماء ينادي: أيتها العظام البالية، واللحوم المتمزقة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، ونصب يوم بمقدار، أي: يخرجون من القبور، والدال عليه ذلك يوم الخروج، ويمكن أن يكون "واستمع" عطفًا على اصبر، أي: اصبر اليوم على مقالاتهم، واستمع يوم القيامة عجزهم وندامتهم، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾، بدل من "يناد"، ﴿الصَّيْحَةَ﴾: نفخة البعث، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متعلق بالصيحة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: من القبور بدل بعد بدل ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾: للجزاء، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ أي: تتشقق بدل بعد بدل، أو ظرف للمصير، ﴿الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: مسرعين، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾: لا على غيرنا، ﴿يَسِيرٌ﴾:

---

(١) والأدبار جمع دبر، والإدبار بالكسر الانقضاء أي: وقت القضاء السجود/١٢منه.

فإنه لا يتيسر لغير من هو كامل القدرة، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، تهديد للكفار، وتسلية له -عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ[1]﴾: فتجبرهم على الهداية[2] إنما أنت منذر، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾: فإن من أصر على الكفر لا ينتفع به.

اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك.

(١) لا يجوز أن يكون عليهم خبرًا وبجبار خبرًا ثانيًا تمنع دخول الباء على الخبر حينئذ فلا يجوز ما أنت واليا بجبار، فافهم/١٢منه.

(٢) على ما فسرنا جاز أن يكون الجبار بمعنى المسلط، وهو الأولى، وجاز أن يكون من جبر فلان فلانا بمعنى أجبره، ويكون "عليهم" حالاً مقدمًا أي: واليا عليهم/١٢منه.

سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ أي: الرياح، فإنها تذرو التراب، وغيره، ﴿ذَرْوًا[1]﴾ ﴿فَالْحَامِلاتِ﴾: السحاب، فإنها تحمل المطر، ﴿وِقْرًا[2]﴾: حملا، ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾: السفن التي تجري في

---

(١) مفعول مطلق لقوله: "والذاريات" لأن معناه الذي تذرو ذروًا، وكذا وقرًا، وأما أمرًا في قوله: "فالمقسمات أمرًا" فهو مفعول به للمقسمات، وهي تعمل لاعتمادها على الألف واللام/١٢منه.

(٢) الفاء لترتيب الإقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة كما مر في سورة "والصافات"/١٢منه.

البحر، ﴿يُسرًا﴾ أي: جريًا ذا يسرٍ، أي: ذا سهولة، وعن بعض هي النجـــوم تجـــري بسهولة في أفلاكها، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ﴾: الملائكة، ﴿أَمْرًا﴾: يقســـمون الأمـــور بـــين الخلائق[1]، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: البعث جواب للقسم، وما مصدرية، أو موصولـــة، ﴿لَصَادِقٌ﴾، هو كعيشة راضية، ﴿وَإِنَّ الدِّيـــنَ﴾: الجـــزاء، ﴿لَوَاقِـــعٌ﴾: حـــاصل، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ[2]﴾: الحسن والبهاء[3]، أو لها حبك كحبـــك الرمـــل إذا ضربته الريح، وحُبُكِ شعر الجعد، ولكنها لا يرى لبعدها، أو ذات الشدة، أو الصفاقة، أو النجوم، ﴿إِنَّكُمْ﴾: أيها المشركون، ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾: مضطرب لا يلتئـــم ولا يجتمع في أمر الدين جواب للقسم، ﴿يُؤْفَكُ﴾: يصرف، ﴿عَنْهُ﴾: عن الدين، أو عن ما توعدون، ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: من صرف أي: يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا أشـــد منه، والمبالغة من إسناد الفعل إلى من وصف به، وهو قريب من قوله: "فغشيهم من اليم ما غشيهم [طه:٧٨] أو يصرف عن الهداية بسبب قول مختلف من صرف، فعن بمعـــنى السبب، والأجل، والضمير للقول، فإنهم كانوا يتلقون من يريـــد الإيمـــان يقولـــون: إنه ساحر مجنون كذا وكذا، فيصرفونه عن الإيمان، ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: الكذابـــون ممن يختلف قولهم، والمراد من هذا الدعاء اللعن، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِـــي غَمْـــرَةٍ﴾: جـــهل يغمرهم، ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون، ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى وقـــوع يـــوم

---

(١) اتفق على ما فسرنا جمع من السلف كابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن جبير، وقتـادة، وهو المنقول بروايات متعددة عن علي بن أبي طالب، وروى الحافظ أبو بكر الـــرازي على ذلك حديثًا مرفوعًا/١٢منه.

(٢) الحبك: تكسر كل شيء كالرمل والماء من هبوب الريح عليه، أو ذات الشـدة، أو ذات الطرق/١٢وجيز.

(٣) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وكثير مـــن الســلف/١٢ منه.

الجزاء[1]، ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون، ونصب يوم على الظرف أي: يقع يوم، ﴿ذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾: عذابكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: تستعجلون به في الدنيا سخرية.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: من النعيم راضين به، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في الدنيا، ﴿مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا أعمالهم، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ[2]﴾: ينامون، فما زائدة، ويهجعون خبر كان، وقليلا إما ظرف أي: زمانًا قليلا، ومن الليل إما صفة، أو متعلق بيهجعون، وإما مفعول مطلق أي: هجوعًا قليلا، ولو جعلت ما مصدرية فما يهجعون فاعل قليلا ومن الليل بيان، أو حال من المصدر، ومن للابتداء، وأما جعلها نافية[3] أي: الهجوع في قليل من الليل منتف بمعنى إن عادتهم إحياء جميع أجزاء الليل، فلا نوم لهم أصلا، أو إن عادتهم التهجد في جميع الليالي، فلا يمكن أن يناموا جميع ليل واحد فجائز عند من يجوز تقديم معمول ما النافية إذا كان ظرفًا، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ[4]﴾: نصيب، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: هو من ليس له في بيت المال سهم، ولا كسب له ولا

---

(١) قدرنا المضاف في: "أيان يوم الدين"، لأنه لا يسأل بأيان إلا عن الحدث كما تقول: أيان القدوم؟ فيقال: يوم كذا، والسؤال سؤال تكذيب واستهزاء/١٢منه مع الوجيز.

(٢) لما ذكر الله تعظيم نفسه أشار إلى الشفقة على خلقه، فقال:" وفي أموالهم" الآية/١٢كبير.

(٣) كلام ابن عباس وقتادة ومجاهد وأنس بن مالك وأبي العالية على أن ما نافية، والأول قول الحسن البصري/١٢منه.

(٤) والظاهر أنهم جعلوا من أموالهم للفقراء، فالمراد صدقة التطوع مع أنه في سلك غير الواجب، ولما ذكر في البين أحوال المصدقين عاد إلى ما كان فيه من إثبات البعث فقال: "وفي الأرض آيات" الآية/١٢وجيز.

حرفة، أو من لا يسأل الناس فيحسب غنيًّا، أو المصاب ماله، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: دلائل على قدرته وصنعه لا يدركها إلا من يطلب اليقين، لما ذكر في البين أحوال المصدقين بالبعث وأوصافهم عاد إلى ما كان فيه من إثبات القيامة والبعث، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾[1]: آيات هي عجائب ما في الآدمي[2]، ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾: بنظر الاعتبار، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر الذي هو سبب الرزق من جانب السماء، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: الجنة، وقيل: الرزق في الدنيا والثواب في العقبى كله مقدر في السماء، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون، أو المذكور من الآيات والرزق وغيرهما، ﴿لَحَقٌّ﴾: واقع، ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[3] أي: مثل نطقكم، صفة لحق، ومن نصب مثل أراد حقًّا مثل نطقكم فكما أن نطقكم متحقق فهذا أيضًا كذلك.

---

(١) وهذا كقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم"[فصلت:٥٣] أي: سنواتر عليهم الآيات معرضة رأي عين من نحو ما قد كررنا في أنفسهم من كيفية الخلق، ومنح السمع والبصر، والفؤاد، وحفظها، وسائر أحوالهم الخاصة وعوارضهم، وفي الآفاق من آيات السماء والأرض وما بينهما من الرعد والبرق، والسحاب والمطر، والنجوم والنبات، وغير ذلك من معتاد مستمر، وخارق ونادر حتى تزول الشبه بلا كثير نظر، وكد وكد مكره حتى لا يهلك على الله إلا هالك، وشارد شراد البعير. صدق الله العظيم، ونشهد له بذلك، وننكر قول أفراد من مقلدي المتكلمين: إن ذلك إنما يفيد الظن كما ذكره التفتازاني/١٢.

(٢) في ظاهره وباطنه من صغره إلى كبره/١٢.

(٣) ولما ذكر أن في السماء والأرض والأنفس آيات أعقبه بقصص مذكورة لأن من السماء رجمهم، ومن الأرض خسفهم، ومن البحر غرقهم، وفي ذلك تهديد وموعظة وتسلية فقال: "هل أتاك حديث ضيف إبراهيم" الآية.

﴿هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، فيه تعظيم لشأن الحديث، وتنبيه على أنه إنما عرفه بالوحي، **﴿الْمُكْرَمِينَ﴾**: عند الله تعالى، وعند إبراهيم -عليه السلام- والضيف للواحد، والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر والحكاية قد تقدمت في سورة "هود"، و"الحجر" **﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾**، ظرف للحديث، أو بتقدير اذكر، **﴿فَقَالُوا سَلامًا﴾**:

نسلم عليكم سلامًا، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: عليكم سلام عدل إلى الرفع، ليدل على الثبات، فعمل بقوله تعالى: "فحيوا بأحسن منها"[النساء:٨٦]، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم لا نعرفكم، ﴿فَرَاغَ﴾: ذهب، ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾: بخفية، فمن أدب المضيف أن يخفى إتيانه بالضيافة عن الضيف، ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ﴾: مشوي، ﴿سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ﴾[١] ﴿إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: منه، ذكره بصيغة العرض تلطفًا في العبارة، ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أضمر، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: خوفًا، لما رأى أنهم لا يأكلون ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: إنا رسل الله تعالى، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾، هو إسحاق[٢]، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي: جاءت صارة صائحة، أو أخذت في الصيحة كقولك: أقبل يشتمني، ولا إقبال ولا إدبار، ﴿فَصَكَّتْ﴾: لطمت، ﴿وَجْهَهَا﴾: تعجبًا كما هو عادة النساء من الأمر الغريب، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا ﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: قال الله مثل ما بشرناه فواقع البتة، فكذلك مفعول قال، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: ما شأنكم؟ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: قوم لوطٍ، ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي: السجيل، ﴿مُسَوَّمَةً﴾: معلمة مكتوبًا على كل حجر اسم من يهلك به، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾: في قرى قوم لوط، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بلوطٍ، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾: أهل بيت، ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هم لوط، وأهل بيته إلا امرأته، ولو قلنا إن كل مؤمن مسلم من غير عكس لصح معنى الآية، فلا يستدل عليها باتحاد مفهوميهما[٣]، ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾: في القرى، ﴿آيَةً﴾: علامة، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ

---

(١) فيه أدب الضيف، وفيه العرض على الأكل تأنيسًا/١٢وجيز. حاشية صـ٣١٠.

(٢) وفيه بشارتان أحدهما أنه ذكر، والأخرى أنه كامل/١٢وجيز.

(٣) كما استدل الزمخشري/١٢وجيز.

﴿الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾: وقد بقي فيها آثار العذاب، ﴿وَفِي مُوسَى﴾، عطف[1] على فيها أي: وجعلنا في موسى آية، فهو من قبيل علفتها تبنًا وماءً باردًا وقيل[2]: عطف على وفي الأرض، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: معجزة ظاهرة، ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بِرُكْنِهِ﴾، الباء للتعدية، أي: أعرض به نحو: نأى بجانبه، أو للسببية أي: بسبب جنوده وملكه، ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ﴾: هو ساحر لما يظهر منه خارق العادة، ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾: لما يدعي خلاف العقل، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: طرحناهم، ﴿فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: حال كونه آت بما يلام عليه من الكفر والفجور، ﴿وَفِي عَادٍ[3]﴾: آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: المفسدة التي لا تنتج نفعًا، ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ﴾: مرت، ﴿عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالشيء البالي المتفتت، ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: آية، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا[4] حَتَّى حِينٍ﴾، وذلك حين عقروا الناقة قيل لهم: "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام"[هود:٦٥] وعلى هذا فالفاء في قوله: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ مرتب على تمام القصة، كأنه قيل: وجعلنا في ذلك الزمان آية، ثم أخذ في بيانه، فقال: "فعتوا". فلا يرد أن ما قيل لهم: تمتعوا، مؤخر عن استكبارهم، أو المراد من قوله: "إذ قيل لهم" إلخ فيهم آية، إذ متعناهم في الدنيا مدة وهديناهم، فعصوا واستحبوا العمى على الهدى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد ثلاثة أيام ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: إليها عيانًا، ﴿فَمَا

---

(١) الأولى أن يكون عطفًا على فيها في قوله: "وتركنا فيها" أي: في قصة موسى آية ولا حاجة إلى جعله من باب:

علفته تبنًا وماء باردًا/١٢وجيز.

(٢) ذكروه بصيغة التمريض لأنه بعيد لفظًا/١٢منه.

(٣) عطف على موسى/١٢.

(٤) لما بعث إليهم صالح أمروا بالإيمان، والتمتع بدنياهم إلى آجالهم المقدرة لئلا يعجلهم عذاب الله/١٢وجيز.

اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ(١)﴾ فيهربوا من عذاب الله تعالى، ﴿**وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ**﴾: ممتنعين منه، ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ**﴾، عطف على محل في عاد، وقراءة الجر يؤيده، أو نصب بمقدر أي: أهكلنا، أو اذكر، ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾: من قبل هؤلاء، ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾: بقوة، ﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾: لقادرون، أو وسعنا السماء، ﴿**وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا**﴾: بسطناها ومهدناها لعبادي، ﴿**فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾: نحن، ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾: من الأجناس، ﴿**خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾: نوعين كالسماء والأرض، والليل

---

(١) قيل: هذا من قولهم ما يقوم به إذا عجز و لم يقدر التحمل، وليس المراد القيام المعهود، "وما كانوا منتصرين": ممتنعين منه، وهذا التفسير للحسن -رضي الله عنه- وهو تفسير حسن لا غبار عليه/١٢ وجيز.

والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة[1]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، مرتب على مجموع بناء السماء وغيره، ﴿فَفِرُّوا إِلَى[2] اللَّهِ﴾ أي[3]: فقل لهم فروا إليه من عقابه بطاعته، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: ما يجب أن يحذر، أو بين كونه منذرًا من الله بالمعجزات، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، كرر للتأكيد، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ما أخبرتك من تكذيب الأمم رسلهم، ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا﴾ في شأنه: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضًا بهذا القول حتى اتفقوا على كلمة واحدة؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: تشابهت قلوبهم، ولهذا اتفقوا على تلك الكلمة لا لتواصيهم، ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض، ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: على الإعراض بعد ما بلغت رسالتك، ﴿وَذَكِّرْ﴾: لا تدع الموعظة، ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ[4]﴾ أي: من هو مؤمن في علم الله تعالى أو من آمن بزيادة بصيرته، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ[5]﴾ أي: إلا لأجل العبادة فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة، وهدوا إليها، فهذه غاية كمالية

---

(١) والسواد والبياض، والكفر والإيمان، وقيل: المراد من كل شيء من الحيوان خلقنا ذكرًا وأنثى/١٢منه

(٢) وفي الحديث "لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك"/١٢وجيز.

(٣) قدرنا قل لهم بدليل قول: "إني لكم منه نذير"/١٢منه.

(٤) والظاهر أن الأمر بالإعراض منسوخ بآية السيف، وعن علي بن أبي طالب: لما نزل حزن المؤمنون، فظنوا أنه مأمور بالتولي عن الجميع، وأن الوحي قد انقطع حتى نزل فسروا/١٢وجيز.

(٥) وقد ورد في بعض الكتب يقول الله تعالى: "يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب واطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء"/١٢منه.

لخلقهم وتعوق البعض عن الوصال إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وأما قوله: "ذرأنا لجهنم"[الأعراف:١٧٩] فلام العاقبة نحو: لدوا للموت، أو إلا لنأمرهم بالعبادة، أو ليقروا بي طوعًا(١) أو كرهًا أو المراد منهم المؤمنون، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ أي: يطعموني أي: ليس شأني مع عبادي كشأن السادة مع العبيد، وقيل إن يرزقوا أنفسهم، أو أحدًا من خلقي وإسناد الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله تعالى وإطعام العيال إطعامه، وفي الحديث القدسي "استطعمته فلم يطعمني"(*) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: لجميع خلقه، ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: المتين المبالغ في القوة، ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾: نصيبًا من العذاب، ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: من الأمم السوالف، ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾، كما قالوا: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"[يونس: ٤٨] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: يوم القيامة.

والحمد لله على الهداية.

---

(١) القول الثالث قول ابن عباس واختاره ابن جرير وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك، وفي قراءة ابن عباس "وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون" كما نقله البغوي/١٢منه.

(*) جزء من حديث أخرجه مسلم وغيره.

سورة والطور مكية

وهى تسع وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾
وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا
لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن
شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا
عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ أقسم بجبل كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه بـــالأرض المقدســة، وأرسل منه موسى(*)، ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: مكتـــوب، ﴿فِــى رَقٍّ﴾: صحيفــة، ﴿مَنْشُورٍ﴾: مبسوط، والمراد اللوح المحفوظ، أو ما كتبه الله تعالى لموسى من الألــواح، أو دواوين كرام الكاتبين، والتنكير[1] للتعظيم، ﴿وَالْبَيْتِ[2] الْمَعْمُـــورِ﴾: بيــت فى السماء السابعة بحيال الكعبة يطوف به ملائكتها، وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلـــها، والذى فى السماء الدنيا اسمه بيت العزة، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُـــوعِ﴾ أى: الســـماء، أو العرش، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، هو بحر تحت العرش منه يترل مطر يحيا[3] به الأجســاد فى قبورها يوم المعاد، أو البحر الذى فى الدنيا، وهو مسجور أى: موقد يصير نارًا يــوم القيامة محيطة بأهل الموقف[4] أو مملوء، أو ممنوع مكفوف أى: عن الأرض أن يغــرق، وفى مسند الإمام أحمد قال -عليه السلام: "ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مــرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله تعالى(**)، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِـــعٌ﴾: نازل على الكافرين، ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾: من أحد يدفعه، ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾: تضطـــرب، ﴿السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ يعنى لأجل التشقق ظرف لواقع، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فتصـــير

(*) وفى النسخة ن: عيسى.

(١) فى قوله: "وكتاب مسطور"/١٢منه.

(٢) وفى الصحيحين وغيرهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال -فى حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: "ثم رفع لى البيت المعمور وإذا هو يدخله كـــل يـــوم سبعون ألف ملك لا يعودن إليه"/١٢فتح.

(٣) هو قول ربيع بن أنس/١٢منه.

(٤) كذا قال على بن أبى طالب وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبـــير وغيرهم/١٢منه.

(**) "ضعيف" انظر ضعيف الجامع (٤٩٣٥).

هباءً منبثا، ﴿فَوَيْلٌ﴾ أى: إذا وقع العذاب فويل، ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى: يلعبون فى الخوض فى الباطل، أو هم فى خوض فى الباطل[1] يلعبون بدينهم، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾: يدفعون ويساقون، ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: دفعًا بعنف، ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: يقال لهم ذلك تقريعًا، ﴿أَفَسِحْرٌ[2] هَذَا﴾ أى: يقال لهم ذلك كنتم تقولون للوحى المنذر عن هذه النار هذا سحر، فهذا الذى هو مصداقه سحر أيضًا دخلت الهمزة بين المعطوفين،والمشار إليه النار، وذكر لأنه فى تأويل المصداق، ﴿أَمْ[3] أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: لهذا كما كنتم لا تبصرون ما يدل عليه، وهذا تهكم وتقريع، ﴿اصْلَوْهَا﴾: ادخلوها، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾: فإنه لا محيص ولا مناص، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾، خبر محذوف أى: الأمر أن الصبر وعدمه مستو عليكم فى عدم النفع، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى: لأن الجزاء واقع لا محالة، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ﴾: متلذذين، ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أعطاهم ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، عطف على ما آتاهم بشرط أن تجعل ما مصدرية، وإلا فحال بإضمار قد، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أى: يقال لهم كلوا أكلا أو طعامًا واشربوا شربًا أو شرابًا هنيئًا لا تنغيص فيه، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بدله، أو بسببه، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾: موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ

---

(١) على الأول فى خوض ظرف ليلعبون، وعلى الثانى خبر، ويلعبون إما حال أو خبر بعد خبر/١٢منه.

(٢) والتذكير لإرادة المصداق، ودخلت الهمزة بين المعطوفين لأن فسحر عطف على قولهم هذا سحر للوحي، وهذا كما استدل أحد على مدعاه فقال الخصم: هذا باطل، فجاء بدليل أوضح، فقال: أفباطل هذا يعيره بالإلزام، وبأن مقالة الأولى كانت باطلة/١٢منه.

(٣) "أم" جاز أن يكون متصلة، وجاز أن يكون منفصلة، وعلى أى وجه يكون المقام للتقريع والتهكم/١٢منه.

بحُورٍ عِينٍ﴾، الباء لمعنى الوصل فى التزويج، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، يخبر تعالى عن كمال إحسانه إلى المؤمنين بأن الأولاد إذا اتبعوا آباءهم فى الإيمان يلحقهم بآبائهم فى المترلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعينهم هم، فيجمع بينهم بأن يرفع ناقص العمل بالكامل لا ينقص ذلك من عمله، ومترلته ليساوى بينه وبين ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾: نقصناهم، ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: شيئًا من النقص، وفى الطبرانى قال -صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه، وزوجته، وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لى ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به"(*) وعن بعض معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أى: البالغون ألحقنا بهم ذريتهم الذين لم يبلغوا الإيمان، وماتوا بالصغر بإيمان آبائهم، وفى الحديث: "سألت خديجة عن ولديه ما بالهما فى الجاهلية، فقال -عليه السلام: "فى النار"، قالت: فولدى منك، قال: "فى الجنة"، ثم قال: "إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وإن المشركين وأولادهم فى النار، ثم قرأ "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم"(**) الآية، فعلى هذا الذين آمنوا مبتدأ وقوله: "ألحقنا بهم ذريتهم" خبره، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: مرهون بعمله عند الله تعالى إن عمل صالحًا فكها، وإلا أهلكها، ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾: زدناهم وقتًا بعد وقت، ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ﴾: يتعاطون ويأخذ بعضهم من بعض، ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾: خمرًا، ﴿لَا لَغْوٌ﴾: لا يتكلمون بلغو الحديث، ﴿فِيهَا﴾: فى أثناء شربها، ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: ولا يفعلون ما يؤثم(1) به فاعله،

(*) رواه الطبرانى فى الصغير والكبير، وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو ضعيف، كما فى المجمع (١١٤/٧).

(**) ضعيف، أخرجه عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند (١/٣٤-١٣٥)، وانظر تعليق الشيخ الألبانى عليه فى المشكاة .

(١) أى: ينسب إلى الإثم لو فعله فى الدنيا، كالكذب والفواحش، بل كلامهم حِكَم كله/١٢منه.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالخدمة، ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾: مماليك لهم، ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾: مصون في الصدف من صفائهم وبياضهم[1]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: عن أحوالهم التي كانت لهم في الدنيا يتذاكرون ويتحدثون بما مضى عليهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾: في الدنيا، ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله تعالى، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالرحمة، ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾: حرارة نار جهنم[2]، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾: في الدنيا، ﴿نَدْعُوهُ﴾: نتضرع إليه ونعبده، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾: المحسن، ﴿الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ

(١) قيل المكنون: المخزون، ولا يخزن إلا العالى الغالي/١٢وجيز.

(٢) قال الحسن: السموم من أسماء جهنم/١٢وجيز.

مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾: يا محمد، ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي بإنعام الله عليك حال من ضمير[١] ﴿بِكَاهِنٍ﴾: كما يقولون، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ[٢]﴾: فلا تبال بكلامهم، ولا تذر عن التذكير ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾، بل أيقولون، والهمزة لإنكار أنه لشاعر، ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: حوادث الدهر، فيهلك كما هلك الشعراء قبله فنستريح، والمنون الدهر أو الموت، ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾: انتظروا هلاكي، ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هلاككم، ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾: عقولهم، ﴿بِهَذَا﴾: الذى يقولون فيك من الأقوال الباطلة المتناقضة، ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: مجاوزون الحد فهو الذى حملهم على ذلك الأقوال، فالهمزة هاهنا للتقرير[٣]، وفى البواقي كلها للإنكار، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: اختلق القرآن من عند نفسه متعمدًا، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فينسبونه إلى تلك الأشياء، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ[٤]﴾: القرآن ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: إن محمدًا تقوله،

---

(١) لازمة لا منتقلة، فإنه -صلى الله عليه وسلم- لا زال متلبسًا بنعمة الله/١٢وجيز.

(٢) فإنهما نقص لكن طريقان لبعض المغيبات وللجن بها ملابسة/١٢.

(٣) وفى البواقي للإنكار أنكر أحلامهم يأمرهم بذلك، بل جهلهم وشقاوتهم يأمرهم بهذا، وفيه تهكم، فإن العقل لا يأمر بالأشياء المتناقضة الظاهرة خطأها/١٢وجيز.

(٤) مثل القرآن فى نظمه ورسخه، ووصفه من البلاغة، والإخبار بالقصص السالفة والمغيبات والحكم/١٢وجيز.

﴿أَمْ[(١)] خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: من غير رب، ومحدثٍ أى: لا خالق لهم، أو من أجل لا شيء أى: عبثًا، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: لأنفسهم، فلذلك لا يسمعون كلام خالقهم ولا رسالته، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾: يشكون حين يقولون الله خلقهن، فإنهم لو أيقنوا لما أعرضوا عنه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾: خزائن قدرته، ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾: الغالبون على الأشياء المحاسبون للخلائق، ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: منصوب إلى السماء، ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ أى: ما يجرى فى السماء، ﴿فِيهِ﴾ أى: صاعدين فيه فيعرفون حقية ما هم عليه، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: حجة

---

(١) قوله تعالى: "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" فى الصحيحين عن جبير بن مطعم أنه لما قدم فى أسارى بدر قال: وجدت النبى -صلى الله عليه وسلم- يقرأ فى المغرب بالطور، فلما سمعت هذه الآية "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" أحسست بفؤادى قد انصدع، وذلك لأن هذا تقسيم حاضر ذكره الله تعالى بصيغة استفهام الإنكار ليبين هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها يقول: أم خلقوا من غير شيء أى: من غير خالق خلقهم، أم هم خلقوا أنفسهم وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل فتعين أن لهم خالقًا خلقهم سبحانه وتعالى، فإنه يمتنع وجود المحدث بنفسه كما يمتنع أن يخلق الإنسان نفسه، وهذا من أظهر المعارف الضرورية، فإن الإنسان بعد قوته ووجوده لا يقدر أن يزيد فى ذاته عضوًا ولا قدراً، فلا يقصر الطويل، ولا يطول القصير، ولا يجعل رأسه أكبر مما هو، ولا أصغر، وكذلك أبواه لا يقدران على شيء من ذلك، ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لابد له من محدث، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان فإن الصبى لو ضربه ضارب، وهو غافل لا يبصره لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربك أحد لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير حادث، بل: يعلم أنه لابد للحادث من محدث، فإذا قيل: فلان ضربك بكى حتى يضرب ضاربه، وكأن فى فطرته الإقرار بالصانع وبالشرع الذى مبناه على العدل، ولهذا قال الله تعالى: "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" هذا ما لخصت من كلام شيخ الإسلام أبى العباس بن تيمية فى شرح حديث النزول/١٢.

ظاهرة على صحة الاستماع، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ[1] الْبَنُونَ﴾، فيه تسفيه لأحلامهم على آكد وجه، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: على الرسالة، ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: محملون الثقل من التزام غرم، فلذلك لم يتبعوك، والمغرم أن يلتزم ما ليس عليه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: اللوح المحفوظ، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما فيه، ويخبرون به الناس أو علم الغيب، فهم يحفظونه، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: مكرًا بك، الهمزة هاهنا أيضًا للتقرير، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من وضع الظاهر موضع المضمر، أو أراد كل الكافرين، ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: الذين يحيق بهم الكيد ويعود وباله عليهم، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: ينصرهم، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾: قطعة، ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾: لعذابهم، ﴿يَقُولُوا﴾: عنادًا، ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ[2]﴾، هذا سحاب تراكم بعضها على بعض، وهذا جواب قولهم "فأسقط علينا كسفًا من السماء"[الشعراء:١٨٧]، ﴿فَذَرْهُمْ﴾: في غمرتهم، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يوم القيامة عند النفخة الأولى، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: من الإغناء، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من وضع الظاهر موضع المضمر، أو أراد العموم، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾: دون عذاب الآخرة في الدنيا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: "ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون"[السجدة:٢١]، لكن لا يعلمون أن المصائب[3] للتنبيه، فلا ينيبون، ﴿وَاصْبِرْ

---

(١) وفيه التفات من الغيبة/١٢.

(٢) وهذا كما قال: "ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا"[الحجر:١٤-١٥]/١٢منه.

(٣) وفي الحديث "المنافق إذا مرض وعوفي مثله مثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه"، وفي أثر إلهي "كم أعصيك، ولا تعاقبني، قال الله: يا عبدي كم عاقبتك وأنت لا تدري"/١٢منه ووجيز.

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: ما قدر لك من وصول المكروه، **﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾**: بحيث نراك، ونحفظك ونرعاك، وجمع العين لجمع الضمير، **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾**: إلى الصلاة، "سبحانك اللهم، وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك"[1] أو من نومك أو من كل مجلس[2] **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾**: اذكره بالعبادة والصلاة، **﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾**: إذا أدبرت النجوم، والمراد ركعتي الفجر[3].

---

(١) السنة أن يقول هذا فى ابتداء الصلاة كما ورد فى مسلم وغيره/١٢منه.

(٢) روى الترمذى وصححه، وقال: إسناده على شرط مسلم "من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" إلا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك[صحيح، انظر صحيح الجامع(٦١٩٢)]/١٢وجيز ومنه.

(٣) صرح على ذلك ابن عباس -رضى الله عنهما- وفيه حديث أيضًا/١٢منه.

سورة النجم مكية

وهي إحدى أو اثنتان وستون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ۝٢٥﴾

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ أقسم بالثريا إذا غاب، أو بجنس النجم إذا انقض، ورمى به الشياطين، أو بالقرآن وقد نزل منجمًا إذا نزل من السماء، أو بالنجوم إذا انتثرت يوم القيامة، وعن السلف: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق، ﴿مَا ضَلَّ﴾: ما عدل عن الطريق المستقيم، ﴿صَاحِبُكُمْ﴾: صلى الله عليه

وسلم، ﴿وَمَا غَوَى﴾: وما اعتقد باطلا كما تزعمون، ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾: بالقرآن، ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ أو ما يقول قولا عن هوى وغرض، ﴿إِنْ هُوَ﴾: ليس ما ينطق به، ﴿إِلا وَحْيٌ﴾: من الله تعالى، ﴿يُوحَى﴾: إليه، وفى الحديث أنه قال -عليه السلام: "لا أقول إلا حقًّا"، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾: جبريل فإنه شديد قواه، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو قوة شديدة، ومنظر حسن أو إحكام فى العقل، ﴿فَاسْتَوَى﴾: جبريل واستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها، وما رآه غيره من الأنبياء على صورته[1]، ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾: أفق السماء قد سد الأفق، وهذا قبل الإسراء، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: جبريل إلى محمد، وهبط إلى الأرض بعدما رده الله تعالى إلى صورة آدمي، ﴿فَتَدَلَّى﴾: تعلق به وليس المراد منه الإسراء، وكأن هذه الرؤية فى أوائل البعثة[2] بعد أن جاء إليه فى حراء قيل: فى "فتدلى" إشارة منه إلى أنه ما تجاوز عن مكانه فإنه استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة، ﴿فَكَانَ﴾: جبريل، ﴿قَابَ﴾: مقدار، ﴿قَوْسَيْنِ﴾، يعنى مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، ﴿أَوْ أَدْنَى﴾: على تقديركم، والغرض نفى ما زاد عليه، ﴿فَأَوْحَى﴾: جبريل، ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾: إلى عبدالله تعالى، ﴿مَا أَوْحَى﴾: جبريل فيه تفخيم للموحى به، أو المعنى فأوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى بواسطة جبريل، وحاصل المعنى متحد، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي: فؤاد محمد -صلى الله عليه وسلم- ما رآه ببصره من صورة جبريل، أو ما كذب الفؤاد ما رآه بفؤاده أي: الله[3] تعالى، وفى الحديث "رأيته بفؤادى

---

(١) كذا ذكره ابن مسعود وابن عباس -رضى الله عنهما- وغير واحد من السلف/١٢منه.

(٢) وكان ذلك بالأبطح بعد أن نزل عليه صدر سورة اقرأ فرآه فى صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ما أمره به/١٢منه.

(٣) يرجع الضمير فى عبده إلى الله وإن لم يمر له ذكر لأنه لا يلبس كما فى قوله تعالى: "ما ترك على ظهرها من دابة"[فاطر:٤٥]/١٢منه.

مرتين[١] ثم قرأ "ما كذب الفؤاد ما رأى" ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾: تجادلونه من المراء، ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾: من صورة جبريل، ولتضمينه معنى الغلبة عدى بعلى، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: جبريل فى صورته، ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾: مرة أخرى، وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- وجم غفير من السلف أنه رأى جبريل فى صورته مرتين والمرة الأخيرة ليلة الإسراء نصب بالمفعول فيه، ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾: هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش إليها ينتهى علم الخلائق لا يعلم أحد ما وراءها، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾، فيه تعظيم لما يغشاها، وفى الحديث "أنه غشاها نور الرب، وألوانًا لا يدرى ما هي،والملائكة مثل الغربان[٢] يعبدون" ما يغشى فاعل يغشى، وإذ ظرف لرآه أو لما زاغ عند من يجوز تقديم ما بعد ما إذا كان ظرفًا، ﴿مَا زَاغَ﴾: ما مال، ﴿الْبَصَرُ﴾ أي: بصر النبى -صلى الله عليه وسلم- عما رآه ﴿وَمَا طَغَى﴾: وما تجاوزه، وهذا وصف أدبه -صلى الله عليه وسلم[٣]﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾: بعض عجائبه، ﴿الْكُبْرَى﴾، صفة[٤] الآيات، أو هو المفعول ومن آيات ربه حال مقدم، ثم اعلم أنه قد ورد فى الصحيحين أن عائشة -رضى الله عنها- قالت: أنا أول من سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله "ولقد رآه بالأفق المبين"، "ولقد رآه نزلة أخرى" فقال: "إنما ذاك جبريل لم يره فى صورته إلا مرتين"، وفى مسلم عن أبى ذر -رضى الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل رأيت ربك؟ قال: نوراً أنى أراه"، وفى

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وكذا روى مسلم عن ابن عباس -رضى الله عنه-/وكذا قال أبو صالح، والسدى وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين/١٢منه.

(٢) الغراب واحد "غربان/١٢منه.

(٣) وتمكنه -عليه صلوات الله وسلامه، فإنه ما فعل إلا ما أمر به/١٢منه.

(٤) لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغى أن يبتدئ به الرسول، وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك فقال: "أفرأيتم اللات" الآية/١٢كبير.

رواية لغير مسلم "رأيت نورًا"، وكان سؤال عائشة بعد الإسراء[1]، فلا يمكن أن يقال كأن نفى الرؤية قبل الإسراء، وما قيل إنه -عليه الصلاة والسلام- خاطبها على قدر عقلها فخطأ مردود[2] قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: لا يصح فى أنه رأى ربه ببصره شيء من الصحابة، وأما ما قال البغوي: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، ففيه نظر[3]، والحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال عليه الصلاة والسلام: "رأيت ربى عز وجل"[*] فهو مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضًا، وقد ثبت عن كثير من السلف نفى رؤية البصر، والله أعلم، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ[4] اللاتَ[5]﴾: صخرة بيضاء عليها بيت بالطائف له

---

(١) كان سؤال عائشة بعد الإسراء بدليل قولها -رضى الله عنها: "أنا أول من سأل عن تلك الآية"، وما كانت هذه الآية إلا بعد الإسراء بلا خلاف من أحد فلا يمكن أن يقال: كان نفى الرؤية قبل الإسراء/١٢منه.

(٢) فإنه يلزم على ما نقلنا من الصحيحين أنه -عليه الصلاة والسلام- فسر القرآن على ما هو خطأ وكذب فإنه قال إنما ذلك جبريل، ولم يتفوه بذلك مؤمن وأيضًا هى -رضى الله عنها- كاملة مكملة، وليس لإثبات الرؤية ونفيها كثير غموض لا تفهمه النساء، والله أعلم/١٢.

(٣) وقد روى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور أنه قال: لما سألت عكرمة عن قوله :"ما كذب الفؤاد ما رأى" فقال عكرمة: نعم قد رأى ربه، قال: فسألت عنه الحسن فقال: رأى جلاله وعظمته ورداءه/١٢منه.

(*) أخرجه أحمد (١/٢٨٥)، وصحح إسناده الشيخ شاكر فى تعليقه على "المسند"(٢٥٨٠).

(٤) أي: أعقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى، ونفاذ أمره فى الملأ الأعلى "وما تحت الثرى" فانظروا إلى اللات، والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه/١٢كبير.

(٥) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله: "اللات والعزى" كان اللات رجلا يلت سويق الحاج، رواه البخارى يلت أي: يبل، وزاد ابن جرير، وابن المنذر وعبدالرزاق عن =

سدنة يعظمونه اشتقوا اسمها من لفظ الله يعنون مؤنثه -تعالى الله عن ذلك، ﴿وَالْعُزَّى﴾، من العزيز شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف[1]، ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾، كانت بين مكة والمدينة يهلون منها للحج أفرد هذه الثلاثة بالذكر وإن كان فى جزيرة العرب طواغيت كثيرة عليها بيوت يعظموها كتعظيم الكعبة، لأنها أشهر من غيرها، وأعظم عندهم، والأخرى ذم وهى المتأخرة فى الرتبة، و"أفرأيتم" عطف على أفتمارونه، وإدخال الهمزة لزيادة الإنكار يعني: أبعد هذا البيان تستمرون على المراء فترون اللات والعزى ومناة أولاد الله أخس أولاد أى الإناث وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾، دال على ثانى مفعولى أفرأيتم، ومعناه أتختارون لأنفسكم الذكور من الأولاد، وتجعلون لله، وتختارون له البنات فإنهم يقولون: الملائكة وهذه الأصنام بنات الله -تعالى عن ذلك، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾: جائرة، ومن قرأ بالهمزة، فهو من ضأزه إذا ظلمه، ﴿إِنْ هِيَ﴾: ما الأصنام، ﴿إِلا أَسْمَاءٌ﴾: ليس لها فى الحقيقة مسميات، لأنكم تدعون الألوهية لها، ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾: بهواكم، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: برهان تتعلقون به، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾: أنفسهم، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾: الرسول

= مجاهد: فاعتكفوا على قبره، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبى صالح قال: العزى نخلة كانوا يعلقون عليها السيور، والعلهز(فى اللسان: وبر يخلط بدماء الحَلَم كانت العرب فى الجاهلية تأكله فى الجدب)، ومناة حجر بقديد، كذا فى الدر المنثور/١٢.

(١) بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليها خالد بن الوليد فقطعها وأخرج منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها تدعو على نفسها بالويل، فضربها بالسيف حتى قتلها، ورجع فأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "تلك العزى، ولن تعبد أبدًا"، هذا ما فى الوجيز، وكذا فى الدر المنثور، وعزاه فيه إلى النسائى وابن مردويه[حسن، أخرجه النسائى فى التفسير]/١٢.

والقرآن فتركوه، ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، الهمزة للإنكار أي: بل ليس له كل ما يتمناه كما يتمنون شفاعة الآلهة، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾: يعطى ما يشاء لمن يشاء.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ[1] فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: كثيرًا منهم مع علو رتبتهم، ﴿لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: من الإغناء، ﴿إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾: في الشفاعة، ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: من الناس، أو من الملائكة، ﴿وَيَرْضَى﴾: فكيف ترجون شفاعة الأنداد الجماد

(١) هذا جواب كلام كأنهم قالوا: لا نشرك بالله شيئًا، وإنما هذه الأصنام شفعاء فإنها صور ملائكة مقربين، فقال: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا" الآية/١٢ كبير.

عند الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾: قائلين هم بنات الله، ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾: ما يقولون، ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾: من العلم[1]، ﴿شَيْئًا[2]﴾: فإن العقائد والمعارف اليقينية، لا يدرك بالظن أصلا، ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾: فلم يتدبر، و لم يتأمل، ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: ولا تجادله ولا تدعه إلى الهدى، ﴿ذَلِكَ﴾: أمر الدنيا، ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: لا يتجاوزونه، وفي الدعاء المأثور "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا[3]" ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: فلا يجيب، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾: فيجيب تعليل للأمر بالإعراض، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: خلقًا، ﴿لِيَجْزِيَ﴾، علة لقوله: "ولله ما في السموات وما في الأرض" أي: خلق العالم لهذا أو علة لقوله: "وهو أعلم بمن ضل" إلخ، فإن نتيجة العلم بهما جزاءهما، وقوله: "ولله ما في السموات" إلخ معترضة بيان لكمال قدرته، ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: بعقابه، أو بسببه، ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: بالمثوبة الحسنى، أو بسبب الأعمال الحسنى، ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾، هي ما عليه وعيد شديد، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: من الكبائر خصوصًا، ﴿إِلا

---

(١) فإنه يدرك الحق الذى هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم/ ١٢منه.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: "احذروا هذا الرأى على الدين فإنما كان الرأى من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مصيبًا لأن الله كان يريه، وإنما هو منا تكلف، وظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا/١٢در منثور.

(٣) أخرجه الترمذى مع زيادة وحسنه[حسن، وانظر صحيح الجامع (١٢٦٨)]/١٢در منثور.

عليه وعيد شديد، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: من الكبائر خصوصًا، ﴿إِلا اللَّمَمَ[1]﴾ أي: الصغائر، فالاستثناء منقطع أو إلا بمعنى غير صفة وحرف التعريف فى الموصوف للجنس، فهو فى حكم النكرة،وقد ورد[2] أنه قال -عليه الصلاة والسلام: "إن تغفر اللهم اغفر جما فأىُّ عبد لك ما ألما" أو اللمم من الكبائر، والمعنى يجتنبون من الكبائر كلها مطلقًا إلا القليل منها بمعنى أنه يلم بها مرة أو مرتين، فيتوب عن قريب فلا يجعلها عادة، وهو قول كثير من السلف، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: فلا تيأسوا بكثرة المعاصي، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾: فى ابتداء خلق أبيكم من تراب، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾، جمع جنين، ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا تمدحوها، ولا تنسبوها إلى الطهارة، ولا تعجبوا بطاعاتكم، وفى صحيح مسلم عن ابن

---

(١) أخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال "ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال: أبو هريرة -رضى الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"، وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- فى قوله "إلا اللمم" قال: زنا العين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيًا، وإلا فهو اللمم، ومثله عن أبى هريرة -رضى الله عنه- هذا ما فى الفتح، وعزى السيوطى فى الدر المنثور ما روى عن ابن مسعود -رضى الله عنه- إلى عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، والحاكم قال: صححه الحاكم وعزى ما روى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- إلى ابن أبى حاتم وابن جرير ومسدد/١٢.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب[صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى]/١٢لباب.

عطاء قال: سميت ابنتى برة، فقالت زينب بنت أبى سلمة إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن هذا الاسم، فقال: "لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم" ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى[1]﴾: فربما تنسبون أحدًا إلى التقوى، والله يعلم أنه ليس كذلك، وكذلك ورد فى الحديث الصحيح[2] "إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكى على الله أحدًا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك".

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا

---

(١) ولما قال: "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى" أعقبه بمن ظهر منه التقوى والإيمان، وهو فى نفس الأمر من أهل الشقاوة فقال: "أفرأيت الذى تولى: الآية/١٢.

(٢) كما ورد فى الصحيحين/١٢وجيز.

مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ[١] الَّذِي تَوَلَّى﴾: أعرض عن الحق، ﴿وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى﴾: أنفق قليلا وبخل بالباقي، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾: بأن إنفاقه ينفد ما في يده، ﴿فَهُوَ يَرَى﴾: عيانًا ويعلم ذلك، ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ[٢] الَّذِي وَفَّى﴾: أقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام، والكمال قال تعالى: "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن"[البقرة:١٢٤] وتقديم صحف موسى لأنها أشهر، ﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تؤاخذ نفس آثمة بمأثم نفس أخرى، ولا يحمله عنها أحد وإن مخففة من المثقلة بدل ما في صحف، أو تقديره أعنى أن لا تزر، ﴿وَأَنْ لَيْسَ[٣] لِلإِنْسَانِ

---

(١) قوله: أفرأيت بمعنى أخبرني، والموصول مفعوله الأول، والجملة الاستفهامية التي فيها التهكم مفعوله الثاني/١٢وجيز.

(٢) قيل: خص هذين النبيين، لأن ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بأبيه وابنه، وعمه وخاله والزوج بامرأته، والعبد بسيده، فأول من خالفهم إبراهيم/١٢وجيز.

(٣) قال شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية -رحمه الله: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير، وثانيها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعى الغير رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم، سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: "وكان أبوهما صالحا"[الكهف:٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس من سعيهما، ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق بنص السنة، والإجماع وهو من عمل الغير تاسعها: أن الحج المفروض =

﴿إلا ما سَعَى[1]﴾: لا يثاب أحد بفعل غيره أيضًا، ومن هذه استنبط الإمام الشافعى أن ثواب القراءة لا تصل إلى الموتى، وأما من سن سنة حسنة، أو سيئة فله أجرها وأجر من

= يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير حادى عشرها: المدين قد امتنع -صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر على بن أبى طالب، وانتفع بصلاة النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو من عمل الغير، ثانى عشرها: أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لمن صلى وحده: "ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه"، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير، رابع عشرها: أن من عليها تبعات ومظالم إذا حلل عنها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير، خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع فى المحيا والممات كما جاء فى الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير، سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، فالأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره، سابع عشرها: الصلاة على الميت، والدعاء له فى الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحى عليه، وهو عمل غيره، ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد كذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض ببعض، تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم- "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"[الأنفال:٣٣] وقال تعالى: "ولولا رجال من مؤمنون ونساء مؤمنات"[الفتح: ٢٥] وقال تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض"[البقرة:٢٥٠] فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير، عشرونها: إن صدقة الفطر تجب على الصغير، وغيره ممن يعوله الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج، ولا سعى له فيها، حادى عشرينها: أن الزكاة تجب فى مال الصبي، والمجنون ويثاب على ذلك، ولا سعى له، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن يتناول الآية الكريمة على خلاف صحيح الكتاب والسنة وإجماع الأمة/١٢.

(١) هذا كما يقال: لا أملك إلا ما أكسب، لم يكن ذلك نفيًا للانتفاع بشيء غير كسبه فإنه قد يحصل له أشياء أخر لكن الذى هو مالكه، وفى تحت يده واختياره ما كسب/١٢وجيز.

عمل بها ووزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فلأنه سببها ودل عليها، وفى الصحيح "من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا"، أو معناه لا يملك شيئًا غير ذلك، وإن كان قد يحصل له بفضل الله، وبدعاء الغير، وصدقته له نفع لكن هو لا يملك ذلك، ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾: فى ميزانه، ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ أي: يجزى الإنسان سعيه الجزاء الأوفر، فليس له أن يبخل، وينقص العمل، والضمير المرفوع للإنسان والمنصوب للسعي، ونصب الجزاء بأنه مفعول مطلق، أو بنزع الخافض أي: بالجزاء الأوفى كما يكون صفة للمجزى يكون صفة للحدث أي: المصدر لملابسته له قيل نزلت فى وليد بن مغيرة آمن فعيره المشركون، فقال: أخشى عذاب الله، فضمن أحد من المشركين أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه كذا مالا فارتد وأعطى بعض ما شرط، وبخل بالباقي، ومعنى أعنده علم الغيب، فهو يرى أنه يعلم تمكين الله تعالى إياه عن أن يحمل عنه العذاب وباقى الآية ظاهر الملائمة حينئذ، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾: المرجع، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾: فى الدنيا أو الآباء، ﴿وَأَحْيَا﴾: فى الآخرة أو الأبناء فى الدنيا أيضًا، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾: تدفق فى الرحم، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾: وفاء بوعده، ﴿النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾: الإحياء بعد الموت، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾: بإعطاء المال، ﴿وَأَقْنَى﴾: أعطى القنية هى أصول مال اتخذه لنفسه لا للبيع أي: ملكهم المال، وجعله عندهم مقيمًا لا يحتاجون إلى بيعه، وقيل: أفقر، وكان من أخذ مالا لا للبيع فهو فقير لا يبيع ولا يشترى، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾: كوكب وقاد خلف الجوزاء تعبد فى الجاهلية، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾: قوم هود وعاد الأخرى إرم، ﴿وَثَمُودَ﴾، عطف على عادًا، ﴿فَمَا أَبْقَى﴾: أي: الفريقين، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل عاد وثمود، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ﴾: من الفريقين، ﴿وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ أي: إنه أسقط إلى الأرض القرى المنقلبة، وهى قرى

قوم لوط[1]، ﴿**فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى**﴾: من العذاب كأنه لا يمكن أن يوصف، ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ**﴾: أيها الإنسان، ﴿**تَتَمَارَى**﴾: تتشكك، ﴿**هَذَا**﴾: الرسول، ﴿**نَذِيرٌ**[2] **مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**﴾: من جنس الأنبياء المتقدمين، أو القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة، ﴿**أَزِفَتِ الْآزِفَةُ**﴾: قربت الموصوفة بالقرب، وهى القيامة، ﴿**لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**﴾: أي: نفس كاشفة أهوالها إذا غشيت الخلائق أو مبينة متى تقوم لا يجليها لوقتها إلا هو، ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ**﴾: القرآن، ﴿**تَعْجَبُونَ**﴾: إنكارًا، ﴿**وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**[3]﴾: لاهون أو مستكبرون أو مغنون لتشغلوا الناس عنه، ﴿**فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا**﴾ أي: ما عبدوه دون الآلهة.

والحمد لله على التوحيد.

---

(۱) بإجماع المفسرين وسميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذبًا/١٢ وجيز.

(۲) افتتح السورة به واختتم أيضًا/١٢وجيز.

(۳) روى أنه -صلى الله عليه وسلم- لم ير بعد نزولها ضاحكًا فاسجدوا لله واعبدوه دون الآلهة الباطلة، وهذه السورة أول سورة أعلن -صلى الله عليه وسلم- بقراءتها فى الحرم، وفيها سجد وسجد من حضر من مؤمن ومشرك إلا أن أبا لهب أخذ حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: هذا يكفي[أخرجه البخارى وغيره]، وسبب نزولها قولهم: محمد يختلق بالقرآن/١٢وجيز.

سورة القمر مكية

وهی خمس وخمسون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) ﴾

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ[1]﴾ انشقاقه من علامات قرب القيامة،وقد انشق[2] فى عهده -عليه الصلاة والسلام- حين التمسوا آية، وعن بعض أن ذلك وقع مرتين، ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾: عن الإيمان بها، ﴿وَيَقُولُوا﴾: ما شاهدنا، ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾: مار ذاهب مضمحل[3] باطل، أو محكم، أو مطرد دائم، وذلك لما رأوا تتابع المعجزات، ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: الباطلة، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾: منته[4] إلى غاية، فهو تذليل جارٍ مجرى المثل، أو كل أمر من خير وشر يستقر بأهله، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾: فى القرآن، ﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾: أخبار الأمم السالفة، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ازدجار يقال: ازدجرته نهيته عن السوء قلبت تاء الافتعال دالا، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾: تامة بلغت الغاية خبر محذوف، أو بدل من ما ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾، ما نافية والنذر جمع نذير،

---

(١) قال ابن كثير: قد كان الانشقاق فى زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأحاديث الصحيحة، قال: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع زمن النبى -صلى الله عليه وسلم- وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات، وقال الزجاج: زعم قوم عدلوا عن القصد، وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين فى اللفظ، وإجماع أهل العلم لأن قوله الآتي: "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" يدل على أن هذا كان فى الدنيا لا فى القيامة. انتهى/١٢فتح.

(٢) قال البيهقى وغيره: قال قريش -حين رأوه منشقًا نصفين ليلة البدر: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انتظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر السفار كلهم، فلما سئل السفار حين قدموا من بعيد قالوا: رأينا/١٢منه.

(٣) الوجه الأول لمجاهد وقتادة، وغيرهم/١٢منه.

(٤) من نصر أو خذلان أو سعادة وشقاوة وغيرهما فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر/١٢منه.

أو استفهامية للإنكار أي: فأى غناء يغنى المنذرون ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، قيل: منسوخ بآية القتال، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ أي: الداعى، وهو إسرافيل، ونصب يوم إما بخرجون، أو بمقدار نحو: انتظر أو اذكر، ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾: منكر فظيع لم ير مثله هو هول القيامة، ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ[1] يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ أي: يخرجون من القبور حال كون أبصارهم ذليلين من الهول، أو حال مقدرة من مفعول يدع المحذوف، ومن قرأ خاشعًا فلأن فاعله ظاهر مؤنث غير حقيقي، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾: فى الكثرة، والحيرة يقعون كما يقع الجراد، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين مادى أعناقهم، ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ[2] عَسِرٌ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: نوحًا، ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾: نوحًا تفصيل بعد إجمال قيل: معناه كذبوا فكذبوا أي: ما تركوا التكذيب قرنًا بعد قرن، ﴿وَقَالُوا﴾: هو، ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾: وازدجروه، ومنعوه عن الدعوة، وقالوا: "لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين"[الشعراء:١١٦] قيل: ازدجرته الجن، فيكون من جملة المقول، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾: بأني، ﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ[3]﴾: فانتقم لى منهم، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ

---

(١) وفى الكشاف: هذا على لغة أكلونى البراغيث، واعترض عليه صاحب البحر بأن الزمخشرى قاس جمع التكسير على جمع السلامة، وليس كذلك فإن مررت بقوم كرام آباؤهم ليس على لغة أكلونى البراغيث كما دل عليه نصوص القوم نعم مررت بقوم كريمين آباءهم عليها/١٢وجيز.

خشوع الأبصار كناية عن الذلة، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما/١٢منه.

(٢) لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه/١٢وجيز.

(٣) وإنما دعا عليهم بعد مدة متطاولة يئس من إيمانهم، ورأى منهم زيادة شدقم فى التعدى والكفر/١٢وجيز.

مُنْهَمِرٍ[1]﴾: منصب، وعن علی -رضی الله عنه- حين سئل عن المجرة هی باب السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر، وعن ابن عباس -رضی الله عنهما- ماء ذلك من السماء لا من السحاب، ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا[2]﴾ : جعلناها كلها كأنها عيون تتفجر، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾: ماء السماء والأرض،﴿عَلَى أَمْرٍ﴾، حال، ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قضی فی الأول، أو علی أمر قدره الله تعالی وهو إهلاكهم، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾: أخشاب عريضة، ﴿وَدُسُرٍ﴾: مسامير جمع دسار، والمراد السفينة، وعن بعض الدسر صدر السفينة، فإنها يدسر، ويرفع الماء، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأی منا، والمراد الحفظ يقال للمودع "عين الله عليك" ﴿جَزَاءً﴾، أي: فعلنا كل ذلك جزاء، ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾: لنوح، فإنه نعمة، ورحمة كفروها، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾: السفينة، أو الفعلة، ﴿آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: معتبر، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: إنذاري، والاستفهام لتعظيم الوعيد، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾: سهلنا لفظه ومعناه، ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للاتعاظ أو للحفظ، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متعظ، وعن ابن عباس -رضی الله تعالی عنهما- لولا أن الله يسره علی لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله[3]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ قوم هود، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ : شديدة البرد، ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شؤم عليهم، ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾: عليهم نحسه فإنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوی بالأخروي، أو علی جميعهم صغيرهم وكبيرهم، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾: تقلعهم، فترمی بهم علی رءوسهم، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول، ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: منقلع ساقط نقل أن الريح تقلع رءوسهم من أجسادهم فالمطروح

---

(١) منصب عن علی بن أبی طالب حين سئل عن المجرة هی مسرح السماء، ومنها فتحت بماء منهمر/١٢وجيز.

(٢) أصله فجرنا عيون الأرض، وغيرَّ للمبالغة كما تقول: اشتعل بيته نارًا/١٢منه.

(٣) أخرج ابن أبی حاتم والبيهقی وابن مردويه/١٢در منثور.

أجساد بلا رءوس كأصول نخل، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، التكـــرار للتـــهويل، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: بالإنذار الذى جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾، نصـــب بفعل يفسره نتبعه، ﴿مِنَّا﴾ من جنسنا، ﴿وَاحِدًا﴾ : منفردًا لا تبع له، أو واحدًا مـــن الآحاد لا من الأشراف، ﴿نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ[1]﴾: جنون، أو عـــذاب، ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾ : أنزل، ﴿عَلَيْهِ﴾: الوحي، ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾: وفينا من هو أفضل وأحق،

---

(١) يقال كأن بها سعر أي: جنونًا أو جمع سعير على إتباعهم إياه ما رتبـــه علـــى تـــرك اتباعهم/١٢ منه.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: متكبر يريد الترفع، ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا[1]﴾ أي: سريعًا، ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾: أصالح أم من كذبه؟ ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ[2]﴾ أي: قلنا لصالح إنا مخرجوها من الصخرة، ﴿فِتْنَةً﴾: امتحانًا، ﴿لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ﴾: انتظرهم، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾: على أذاهم، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: يوم للناقة ويوم لهم، ففيه تغليب، ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نصيب، ﴿مُحْتَضَرٌ﴾: يحضره من كانت نوبته فيتصرف، أو كل شرب من الماء، واللبن تحضرونه أنتم، ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ[3]﴾: الذى عقر الناقة اسمه قدار، ﴿فَتَعَاطَى﴾: الناقة، أو السيف، أو فاجترأ على تعاطى قتلها، ﴿فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ[4] صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: صيحة جبريل، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ﴾: كشجر اليابس المتكسر، ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾: الذى يعمل الحظيرة[5]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا[6] الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

---

(١) والمراد من الغد الزمان المستقبل القريب/١٢وجيز.

(٢) لما هددهم بقوله: سيعلمون، وقد ادعوا أنه كاذب قالوا: ما الدليل على صدقك؟ قال الله إنا مخرجو الناقة من الصخرة/١٢وجيز.

(٣) حكاية الناقة تقدمت، وهنا مقدر أي: فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فعملوا وعزموا على عقرها فنادوا/١٢وجيز.

(٤) فى الإجمال والتفصيل تفخيم العذاب/١٢وجيز.

(٥) وهى تصنعها العرب للمواشي، والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم، فيحتطم ويتهشم/١٢فتح.

(٦) فائدة تكرير هذه الآية أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذّكارًا، واتعاظًا، وأن يستأنفوا تيقظًا وانتباهًا إذا سمعوا، والحث على ذلك والباعث إليه وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان، ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم/١٢فتح البيان.

مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوط بِالنُّذُرِ﴾: بالمواعظ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا تحصبهم، ﴿إِلا آلَ لُوط نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾: فى سحر، ﴿نِعْمَةً﴾: إنعامًا، ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾، علة لنجينا، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما أنعمنا على آل لوط، ﴿نَجْزِى مَنْ شَكَرَ﴾: فآمن، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾: لوط، ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أخذتنا بالعذاب، ﴿فَتَمَارَوْا﴾: كذبوا، ﴿بِالنُّذُرِ﴾: متشاكين، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه للفجور، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل فى صورة مرد حسان، ﴿فَطَمَسْنَا﴾: مسخنا، ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾: صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أى: قلنا لهم ذلك على ألسنة الملائكة، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾: أول النهار، ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾: ثابت لا يزول عنهم أبدًا، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: كرره فى كل قصة للتنبيه على أن كل واقعة لابد أن يتأمل فيها، ويعتبر منها، ولا يغفل عنها.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾: المنذرون أو الإنذار، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾: لا يغالب، ولا يعجزه شيء، ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾: يا معشر العرب، ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر قوة وعدة، ﴿مِنْ أُولَائِكُمْ﴾: الكفار المذكورين، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾: من عذاب الله تعالى، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: فى الكتب المنزلة من السماء، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾: جماعة ينصر بعضنا بعضًا، فلا نغالب، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: الأدبار أي: ينهزمون، فالإفراد لإرادة[1] الجنس، وهذا يوم بدر، ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: للعذاب، ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾: أشد داهية،وهى نازلة لا يهتدى لدوائها، ﴿وَأَمَرُّ[2]﴾: مما نزل عليهم فى الدنيا، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾: فى الدنيا، أو فى الآخرة لا يهتدون إلى الجنة، ﴿وَسُعُرٍ﴾: نيران فى الآخرة، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾: يجرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ﴾: حر، ﴿سَقَرَ﴾ : جهنم، ﴿إِنَّا كُلَّ[3] شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ[4]﴾: أى خلقنا كل شيء

---

(١) وحسن هنا للفاصلة، وهذا عدة من الله بهزيمة قريش فإن السورة مكية/١٢وجيز.

(٢) فى البخارى وغيره عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال وهو فى قبة له يوم بدر: "أنشدك عهدك، ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا" فأخذ أبو بكر بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب فى الدرع ويقول: "سيهزم الجمع، ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر"[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٨٧٥)]/١٢فتح.

(٣) نصب كل بفعل مفسره خلقناه، وقاعدة النحو: إن الرفع فى مثل ذلك هو الأولى، لكن نصبه لأن الرفع موهم خلاف المقصود، إذ خلقناه حينئذ يحتمل أن يكون صفة كل شيء، فيوهم أن فى المخلوقات ما ليس بقدر، وهو مخلوق لغير الله والله خالق كل شيء/١٢وجيز.

(٤) القدر على درجتين الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله عليم بأعمال الخلق، وأحوالهم من الطاعة والمعصية والرزق والأجل بعلمه القديم، وكتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق =

بتقديرنا، وهو مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ﴾: إلا كلمة واحدة وهى قول "كن" أو إلا مرة واحدة لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد، ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾: فى اليسر والسرعة وعدم المراجعة قيل: وما أمرنا فى مجيء الساعة إلا كلمح البصر نزلت حين خاصم مشركوا قريش فى القدر(١)، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم من الكفرة السالفة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متعظ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾: مكتوب فى كتب الحفظة، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأعمال، ﴿مُسْتَطَرٌ(٢)﴾: مكتوب، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾: أنهار الجنة من خمر ولبن

= وحين خلق الجنين كتب رزقه وأجله وعمله، وشقى أو سعيد، وهذا القدر وقد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكره اليوم قليل، والدرجة الثانية: هو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة هو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما من حركة وسكون إلا بمشيئة الله، ولا يكون فى ملكه ما لا يريد، وهو القادر على الموجودات والمعدمات، وهو خالق كل شيء ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصية الله وهو يحب التوابين والمنفقين، والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا ولا يحب الكافرين ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبَرّ والفاجر، والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبى -صلى الله عليه وسلم- مجوس[حسن، وانظر صحيح الجامع (٤٤٤٢)] هذه الأمة ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا من العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها، ومصالحها/١٢ هذا خلاصة ما قاله شيخ الإسلام فى العقيدة الواسطية/١٢.

(١) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه/١٢وجيز.

(٢) ولما فرغ من ذكر حال الأشقياء ذكر حال السعداء، فقال: "إن المتقين" الآية/١٢فتح.

وماء وعسل اكتفى باسم الجنس لرءوس الآي، وقيل: في سعة وضياء، ﴿**فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ**﴾: مجلس حق مرضى لا لغو ولا تأثيم، ﴿**عِنْدَ مَلِيكٍ**﴾: مقربين عند ملك عظيم، ﴿**مُقْتَدِرٍ**﴾: لا شيء إلا وهو تحت قدرته عن جعفر الصادق -رضى الله عنه- مدح الله تعالى المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.

اللهم اجعلنا بفضلك منهم.

سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة

وهي ثمان وسبعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٢٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥﴾

﴿الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: نبيه لا أنه يعلمه بشر، أو علمه عباده بأن يسر حفظه،وفهمه، ولما كانت السورة فى تعداد النعم صدرها بالرحمن، **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ[1]﴾**: النطق، والتعبير عما فى الضمير، **﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾**: يجريان،

---

(١) وهو الذى به يمكن قبول التعليم/١٢وجيز.

﴿بِحُسْبَانٍ[1]﴾: بحساب مقدر فى بروجهما، ومنازلهما يعلم منهما السنون والحساب، ﴿وَالنَّجْمُ﴾: الكواكب أو النبات الذى لا ساق له، ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾: "ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات، ومن فى الأرض، والشمس والقمر، والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس" الآية جرد هاتين الجملتين عن ما يدل على اتصلل وربط بالرحمن، ولم يقل بحسبانه ويسجدان له، لأن وضوح اتصاله يغنى عن البيان، وذكر الجمل الأولى على نهج التعديد[2]، ثم أدخل العاطف، ورد إلى المنهاج الأصلى، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾: فوق الأرض، ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: كل ما يوزن به الأشياء من الميزان والمكيال وغيرهما خلقه موضوعًا على الأرض، أو المراد من الميزان العدل كما قال تعالى "وأنزلنا معهم الكتاب والميزان" الآية، ﴿أَلَّا﴾ أي: لئلا، ﴿تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: لا تعتدوا فيه، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، عطف بحسب المعنى على أن لا تطغوا أي: ولأن تقيموه بالعدل، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا[3]﴾: لا تنقصوا، ﴿الْمِيزَانَ﴾: وتكرير الميزان للمبالغة فى التوصية، ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: خفضها مدحوة، ﴿لِلْأَنَامِ﴾: للخلق، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أنواع ما يتفكه به، ﴿وَالنَّخْلُ[4] ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: أوعية التمر التى يطلع فيها القنو، ثم تنشق، أو المراد الليف ﴿وَالْحَبُّ﴾:

---

(١) لما ذكر ما أنعم به على الإنسان أعقبه بما امتن به من الشمس، والقمر لما فيهما من كثرة المنافع أحدهما ظهور الأشياء كالبيان/١٢وجيز.

(٢) ليفيد أن كل واحد نعمة بحياله لا أن الجميع كواحدة/١٢وجيز.

(٣) خسر جاء متعديًا: خسروا أنفسهم أمر بالتسوية، ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء، وزيادة، وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان، ولما ذكر السماء ذكر مقابلها فقال: "والأرض"/١٢وجيز.

(٤) خص بين الأشجار لكثرة المنافع من ليف، وسعف، وجريد وجماء، وثمر هو فاكهة وطعام/١٢وجيز.

كالحنطة وغيرها، ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: هو ورق النبات(*)، ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: الرزق يقال: خرجت أطلب ريحان الله تعالى، أي: رزقه يعني: الحب ذو علف أنعام، وطعام إنسان، ومن قرأ بالرفع، فعلى تقدير، وذو الريحان بإقامة المضاف إليه مقام المضاف ليوافق القراءتان، وقيل الريحان هو المشموم، ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا[1]﴾ : أيها الثقلان، ﴿تُكَذِّبَانِ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾: آدم، ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس له صلصلة، ﴿كَالْفَخَّارِ﴾: الخزف، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾: أبا الجن، قيل هو إبليس، ﴿مِن مَّارِجٍ﴾: من صاف، ﴿مِّن نَّارٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرقي الشتاء والصيف، ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فإن اختلاف المشارق، والمغارب سبب لمصالح العباد، ﴿مَرَجَ﴾: أرسل، ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والملح،

(*) وفي نسخة "النبات اليابس".

(١) وكرر سبحانه هذه الآية في إحدى وثلاثين موضعًا تقريرًا للنعمة، وتأكيدًا للتذكير بها على عادة العرب في الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار، وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها، لأن من جملة الآلاء رفع البلايا، وتأخير العقاب، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلها بعدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأولين أخذًا من قوله، ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الأولى،، وعمل بموجبها استحق هلتين الثمانيتين من الله، وفيه السبعة السابقة أفاده شيخ الإسلام في متشابهة القرآن، والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال "ما لي أراكم سكوتًا للجن كانوا أحسن منكم ردًا ما قرأت عليهم هذه الآية إلا قالوا، ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد" وروى الترمذي بمعناه وقال: حديث غريب[حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٤)، ,الصحيحة (٢١٥٠)]/١٢فتح.

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: يتجاوران ويتلاصقان، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجز، ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾: لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة، أو لا يتجاوزان حديهما قد مر بيانه فى سورة الفرقان مفصلا، قيل المراد بحر الروم، وفارس يلتقان فى المحيط لأنهما ينشعبان منه، وقيل بحر السماء، والأرض، فإن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: كبار الدر، وصغاره، أو المرجان الخرز الأحمر يخرجان من المالح، لكن لما كان يلتقيان فيصيران واحدًا يصدق أنهما يخرجان منهما، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السفن، ﴿الْمُنْشَآتُ﴾: المرفوعات الشرع، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾: كالجبال فى العظم، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا**﴾: من على الأرض، ﴿**فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾: ذاته، ﴿**ذُو الْجَلالِ**﴾: الاستغناء المطلق، ﴿**وَالْإِكْرَامِ**﴾: الفضل الشامل، أو المراد يفنى كل ما في الأرض من الأعمال إلا ما هو لوجه الله تعالى، وهو كما قال كل شيء هالك إلا وجهه، ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: فإن فناء الكل، وبقاءه سبحانه مع أنه غني ذو فضل عام سبب لإيجاد المعاد، والجزاء بأتم وجه، ﴿**يَسْأَلُهُ**﴾: الرزق، والمغفرة، والعافية، وكل ما يحتاج إليه، ﴿**مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ قال -صلى الله عليه وسلم- من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين[1] والمراد من اليوم الوقت، وهو ظرف لشأن قيل هو رد لليهود قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا، ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ**﴾، تهديد وليس المراد الفراغ عن شغل فإنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فهو مجاز كأنه فرغ عن كل شيء، فلم يبق له شغل غيره فيدل على التوفر في النكاية، والانتقام أو لما وعد أهل التقوى، وأوعد غيرهم قال، سنقصد لحسابكم، وجزاءكم، وذلك يوم القيامة ﴿**أَيُّهَا الثَّقَلانِ**[2]﴾: الإنس، والجن

---

(١) أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده، والبزار وابن جرير والطبراني، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مندة، وبن مردويه، وأبو نعيم وابن عساكر[رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، وقال الهيثمي في "المجمع" (١١٧/٧): "وفيه من لم أعرفهم"]/١٢فتح.

(٢) اختلف العلماء في الجن هل لهم ثواب على قولين، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابًا مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة حكاه ابن حزم، وغيره عنه، والقول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة، ويعاقبون على المعاصي، وهو قول ابن أبي ليلى وهو مذهب الأوزاعي، وأبي يوسف، ومحمد، ونقل عن الشافعي، وأحمد بن حنبل وهو قول أصحابهما، وأصحاب مالك، وقال ابن عباس: لهم ثواب، وعليهم عقاب =

لثقلهما على الأرض أو لرزانتهما وقدرهما، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾: أن تخرجوا، ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: جوانب، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فارين من قضاء الله تعالى، ﴿فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ﴾: لا تقدرون على الخروج، ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ[1]﴾: بقوة وقهر، ومن أين لكم هذا، أو إلا بأمر من الله تعالى، وإذن منه، وتقديم الجن، لأنهم أقوى، وهذا فى المحشر حين أحاطت الملائكة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب يقول الإنسان يومئذ أين المفر، وعن بعض معناه إن استطعتم أن تعلموا ما فيهما فاعلموا لكن لا تعملونه إلا ببينة نصبها الله تعالى، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: فى ذلك اليوم، ﴿شُوَاظٌ﴾: لهب لا دخان فيه، ﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾: دخان لا لهب له، ومن قرأ بجر نحاس فمعناه، وشيء من نحاس فحذف الموصوف لدلالة ما قيل عليه، أو هو صفر[2] مذاب يصب على رؤسهم، ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾: لا تمتنعان من الله تعالى، وحاصل الكلام لو هربتم يوم القيامة لردتكم

= وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى: "ولكل درجات مما عملوا" [الأنعام:١٣٢] "فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا" [الجن:١٤-١٥] واتفقوا على أن كافر الجن معذب فى الآخرة واختلفوا فى مؤمنيهم هل يدخلون الجنة على أربعة أقوال أحدها أنهم يدخلون الجنة، وعليه جمهور العلماء، وحكاه ابن حزم فى الملل عن أبي ليلى، وأبي يوسف، وجمهور الناس قال وبه نقول، القول الثانى أنهم لا يدخلونها، بل يكونون فى ربضها يريهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهذا القول مأثور عن مالك، والشافعي، وأحمد، وأبي يوسف، ومحمد، وحكاه ابن تيمية فى جواب ابن مرى، وهو خلاف ما حكاه ابن حزم عن أبي يوسف، والقول الثالث: أنهم على الأعراف، الرابع الوقف/١٢آكام المرجان فى أحكام الجان للعلامة بدر الدين الشبلى -رحمه الله.

(١) قال محيى السنة: المراد "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة" فالأمر أمر تعجيز/١٢وجيز.

(٢) الصُّفر: النحاس الجيد، واحدته صُفْرَةٌ.

الملائكة، والزبانية بإرسال اللهب من النار، والنحاس لترجعوا، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**: فإنه مع عجزكم، وجهلكم دلكم على ما يخلصكم من هذه النوائب، وتجارة تنجيكم من عذاب أليم مع أن التهديد، والانتقام من الكفار، والتمييز بين المطيع، والعاصى من الآلاء، **﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾** أي: حمراء كوردة، **﴿كَالدِّهَانِ﴾**: يذوب، ويتلون كالأدهان، وذلك من هول القيامة، وعن بعض الوردة: الخيول الوردة، فإن الفرس الورد فى الربيع أصفر، وفى أول الشتاء أحمر، وفى اشتداد الشتاء أغبر، وعن بعض الدهان الأديم الأحمر **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ﴾**: يوم الإنشقاق، **﴿لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾**[1] أي: لا يسأل أنس عن ذنبه، ولا جان، وذلك فى موطن خاص، هذا يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ثم يسألون، "فوربك لنسألنهم أجمعين"[الحجر:٩٢]، أو سؤال علم؛ بل سؤال توبيخ، أو لأنهم يعرفون بسيماهم،وهذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾**: كاسوداد وجوههم، وزرقة عيونهم، **﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالأَقْدَامِ﴾**: يجمع بينهما فى سلسلة من وراء ظهره[2]، ويطرح فى النار، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ﴾** أي: يقال لهم هذه **﴿جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾**: بين النار، **﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾**: ماء شديد الحرارة، **﴿آنٍ﴾**: بالغ النهاية فى الحر يؤخذ، فيحرك بناصيته فى الحميم فيذوب اللحم يسحبون فى الحميم، ثم فى النار يسجرون، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**.

---

(١) عن ابن عباس: هل علمتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم، لكن يقول: لم عملتم كذا وكذا/١٢منه.

(٢) صرح بذلك الضحاك، والسدي، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- يؤخذ بناصيته، وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور/١٢منه.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ[1] **مَقَامَ رَبِّهِ﴾**: موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب، أو المقام مقحم للتعظيم كأخاف جانبه والسلام على مجلسه، **﴿جَنَّتَانِ﴾**: لكل من الإنسان جنتان

---

(١) لكل فرد من الخائفين جنتان، روى النسائي، وغيره أنه -عليه السلام- قرأ يومًا هذه الآية، ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أبو الدرداء: قلت وإن زنا وإن سرق، فقال: ولمن =

للمقربين من ذهب، قيل: جنة للإنسى، وجنة للجنى، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾**: أنواع النعم جمع فن[1]، أو أغصان جمع فنن، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾**: تحت تلك الأشجار، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾**: صنفان صنف رأيتم، وصنف ما رأيتم، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ[2]﴾**، حال من "من خاف"، فإنه فى معنى الجمع، **﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا﴾**: الذى يلى الأرض، **﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾**: ديباج ثخين إذا كان هذه البطائن، فما ظنكم بالظواهر، وعن بعض ظواهرها من نور جامد، **﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾**: ثمرهما، **﴿دَانٍ﴾**: قريب يجنى منه القاعد والراقد، **﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ﴾**: فى

= خاف مقام ربه جنتان، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال: وإن رغم أنف أبى الدرداء، ونقله ابن جرير أيضًا/١٢منه.

وذكر فى الفتح هذا الحديث، وعزاه إلى الترمذى وأحمد، والبزار، وأبى يعلى والطبرانى وغيرهم[صحيح، أخرجه أحمد (٣٥٧/٢)، والنسائى فى "التفسير" وغيرهما] قال مجاهد والنخعي: هو الرجل الذى يهم بالمعصية، فيذكر الله فيدعها من خوفه، وفيه إشارة إلى سبب استحقاق الجنتين فى نفس الأمر، وهو أنه ليس مجرد الخوف، بل الخوف الناشئ عنه ترك المعاصي/١٢فتح.

(١) قاله ابن عباس -رضى الله عنهما- وغيره/١٢وجيز.

(٢) والاتكاء يطلق على الاضطجاع، وعلى التربع/١٢وجيز.

قال فى القاموس: توكأ عليه: تحامل، واعتمد، واتكأ: جعل له متكئًا، وقوله -صلى الله عليه وسلم- "أما أنا فلا آكل متكئًا"[أخرجه البخارى وغيره] أي: جالسا جلوس المتمكن المتربع، ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه للأكل مستوفزا مقعيا غير متربع، ولا متمكن، وليس المراد الميل على شق كما ظنه عوام الطلبة، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض، والمهموم/١٢فتح.

أماكن الجنتين، أو فى الفرش، ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى الغير تقول لبعلها: والله ما أرى فى الجنة أحسن منك لا أحب إلى منك الحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ[1]﴾: لم يجامعهن، ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾: فى حمرة الوجنة، أو فى الصفاء، ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: اللؤلؤ فى البياض، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ﴾: أحسنوا فى الدنيا، فأحسن إليهم فى الآخرة، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا﴾: سوى تينك الجنتين للمقربين، ﴿جَنَّتَانِ﴾: لمن دونهم لأصحاب اليمين من الورق، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ﴾: سوداوان من شدة خضرتهما لريهما، وصف الأوليين بكثرة أشجارهما، وهاتين بالخضرة لما بينهما من التفاوت، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ[2]﴾: فوارتان بالماء، والجرى أقوى من النضخ، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: أفردهما بالذكر لفضلهما، فإن الرطب فاكهة، وغذاء،

---

(١) وفى السمين أصل الطمث الجماع المؤدى إلى خروج دم البكر، ثم أطلق على كل جماع طمث، وإن لم يكن معه دم، وقيل الطمث دم الحيض، أو دم الجماع، قال الواحدي: قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن قبلهم أحد، ولم يتسلط عليهن، وفى هذه الآية، بل فى كثير من آيات لهذه السورة دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه، وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن مناهيه، قال ابن عباس: فى الآية ﴿لم يطمثهن﴾ لم يدن منهن، ولم يدمهن، وفى الآية دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس، فإن مقام الامتنان يقتضى ذلك إذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان/١٢فتح.

(٢) قال أهل اللغة: النضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة، لأن بالحاء الرش، وبالخاء المعجمة فوران الماء، قاله السمين/١٢فتح.

والرمان فاكهة ودواء(١)، وصف الأوليين بأن فيهما من كل فاكهة صنفين، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾: خيّرات الأخلاق خُفِّفَ كَهيْنٍ فى هيِّنٍ وليِّنٍ، ﴿حِسَانٌ﴾: حسان الخلق، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ﴾: مخدرات مستورات، أو مقصورات الطرف على أزواجهن وصفهن فى الأولى بقاصرات الطرف التى تدل على أنهن بالطبع قد قصرت أعينهن عليهم، وهى أتم من المقصورات التى فيها إشعار بقسر القصر، ﴿فِي الْخِيَامِ(٢)﴾: كل خيمة من زبرجد وياقوت، ولؤلؤة واحدة فيها سبعون بابًا من الدر، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ(٣) إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، زاد فى وصف الأوائل كأنهن الياقوت والمرجان، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: مجالس فوق الفرش، أو وسائد، أو رياض الجنة، ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾: كل شيء نفيس من الرجال وغيره يسمى عند العرب عبقريا قيل تزعم العرب أن عبقر اسم بلد من بلاد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب، نعت بطائن فرش الأولين، وسكت عن ظهائرها إشعارًا بأن وصفها متعذر، فأين هذا من ذاك، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾: تعالى اسمه؛ لأنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته، ﴿ذِى الْجَلالِ﴾: أهل أن يجل فلا يعصى،

---

(١) وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم، وبه قال الشافعي، فيحنث أكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة، وحينئذ فعطفهما عليه من عطف الخاص على العام تفصيلا، ولم يخالف فى ذلك إلا أبو حنيفة وقد خالفه صاحباه أبو يوسف، ومحمد، وهو قول خلاف قول أهل اللغة، ولا حجة له فى الآية/١٢فتح.

(٢) أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن من أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن/١٢فتح.

(٣) قيل: فيه دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس/١٢منه.

﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: وأهل أن يكرم فيعبد، ويشكر، ولا يكفر، وفى الحديث(*) "من إجــلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم، وذى السلطان، وحامل القرآن غير الغالى فيــه، ولا الجافى منه".

والحمد لله حق حمده.

(*) رواه الإمام أحمد[حسن، وانظر صحيح الجامع (٢١٩٩)]/١٢منه.

سورۃ الواقعۃ[1] مکیۃ

وهی ست وتسعون آیة وثلاث رکوعات

بسم الله الرحمن الرحیم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٤

(١) عن ابن مسعود سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة أبدًا" أخرجه البيهقى فى الشعب، والحارث بن أبى أسامة[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٧٨٥)، والضعيفة] وأبو يعلى، وابن مردويه وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "سورة الواقعة سورة الغناء فاقرءوها وعلموا أولادكم"["موضوع" وانظر كشف الخفاء للعجلونى (٥٢٥/١)] أخرجه ابن عساكر/١٢فتح.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: اذكر إذا قامت القيامة، ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾: لمجيئها، ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: كذب، بل هي واقعة صادقة نحو جملة صادقة، أو ليس لأجل وقعتها نفس كاذبة، فإن من أخبر عنها صدق، قيل: لا تكون حين تقع[1] نفس تكذب على الله تعالى، فإن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة، ﴿خَافِضَةٌ﴾: تخفض قومًا، ﴿رَافِعَةٌ﴾: ترفع آخرين، ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ﴾: حركت تحريكًا شديدًا ظرف لخافضة، أو بدل من إذا وقعت، ﴿رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾: فتت حتى تعود كالسويق، أو سيرت، ﴿بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً﴾: غبارًا، ﴿مُنْبَثًّا﴾: منتشرا، ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا، ﴿ثَلاثَةً﴾ أي: ينقسم الناس يومئذ إلى ثلاثة أصناف، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الذين هم عن يمين العرش، أو كانوا عن يمين آدم عند إخراج الذرية من ظهره أو الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، أو أصحاب المنزلة السنية، أو أصحاب اليمن، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، جملة استفهامية تعجبية خبر للمبتدأ[2]، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ﴾، مقابل الميمنة بالمعاني، ﴿مَا

---

(١) على الوجه الأخير اللام فى لوقعتها للتأنيث نحو "يا ليتنى قدمت لحياتي" [الفجر:٢٤] / ١٢منه.

(٢) أى الجملة الاستفهامية خبر لأصحاب الميمنة، بإقامة الظاهر مقام المضمر أي: أصحاب الميمنة أى شيء هم/١٢منه.

أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ﴾: إلى الهجرة، أو إلى إجابة الرسول أو إلى الخيرات، **﴿السَّابِقُونَ[1]﴾**، خبر للمبتدأ نحو شعرى شعري، **﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**: قربت درجاهم فى الجنة، وقيل: حال من ضمير المقربون، أو خبر بعد خبر، **﴿ثُلَّةٌ﴾** أي: هم جماعة كثيرة، أو خبر آخر لأولئك، **﴿مِنَ الأَوَّلِينَ﴾**: الأمم الماضية، من آدم إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام- **﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾** من هذه الأمة، فإن السابقين منهم أقل من مجموع السابقين من سائر الأمم أو هم كثير من متقدمى هذه الأمة، وقليل من متأخريها، وكثير من السلف على ذلك، وعليه بعض الأحاديث، **﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾**: منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر خبر آخر للضمير المحذوف، **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا[2] مُتَقَابِلِينَ﴾**: وجوه بعضهم إلى بعض[3] ليس أحد وراء أحد حالان من ضمير على سرر، **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾**: للخدمة، **﴿وِلْدَانٌ﴾**: غلمان، **﴿مُخَلَّدُونَ[4]﴾**: لا يشيبون[5] ولا يتغيرون، **﴿بِأَكْوَابٍ﴾**: إناء لا عروة ولا خرطوم

---

(١) قال الحسن وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة عند ظهور الحق من غير تلعثم/١٢فتح.

(٢) أي: على السرر على الجنب أو غيره، كحال من يكون على كرسى فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه/١٢فتح.

(٣) من غاية الأنس/١٢.

(٤) قيل: هم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارًا، لا حسنة لهم ولا سيئة، وهو ضعيف، وقيل: هم أطفال المشركين ماتوا قبل التكليف، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين فى الجنة ابتداء كالحور العين من غير ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من أولاد الدنيا، وهذا هو الصحيح، وأطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم، والأمة وليدة وإن أسنت/١٢فتح.

(٥) لا يموتون/١٢.

له، والباء للتعدية، ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: الجامع للوصفين[1]، ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾: من خمر جار، ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا[2] وَلَا يُنْزِفُونَ﴾: لا ينشأ عنها صداعهم، ولا ذهاب[3] عقلهم، ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يختارون، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ[4] مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ[5] عِينٌ﴾ أي: وفيها حور عين، أو عطف على ولدان، ومن قرأ بالجر فعطف على جنات أي: أولئك فى صحبة حور عين، أو على بأكواب بحسب المعنى، فإن حاصل معناه ينعمون بأكواب، وكذا وكذا أو بحسب اللفظ أيضًا أي: يطوف الغلمان بالحور العين عليهم فى خيامهم وخلواتهم، ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ[6]﴾: المصون عما يَضُرُّ به، ﴿جَزَاءً﴾ أي: يفعل ذلك كله بهم للجزاء، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[7] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: عبثًا باطلا، ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: ولا ما يوقع فى الإثم أو لا نسبة إلى الإثم أي: لا يقال لهم أثمتم، ﴿إِلَّا قِيلًا﴾: قولا، ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ أي: إلا التسليم منهم

---

(١) من العروة والخرطوم/١٢.

(٢) عن شربها/١٢.

(٣) بخلاف خمر الدنيا، أو المعنى لا يتفرقون عنها، ولا تقطع لذتهم يقال: تصدع السحاب عن المدينة أي: تفرق/١٢.

(٤) أخرج أحمد والترمذى عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة"، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذا الطير لناعمة قال: "أكلها أنعم منها، وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها"[صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٠٦٣)]/١٢فتح.

(٥) والحور: شديدات بياض أجسادهن، قال أبو عمر: وليس فى بنى آدم إنما قيل للنساء حور العين تشبيهًا بالظبا والبقر، والعين شديدات سواد العيون مع سعتها/١٢فتح.

(٦) وفى الحديث: "صفائهن كصفاء الدر الذى لا يمسه الأيادي"/١٢وجيز.

(٧) فى الدنيا وأن المنازل فى الجنة على قدر الأعمال، وأما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وفضله، وعلى ذلك النص الصريح الصحيح/١٢وجيز.

بعضهم على بعض بدل من قيل أو مفعول به، والمستثنى إما متصل أي: لا لغوا إلا السلام، ومعلوم أن السلام ليس بلغو، فلا لغو، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ[1] الْيَمِينِ﴾: هم الأبرار دون المقربين، ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: لا شوك له، أو مثنى الغصن من كثرة الحمل، ﴿وَطَلْحٍ﴾: أم غيلان[*] له أنوار طيب الرائحة، وظل بارد، أو موز ويؤيد الأول ما روى عن بعض السلف أن المسلمين نظروا إلى "وج" وهو واد بالطائف فأعجبهم ظلال أشجارها، وأشجارها سدر، وطلح فنزلت، ﴿مَنْضُودٍ﴾: متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾: منبسط، أو دائم، وفى الحديث[2] "إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها واقرءوا إن شئتم "وظل ممدود"، ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾: مصبوب يجرى على الأرض من غير أخدود، ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ﴾: فى زمان، ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾: من أحد، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ فى الحديث[3] "ارتفاعها كما بين السماء والأرض" أو رفيعة القدر، أو مرفوعة بعضها فوق بعض، وقيل: نساء رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا،والعرب تسمى المرأة فراشًا ولباسًا، ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾، الضمير لما دل عليه السياق، وهو ذكر الفرش على النساء أي: أعدنا إنشاءهن، ﴿إِنْشَاءً﴾: جديدًا، ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا[4] عُرُبًا﴾: عواشق[5]

---

(١) لما ذكر نعيم المقربين يذكر نعيم الأبرار/١٢وجيز.

(*) أم غيلان: شجر السَّمُر، والسَّمُر: نوع من الشجر صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس.

(٢) رواه الشيخان/١٢وجيز.

(٣) رواه الترمذى والنسائي[ضعيف، كما فى تعليق الشيخ الألبانى على المشكاة(٥٦٣٤)]/١٢.

(٤) عذارى قاله ابن عباس أي: كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا يحصل لهن وجع فى إزالة البكارة/١٢فتح.

(٥) صرح بهذا المعنى أكثر السلف/١٢وجيز.

لأزواجهن، أو مغنوجة، أو كلامهن[1] عربي، ﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين، أو مستويات فى الأخلاق لا تباغض ولا تحاسد كما فى ضرائر الدنيا يأتلفن ويلعبن جميعًا، وفى الحديث[2] "هن اللواتى قُبِضْنَ عجائز، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى متعشقات على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، ومن يكون لها أزواج فى الدنيا تخير فتختار أحسنهم خلقًا"، ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، متعلق بأنشأنا، أو صفة لأبكارًا أو خبر لمحذوف.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾

---

(١) قد نقل ابن أبى حاتم حديثًا دالا على هذا المعنى/١٢وجيز.

(٢) هذا مختصر ما فى الترمذي، والطبراني[وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان القرشي يضعفان فى الحديث والحديث ضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى"]/١٢وجيز.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ *

﴿ثُلَّةٌ﴾: هم جماعة كثيرة، **﴿مِنَ الأَوَّلِينَ﴾**: الأمم الماضية غير هذه الأمة، **﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾**: من هذه الأمة، أو ثلة من المتقدمين من هذه الأمة، وثلة من المتأخرين منهم، وعلى التفسير الأول يلزم أن المقربين من هذه الأمة قليلون بالنسبة إلى جميع الأمم الماضية، ولا يلتزم قلتهم، ولكن الأبرار كثيرون بالنسبة إليهم أيضًا، **﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ﴾**: حر نار، **﴿وَحَمِيمٍ﴾**: ماء في غاية الحرارة، **﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾**: دخان أسود، **﴿لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾**: حسن المنظر، أو نافع، **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾**: في الدنيا، **﴿مُتْرَفِينَ﴾**: منهمكين في الشهوات، **﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ﴾**: الذنب، **﴿الْعَظِيمِ﴾**، وهو الشرك، أو اليمين الغموس، **﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾**، همزة الإنكار كررت لمزيد الإنكار، والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون، **﴿أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾** عطف على محل إن واسمها، أو على ضمير مبعوثون، وجاز للفصل بالهمزة أي: أيبعث آباؤنا أيضًا، فإنهم أقدم؟! فبعثهم أبعد، **﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾**: إلى ما وُقِّتَتْ به الدنيا، وحُدَّت من يوم معين

عند الله تعالى، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ﴾، من للابتداء، ﴿مِنْ زَقُّومٍ﴾، من للبيان، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا[1] الْبُطُونَ﴾: يسجرون حتى يأكلوا ملأ بطونهم، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ[2]﴾، تأنيث الضمير فى منها، وتذكيره فى عليه على المعنى ولفظه ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾: مثل[*] شرب الإبل التى بها الهيام داء تشبه الاستسقاء، وعن بعض الهيم الإبل المراض تمص الماء مصًّا، ولا تُرَوى، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فحسن العطف، ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾: رزقهم الذى يعد لهم تكرمة لهم، ﴿يَوْمَ[3] الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يعد لهم من بعد، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾: بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بابتداء الخلق كأن أعمالهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فحضهم عليه، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾: تصبون فى الأرحام من النطف؟! ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾، فعلم أن الابتداء منا، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: مغلوبين عاجزين، ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: نغير صفاتكم جمع مثل، ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: فى صفات لا تعلموها أي: فما نحن بعاجزين عن الإعادة، وهى تبديل الصفات إلى صفات أخرى، أو ما نحن بعاجزين على أن نأتى بخلق مثلكم بدلا عنكم، وعلى أن نخلقكم فيما لا تعلمونه من الصور كالقردة، والخنازير، فعلى هذا الأمثال جمع مثل بسكون الثاء، وفى الآية الثانية والثالثة ما يشعر، ويلائم هذا المعنى، وهو قوله: "لو نشاء لجعلناه حطامًا"،

---

(١) الضمير للشجر، وهو اسم جنس يؤنث ويذكر/١٢وجيز.

(٢) الماء الحار الذى فى نهاية الحر، فهذا غذاؤهم وهذا شرابهم/١٢.

(*) وفى النسخة ن: جمع أهيم مثل.

(٣) ولما ذكر ما لأصحاب الشمال استدل لهم على خلاف ما هم عليه كأن يفضحهم فقال: "نحن خلقناكم" الآية/١٢وجيز.

"ولو نشاء جعلناه أجاجًا"، أو يكون معنى الآية، نحن خلقناكم ابتداء، فهلا تصدقون بالبعث، ثم استدل، وقال أما ترون المنى فكيف تجمع أولا فى الرجل، وهو منبث فى أطراف العالم، ثم تجمع فى الرحم بعدما كان منبثا فى أعضاء الرجل، ثم نكون الحيوان منه، فإذا افترق بالموت مرة أخرى ألم نقدر على جمعه وتكوينه مرة أخرى؟! ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فهلا[1] تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تبذرون حبة، ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تنبتونه؟! ولذلك قال -عليه السلام: "لا يقولن أحدكم زرعت، وليقل[2] غرثت" ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: هشيمًا لا ينتفع به، ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: بالمقالة تتنقلون بالحديث[3]، ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: استئناف مبين لمقالتهم، أي: يقولون إنا لمعذبون مهلكون، أو لملزمون غرامة ما أنفقنا، والمغرم الذى ذهب ماله بغير عوض، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: محدودون ممنوعون، وعن الكسائي: التفكه من الأضداد يستعمل فى التنعم والتحزن، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: السحاب جمع مزنة، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: شديد الملوحة، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تقدحون، ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾، للعرب شجرتان المرخ والعفار تحك أحد غصنيهما

---

(١) أي: فهلا تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الأخرى، وتقيسونها على النشأة الأولى، وفيه دليل على صحة القياس حيث جهَّلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على النشأة الأولى/١٢مدارك.

(٢) قال أبو هريرة -رضى الله عنه- ألم تسمعوا الله يقول: أفرأيتم ما تحرثون"؟ الآية، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب/١٢.

(٣) وقد استعير من التنقل بأنواع الفاكهة إلى التنقل بالحديث/١٢وجيز.

بالآخر فيتناثر منهما شرر النار، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً[1]﴾: لنار جهنم، ﴿وَمَتَاعًا﴾: منفعة، ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: الذين يترلون القواء، أي: المفازة، فإن انتفاعهم بالزند أكثر من انتفاع الحضريين، أو الجائعين، فإن أصل القواء الخلو، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: فجدد التسبيح، ونزهه عن النقائص باستعانة ذكر اسمه العظيم، أو اسم ذاته العظيم تتريهًا عما يقولون، أو تعجبًا أو شكرًا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

---

(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:"ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم" قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: "فإنها فضلت عليها بتسعة وستين، جزءًا كلها مثل حرها". رواه البخاري ومسلم/١٢الباب.

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾، لا مزيدة لتأكيد[1] القسم، أو رد لقول الكفار أنه سحر وشعر، ثم استأنف القسم، ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أي: نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها، أو بمغارب[2] نجوم السماء، أو منازلها، أو انتشارها يوم القيامة،﴿وَإِنَّهُ﴾: هذا القسم الذى أقسمت به، ﴿لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ[3]﴾: لو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾، جواب القسم، ﴿كَرِيمٌ﴾: كثير النفع، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾: مصون من الشياطين وهو اللوح، ﴿لا يَمَسُّهُ﴾ أي: الكتاب المكنون الذى فى السماء،﴿إِلا الْمُطَهَّرُونَ[4]﴾ أي:

---

(١) وبه قال أكثر المفسرين/١٢لباب.

(٢) والتخصيص بالمغارب لما فى المغارب زوال أثرها الدال على أن له مؤثرًا كما استدل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بالأفول فقال: "لا أحب الآفلين" /١٢وجيز.

(٣) ولله تعالى سر فى تعظيمه هو الذى يعلمه/١٢وجيز.

(٤) ذهب الجمهور إلى منع المحدث من مس المصحف، وبه قال على وابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد -رضى الله عنهم، وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى وروى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- والشعبى وجماعة منهم أبو حنيفة أنه يجوز للمحدث مسه، وقد أوضح الشوكانى ما هو الحق فى هذا فى شرحه للمنتقى، فليرجع إليه قال ابن عباس -رضى الله عنهما: فى الآية الكتاب المنزل من السماء لا يمسه إلا الملائكة، وعن أنس -رضى الله عنه- قال: المطهرون الملائكة، وعن علقمة قال: أتينا سلمان الفارسي، فخرج علينا من كنيف، فقلنا: لم اتوضأت يا أبا عبدالله، ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا قال: إنما قال الله: "فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون"، وهو الذى فى السماء لا يمسه إلا الملائكة، ثم قرأ علينا ما من القرآن شئنا أخرجه عبدالرزاق، وابن المنذر وعن عبدالله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: فى كتاب النبى -صلى الله عليه وسلم- لعمرو بن حزم: "لا يمس القرآن إلا على طهر" أخرجه مالك فى الموطأ عن عبدالله بن أبى بكر وأخرجه أبو داود فى المراسيل من حديث الزهرى قال: قرأت فى صحيفة عبدالله المذكور أن

=

الملائكة[1]، وعن بعض زعمت قريش أن القرآن تنزلت به الشياطين فردهم الله تعالى بقوله: "لا يمسه إلا المطهرون" كما قال: "وما تنزلت به الشياطين"[الشعراء:٢١٠] أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الجنابة والحدث، والمراد من القرآن حينئذ المصحف كما نُقِلَ "نهى -عليه الصلاة والسلام- أن يسافر بالقرآن أي: المصحف إلى الأرض العدو"، ويكون نفيًا بمعنى النهى أو لا يجد طعمه ونفعه إلا المطهرون من الشرك، **﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، صفة أخرى للقرآن، وفيها مبالغة، **﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾** أي: القرآن، **﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾**: متهاونون مكذبون، **﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾**: الرزق[2] بمعنى الشكر فى لغة أو تشكر رزقكم الذى هو المطر، **﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾**: بمعطيه، وتقولون: مطرنا بنوء كذا، أو تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن تكذيبكم، **﴿فَلَوْلَا﴾**: هلا، **﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾**: النفس، **﴿الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ﴾**: يا أهل الميت، **﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾**: حاله أو أمرى وسلطانى ولا تقدرون على دفعه، والواو للحال، **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ[3]﴾**، المراد الملائكة كما قال تعالى: "وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم

= رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ولا يمس القرآن إلا طاهر"، وقد أسنده الدارقطنى عن عمرو بن حزم وغيره، وفى أسانيدها نظر، وعن ابن عمر أنه كان لا يمس المصحف إلا متوضئًا، وعن معاذ بن جبل أن النبى -صلى الله عليه وسلم- لما بعثه إلى اليمن كتب له فى عهده "أن لا يمس القرآن إلا طاهرًا" أخرجه ابن مردويه/١٢ فتح.

(١) كذا فسره ابن عباس، والأكثرون من السلف/١٢وجيز.

(٢) أي: شكر رزقكم الذى هو المطر فسره الرسول المنزل عليه -صلى الله عليه وسلم- بذلك كما نقله الإمام أحمد والترمذي، وهو المنقول عن ابن عباس/١٢-١٢وجيز ومنه.

(٣) يقول الملائكة: ولكن لا تبصرون يقول: لا تبصرون الملائكة، نقله السيوطى فى الدر المنثور برواية ابن مردويه عن ابن عباس فى حديث طويل/١٢، وقد مر بعض الكلام =

حفظة حتى إذا جاء"الآية [الأنعام: ٦١]، أو نحن أعلم، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى المحتضر، ﴿مِنْكُمْ﴾: أيها الحاضرون، ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾: قربنا، ولا تعرفون قدرتنا، ﴿فَلَوْلا﴾: فهلا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: محاسبين مجزيين فى القيامة، ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: النفس إلى مقرها بعدما بلغت الحلقوم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنه لا بعث ولا حساب لولا الثانى تأكيد للأول، والعامل فى الظرف ترجعونها، وهو المحضض عليه أي: هلا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين صادقين فى ذلك، وجواب الشرط يدل عليه السياق، وحاصله أنكم تنسبون إلى الافتراء كتابي، وإلى الساحر رسولي، وإلى غيرى رحمتى ومطري، وتزعمون أن لا بعث ولا حساب، ولا إله يجازى فنفيتم قدرتى واختياري، فما لكم لا تردون روح من يعز عليكم إذا بلغ الحلقوم، وأنتم ناظرون إليه، وما يقاسيه من شدة النزع، فإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن فوقكم قادر مختار بيده الأمر لا عجز ولا تعطيل، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المتوفى، ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ﴾: فله راحة، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رزق حسن، وعن بعض من السلف: إنه لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه، وفى الحديث[1] "ينطلق إلى ولى الله ملك الموت مع خمس مائة من الملك معهم ضبائر[2] الريحان أصل الريحان واحد وفى رأسها عشرون لونًا لكل لون ريح سوى ريح صاحبه، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: ذات تنعم، أي: يبشر بهذه الثلاثة، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المحتضر، ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ﴾ أي: فيقال له سلام لك يا صاحب اليمين، ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: من إخوانك، أو

= على هذه الآية فى سورة "ق" تحت قوله تعالى: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"[ق: ١٦]، فتذكر/١٢.

(١) فى الترمذى وغيره[ذكره ابن كثير فى "تفسيره" (٥٣٧/٢) وعزاه لأبي يعلى الموصلى وقال: حديث غريب]/١٢وجيز.

(٢) الضبائر الجماعات، واحدها ضبارة كعمارة/١٢منه.

حصل لك سلامة من العذاب حال كونك من أهل اليمين يبشر بالبشارتين، وعن بعض المفسرين: فسلامة لك يا محمد منهم لا تهتم لهم فإنهم فى سدر مخضود، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المحتضر، ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: أصحاب الشمال، ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فله ذلك، ﴿وَتَصْلِيَةُ﴾: إدخال، ﴿جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا﴾: الذى ذكرت، ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ[1]﴾: حق هو اليقين لا مرية فيه، أو اليقين اسم للعلم الذى لا لبس له، والإضافة بمعنى اللام، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: الباء زائدة[2]، وقد ورد لما نزلت قال -عليه السلام- "اجعلوها فى ركوعكم" ولما نزلت "سبح اسم ربك الأعلى" قال: "اجعلوها فى سجودكم"[*].

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) والحق هو اليقين من غير ريب قيل: هو من إضافة المترادفين على المبالغة كما تقول: صواب الصواب، ويقين اليقين يعنى أنه نهاية فى ذلك/١٢.

(٢) فى البحر (سبّح) يتعدى بنفسه وبحرف الجر/ ١٢وجيز.

(*) حديث ضعيف ضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف ابن ماجه".

سورة الحديد مدنية وقيل: مكية

وهی تسع وعشرون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾﴾

﴿سبح﴾، جاء فى مفتتح السور بلفظ الماضي، والمضارع، والمصدر، والأمر إشعارا بأن الموجودات من الابتداء إلى الانتهاء مقدسة لذاته طوعا أو كرها وإن من شيء إلا يسبح بحمده، **﴿لله﴾**: هذا الفعل عدى بنفسه، وباللام أيضا، **﴿ما فى السموات والأرض﴾**: من الموجودات،ولكن لا تفقهون تسبيحهم، **﴿وهو العزيز الحكيم﴾**: فيستحق التسبيح، **﴿له ملك السموات والأرض﴾**: هو الخالق المتصرف، **﴿يحيى ويميت﴾**، استئناف، أو حال، **﴿وهو على كل شيء قدير هو الأول﴾**: فليس قبله شيء، **﴿والآخر[1]﴾**: فليس بعده شيء يبقى بعد فناء الممكنات، **﴿والظاهر﴾**: الغالب من ظهر عليه إذا غلبه، أو ظاهر لأن جميع الكائنات دليل ذاته، **﴿والباطن[2]﴾** الذى بطن كل شيء أي: علم باطنه أو باطن لأنه غير مدرك بالحس، وفى الحديث[3] "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك

---

(١) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا فى قوله عز وجل هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما يعنى بالقرب علمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام مقدار كل يوم ألف عام، ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض من القطر، وما يخرج منها من النبات، وما يترل من السماء من القطر، وما يعرج فيها يعنى ما يصعد إلى السماء من الملائكة، وهو معكم أين ما كنتم يعنى قدرته وسلطانه وعلمه معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير/١٢در منثور.

(٢) وفى كتاب العلو للذهبى روى بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا -والله أعلم- فى قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو الأولُ قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء وإنما يعنى بالقرب علمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم. رواه البيهقى بإسناد عنه انتهى/١٢.

(٣) هذا فى صحيح مسلم وغيره/١٢.

شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء" وفى الترمذي(*) عد عليه الصلاة والسلام سبع أرضين بين كل أرضين خمسمائة سنة ثم قال: "والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط[1] على الله ثم قرأ هو الأول والآخر" الآية، ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**[2]﴾: قد مر تفسيره فى سورة الأعراف، وغيرها، ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ**﴾: كالحب والقطر، ﴿**وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**﴾: كالشجر والنبات، ﴿**وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾: كالملك، والمطر، ﴿**وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾: كالأرواح، والأعمال، والملك والأبخرة، ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**[3] **أَيْنَمَا كُنْتُمْ**﴾: لا ينفك علمه عنكم، ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾:

(*) "ضعيف" ضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى".

(١) قال الترمذي: فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله فى كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه/١٢.

(٢) قال الشيخ عبدالقادر فى الغنية: وكونه عز وجل على العرش مذكور فى كل كتاب أنزل على كل نبى أرسل، بلا كيف، وفى رسالة النزول لابن تيمية قال أبو عمر الطلمنكي: قد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه بائن من جميع خلقه، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ، وعما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا انتهى/١٢.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله: "وهو معكم أينما كنتم" قال: عالم بكم أينما كنتم وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن سفيان الثورى أنه سئل عن قوله: "وهو معكم" قال: علمه/١٢در منثور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى رسالة النزول: وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه وقد ذكر ابن عبدالبر، وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، و لم يخالفهم فيه أحد يعتد به، وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك، ومقاتل بن حيان، والثوري،وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وفى رسالة النزول أيضًا فلفظة المعية ليست فى لغة العرب، ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالآخر كما فى قوله :

=

فيجازيكم عليه، **﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**، هو كالمقدمة للإعادة والإبداء فلذا كرره، **﴿وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾**: فيحكم فى خلقه ما يشاء، **﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ﴾**: فيطول النهار، **﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ﴾**: فيطول الليل، **﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[1] **آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ﴾**: الله تعالى، **﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** أي: مستخلفين ممن كان قبلكم بتوريثه إياكم، أو جعلكم الله خلفاء فى التصرف، وهو فى الحقيقة لله تعالى، فلا تبخلوا[2]، **﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾**: فالإيمان، والإنفاق لا ينفعان إلا أنفسكم، **﴿وَمَا لَكُمْ﴾**، متبدأ أو خبر، **﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ﴾**، حال، **﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾**، الواو للحال فهما حالان متداخلان يعني: أى عذر لكم فى ترك الإيمان، والرسول يدعوكم، **﴿لِتُؤْمِنُوا**

= "محمد رسول الله والذين معه"[الفتح:١١٩]، وقوله: "أولئك مع المؤمنين"[النساء:١٤٦] وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"[التوبة:١١٩] وقوله: "وجاهدوا معكم"[الأنفال:٧٥] ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله وهو معكم يدل على أن ذاته مختلطة تكون بذوات الخلق، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فكأن السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر يبين أن لفظ المعية فى اللغة، وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقاربة، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد/١٢.

(١) ولما ذكر تسبيح العالمين، وما احتوى عليه من الملك والتصرف، وذكر لنفسه الصفات العلى، وختم بالعلم بخفيات الصدور، وأمر عباده بالإيمان والإنفاق فى الخير، فقال: "آمنوا بالله ورسوله"/١٢وجيز.

(٢) فيه تزهيد فى المال إذ مصيره إلى الغير، وأنه ينتقل منكم كما انتقل من آبائكم قيل لأعرابي: لمن هذه الإبل؟ قال: هى لله عندي/١٢وجيز.

﴿بربّكم﴾ أي: إلى هذا الأمر الجليل اليسير، ﴿وقد أخذ﴾: الله، ﴿ميثاقكم﴾: حين أخرجكم من ظهر آدم أو بإقامة الحجج، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾: بحجة ودليل، وعن بعض المفسرين الميثاق بيعة الرسول -عليه الصلاة والسلام، فإن الخطاب مع المؤمنين على سبيل التوبيخ، ﴿هو الذى ينزّل على عبده آيات بيّنات﴾: القرآن، ﴿ليخرجكم﴾: الله، أو العبد، ﴿من الظّلمات﴾: الجهالات، ﴿إلى النور﴾: العلم، ﴿وإنّ الله بكم لرءوف رحيم وما لكم ألا تنفقوا﴾: فى أن لا تنفقوا الظاهر أن هذا خطاب للمؤمنين، والأول للكافرين، ﴿فى سبيل الله ولله ميراث السّموات والأرض﴾: هو يتصرف فى كل شيء وحده فإنكم ميتون تاركون لأموالكم، ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح﴾: فتح مكة، ﴿وقاتل أولئك أعظم درجة من الّذين أنفقوا من بعد﴾: بعد فتح مكة، ﴿وقاتلوا﴾: فإنه كان الأمر قبل الفتح شديد، أو الناس فى ريب فى أمر الرسالة لكن بعد الفتح ظهر الإسلام، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، وقلّت الحاجة إلى الإنفاق، ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ أي: وعد كلا من المنفقين من قبل ومن بعد الجنة، ﴿والله بما تعملون خبير﴾: فلا يضيع عنده عمل عامل.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ

وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: من أنفق المال رجاء ثواب الله كمن يقرضه، وهو عام لكل إنفاق هو لله تعالى، **﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾**: يعطى أجره أضعافًا، وقراءة النصب على جواب الاستفهام، والرفع على العطف على يقرض، **﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾** أي: وذلك الأجر المضموم إليه الإضعاف كريم محمود فى نفسه يعني: كما أنه زائده فى الكم بالغ فى الكيف، وهو جملة حالية، **﴿يَوْمَ تَرَى﴾** ظرف لله، أو ليضاعف، أو اذكر، **﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾**: وذلك دليلهم إلى الجنة على قدر أعمالهم[1]، وأدناهم نورًا من كان فى إبهامه فيطفو مرة، ويَقِدُ أخرى عبر عن جميع الجهات بالجهتين، وجملة يسعى حالية، **﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾**: يقول

---

(١) هذا قول ابن مسعود -رضى الله عنه- والأحاديث الصحاح تدل على قلة النور وكثرته بحسب الأعمال/١٢منه.

الملائكة لهم ذلك، ﴿جَنَّاتٌ﴾ أي: دخول جنات[1] ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ﴾، بدل، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾: انتظرونا، ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾: نستضيء منه، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا[2] نُوراً﴾، القائل المؤمنون، أو الملائكة أي: ارجعوا إلى المكان الذى قسم فيه النور، واطلبوا فيه نوراً، فلا يستضيئون من نورهم كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ﴾: المؤمنين والمنافقين، ﴿بِسُورٍ﴾: حجاب، ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾: باطن السور أو الباب، ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾: لأنه يلى الجنة، ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾: من جهته، ﴿الْعَذَابُ﴾: فإنه يلى النار، ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: المنافقون المؤمنين، ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: فى الدنيا نوافقكم فى أعمالكم؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: بالنفاق والمعاصي، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: انتظرتم فى شأن المؤمنين الدوائر، وعن بعض أخرتم التوبة، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: فى الدين، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾: أمنيتكم الباطلة غرتكم، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: الموت، ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: الشيطان، فيقول: اعملوا فالله تعالى عفو، ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ﴾: لا يقبل، ﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾: فداء، ﴿وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ﴾: النار، ﴿مَوْلاكُمْ﴾: أولى[3] بكم، أو النار ناصركم، فلا ناصر لكم، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[4]﴾: النار، ﴿أَلَمْ يَأْنِ[5] لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

---

(١) قدرنا المضاف وهو دخول ليصح وقوعه خبر بشراكم/١٢منه.

(٢) قيل: معناه ارجعوا خائفين، والتمسوا نوراً، وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم، وسخرية/١٢منه.

(٣) يعنى مولى مفعل من أولى أي: مكانكم الذى يقال فيه هو أولى لكم/١٢منه.

(٤) ولما أجمل، وفصل الوعد والوعيد، والبشارة والتهديد الشديد وهم على حالهم ولم يؤثر فيهم قال: "ألم يأن" الآية/١٢وجيز.

(٥) من أنى الأمر يأنى إذا جاء أناه أي: وقته/١٢.

﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: ألم يأت وقت الخشوع؟ ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾: القرآن أي: عند ذكر الله، والموعظة وسماع القرآن، عن ابن عباس —رضى الله عنهما— إن الله تعالى استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم بهذه الآية على رأس ثلاث عشرة[1] من نزول القرآن، وعن بعض: مل الصحابة ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى "نحن نقص عليك أحسن القصص"[يوسف:٣] ثم ملوا، فقالوا: حدثنا، فنزل "الله نزل أحسن الحديث"[الزمر:٢٣]، ثم ملوا فقالوا حدثنا، فأنزل الله تعالى الآية، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾: كاليهود: والنصارى عطف على تخشع، أو نهى عن مماثلة أهل الكتاب، وفيه التفات، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: مالو إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواعظ الله تعالى، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون من الدين، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: فلا تيأسوا من أن يلين القلوب بعد قسوتها قيل: تمثيل لإحياء الأموات، فيكون معناه الزجر والتحذير عن القساوة، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾: المتصدقين، وقراءة تخفيف الصاد معناه الذين صدقوا الله تعالى، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾، عطف على صلة الألف[3] واللام، لأنه بمعنى إن الذين اصدقوا أو يكون نصب، والمتصدقات على التخصيص، فإن المصدقين عام للذكر والأنثى على التغليب كما إن أقرضوا عام كأنه قيل إن المصدقين، وأخص المتصدقات

---

(١) وفى بعض الروايات على رأس خمس عشرة سنة، وهذا دليل على أن السورة مدنية/١٢منه.

(٢) ولما استبطأ خشوعهم حرضهم على ما هو سبب الخشوع، فقال: "إن المصدقين" الآية/١٢وجيز.

(٣) قيل: إنه عطف على الصلة من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، فإن حاصله أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا/١٢منه.

منهم، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام: "معشر النساء تصدقن" الحديث[1] فيكـــون والمتصدقات اعتراضًا على سبيل الاستطراد فلا يلزم الفصل بين أجزاء الصلة بـــأجنبي، ولما لم يكن الإقراض غير ذلك التصدق قيل: وأقرضوا أي: بذلك التصدق، ولم يقـــل والمقرضين، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: لوجه الله تعالى، ﴿يُضَاعَفُ﴾ أي: ثواب القرض خـــبر إن، ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: حسن، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِـــكَ هُـــمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ عن مجاهد كل مؤمن صديق، وعن الضحاك هم ثمانية نفـــر ســـبقوا إلى الإيلام أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة -رضـــى الله تعالى عنهم﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في جنات النعيم أرواحهم في حواصل طـــير خضر تسرح في أنهار الجنة، ثم تأوى إلى القناديل مبتدأ[2] أو خبر، أو المراد المؤمنـــون كلهم[3] كالصديقين والشهداء عند الله تعالى، فيكون والشهداء عطفًا على الصديقون، وفي الحديث "مؤمنوا أمتي شهداء، ثم تلا هذه الآية" ويدل عليه قوله تعالى "ومن يطـــع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيـــين والصديقـــين والشـــهداء والصالحين"[النساء:٦٩] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: أجر كل منهم مقصور عليهم وكـــذا نورهم، أو للمؤمنين مثل أجر الشهداء ونورهم ولا يلزم منه المماثلة من جميع الجهات، ﴿وَنُورُهُمْ﴾: الذى يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُـــوا بِآيَاتِنَـــا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: ملازموها لا ينفكون عنها.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

(١) تتمته "فإني أريتكن أكثر أهل النار"/١٢منه.

(٢) يعني منقطع عما قبله صرح بذلك ابن عباس -رضى الله عنهما- وكثيرون/١٢وجيز.

(٣) وهذا قول ابن مسعود، وجماعة من السلف/١٢وجيز.

يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾: ما هى إلا أمور خالية كملاعب الصبيان لا فائدة، ولا غاية تترتب عليها سوى إتعاب البدن، ﴿وَلَهْوٌ﴾: تلهون به عما ينفعكم، ﴿وَزِينَةٌ﴾: تتزينون بها، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾: يفتخر به بعضكم على بعض، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾، مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، مستأنفة أي: مثله كمثله أو خبر بعد خبر أي: ما هى إلا كمثله، ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ[1]﴾: الزراع، أو الكافرون فإنهم أشد عجابًا بخضرة الدنيا، ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس بعاهة، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: هشيمًا متفتتًا، ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: فلا تنهمكوا فى شهواتها، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ

(١) المتبادر الكافرون، فإنهم أشد إعجابًا بخضرة الدنيا لا الزراع/١٢وجيز.

وَرِضْوَانٌ[1]﴾: فاطلبوا ما هو خير وأبقى، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا[2] مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: كمتاع يدلس به على المشترى ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده، ﴿سَابِقُوا[3]﴾: سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾: موجباتها، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، قد مر فى سورة آل عمران، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ[4] ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: فلا يجب عليه شيء، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: فارتقبوا فضل الله تعالى وإن جل، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: كالقحط، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: صفة لمصيبة، ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: كالأمراض، ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾: فى اللوح حال يعنى مسطورًا فيه، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: نخلق المصيبة أو الأرض والأنفس، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ثبته فى كتاب، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا﴾ أي: أعلمكم أنها مثبتة لئلا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: الله من متاع الدنيا، فإن من علم أن كل ما قدر له لم يكن ليخطئه، وكل ما

---

(١) لما حقر أمر الدنيا غاية التحقير عظم أمر الآخرة بعبارة وجيزة بليغة، فقال: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"/١٢وجيز.

(٢) أي: لمن اطمئن بها، ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة، عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ألهتك عن طلب الآخرة فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى، فنعم المتاع، ونعم الوسيلة/١٢أبو السعود.

(٣) ولما ذكر ما يئول إليه أمر الدنيا بين ما هو ثابت دائم، وأمر بالمسارعة إليه لئلا يفوت فقال: "سابقوا إلى مغفرة" الآية/١٢.

ولما رغب عباده إلى مسارعة الطاعة، وحذرهم عن التكبر والبخل أعقبه بمنته على العباد بإرسال من علمهم طرق الرشادة، فقال: "ولقد أرسلنا" الآية/١٢وجيز.

(٤) صفة لجنة دالة على أنها موجودة الآن، وتكرر ذلك فى الكتاب والسنة فهو المذهب/١٢.

لم يقدر لم يكن ليصيبه ليس من شأنه الفزع والفرح، بل النظر إلى تقليبه الله تعالى ظهرًا وبطنًا إن رضى فله الرضاء، وإن سخط فله السخط، والمراد من الحزن الجزع، ومن الفرح ما يلهى عن الشكر ويفضى إلى البطر والأشر، ولذلك قال: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ أي: متكبر، ﴿فَخُورٍ﴾: على الناس بمتاع الدنيا عن جعفر الصادق -رضى الله عنه- يا ابن آدم ما لك تتأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت، ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، بدل من كل مختال فإن أكثرهم بخلاء، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: يعرض عن الإنفاق والطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِي الْحَمِيدُ﴾: فإنه غني عنه، وعن إنفاقه وطاعته محمود فى ذاته لا يضره كفر ولا ينفعه شكر، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا[1] بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ[2]﴾،جنس الكتاب، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: العدل أو الميزان المعروف قيل:

---

(١) ولا يحتاج إلى القول بأن الرسل الملائكة إلى الأنبياء فإنه خلاف قول السلف/١٢وجيز.

(٢) ومن وجوه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد أن المعاملة إما مع الخالق، وطريقها الكتاب أو مع الخلق وهم إما الأحباب، والمعاملة معهم بالسوية وهى بالميزان، أو مع الأعداء،والمعاملة معهم بالسيف والحديد، ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود، والذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود، وعند هذا يظهر أثر جود الله، ورحمته على عبيده فإن كل ما كانت حاجتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل، ولهذا قال بعض الحكماء: إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء لا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجدانًا وهيأ أسباب التنفس والآية حتى إن الإنسان يتنفس دائمًا بمقتضى طبعه وبعد الهواء الماء وبعد الماء الطعام، وكل طعام كانت الحاجة إليه أشد كان وجدانه أسهل، وكلما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقل، ولما كانت الحاجة إلى رحمة الله أشد من الحاجة إلى كل شيء فنرجو من فضله أن يجعلها أسهل الأشياء وجدانًا قال الشاعر:

سبحان من خص العزيز بعزه والناس مستغنون عن أجناسه

وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس فمحتاج إلى أنفاسه/١٢كبير.

نزل جبريل -عليه السلام- بالميزان إلى نوح -عليه السلام-، وقال: مر قومك يزنوا به، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليتعاملوا بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: أنشأنا، وأحدثنا عن ابن عباس -رضى الله عنهما- ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والمطرقة[1]، ﴿الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: هو القتال به مع من عاند الحق، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ هو آلة لأكثر الصنائع، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، عطف على معنى فيه بأس شديد ومنافع فإنه حال يتضمن تعليلا أي: أنزلناه للبأس وللنفع وليعلم وقيل: عطف على ليقوم الناس، ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: دينه، ﴿وَرُسُلَهُ﴾: باستعمال آلات الحرب مع أعداء الله تعالى، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عن الله تعالى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- يبصرونه ولا ينصرونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: فى أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾: فى ذاته لا يحتاج إلى نصرة ناصر.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢وجيز.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: لم يرسل بعدهما نبي إلا من ذريتهما[1]، ﴿فَمِنْهُمْ﴾: من الذرية، ﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطاعة، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾: آثار نوح وإبراهيم عليهما السلام،ومن عاصرهما، ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا﴾: هم، ﴿بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي: عيسى، ﴿رَأْفَةً﴾: رقة شديدة، ﴿وَرَحْمَةً﴾: كانوا متوادين رحماء، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، منصوبة على شريطة التفسير أي: وابتدعوا رهبانية يعني جاءوا بالرياضة الشاقة، والانقطاع عن الناس من عند أنفسهم، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا[2] عَلَيْهِمْ﴾: ما أمرناهم بها، ﴿إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: ذم بوجهين الابتداع في دين الله تعالى، وعدم القيام بما التزموا مما زعموا أنه قربة، ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: وهم الثابتون على دين عيسى -عليه السلام- والرهبانية، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: الذين غيروا دين عيسى عن ابن مسعود قال -عليه الصلاة والسلام[3]: "هل تدرى من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم،

---

(١) ولذلك أفردهما بالذكر لأن الكتاب لهما، ونوح هو الأب الثاني، وإبراهيم هو جد العرب، وبه فخرهم/١٢وجيز.

(٢) أخرج أبو داود، وأبو يعلى الضياء عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم" فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع، والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم[وذكره ابن كثير فى "تفسيره" (٤/٣١٦) وعزاه لأبي يعلى الموصلى]/١٢-١٢در منثور.

(٣) أخرج معنى هذا الحديث عبد بن حميد والحكيم والترمذى فى نوادر الأصول وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى =

قال "ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب أهل الإيمان، فقاتلوهم فهزم المؤمنون ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: تعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى يعنون: محمدًا صلى الله عليه وسلم-، فتفرقوا فى غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية"، وفى رواية "فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم الذين آمنوا بي، وكثير منهم فاسقون الذين كذبوني"، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، الخطاب لمؤمنى أهل الكتاب، ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾: محمد -عليه الصلاة والسلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نصيبين، ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: للإيمان بنبيكم، وللإيمان برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك لمن بقى على دين عيسى -عليه السلام- و لم يغير، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: على الصراط، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وكثير من السلف على أن هذه الآية لما افتخر أهل الكتاب بأهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى فى شأن هذه الأمة المرحومة، ففضلهم على أهل الكتاب بالنور والمغفرة، ﴿لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: الذين لم يؤمنوا، ﴿أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: يعطيكم الله تعالى نصيبين من رحمته، لأن يعلم الكافرون منهم أنه لا يتمكنون من نيل شيء من فضل الله تعالى، فلا مزيدة[1]، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، وعلى التفسير الثانى معناه أعطيناكم يا أمة محمد كفلين من رحمته

= شعب الإيمان من طرق عن ابن مسعود[وفى بعض طرقه داود بن المحبر وهو أحد الوضاعين للحديث. ولكن أسند أبو يعلى من طريق آخر فقوى الحديث من هذا الوجه. كذا قال ابن كثير فى "تفسيره" (٣١٦/٤)]/١٢در منثور.

(١) نحو: ما منعك أن لا تسجد، وفى بعض القراءات "ليعلم"، وفى بعضها "لئن يعلم"/١٢ وجيز.

كما أعطى المؤمنون من أهل الكتاب أجرين ليعلم المؤمنون من أهل الكتاب أن فضل الله تعالى ليس بيد أحد، فلو أعطاهم أجرين لأجل إيمانين أعطى المؤمنين كفلين لأجل الإيمان الواحد بفضله قيل: "لا" غير مزيدة، والمعنى لئلا يعلم أهل الكتاب عجز المؤمنين ونقصانهم.

والحمد لله على كل حال.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ مَدَنِيَّةٌ سِوَى الْعَشْرِ الأَوَّلِ،

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً وَثَلاثُ رُكُوعَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ۝٦﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ[1] **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾**: تراجعكما الكلام **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** نزلت فى خولة ، ظاهر منها

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبي يزيد قال: لقى امرأةً عمرُ بن الخطاب يقال لها : خولة، وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته ، فوقف لها ، ودنا منها =

زوجها أوس بن الصامت ، وكان الظهار طلاقًا ، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "حرمت عليه" فحلفت إنه ما ذكر طلاقًا، فقال: "حرمت عليه" فقالت: أشكو إلى الله فاقتي، وجعلت تراجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وترفع رأسها إلى السماء وتشكو إلى الله تعالى(*) **﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾** كانت عبارتهم فى الظهارا: أنت كظهر أمي، أى ما هن أمهاتهم على الحقيقة **﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ﴾**: المظاهرين **﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾**: لا يعرف فى شرع **﴿وَزُورًا﴾** باطلاً محرَّفًا عن الحق **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾** فغفر عمّا سلف. **﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾** أي: يتداركون ما قالوا ، والمتدارك عائد إليه ، ومنه المثل : عاد غيث ما أفسد، أى : تداركه بالإصلاح ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : العود الندم ، قال الفراء : عاد فلان لما قال أو فيما قال، أى رجع عما قال، وهو إمساكها عقيب الظهار زمانًا يمكنه الطلاق ، ولم يطلق أو المراد العزم على الوطئ **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** أي: فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة ، والشافعى حمل ما أطلق على ما قيد فى كفارة القتل(١) بالايمان ؛ لاتحاد الموجب **﴿مِّنْ قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾** من قبل أن يجامع المظاهِرُ المظاهَرَ منها ، فلا يجوز

= أصغى إليها رأسه ، ووضع بيده على منكبيها ، حتى قضت حاجتها ، وانصرفت فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجال قريش على هذه العجوز! قال : ويحك (وتدرى من هذه؟ قال : لا، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف حتى إلى الليل، ما انصرفت حتى تقضى حاجتها /١٢الدر المنثور.[قال ابن كثير (٤/٣١٨): هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه].

(*) كما روى البخارى والنسائى وغيرهما.

(١) يعنى تحرير رقبة مؤمنة/ ١٢.

الوطء قبل الكفارة ، والأكثرون على أنه لا يحرم سائر الاستمتاع قبل الكفارة ، وعن بعضهم التماس الاستمتاع مطلقًا **﴿ذَلِكُمْ﴾**: الحكم بالكفارة **﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾** كي تنزجروا به عن الظهار **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾** الرقبة **﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**[1] **مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا**[2]**﴾** ولا يجوز الجماع فى ليالى الشهرين ، فلو فعل ففى الاستئناف خلاف**﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾** الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة **﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾** وعن مالك : من يكفر بالإطعام يجوز له الوطء قبله ؛ لأنه غير مقيد بقوله: "من قبل أن يتماسا" وبيان كمية الإطعام لكل مسكين قد مر فى أواخر سورة المائدة**﴿ذَلِكَ﴾** أى فرض لك الذى بيَّنَّا **﴿لِتُؤْمِنُوا﴾** لتصدقوا **﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** فى قبول شرائعه وترك بدع الجاهلية، **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** لا يجوز تعديها، **﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾** عن ابن عباس رضى الله عنهما : لمن جحده وكذبه **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾** يعادون ويعاندون شرعه **﴿وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾** أخزوا ولعنوا **﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾** ككفار الأمم الماضية **﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾** تدل على صدق ما جاء به الرسول **﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾** ظرف لمهين ، أو مفعول لاذكر(*) **﴿جَمِيعًا﴾** مجتمعين **﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾** من خير وشر **﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾** ضبطه عليهم **﴿وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**.

---

(١) متواليين لا يفطر فيهما فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر وإن كان لعذر من سفر أو مرض فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار والشعبى والشافعى ومالك: أنه يبنى ولا يستأنف وقال أبو حنيفة: إنه يستأنف وهو مروى عن الشافعي/ ١٢فتح.

(٢) المماساة : الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة/ ١٢ منه.

(*) أي: اذكر يوم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ
ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ
إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ
يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا
تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ
لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ
فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ
تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ ما يقع سر[١] ثلاثة نفر وتناجيهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أى الله ﴿رَابِعُهُمْ[٢]﴾ بالعلم والاستثناء من أعم الأحوال ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ أى ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيص العددين قيل لخصوص الواقعة ، فإنها نزلت لتناجى المنافقين ، أو لأن أهل النجوى لا يكونون إلا قليلين غالبًا من الاثنين إلى ما دون العشرة ، فآثر الثلاثة[٣] ليكون قوله "ولا أدنى من ذلك" دالاً على الاثنين وهو عدد لا يمكن التناجى بأقل منه ، والخمسة أيضًا ليكون "ولا أكثر" دالا على السبعة ﴿وَلَا أَدْنَى﴾ أقل ﴿مِن ذَلِكَ﴾ كالاثنين ﴿ولا أكثر﴾ كالسبعة ، ولا لنفى الجنس ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم وفى قراءة "وَلَا أَكْثَرُ" بالرفع هو عطف على محل من نجوى ، أى ما يكون أدنى ولا أكثر ﴿أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ كانت اليهود والمنافقون يتناجون[٤] ، ويتغامزون بأعينهم لإغضاب المؤمنين فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عادوا لمثله ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بما هو إثم لهم ، وعدوان للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ تواصٍ بمخالفته

---

(١) فسر يكون بيقع إشارة إلى أن كان تامة ونجوى فاعل كان ومن زائدة لاستغراق النفي/١٢ منه.

(٢) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن الضحاك "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم" قال: هو الله على العرش وعلمه معهم /١٢الدر المنثور.

(٣) إذ لو أوثر الأربعة وما فوقها مثلا كان الأدنى الثلاثة دون الاثنين إلا على التوسع ولما أوثرت جيء بالخمسة ليناسب الوترين ولأن الله تعالى وتر يحب الوتر/ ١٢ منه.

(٤) أخرج معنى هذه القصة ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان ذكره السيوطى فى الدر المنثور.[الدر المنثور (٦/٢٦٩)]

﴿وَإِذَا جَاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقولون: سام عليك، والسَّام: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينهم سرًّا ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أى لو كان هو نبيًّا فهلا يعذبنا الله بشتمنا إياه ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ كاليهود والمنافقين ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ بما يتضمن نفعكم ونفع غيركم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ أى ذلك النجوى الذى هو بالإثم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ فإنه الآمر به ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليوهمهم أن عليهم شرًّا ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان أو التناجى ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ من الضرر[1] ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه هو حسبهم وكافيهم.

﴿يَأَيُّهَا[2] الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ[3] فَافْسَحُوا﴾ فى المكان ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ[4]﴾ يوسع عليكم فى الدارين ، نزلت حين جاء بعض من أهل البدر[5] إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يوسع الصحابة لهم فَكَرِهَ عليه الصلاة والسلام ذلك كرامة لأهل بدر فأقام عليه الصلاة والسلام بعضًا ، وأمر أهل بدر أن يجلسوا مكانهم ، فشق على البعض ذلك ، وفى الصحيحين : "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا". ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾

---

(١) فيكون شيئًا مفعولاً مطلقًا لضارهم ، كأنه قال : ليس بضارهم ضررًا/ ١٢ منه.

(٢) ولما نهى المؤمنين عما هو سبب للتباغض والتنافر أمرهم بما هو سبب التواد والتقارب فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) متعلق بتوسعوا/ ١٢ منه.

(٤) أى فى جميع الأمور من الرزق والصدر والقبر وكل ما ينبغى الوسعة فيه/ ١٢ منه.

(٥) نقله محيى السنة عن مقاتل ونقل بعض المفسرين عن كثير من السلف/ ١٢ منه.

انهضوا وقوموا لأكرمكم ﴿فَانْشُزُوا﴾ فقوموا، وإذا قيل انهضوا للصلاة أو للجهاد أو إلى خير فلا تثاقلوا ، أو إذا قيل لكم قوموا واخرجوا فإنهم إذا كانوا فى بيته عليه الصلاة والسلام كل منهم يحب أن يكون آخرهم خروجًا فربما يشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم لما له من حاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف يأتمروا سريعًا ﴿يَرْفَعِ[1] اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ بطاعتهم لرسوله ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[2] دَرَجَاتٍ﴾ أى ويرفع الله تعالى العلماء منهم خاصة ، ونصب درجات بالبدل من الذين آمنوا والذين أوتوا العلم ، أو بالتمييز، والمعنى : لا يحسب أحدكم أنه إذا تفسح ، أو أمر بالخروج فخرج يكون نقصًا فى حقه ، بل هو رفعة ومرتبة عند الله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً[3]﴾ نزلت حين كثرت مجالسة الأغنياء ومناجاتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك ، فأمر الله تعالى الخلائق بالصدقة أمام مناجاته فانتهوا عن كثرة المناجاة . عن على رضى الله عنه: هذه آية لم يعمل بها أحد قبلى ، ولا أحد يعمل بها بعدى ، كان عندى

---

(١) ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات ، فمن جمع بين الإيمان والعلم ، رفعه الله بإيمانه درجات ، ثم رفعه بعلمه درجات، قيل : المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك بالذين أوتوا العلم ، وقيل المراد: الذين قرءوا القرآن ، والأولى حمل الآية على العموم فى كل مؤمن ، وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ، ولا دليل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض/ ١٢.

(٢) قيل : قوله "والذين أوتوا العلم درجات" مشعر بأن المراد بـ"انشزوا" قوموا لأكرمكم.

(٣) فى الآية دلائل على وجوب تلك الصدقة ، وهو قوله: "فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم" وقوله:"وتاب الله عليكم"/ ١٢ منه.

دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها غيري(*) ﴿ذَٰلِكَ﴾: التصدق ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا رخصة مناجاتهم للفقراء بلا تصدق ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: أي: أخفتم تقديم الصدقة[1] لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر ، وجمع الصدقات لجمع المخاطبين ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ عذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوه ﴿فَأَقِيمُوا[2] الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فلا تفرطوا فيهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى أوامره ونواهيه ؛ ليكون كالجابر ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ

(*) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (٢/٤٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(١) على ما فسرنا يكون "أن تقدموا" مفعول أشفقتم وقيل : تقديره: أأشفقتم الفقر من أن تقدموا ، والأول أولى/ ١٢ منه.

(٢) كأنه قيل : فلما قصرتم فى ذلك ، فلا تقصروا فى هذا / ١٢ منه.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ[1] إِلَى الَّذِينَ﴾ المنافقين ﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ اليهود ، كان المنافقون ينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ لأنهم منافقون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ من اليهود أيضًا ؛ لأنهم مذبذبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو ادعاء الإسلام ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ[2]﴾ أن المحلون عليه كذب ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعنى هذا العذاب ؛ لإصرارهم على سوء العمل ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ التى حلفوا بها ﴿جُنَّةً﴾ وقاية من القتل والنهب ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعنى بالحلف الكذب ، يقون أنفسهم ويأمنون وفى خلال أمنهم يصدون الناس عن الدين الحق ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أى من عذابه ، أو شيئًا من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت

---

(١) ولما ذكر مساءة المنافقين فى نجواهم أعقبه بمساءة أخرى لهم فقال : "ألم تر إلى الذين" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) فيه دليل على أن الكذب يطلق على ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم/ ١٢ وجيز.

حين قال عليه الصلاة والسلام : سيأتيكم إنسان[1] ينظر بعيني شيطان ، فإذا ناداكم فلا تكلموه ، فجاء رجل أزرق فقال له عليه الصلاة والسلام: علامَ تشتمني أنت وفلان ، فانطلق الرجل ، فدعاهم وحلفوا له ، واعتذروا إليه ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ظرف لن تغني ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ لله تعالى على أنهم ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ كذبا فى الدنيا أنهم منكم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ حسبوا أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب فى الآخرة ، كما روجت فى الدنيا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فلا يذكرون الله تعالى أصلاً ولا يصلون ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ﴾ جنود ﴿الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ يعادونه ﴿وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ فى جملة من لهم ذل فى الدارين.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ حكم وقرر ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ إما بالحجة وإما بها وبالسيف "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون"[الصافات:١٧١-١٧٢] الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعنى لا يجتمع الإيمان ومحبة أعداء الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ أى من حاد الله ﴿آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ[2] ﴾ أقاربهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لم يوادوهم ﴿كَتَبَ﴾ الله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أثبته فيها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: من عند

---

(١) رواه أحمد وغيره، ولا شبهة أن هذا الرجل من المنافقين/ ١٢ منه.[وقال الشيخ أحمد شاكر فى "تعليقه على المسند" (٢٤٠٧): وإسناده صحيح.]

(٢) بدأ بالآباء لأن الواجب على الأولاد طاعتهم فنهاهم عن توادهم ثم ثنى بالأبناء لأنه أعلق بالقلوب ثم ثالثا بالإخوان لأن لهم التعاضد ثم رابعا بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة/١٢ وجيز.

الله تعالى وهو النصر على العدو أو نور القلب ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما سخطوا على القرائب لله تعالى عوضهم بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أنعم عليهم من الفضل العظيم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصار دينه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخير الدارين.

اللهم اجعلنا منهم.

سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً، وَثَلَاثُ رُكُوعَاتٍ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن
يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ
يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن
دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞

﴿سبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم"[الإسراء:٤٤]**﴿هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** بنى النضير **﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾** لما نقضوا العهد أحل الله هم بأسه فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم الحصينة التى ما طمع بتسخيرها أحد إلى أذرعات من أعمال الشام وهى أرض المحشر ولذلك قال: **﴿لِأَوَّلِ**[١] **الْحَشْرِ﴾** أى: لابتداء[٢]: الحشر صرح به ابن عباس رضى الله عنهما وكثير من

---

(١) اللام متعلق بأخرج وهى لام التوقيت أى عند أول الحشر كأقم الصلاة لدلوك الشمس/١٢.

(٢) قد أجمع المفسرون على أن هؤلاء المذكورين فى الآية هم بنو النضير ولم يخالف فى ذلك إلا الحسن البصرى فقال: هم بنو قريظة وهو غلط فإن بنى قريظة ما حشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن عائشة قالت: كانت غزوة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان مترلهم ونخلهم فى ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء على أن لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة يعنى السلاح فأنزل الله فيهم "سبح لله ما فى السموات" إلى آخر القصة/ ١٢الدر المنثور.

السلف[١] وعن الحسن رضى الله عنه قال عليه الصلاة والسلام لبنى النضير: "هــذا أول الحشر وأنا على[٢] الأثر" قيل: هم أول من أجلى مـــن جزيـــرة العـــرب فـــهم أول المحشورين فإن الحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر﴿مَا ظَنَنتُمْ ﴾ أيها المؤمنـــــون ﴿أَن يَخْرُجُوا﴾ لشدقم وشدة حصوهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّـــهِ﴾ أى: زعموا أن حصوهم تمنعهم من بأس الله تعالى فحصوهم مبتدأ ومانعتـــــهم خـــبره؛ أو حصوهم فاعل مانعتهم، لاعتماده فإنه فى الحقيقة خبر المبتدأ وفى هذا النظر[٣] دلالـــــة على فرط وثوقهم بحصوهم واعتقادهم أهم فى عزة بسببها ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ عذابه ﴿مِـــنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ من حيث لم يخطر ببالهم ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْـبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ الجملة حال ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإهم يقلعون الأبواب وما استحسنوه من السقوف ويحملون معهم والباقى يخربه المؤمنون واليهود عرَّضت المؤمنين لذلك وكانت السبب فيه فهم خربوا ديارهم بأيدى المؤمنين ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ فاتعظوا ﴿يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ولا تتبعوا أعمالهم وعقائدهم ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَـاءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أى: لأنزل عليهم بلاء آخر كالقتل والســـبى فإنه قد كتب أنه سيعذهم فى الدنيا ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أى هذا لهم حتم لازم على أى حال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ عاندوا وخالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَـــاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُم﴾ ما منصوب بقطعتم أى: أى شــــىء ﴿مِّـــن لِّينَةٍ﴾ هى نوع خاص من النخل أجودها فى ألوان التمر أو سوى العجوة والـــبرنى أو

---

(١) رواه ابن جرير وغيره/١٢ وجيز.

(٢) والمشهور أن أرض الشام محشر الخلق يجمع الخلق فيها إلى أرض محشر القيامـــة وقـــد صرح بذلك ابن عباس -رضى الله عنه- وجم غفير من عظماء السلف / ١٢ وجيز.

(٣) الذى هو من باب تقديم الخبر على المبتدأ حيث لم يقل أن حصوهم تمنعهم دلالة علـــى فرط وثوقهم بحصوهم فكأنه لا حصن أمنع من حصوهم/ ١٢.

جميع أنواع النخل **﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾** فائدة هذا القيد أنه يعلم منه أنهم كانوا يستأصلون ما يقطعون من أصوله وبنيانه ولا يخلون ساقها **﴿فَبِإِذْنِ[1] اللَّهِ﴾** بأمره ورضائه. نزلت لما حاصرهم وأمر عليه الصلاة والسلام بقطع نخيلهم إرغامًا لقلوبهم، قالوا إنك تنهى عن الفساد ثم تفسد فى الأرض فحاك ذاك فى صدور المؤمنين **﴿وَلِيُخْزِي الْفَاسِقِينَ﴾** علة لمحذوف أى: أذن لهم فى قطع بعض وإبقاء بعض ليخزيهم على فسقهم بمزيد حسرتهم وغيظهم **﴿وَمَا أَفَاءَ﴾** ما منصوب بأفاء أى: الذى رده **﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾** من تلك اليهود من الأموال **﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾** ما نافية أى ما أجريتم **﴿عَلَيْهِ﴾** على تحصيله **﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ[2]﴾** والركاب ما يركب من الإبل، يعنى إنما مشيتم على أرجلكم لقربهم منكم ولا تعبتم بالسفر والقتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ[3] عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** فلا تطمعوا أن يكون مال الفيء كمال الغنيمة أربعة أخماسها لكم بل ما هو لكم من الغنيمة هو من الفيء للنبى صلى الله عليه وسلم ولذلك ما أعطى الأنصار منه إلا ثلاثة نفر منهم **﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ﴾**

---

(١) فى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان رضى الله عنه:

لهان على سراة بنى لؤى　　حريق بالبويرة مستطير

فأنزل الله "ما قطعتم من لينة" /١٢ فتح.

(٢) والآية إن نزلت قبل فتحهم كانت مخبرة بغيب وإن كانت بعد حصول الأموال كان ذلك بيانا لما يستقبل/ ١٢ وجيز.

(٣) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ومما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله/ ١٢ فتح.

عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ جميع البلدان الذى يفتح **﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** جملة ما أفاء الله بيان للجملة السابقة، ولذلك لم يعطف، كأنه لما قيل: ما خول الله برسوله من أموال بنى النضير شيء لم يحصلوه بالقتال، فلا يقسم قسمة الغنائم . قيل: كيف يقسم؟ قيل: "ما أفاء الله" الآية . فعلم أن مال الفيء، وهو مال أخذ من الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل وركاب ليس للجنود فيه نصيب، بل هو مختص للرسول، ولذى القربى، والثلاثة الباقية[1]. وعلم من الحديث أنه ينقسم بخمسة؛ أربعة أخماس لخاصة النبى -صلى الله عليه وسلم، والخمس الباقى ينقسم على هؤلاء الخمسة، وبيان المصارف قد مر فى سورة الأنفال فلا نعيده **﴿كَى لَا يَكُونَ﴾** الفيء **﴿دُولَةً﴾** ما يتداول **﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾** فلا يصيب الفقراء كأيام الجاهلية **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾** أى: ما أمر به **﴿فَخُذُوهُ﴾** تمسكوا به **﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾** عن إتيانه **﴿فَانتَهُوا﴾** عنه أو ما أعطاكم من المال فاقبلوا وما نهاكم عن أخذه فانتهوا **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[2]﴾** لمن خالف **﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ﴾** بدل من المساكين، أو من لذى القربى، وما عطف عليه **﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾** فإن كفار مكة أخذوا أموالهم **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾** جملة حالية **﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾** فى دعوى

---

(١) نصدق أن المجموع لهؤلاء الخمسة لا نصيب للغزاة فيه فإن مطمح نظرهم أن يكون الفيء كالغنيمة فتكون أربعة أخماس لهم والخمس لهؤلاء الخمسة فبين الله لهم أن المجموع لهؤلاء الخمسة فتأمل/ ١٢ منه.

(٢) عن أبى رافع إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه". أخرجه أبو داود والترمذى وقال: هذا حديث حسن/ ١٢ فتح.[وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الجامع"]

الإيمان ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ جعلوا الإيمان مستقرا لهم كما جعلوا المدينة كذلك أى: لزموا المدينة والإيمان، وتمكنوا فيهما[١] والتعريف فى الدار؛ للتنويه، كأنها الدار التى تستحق أن يسمى دارًا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرتهم، وهم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ فى أنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ كحسد وغيظ ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾ أى لا يجدون من مال أعطى المهاجرون فى أنفسهم حقدًا وغرضًا، فإنه قد قسم مال بنى النضير بين المهاجرين دون الأنصار ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ يقدمون المهاجرين ﴿عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ فيما عندهم من الأموال ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما عندهم نزلت حين انطلق رجل من الأنصار برجل، قال عليه الصلاة والسلام فى شأنه: "رحم الله من يضيفه الليلة إلى بيته"، ولم يكن فى بيته سوى قوت صبيانه، فنومهم وأطعمه قوتهم، فبات هو وعياله جائعين. فقال عليه الصلاة والسلام: "ضحك[٢] الله من فلان"[٣] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ من سلم من الحرص الشديد الذى

---

(١) على ما ذكرنا تبوءوا الإيمان من الاستعارة المكنية وقيل: هو من قبيل علفتها تبنا وماء باردا أى تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان/ ١٢ منه.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما/ ١٢ فتح.

(٣)قال شيخ الإسلام أبو العباس فى بعض فتاواه: وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح وأن ذلك قد يقارنه ثم قول القائل خفة الروح إن أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغى أن يضحك منه وإلا فالضحك فى موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثانى ولهذا لما قال النبى صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله أو يضحك الرب؟! قال: "نعم" قال لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابى العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون =

يحمله على ارتكاب المحارم ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ المراد التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ فى الدين ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ﴾ حقدًا ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ﴾ واعلم أن للفقراء لا يمكن أن يكون بدلاً من الله وللرسول؛ لأن الرسول أيضًا لا يسمى فقيرًا، فهو بدل من لذوى القربى وما بعده، ومن لم يشترط فى ذوى القربى الفقر، يقول: إن للفقراء ليس للقيد، بل بيانًا للواقع من حال المهاجرين، وإثباتًا لمزيد اختصاصهم، وأن قوله: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ" عطف على الفقراء، لا على المهاجرين، سيما وقد ثبت فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الخلفاء رضى الله

= بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذى لا يضحك قط هو مذموم بذلك، وقد قيل فى اليوم الشديد العذاب: إنه يوما [كذا بالأصل] عبوسا قمطريرا . وقد روى أن الملائكة قالت لآدم: حياك الله وبياك، أى: أضحكك، والإنسان حيوان ناطق ضاحك وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما أن النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك وإذا كان الضحك فينا مستلزم لشيء من النقص، فالله تعالى منزه عن ذلك، وذلك النقص مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقًا مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم أن لا يكون الرب موجودا وأن لا يكون له ذات ومن هنا زلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله فأرادوا أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفى وإثبات فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود ولا موصوف ولا لا موصوف مما فى ذلك على زعمهم من التشبيه؛ وهذا يستلزم أن يكون ممتنعا وهو مقتض للتشبيه بالممتنع والتشبيه للممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات فى شيء من خصائصها، أو أن يكون مماثلا لها فى شيء من صفاته كالحياة والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل صفة الخالق صفة المخلوق كالحدث والموت والفناء والإمكان/ ١٢.

عنهم من بعده أنهم يعطون الأغنياء من ذوى القربى وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قرأ هذه الآية إلى قوله: "رَءُوفٌ رَحِيمٌ" قال: استوعبت هذه المسلمين وليس أحد إلا له حق، وقد خطر بخاطرى أن الله تعالى سمى جميع المهاجرين والأنصار والتابعين فقراء، وإن كانوا أغنياء؛ لأنه لو كان المراد فقراءهم؛ لناسب أن يقول لفقراء المهاجرين بطريق الإضافة. وعن بعض المفسرين أن قوله: "للفقراء" ليس بدلاً بل تقديره اعجبوا[1] لهم فإن السياق فى مدحهم، فإنه لما أمر باتباع الرسول عجّب الناس اتباع هؤلاء، والذى يؤيده قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا" مُصَدَّرًا بقوله: "أَلَمْ تَر" وهى كلمة للتعجب، فإن ذكرهم جاء مقابلاً لذكر أضدادهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

(١) العجب مستعمل باللام كقوله: عجبت لمولود وليس له أب/ ١٢ منه.

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم بنو قريظة والنضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ نوافقكم ونرافقكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في إخلاف ما وعدناكم وفي قتالكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وقد وقع كذلك فإن ابن أبي وأصحابه عاهدوهم على ذلك ثم أخلفوهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفرض[1] ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ لينهزمون ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعد ولا ينفعهم نفاقهم . قيل: معناه لينهزمن اليهود، ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ مرهوبية مصدر فعل المجهول؛ لأنهم مرهوب منهم لا راهبون ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ لأن نفاقهم من خوفكم، ولو خافوا من الله لتركوا النفاق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ فإنه لو كان لهم دراية، لعلموا أن الله هو الحقيق بأن يخشى ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لا يبرزون لقتالكم لفرط خشيتهم منكم وإن كانوا مجتمعين ﴿بَأْسُهُمْ﴾ شدتهم في الحرب ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني إذا حارب بعضهم بعضا فيشتد بأسهم لكن إن قاتلوكم لم يبق لهم تلك الشدة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ متفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة وأصل الحرب الاتفاق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإن العقل هو الداعي إلى الاتحاد والاتفاق، وعن بعض[2] تحسبهم أي: اليهود والمنافقين ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي: مثل اليهود كمثل الذين استقروا من قبلهم في زمان قريب، وهم أهل بدر

---

(١) قوله: على الفرض، إشارة إلى أن قوله: "ولئن نصروهم" بعد "ولئن قوتلوا لا ينصرونهم" لا منافاة /١٢ منه.

(٢) هو قول إبراهيم النخعي/ ١٢.

أو يهود بنى قينقاع[1]، فقد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلهم **﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾** سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا **﴿وَلَهُمْ﴾** فى الآخرة **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾** أى: مثل المنافقين فى إغراء اليهود كمثل الشيطان **﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾** تبرأ عنه فى العاقبة، كما فعل براهب[2] حمله على الفجور[3]، ثم على سجوده، ثم تبرأ منه . وكما قال يوم بدر: "لا غالب لكم اليوم من الناس، وإنى جار لكم" إلى قوله: "إنى بريء منكم"[الأنفال:٤٨] **﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ[4]﴾**.

---

(١) فقد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى النضير بزمان قريب من المدينة فكانوا أمثالهم صرح بذلك ابن عباس رضى الله عنهما / ١٢ وجيز.

(٢) عن على بن أبى طالب إن رجلا كان يتعبد فى صومعة، وأن امرأة كان لها اخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاءوه وأخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: إنى أنا الذى زينت لك فاسجد لى سجدة أنجيك فسجد له، فذلك قوله: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر" الآية أخرجه أحمد فى الزهد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم/ ١٢ فتح.[وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما فى "الدر المنثور" (٢٩٥/٦)]

(٣) واسمه برصيصا قصته مشهورة ذكرها البغوى وأوردها السيوطى فى الدر المنثور عن على وابن مسعود وابن عباس وقولهم: عن أبى أمامة مرفوعا وعزاه إلى البيهقي/ ١٢ كمالين.

(٤) ولما انقضى فى هذه السورة أحوال اليهود والمنافقين وسيرتهم وعظ المؤمنين فإن الموعظة بعد ذكر عيوب الأعداء أنفع فقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله/ ١٢ وجيز.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد[1]﴾ انظروا ما ادخرتم ليوم القيامة **﴿واتقوا الله﴾** تكرير للتأكيد **﴿إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾** نسوا حقه **﴿فأنساهم﴾** الله **﴿أنفسهم﴾** حق أنفسهم فلم يفعلوا ما ينفعهم **﴿أولئك هم الفاسقون ﴾** الكاملون فى الفسق **﴿لا يستوى أصحاب النار﴾** الذين نسوا الله فلم يتقوا **﴿وأصحاب الجنة﴾** الذين عرفوا حق الله فاتقوا **﴿أصحاب الجنة هم الفائزون[2] لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾** وخاطبناه بالأمر والنهى

(١) عبر عنه بالغد لأنه كائن قريب قيل كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيمه وإبهام أمره كأنه قال: لغد لا يعرف كنهه لعظمه/ ١٢ وجيز.

(٢) قالوا: لأن فرضنا بعثا وقيامة فمنزلتنا أعظم/ ١٢ وجيز.

وفهمناه الحكم والمثل ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ متشققا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ التى فى القرآن ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه وقلة تدبره وعدم الاتعاظ بالقرآن ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنا ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وما حضر ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ[١] إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر البليغ فى النزاهة عن كل نقصان ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة من كل نقص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن أو المصدق للمؤمنين والكافرين فى وعدهم ووعيدهم ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب المطلع على السرائر ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ[٢]﴾ العظيم أو الذى جبر خلقه على مراده أو جبر حالهم

---

(١) كرره لأن التوحيد هو المقصود الأصلى / ١٢ وجيز.

(٢) فيه وجوه أحدها أنه فعال من جبر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير . قال الأزهرى وهو جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذى ارتضاه . قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

والثانى أن يكون الجبار من جبره على، إذا أكرهه على ما أراده. قال السدي: إنه الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما أراده. الثالث: قال ابن الأنباري: الجبار فى صفة الله الذى لا ينال الرابع قال ابن عباس: الجبار هو الملك العظيم هذا ما فى الكبير . وقال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى النونية.

وكذلك الجبار من أوصافه ... والجبر فى أوصافه قسمان:
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني: جبر القهر بالعز الذي ... لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلو ... فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم جبارة للنخلة ... العليا التى فاقت لكل بنان

وأصلحها ﴿الْمُتَكَبِّرُ [1]﴾ الذى تكبر عن كل نقص وأصل الكبرياء الامتناع ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ المقدر ﴿الْبَارِئُ﴾ المبرز الموجب لما قدر ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الممثل للمخلوقات الموجد لصورها ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بلسان قاله أو حاله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وفى مسند الإمام أحمد والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك، يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المترلة".

---

(١) واعلم أن المتكبر فى حق الخلق اسم ذم لأن المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حق الخلق لأنه ليس له كبر ولا علو بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذبا فكان ذلك مذموما فى حقه أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه؛ فكان ذلك فى غاية المدح فى حقه سبحانه، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال: "سبحان الله عما يشركون". كأنه قيل: إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله فى هذا الوصف لكن الله سبحانه متره عن التكبر الذى هو حاصل للخلق/ ١٢ كبير.

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَآيَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَفِيهَا رُكُوعَانِ.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ ﴾

﴿يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾ نزلت فى حاطب بن[1] أبى بلتعة، لما كتب إلى كفار مكة، حين أراد عليه الصلاة والسلام الخروج إلى مكة -إن المؤمنين قد جاءوكم فاحذروا، وأرسل بيد امرأة، فبعث عليه السلام عليًّا وعمارًا وغيرهما، وأخذوا منها الكتاب، فخاطب عليه السلام حاطبًا فقال: يا رسول الله، والله إنى لمؤمن بالله ورسوله، لكن كنت امرءًا ملصقًا فى قريش، عندهم أهلى ومالى، و لم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت إليهم بذلك . فقال عليه السلام: "صدق حاطب، لا تقولوا له إلا خيرًا" ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾ أخبار المؤمنين ﴿بِالْمودَّة﴾ بسببها أو تفضون إليهم بالمودة، فيكون من باب التضمين، لا أن الباء زائدة والجملة حال أو صفة لأولياء﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ حال من الفاعل ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أى: من مكة استئناف أو حال من كفروا ﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾ أى: بأن تؤمنوا ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من الأوطان ﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي﴾ جواب الشرط ما يدل عليه لا تتخذوا ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّة﴾ مثل تلقون إليهم بالمودة، والجملة استئناف، كأنه قيل: لم لا نتخذ؟ فقيل تسرون إلى آخره، يعنى توادوهم سرًّا، وأنا مطلع على سركم ومطلع عليه رسولى، فلا طائل ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ أى: الاتخاذ ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾ طريق الصواب ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ويغلبوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودة ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوء﴾ كالقتل والضرب والشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ[2]﴾ تمنوا ارتدادكم ولو للتمني، يعنى لا

---

(١) كما فى البخاري/ ١٢.

(٢) يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدين والدنيا جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا ومضار الدين الذى هو ردكم كفارا أسبق المضار منهم لعلمهم أن =

توادوهم فإنهم معكم فى نهاية العداوة **﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾** قراباتكم **﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾** الكفار **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾** فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار، أو لا ينفعكم إلا طاعة الله لا الأقارب والأولاد، فإنه يوم يفرق بينكم؛ بأن يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[١] **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ**[٢] **حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾** أى فيهم خصلة من حقها أن يؤتسى بها، ويتبع **﴿إِذْ قَالُوا﴾** ظرف لخبر كان **﴿لِقَوْمِهِمْ﴾** الكفار **﴿إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾** بدينكم ومعبودكم **﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾** فإنه حينئذ ينقلب العداوة والبغضاء موالاة ومحبة **﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾** أى لكم فيه خصلة من حقها الاتباع إلا هذا قال تعالى: "ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين"، إلى قوله "إن إبراهيم لأواه حليم" (التوبة:١١٣-١١٤)، **﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾** من تمام قوله لأبيه **﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾** من تمام الأسوة الحسنة **﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا**

= الدين أعز، ولأجل هذا ودوا بصيغة الماضى بعد ذكر المضارع فى الشرط والجزاء/ ١٢ منه.

(١) ولما نهى الله عن موالاة الكافرين ذكر قصة إبراهيم فإنه متبع لا فى الأمور فى نوع موالاته لأبيه فقال: "قد كانت لكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم، وقيل: ذكر فى الآية شيئين أحدهما: "إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم" الآية . والثانى ما دعوا الله به "ربنا عليك توكلنا" الآية فقال الله تعالى: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة" فيما قالوا لقومهم: إنا برءاء منكم. ولكم فيهم أسوة حسنة فيما دعو الله به حين قصد الكفار جفاهم يعنى اقتدوا بهم فى كلتيهما وقيل روا بووكه اين دوامر بدووفت آنده باشد./ ١٢ (زاهدى).

تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب آخر فيقولوا لو كانوا على الحق ما أصابهم ذلك فيفتنوا أو لا تسلطهم علينا فيفتنونا **﴿واغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** كرر لمزيد الحث والتأكيد ولهذا صدره بالقسم وجعل قوله: **﴿لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾**بدل بعض من لكم وعقبه بقوله: **﴿و مَن يَتولَّ﴾** عن الاقتداء ويتوال الكفار **﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِى الْحَمِيدُ﴾** فلا يضر الله بل لا يضر إلا نفسه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ

وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أى مشركى مكة **﴿مَّوَدَّةً﴾** بأن يهديهم فألف بين قلوبكم **﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[1]﴾** لما فرط منكم من الموالاة ومنهم حين الكفر **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ﴾** أى عن الإحسان إلى الكفرة الذين **﴿لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾** بدل اشتمال من الذين **﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾** تفضوا إليهم بالعدل **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** نزلت حين جاءت أم أسماء بنت أبى بكر بهدايا فأبت أسماء أن تقبل وأن تدخل بيتها؛ لأن أمها مشركة **﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾** اتفقوا وأعانوا **﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾** بدل من الذين **﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[2] يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا[3] إِذَا**

---

(١) ثم إنه تعالى بعد ما ذكر من ترك انقطاع المؤمنين بالكلية عن الكفار رخص فى صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار فقال: "لا ينهاكم الله" الآية.

(٢) والحاصل أن من يضركم فى كفره فلا توالوهم، ولما كان إرجاع أحد عند قومه من الموالاة بين أمره فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) فى نظم هذه الآيات وجه حسن معقول وهو أن المعاند لا يخلو من أحد أحوال ثلاثة إما أن يستمر عناده أو يرجى منه أن يترك العناد أو يترك العناد ويستسلم، وقد بين الله تعالى فى هذه الآيات أحوالهم وأمر المسلمين أن يعاملوهم فى كل حالة على ما يقتضيه الحال، أما قوله تعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا إنا =

جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ كان النبى عليه السلام يحلفهن أنهن ما خرجن إلا لحب الإسلام لا لفرار من أزواجهن ولا لعشق أحد **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾** بظهور الأمارات[1] وسماه علما ليعلم أن الظن الغالب فى مثل هذا المقام كالعلم **﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** لأن المسلمة لا تحل للكافر وفى العبارة تأكيد ومبالغة لا يخفى ومنه علم أنه حصلت الفرقة ولا يجوز استئناف النكاح **﴿وَآتُوهُم﴾** أى: أزواجهن الكفار **﴿مَّا أَنفَقُوا﴾** عليهن من المهر **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾** فإن الإسلام أبطل الزوجية[*] **﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾** مهورهن هذا القيد ليعلم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام مهرهن بل لابد من إصداق، وقد تقدم أن صلح الحديبية على أن من جاءنا منكم رددناه إليكم فهذه الآية مخصصة لعهدهم[2] نقض الله العهد بينهم فى النساء خاصة، وقد كان فى ابتداء الإسلام جائز أن يتزوج المشرك مؤمنة، وهذه الآية ناسخة، والأكثرون على أنها متى انقضت[3] العدة و لم يسلم الزوج انفسخ نكاحها

= برءاء منكم" فهو إشارة إلى الحالة الأولى ثم قوله: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة" إشارة إلى الحالة الثانية ثم قوله:"يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات" إشارة إلى الحالة الثالثة ثم فيه لطيفة وتلبية وحث على مكارم الأخلاق، لأنه تعالى ما أمر المؤمنين فى مقابلة تلك الأحوال الثلاث بالجزاء إلا بالتى هى أحسن وبالكلام إلا بالذى هو أليق/ ١٢ كبير.

(١) والظن الغالب فى أعمال الشرع فى حكم العلم/١٢ وجيز.

(*) أى: بين المسلم والكافرة، أو بين المسلمة والكافر وهو ما أراده هنا.

(٢) والحكم برد الصداق إنما هو فى نساء أهل العهد وأما من لا عهد فلا رد/ ١٢ منه.

(٣) وعلم من قولنا: متى انقضت العدة أن هذا الحكم فى المدخولة فإن غير المدخولة حكمها الفسخ حين إسلامها فليس عليها العدة/ ١٢ منه.

منه، ويحكم بالانفساخ من حين إسلامها ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ جمع عصمة أى: ما اعتصم به من عقد ونسب، والكوافر جمع كافرة، هذا التحريم من الله على المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن أيضا ولذلك لما نزل طلق عمر[١] رضى الله عنه امرأتين مشركتين له بمكة ﴿وَاسْأَلُوا﴾ أيها المؤمنون من الكفار ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ من صداق نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ أى: المشركون ﴿مَا أَنفَقُوا﴾ من صداق المهاجرات، أمر المؤمنين بأن يكون العهد بينكم كذا فتطالبوهم بصداق المرتدات ويطالبوكم بصداق المهاجرات المؤمنات ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع ما ذكر فى الآية ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استئناف ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والأمر برد الصداق إلى الكفار لأجل العهد وإلا لم يجب ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ انفلت منكم ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أحد منها أى: من كانت ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ جاءت نوبتكم من العقبة وهى النوبة أو أصبتم من الكفار العقبى أى: الغنيمة وعليه كلام الأكثرين والحديث يؤيده ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ إلى الكفار ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ مما فى ذمتكم من مهر المهاجرات، أو من مال الغنيمة[٢] تزلت حين نزلت الآية المتقدمة وأبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر، وحاصله: إن لم يؤدوا مهر المرتدة المنفلتة منكم فلا تؤدوا أنتم أيضًا إلى الكفار مهر المهاجرة المنفلتة منهم، حين جاءت نوبتكم، بل أعطوا زوج المرتدة منكم مثل مهرها، مما فى ذمتكم من مهر المهاجرات، أو أعطوا زوجها مثل مهرها من مال الغنيمة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[٣] ﴿يَأَيُّهَا النَّبِى إِذَا جَاءَكَ

---

(١) كما فى البخاري/ ١٢ وجيز.

(٢) قالوا: هذا حكم الله فى تلك النازلة خاصة بإجماع الأمة، قال القشيري: قال قوم: هذا الحكم ثابت إلى الآن نزلت حين نزلت الآية المتقدمة وأبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر/١٢ وجيز.

(٣) فإن الإيمان بالله يقتضى الاجتناب عن معاصيه/ ١٢.

الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ عن بعض السلف أنها نزلت فى يوم الفتح، وكلام الأكثرين على أنها قبل الفتح **﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ**[١] **أَوْلَادَهُنَّ﴾** فإن وأد البنات من شكيمتهن **﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾** بأن تلتقط مولودًا وتقول لزوجها: هذا منك، فإن الولد إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها[٢] **﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾** وهو لا يأمر إلا بالمعروف، لكن قيد به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق، ولو فرض أنه رسول -الله صلى الله عليه وسلم- فى معصية الخالق **﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾** هو العامل فى إذا جاءك **﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** نهى عن موالاة الكافرين مطلقًا أو اليهود منهم فى آخر السورة، كما نهى فى أولها **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾** لإنكارهم الحشر ولعلمهم بأنهم على الضلال فإن اليهود من المعاندين **﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾** الأحياء **﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾** أى: من الاجتماع مع الأموات فإنهم منكرو الحشر، أو كما يئس الكفار الذين هم أصحاب القبور من كل خير؛ لأنهم علموا شقاوتهم.

اللهم لا تجعلنا فى زمرتهم.

---

(١) وفى المسوى شرح الموطأ باب البيعة على أركان الإسلام وترك الكبائر وغير ذلك من أحكام الشرع قال الله تعالى: "يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا" الآية، ثم ذكر الأحاديث وقال: فيه دليل على أن البيعة غير مقصورة على قبول الخلافة والذى يتعاهده مشايخ الصوفية له وجه فى الشرع. انتهى ١٢.

(٢) هكذا فسره ابن عباس ومقاتل ويؤيده الأحاديث/ ١٢ منه.

سورة الصف مكية

وهي أربع عشرة آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قد مر مرارًا تفسيره **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ﴾** حذف ألف ما الاستفهامية إذا كانت مع حرف الجر أكثر من إثباتها **﴿تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا﴾**[1] المقت أشد البغض منصوب

---

(١) في هذا الأسلوب من المبالغات فإنه أسند الفعل إلى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قوله ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه، واختير لفظ المقت الذى =

بالتمييز ﴿عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا﴾ فاعل كبر ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ في هذا الأسلوب من الكلام ما لا يخفى من المبالغة نزلت في جماعة قالوا: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به. فأخبر الله نبيه أنه الجهاد، فلما فرض نكل عنه بعضهم، وكرهوا، أو نزلت لما التمسوا الجهاد فابتلوا به، فولوا يوم أحد مدبرين، أو في قوم قالوا: قاتَلْنا طعنّا ضرَبْنا صَبرنا، وهم كاذبون، أو في المنافقين يعدون نصر المؤمنين ولا يفون، وعلى أى ففيه وعيد شديد لمخلف الوعد والعهد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ مصطفين ﴿كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ[1]﴾ قد رص بعضه ببعض فليس فيه فرجة حال من ضمير صفا ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ أى اذكر للتسلية ﴿لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي[2] وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ لظهور المعجزات ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ صرفوا عن الحق مع علمهم ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي: من سبق في علمه أنه فاسق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [3] يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا﴾ منصوب بما في الرسول من معنى الإرسال أي: أرسلت في حال تصديقي وتبشيري ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ

= هو أشد البغض ولم يقتصر على البغض وعلى أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك فإنه إذا أثبت كبر مقته عنده فقد تم كبره/ ١٢ منه.

(١) ولما ذكر محبة الله للمقاتلين ذكر ما يدل على التمرد عن النصرة والجهاد فقال "وإذ قال موسى لقومه" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) قالوا إنه آدر أي: منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه / ١٢ جلالين.

(٣) لم يقل يا قوم لأنهم لم يعترفوا بأنه نبي الله إليهم، أو لأن أبا موسى منهم بخلافه عليهما الصلاة والسلام/ ١٢ وجيز.

أَحْمَدُ[1] ﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَات قَالُوا هَذَا﴾ إشارة إلى ما جاء به ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله حال كونه مدعوًّا بلسان نبيه إلى سعادة الدارين وهي الإسلام ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ أصله أن يطفئوا فزيدت اللام تأكيدًا لمعنى الإرادة كما فى لا أبا لك تأكيدًا لمعنى الإضافة ﴿نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ[2] وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إتمامه ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ بالقرآن والمعجزة ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليعلى دين الحق على سائر الأديان أو رسوله على أهل الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[3]﴾ قد فسرنا الآيتين فى سورة براءة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ

---

(١) وفى حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما "إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبي"/ ١٢ فتح.

(٢) شبهت ومثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه، فيكون تهكما بهم فى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى الإسلام هذا سحر/ ١٢ منه.

(٣) ذُكِر المشركون فى الثانى لأن استيلاء قريب على سائر الأقارب أشد عليهم وهم أكثر حسدا عليه من غيرهم أما إتمام نوره بإبقاء دينه فالمشرك وغيره على السواء والكافر يطلق على الأعم غالباً/ ١٢ وجيز.

تُحِبُّونَهَا نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عذاب الله مطلقًا **﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾** استئناف مبين للتجارة فإنهم قالوا: دلنا يا رب **﴿ذَلِكُمْ﴾** أي الإيمان والجهاد **﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** لستم جاهلين **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** جواب للأمر المذكور بلفظ الخبر(١) للمبالغة قيل: جواب للشرط أي: إن تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم والجنة العدن قد مرَّ **﴿وَأُخْرَى﴾** أي: ولكم نعمة أخرى **﴿تُحِبُّونَهَا﴾** فإن أمور العاجل محبوب على النفوس **﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾** بدل أو بيان **﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾** عاجل **﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** يا محمد بثواب الدارين عطف على تؤمنون؛ لأنه بمعنى آمنوا فإن قوله: "يا أيها(٢) الذين آمنوا" متناول للنبي عليه السلام وأمته فقد دل على تجارته وتجارتهم، أو يكون جوابًا للسؤال وزيادة، كأنهم قالوا: دلنا يا ربنا، فقيل: آمنوا؛ يكن لكم كذا، وبشرهميا محمد بثوبته، وقيل: عطف على محذوف، أي: قل يا أيها الذين آمنوا، وبشر أو أبشر وبشر **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**

---

(١) يعني تؤمنون وتجاهدون خبر لفظا أمر حقيقة ومعنى/ ١٢ منه.

(٢) إشارة إلى دفع اعتراض هو أن المخاطبين فى تؤمنون هم المؤمنون وفى بشر هو النبى عليه الصلاة والسلام، وقوله: تؤمنون بيان لما قبله على طريق الاستئناف، فكيف يصح عطف وبشر عليه؟ فأجاب بأجوبة أربعة فتأمل/ ١٢ منه.

للْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من جندى متوجها إلى نصرة الله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ يعنى كونوا أنصاره، مثل كون الحواريين أنصار[1] الله وقت قول عيسى: من أنصارى إلى الله، فما مصدرية، وهى مع صلتها ظرف، وهو كقولهم: ما رأيت رجلا كاليوم. أي: كرجل رأيته اليوم . حذف الموصوف مع صفته، واكتفى بالظرف عنهما، وهذا من توسعاتهم فى الظروف، وقيل تقديره: قل لهم كما قال عيسى ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ بالغلبة والاستيلاء ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ غالبين وذلك بعد رفع عيسى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال السلف: لم يزل دين عيسى طامسًا، حتى بعث الله محمدًا، فآمن المؤمنون بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام، فصاروا ظاهرين إلى آخر الأمر، فيقاتل المسيح الدجال.

والحمد لله رب العالمين .

(١) هذا وجه صحة التشبيه؛ لأن ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى، وهو ليس كذلك فافهم/ ١٢ منه.

سورة الجمعة(١) مكية

وهي إحدى عشر آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

﴿يسبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب فإن أكثرهم لا يقرءون ولا يكتبون **﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾** مع أنه أمى أيضًا **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾** من العقائد الرديّة والأعمال

---

(١) أخرج مسلم وأهل السنن عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة سورة الجمعة، وإذا جاءك المنافقون/ ١٢ فتح.

القبيحة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لأنهم مشركون وإن هى المخففة بدلالة اللام ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على الأميين وهم من جاءوا بعد قرنه إلى يوم الدين وكل من أسلم صار منهم فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، أو المراد أهل فارس[1] ومنهم صفة الآخرين لأن أول وآخر لا يستعمل بمن مع أن الجمع من أفعل التفضيل مطلقا لا يستعمل بمن ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يدركوهم فإنهم بعدهم قيل: لم يلحقوا بهم فى الفضل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَٰلِكَ﴾ الذى أعطاه من النبوة العظيمة وما خص به أمته ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ[2] حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا و لم ينتفعوا بها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا[3]﴾ كتبًا كبارًا[4] أو يحمل إما حال والعامل معنى المثل، أو صفة؛ لأن التعريف فى الحمار للجنس ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ حذف المضاف من المخصوص، أي: مثل الذين، أو المخصوص محذوف أى مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله هو

---

(١) فى البخارى ومسلم والترمذى وغيرهما أنه لما نزلت "وآخرين منهم" سألوا من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سألوا ثلاثا، ثم وضع يده على سلمان وقال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله، رجال من هؤلاء، ولهذا قال مجاهد وغيرهم: هم الأعاجم / ١٢ منه.

(٢) ولما وصف الأمة المرحومة مقدمهم وتاليهم ذم اليهود فقال: "مثل الذين حملوا التوراة"/١٢ وجيز.

(٣) قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدرى أسفر على ظهره أم زبل وكذا اليهود وكل من علم و لم يعمل بعلمه فهذا مثله، وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن، و لم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه؛ ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية، ثم ذم هذا المثل، والمراد منه ذمهم فقال: "بئس مثل القوم" الآية/ ١٢ فتح.

(٤) لا يعرف أنه كتاب أو تراب/ ١٢ وجيز.

والضمير إلى مثل الذين حملوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قد ذكرنا فى سورة البقرة وجهين فى معناه ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم وعلمهم بها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون المباهلة لأجله أو تخافون أن تتمنوه باللسان ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ لا محالة والفاء لتضمن الذى معنى الشرط والجملة خبر إن ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[١]﴾ بأن يجازيكم عليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِى لِلصَّلَاةِ[٢]﴾ أذن لها عند قعود الإمام على المنبر ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ من بيان وتفسير لإذا وقيل: بمعنى فى ﴿فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ

---

(١) ولما ذم اليهود وهم فوتوا شرف يوم الجمعة وصلاته واختاروا السبت كما فى الحديث المعتمد؛ أعقبه بنصح الأمة المرحومة فيما نالوا من الشرف فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية/١٢ وجيز.

(٢) واعلم أن صلاة الجمعة فريضة من فرائض الله بهذا النص وبما صح من السنة، وقد واظب عليها النبى صلى الله عليه وسلم من الوقت الذى شرعها الله تعالى فيه إلى أن قبضه، وحكى ابن المنذر الإجماع على أنه فرض عين، وهى كسائر الصلوات لا يخالفها إلا فى مشروعية الخطبتين قبلها، ومن تأمل فيما وقع فى هذه العبادة الفاضلة من الأقوال الساقطة والمذاهب =

﴿اللَّهِ[1]﴾ أي: اهتموا [2] فى سيركم إليها كى لا يفوت منكم وليس المراد هاهنا المشى السريع ففى الصحيحين "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ المعاملة فإنها حرام ﴿ذَلِكُمْ﴾ السعى إليه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لقضاء حوائجكم ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ[3] اللَّهِ﴾ رزقه[4] وهذا أمر إباحة بعد الحظر عن بعض السلف من

= الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب، ولا يوجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الأمور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والإمام الأعظم والحمام ونحوها شروطا لصحة الجمعة أو فرضا من فرائضها أو ركنا من أركانها فيالله العجب ما يفعل الرأى بأهله، ومن يخرج من رءوسهم هذه الخزعبلات الشبيهة بالقصص والأحاديث الملفقة، وهى من الشريعة المطهرة بمعزل، وكل من ثبت قدمه و لم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف أحسن المعرفة، ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به فى وجهه وتفصيل ذلك فى النيل والسيل للشوكاني/ ١٢فتح البيان فى مقاصد القرآن.

(١) واستدل بالآية من قال: إنما يجب إتيان الجمعة على من كان يسمع النداء، ومن لا يحتاج إلى إذن السلطان، لأنه تعالى أوجب السعي، و لم يشترط إذن أحد. ومن قال: لا يجب على النساء لعدم دخولهم فى خطاب الذكور / ١٢ إكليل للسيوطي.

(٢) كقوله: "من أراد الآخرة وسعى لها سعيها"[الإسراء:١٩] وقوله "إن سعيكم لشتىّ"[الليل:٤] وقوله "أن ليس للإنسان إلا ما سعى"[النجم: ٣٩] / ١٢ فتح.

(٣) أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: إذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج إلى باب المسجد فساوم بالشيء وإن لم تشتره/ ١٢ در منثور. وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد قال: اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين/ ٢١ كبير.

(٤) وفى البيع بعد صلاة الجمعة بركة عظيمة كما جرب/ ١٢ وجيز.

باع واشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فى حال انتشاركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ نزلت حين قدمت عير المدينة أيام الغلاء والنبى عليه السلام يخطب فلما سمع الناس الطبل لقدومها انصرفوا إليها إلا اثنى عشر رجلاً، قيل: تقديره إليها وإليه فحذف إليه للقرينة وقيل: أفرد التجارة لأنها المقصودة إذ المراد من اللهو طبل قدوم العير ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا[1]﴾ فى الخطبة وكان ذلك فى أوائل وجوب الجمعة حين كانت الصلاة قبل الخطبة مثل العيد كما روى أبو داود فى كتاب المراسيل ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لمن توكل عليه، فلا تتركوا ذكر الله فى وقته.

والحمد لله حق حمده.

---

(١) أخرج ابن أبى شيبة عن طاوس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما وأبو بكر وعمر وعثمان، وإن أول من جلس مع المنبر معاوية بن أبى سفيان، وأخرج عن الشعبى قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه فقال: السلام عليكم ويحمد الله ويثنى ويقرأ سورة ثم يجلس ثم يقوم فيخطب ثم يترل"، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه/ ١٢ در منثور.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: عند أنفسهم، وهذا هو الكذب الشرعي اللاحق به الذم، ولذلك لا ينسبون المجتهدين إلى الكذب، وإن نسبوا إلى الخطأ، أو لأن

الشهادة هو ما وافق فيه اللسان والقلب[1] وشهادة الزور كإطلاق البيع على الفاسد تجوزًا، أو لأن الشهادة يفهم منها عرفًا المواطأة، كيف لا وقد أكده بإن واللام ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ حلفهم الكاذب ﴿جُنَّةً﴾ وقاية عن المضرة ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاز أن يكون الصد متعديًا ولازمًا ﴿إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ﴾ النفاق والكذب ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بلسانهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بقلوبهم أو ظاهرًا ثم كفروا سرًّا أو حين رأوا آية ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ثم كفروا فاستحكموا في الكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ صحة الإيمان وحقيقته أو لا يفقهون أنهم طبع على قلوبهم ويحسبون أنهم على الحق ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ فإنهم أشكال حسنة ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ أي: تسمع لما يقولون مشبهين بأخشاب منصوبة إلى حائط في الخلو عن الفهم والنفع، فإن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو غيره من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا أسند إلى الحائط فلا ينتفع به ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعة عليهم لجبنهم فهم أجسام لا قلوب لهم، أو لأنهم على وجل من أن يترل الله أمرًا يهتك أستارهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ لا تأمنهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الهدى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءوسَهُمْ﴾ أمالوها إعراضا ورغبة عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: استغفارك وعدمه سواء عليهم، بأن لا يلتفتوا إليه ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لأن الله لا يغفر لهم لشقاوتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ في الأزل وفي علم الله ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا﴾ يتفرقوا

---

(١) فيكون الموافقة داخلة في الوضع وهو مفهومه اللغوي / ١٢ منه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاق فهو الرزاق لهم لا الأنصار ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿الْأَذَلَّ[1]﴾ جرى بين بعض المهاجرين وابن سلول جدال في غزوة بني المصطلق، فقال لعنه الله ما قال، وأراد من الأعز نفسه، ومن الأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، ثم قال: لا تنفقوا على المهاجرين يا جماعة الأنصار حتى ينفضوا . فلما سمع عليه السلام مقالته، جاء وحلف بأنه كذب وَصَلَ إليك، فنزلت "إذا جاءك المنافقون" الآية . فقيل لابن سلول: قد نزل فيك آي شداد، فاذهب إليه لعله يستغفر لك، فلوى رأسه . فقال: أمرتموني بالإيمان فآمنت، ثم بالزكاة فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد له ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ

---

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة -قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق- فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال مهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوة الجاهلية؟!". قال: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أو قد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل الحديث . الكسع: أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك يقال: اتبع فلان أدبارهم يكسعهم بالسيف مثل يكسؤهم أي يطردهم وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة وقيل: في السادسة/ ١٢ فتح.

وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم[2] ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن[3] ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس وسائر العبادات والمراد نهيهم عن اللهو[4] بها ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ ولا تسمعوا قول المنافقين لا تنفقوا على من عند رسول الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنِي﴾ أمهلتني ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ مدة أخرى يسيرة ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ أتصدق ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالتدارك وكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل الإمهال، للتدارك وقراءة أكن عطف على محل فأصدق؛ فإن موضع الفاء مع الفعل جزم بخلاف أكون فإنه عطف على ما بعد الفاء ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَمُجَازٍ عليه.

---

(١) ولما ذكر الله سبحانه قبائح المنافقين ومن شأنهم أن لا يذكرون الله إلا قليلاً رجع إلى خطاب المؤمنين مرغبًا لهم في ذكره فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية / ١٢- للمحشى عفا الله عنه.

(٢) كما شغلت المنافقين/ ١٢.

(٣) عام للصلاة والتسبيح والتحميد وغيرها/ ١٢ وجيز.

(٤) كما ألهى المنافقين عن التدبر في كلام الله وعواقب أنفسهم/١٢ وجيز.

سُورَةُ التَّغَابُنِ مُخْتَلَفٌ فِيهَا

وَآيُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

﴿يسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدر كفره **﴿وَ مِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾** مقــــدر

إيمانه ومثله في الإجمال والتفصيل قوله: "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه" الآية (النور:٤٥) **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** فيعاملكم بما يناسبه **﴿خَلَقَ السَّمَوات وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾** بالحكمة **﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾** من بين ما خلق فيهما وفيه إشارة إلى أن الغرض من خلقهما الإنسان **﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** فأحسنوا السرائر **﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** فلا يخفى عليه شيء من الأشياء السماوية ولا الأرضية ولا النفسية **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾** أيها الكفار **﴿نَبَؤُاْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾** الأمم السالفة **﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾** ضرر كفرهم وهو أنواع العقوبات التي حلت عليهم في الدنيا **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ﴾** العذابان **﴿بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا﴾** على سبيل الإنكار: **﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾** والبشر يطلق على الجمع أيضا **﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾** أعرضوا عن آيات الله **﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾** عن طاعتهم **﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾** عن كل شيء **﴿حَمِيدٌ﴾** يَدُل على حمده كل مخلوق**﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ﴾** يا محمد : **﴿بَلَى﴾** تبعثون **﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾** بالمجازاة **﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** لقدرته الشاملة **﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾** القرآن **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** فلا يضيع عنده عمل عامل **﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾** ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر **﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾** لأجل ما في يوم الجمع جمع الملائكة والثقلين **﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ[١]﴾** تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، يظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان، وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان **﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ**

---

(١) كلام ابن عباس ومجاهد وقتادة دال على أن الغبن مختص بأهل النار لا أنه عام كما أشار إليه الشارح واختاره؛ لأن تغابن السعداء على الزيادة ثبت في الأحاديث الصحاح/١٢منه.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموهـا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ﴾ الله ﴿قَلْبَهُ﴾ لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لقضائه ويسترجع ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فلا عليه ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لأن عليه التبليغ وقد بلغ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[1]﴾ لأن الله هو النافع الضار وحده والمؤمنون يؤمنون بأن لا إله إلا هو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: بعضهم ﴿وَأَوْلَادِكُمْ

(١) ولما ذكر أن المصائب بإرادته حذر مما يلحق من الأموال والأولاد فقال: "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم" الآية/ ١٢ وجيز.

عَدُوًّا[1] لَّكُمْ﴾ يشغلكم عما ينفعكم ﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا﴾ عن ذنوبهم ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ بإخفاء معايبهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيغفر لكم ويتفضل أو فيغفر لهم ما فرط عنهم من شغلكم عن الله. نزلت[2] حين أراد الهجرة بعض من آمن بمكة فمنعهم أهلهم وقالوا: صبرنا على إسلامكم ولا نصبر على هجركم فتركوا الهجرة حينئذ فلما أتوا المسلمين رأوهم قد فقهوا في الدين فهمُّوا عقاب أهلهم ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ[3] فِتْنَةٌ﴾ اختبار لكم يعني بعضهم أعداء لكن كلها اختبار يبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدود الله ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن صبر على حدود الله فيهم، أو معناه ليس الأموال، ولا الأولاد إلا بلاء ومحنة، والأجر العظيم هو ما عند الله، فأغمضوا عن محبتهم، وأطمعوا فيما عند الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: جهدكم وطاقتكم، وعن كثير من السلف أنه لما نزلت "اتقوا الله حق تقاته"[آل عمران:١٠٢] اشتد عليهم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم،

---

(١) ولهذا قيل: لا أعدى على الرجل من الزوجة والولد إذا كانا عدوين يذهبان المال والعرض في الدنيا ويورثان البعد والمقت في الآخرة / ١٢ وجيز.

(٢) كذا أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح/ ١٢ فتح.[وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٢٦٤٢)]

(٣) وعن أبي بريدة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فترل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما واحدًا من ذا الشق، وواحدًا من ذا الشق، ثم صعد المنبر فقال: "صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، إني نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وابن مردويه وابن أبي شيبة[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٩٦٨)]/ ١٢ فتح.

فأنزل الله قوله: "فاتقوا الله ما استطعتم" تخفيفا فيكون ناسخة لما في آل عمران﴿واسْمَعُوا﴾ مواعظه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنفِقُوا﴾ في مصارف الخير ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ تقديره ائتوا خيرًا لأنفسكم فهو كالفذلكة للأوامر السابقة، أو تقديره يكن خيرا فيكن جوابًا للأوامر ومعناه أنفقوا لأنفسكم خيرًا من أموالكم ﴿وَمَن يُوقَ﴾ وقله الله ﴿شُحَّ﴾ حرص ﴿نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بصرف المال فيما أمر ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من مال حلال بإخلاص ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ أي أجره أضعافاً كثيرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيل بالقليل ﴿حلِيمٌ﴾ فيقبل ولا يرد ويصفح ويتجاوز عن الذنوب ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ أَوِ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو

سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِى إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء﴾ أى أردتم تطليقهن خصه عليه السلام بالنداء، وعم الخطاب؛ لأنه إمام أمته، فنداؤه نداؤهم، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ [١]﴾ أي: وقتها، وهو الطهر، أي: لطهرهن الذى يحصينه من عدهن، وعن أكثر السلف أنه الطهر الذى لم يجامعها فيه، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرًا من غير جماع فى ذلك الطهر، والبدعى أن يطلقها فى الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه. نزلت[٢] حين طلق عليه السلام حفصة فقيل له: "راجعها فإنها صوامة قوامة، وهى من أزواجك فى الجنة"، وطلق ابن عمر امرأته حائضًا فقال[٣] عليه السلام: "ليراجعها"، وقال: "إذا طهرت فليطلق أو يمسك" وقرأ الآية ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ اضبطوها ابتداءها وانتهاءها للعلم ببقاء زمن الرجعة ولغير ذلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فى ذلك ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ البيوت التى سكنّ فيها حتى تنقضى عدهن ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ من بيوت كُنّ فيها عند الفراق فى مدة العدة فإن خرجت أثمت ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ استثناء من الأول والفاحشة الزنا فإنها تخرج لإقامة الحد أو إلا أن تَبْذُوَ[*] على

---

(١) اللام فى الأزمان وما يشبهها للتأقيت نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ومن عدّ العدّة بالحيض قال تقديره: مستقبلات لعدهن نحو أتيت لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلاً لها/١٢منه.

(٢) كذا ذكر السيوطى فى الدر المنثور وعزاه إلى ابن أبى حاتم/ ١٢.

(٣) كما رواه الشيخان عن ابن عمر/ ١٢ كمالين.

(*) بذوت على القوم، وآبذيتهم، وأبذيت عليهم من البذاء: وهو الكلام القبيح (اللسان: بذا).

أهل الزوج وآذهم فى الكلام والفعال لأنها كالنشوز فى إسقاط[١] الحق ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فإنه عرضها للعقاب ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أى الطلاق ﴿أَمْرًا ﴾ وهو أن يقلب قلبه من الرغبة عنها فيندم يعنى أمرنا بعدم إخراجها مدة العدة لأنه ربما يندم، ومن ذلك ذهب كثير من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد إلى أنه لا يجب السكنى للبائنة وكذا المتوفاة عنها، وبعض[٢] الأحاديث يدل على مذهبه صريحًا ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بالإحسان إليها ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ اتركوهن حتى تنقضى عدهن فتقع المفارقة الكلية والبينونة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعة والفراق وهو أمر ندب[٣] عند بعض كأشهدوا إذا تبايعتم ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود عند الحاجة ﴿لِلَّهِ﴾ خالصًا لوجهه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ جميع ما فى الآية ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ﴾ مفعول يوعظ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ من كل مكروه

---

(١) الأول قول ابن مسعود وسعيد بن المسيب والشعبى والحسن والمجاهد وغيرهم من السلف والثانى قول أبى بن كعب وابن عباس وعكرمة/ ١٢ منه.

(٢) فى مسند الإمام أحمد والطبرانى قال عليه السلام فى حديث طويل: "إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة وإذا لم تكن فلا نفقة ولا سكنى"/ ١٢ منه.[أحمد فى "مسنده" (٤١٣/٦) وإسناده حسن]

(٣) وقيل: إنه للوجوب وإليه ذهب الشافعي قال: الإشهاد واجب فى الرجعة مندوب إليه فى الفرقة وإليه ذهب أحمد بن حنبل وفى قول الشافعي: إن الرجعة لا تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق وروى نحو هذا عن أبى حنيفة وأحمد عن ابن سيرين أن رجلا سأل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يُشْهِدْ قال: بئسما صنع طلق فى بدعة وارتجع فى غير سنة فَيُشْهِد على طلاقه وعلى مراجعته ويستغفر الله/ ١٢ فتح.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ[1]﴾ وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: مَنْ طَلَّق وراجع كما أمره الله، جعل الله له من الكرب -سيما عند الموت- مخرجًا، ورزقه من حيث لا يرجو، وأكثر العلماء على أنها نزلت حين جاء صحابي أُسِرَ ابنه، وشكا إليه عليه السلام هذا والفاقة. فقال عليه السلام: "اتق واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله"، ففعل الرجل إذ جاء ابنه[2] بإبل وغنم، وعن بعض إن فيها تسلية ووصية للنساء عند الفراق، فإنهن مضطرات غالبًا للغيرة والاحتياج والعجز ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ يبلغ ما يريد لا يعجزه مطلوب فهو منفذ أمره ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرًا وتوفيقًا فتوكلوا عليه ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ﴾ للكبر ﴿مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ إن أشكل عليكم حكمهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ أي: فهذا حكمهن ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ بعد كذلك وهن الصغائر

---

(١) وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص، ويدخل فى ذلك ما فيه السياق دخولا أوليا، فإن قيل: نرى كثيرا من الأتقياء مضيقا عليه فى الرزق أجيب بأنه لا يخلو عن رزق والآية لم تدل على أن المتقى يوسع له فى الرزق بل دلت على أنه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا أمر مطرد فى الأتقياء أفاده الكرخى / ١٢ فتح.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبى وعن ابن عباس -رضى الله عنه قال: جاء عوف ابن مالك الأشجعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن ابنى أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرنى قال: "آمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله" فقالت المرأة: نعم ما أمرك فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء به إلى أبيه فنزلت هذه الآية أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عنه وفى الباب روايات تشهد لهذا/ ١٢ فتح.[وأخرجه ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس... فذكره، كما فى "الدر المنثور" (٦/٣٥٤)]

﴿وأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ مطلقة أو متوفى عنها زوجها للحديث[1] الصحيح الصريح ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ منتهى عدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وقد روى عن على وابن عباس رضى الله عنهما: إن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين، عملاً بهذه الآية والتى فى سورة البقرة "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ" الآية (البقرة:٢٤٠)﴿و َمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى أحكامه ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ آتاه اليسر فى أموره ﴿ذَلِكَ﴾ الإحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ بالمضاعفة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أى بعض مكان سكنتم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ وسعكم وطاقتكم عطف بيان لقوله من حيث سكنتم كأنه قال أسكنوهن مكانا من مسكنكم ما تطيقونه ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ فى السكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ حتى تضطروهن إلى الخروج، وعن بعض هو أن يطلقها فإذا بقى يومان يراجعها ليضيق عليها أمرها ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عن كثير من السلف هذه من البوائن، أنفق عليها إن كانت حاملاً حتى تضع، بدليل أن الرجعية تجب نفقتها حاملاً أو حائلاً. وقال آخرون: نص على الإنفاق على الحامل الرجعية ؛ لأن السياق كله فى الرجعيات ؛ لأن الحمل ربما يطول مدته، فيتوهم أنه تجب النفقة بمقدار مدة عدة الحامل ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ وهن طوالق ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم﴾ ليأمر بعضكم بعضًا ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل فى الإرضاع والأجر ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ للصبى مرضعة ﴿أُخْرَى﴾ سوى أمه ولا تكرهوا أمه على الإرضاع ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ على مرضعة ولده ﴿وَمَنْ قُدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ

---

(١) قد ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أم سلمة أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الباب أحاديث/ ١٢ فتح.

رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على قدر ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ فى النفقة ﴿إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ قدر ما أعطاها من المال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ تطييب لقلب المعسر، ووعد له باليسر، لما ذكر الأحكام و أخبر عما حل بالأمم السالفة بسبب مخالفة أوامره ونواهيه[1].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ تمردت واستكبرت عن اتباع أمر الله ﴿وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ حاسبها بعملها فى الدنيا، وأثبتها فى صحائف الحفظة ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ منكرًا، وهو ما أصيبوا به من أنواع المصائب، أو المراد بالحساب والعذاب فى الآخرة، والتعبير بلفظ الماضى لتحققه ﴿فَذَاقَتْ﴾ القرية ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة معاصيها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربح فيها أصلاً ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ على التوجيه الثانى تكرير

---

(١) ليحذر المأمورين عن موافقتهم/ ١٢ وجيز.

للوعيد[1] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى مخالفة أمره لكى لا يصيبكم مثل ما أصابهم ﴿يَـا أُولِـى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل من أولى الألباب أو صفة أو منادى بحذف يا أيها للقرينة ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ القرآن ﴿رَّسُولًا﴾ بدل اشتمال ؛ لأنه مبلغه، وموصوف بتلاوة الآيات أو الذكر الشريف، فالبدل بدل الكل، كأنه فى نفسه شرف، فالمراد من الإنزال الإرسال، إلا أن يقال: المراد من الرسول جبريل، أو تقديره أرسل رسولاً، فيكون استئنافًا ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: من هو فى علم الله مؤمن ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ[2] إِلَى النُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى أو ليحصل لهم ما عليهم الآن من الإيمان والعمل الصالح ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ وهو ما أعد للمتقين فى الآخرة ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أخبر عن عظيم سلطانه ؛ ليكون باعثًا على تعظيم ما شرع ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ فى العدد ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ[3]﴾ أى أمر الله وحكمه، ففى كل أرض من

---

(١) وعلى التوجيه الأول لا تكرار لأن العذاب النكر فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة/١٢.

(٢) من الجهالات إلى العلم فإن من آمن وتدبر رفع عنه الجهل بسبب تدبر القرآن فإن مجرد الإيمان لا يكفى وتفاصيل الدين مستنبطة من كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٣) بين السماوات السبع والأرضين السبع والعلم عند الله أن بين كل أرض أى خلق وكيف سماؤها وأما ما نقل عن ابن عباس –رضى الله عنه– من أن فى كل أرض آدم كآدم ونوح كنوح ونبى كنبينا فهو من رواية الواقدى الكذاب الواضع للحديث، هذا ما فى الوجيز وذكر فى الفتح هذا الأثر وقال: أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب: هذا إسناد صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعا، قال ابن كثير: هذا وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصوم فهو مردود على =

أرضه، وسماء من سمائه خلق من خلقه، وقضاء من قضائه ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾ علة الخلق ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ عن ابن عباس — رضى الله عنه — قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها.

اللهم علمنا حقائق القرآن آمين.

قائله انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بذاك . قال السيوطي: ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له حتى رأيت البيهقى قال: إسناده صحيح لكن شاذ بمرة . قال الحافظ فى الفتح: إسناده صحيح والحاصل أن الأثر المذكور وإن صح فهو موقوف شاذ والشاذ لا يحتج به كما قال الطيبى فى الخلاصة وغيره، وبسط الكلام على هذا لا يأتى بفائدة يعتد بها ويكفى الاعتقاد بكون السماوات سبعا والأرضين سبعا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة، لا ينبغى الخوض فى خلقهما وما فيها فإنه شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به أحد سواه، ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض فى أمثال هذه المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق. وحديث أن الأرضين بين كل أرض والتى تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت، قد التقى طرفاه فى السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية تسجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم.... والحديث بطوله وتفصيله قال الذهبى متعقبا الحاكم: هو حديث منكر قال بعض أهل العلم: لا ينبغى لأحد أن يغتر بتصحيح الحاكم للأحاديث حتى ينظر فى تعقبات الذهبى له أو كما قال/ ١٢ فتح.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿**يأَيُّهَا النَّبِى لِمَ تُحَرِّمُ**[1] **مَا أَحَلَّ اللَّهُ لكَ**﴾ من العسل، ففى الصحيحين وغيرهما، عن عائشة أنه عليه السلام كان يمكث عند زينب، ويشرب عسلاً، فتواطئت أنا

---

(١) معنى تحرم تمنع لا التحريم الشرعى وهذا كما قال الله تعالى: "وحرمنا عليه المراضع"[القصص:١٢] أو حرمه بالحلف كما فى النذر والمحرّم بهما هو الله وهو الذى =

وحفصة، أنا نقول له: نجد منك ريح مغافير، فدخل على أحدهما. فقالت له ذلـــك، فقال: "لا بل شربت عسلاً عند زينب، ولن أعود له، وقد حلفت، لا تخبرى بذلـــك أحدًا"، وكان يبتغى بذلك مرضاة أزواجه، فنزلت. ومغافير: شبيه بالصمغ، لها رائحـــة كريهة ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ[1] أَزْوَاجِكَ﴾ مستأنفة أو حال ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلـم يؤاخذك بما صدر منك وقد روى[2] أنه عليه السلام أصاب أم إبراهيم فى بيت حفصـــة فعلمت فقالت: أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى، فحرمها على نفسه، وقال: "والله لا أطؤها، ولا تذكرى ذلك لأحد"، فذكرته لعائشة، فعوتـــب فى التحـــريم، وأمـــر بالكفارة فى اليمين، ذكره كثير من السلف ﴿قَدْ فَرَضَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ لَكُـــمْ تَحِلَّـــةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليلها بالكفارة وهى ما ذكر فى سورة المائدة ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فلا يأمركم إلا بما هو صلاحكم ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ﴾ منصوب باذكر ﴿إِلَـى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم العسل أو مارية ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أخـــبرت حفصةُ بالحديث عائشةَ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلع الله نبيه على إنبائـــها ﴿عَـــرَّفَ بَعْضَهُ﴾ أى عرف عليه السلام حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْـــضٍ﴾ و لم

عين الكفارة كما هو مبين فى كتب الفقه، لكن شـــأنه العظيـــم وقـــدره السَّـــنية أن يكون جميع أموره صلى الله عليه وسلم لوجه الله وبـــإذن مـــن الله وإن كـــان هـــذا التحريم والحلف لتطييب خاطر أهله لحسن العشرة الذى هو أحسن عند النـــاس/ ١٢ وجيز.

(١) وشأنك أن تبتغى فى أمورك مرضات الله/١٢.

(٢) روى عن كثير من السلف كابن عباس رضى الله عنهما وعمر بن الخطاب وغيرهما وقال المحدثون: إسناده إلى عمر صحيح/ ١٢ وجيز.[وقال ابن كثير فى "تفسيره" (٣٨٦/٤)": وهذا إسناد صحيح و لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحـــافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج]

يعرفها بعضها على وجه التكرم. عن الحسن ما استقصى[1] كريم قط، أو جازيها على بعضه بتطليقها، أو إرادة تطليقها، وتجاوز عن بعض، وعن بعض أسر إليها شيئين تحريم الأمة، وتبشيرها بأن الخلافة بعده فى أبي بكر وعمر، فأخبرها ببعض ما أفشت، وهو تحريم الأمة، وأعرض عن ذكر الخلافة ؛ كراهة الانتشار ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ﴾ حفصة ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ أي: إني قلت[2] لأحد ﴿قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِن تَتُوبَا﴾ يا حفصة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ خطاب لهما من الله ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: إن تتوبا فقد حق لكما ذلك، فإنه قد عدلت عن الحق قلوبكما، وصدر منكما ما يوجب التوبة ﴿وَإِن تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ فيما يسوءه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يعدم هو من يظاهره من الله، وجبريل رأس الكروبيين، وصلحاء المؤمنين، فيكون جبريل عطف على محل اسم إن ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أجمعون ﴿بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ متظاهرون ؛ جملة مستقلة معطوفة على جملة "إن الله هو مولاه" الآية ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ عن[3] عمر - رضى الله عنه- اجتمع -فى الغيرة عليه السلام- نساؤه، فقلت: عسى ربه إن طلقكن، أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فترلت هذه الآية ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾ منقادات ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مواظبات على الطاعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾ قيل معناه: متذللات لأمر الرسول عليه السلام ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات، وفى الحديث: "سياحة هذه الأمة

(١) وعن سفيان لا يزال التغافل من فعل الكرام والله أعلم أن المعرض عنه أى شيء قيل إن المعرف حديث العسل والذى أعرض عنه حديث مارية وأما ما روى أنه أسر إليها بشيئين تحريم أمته وتبشيرها بخلافة أبي بكر وعمر بعده فأفشت شيئين وأعرض عن ذكر الخلافة كراهة الانتشار فقال الشيخ أبو الفداء ابن كثير: فى إسناده نظر/ ١٢ وجيز.

(٢) وأفشيت سرك فإنها ظنت عائشة فضحتها/ ١٢ وجيز.

(٣) كما فى البخارى/ ١٢.

الصيام"(*) . أو مهاجرات ﴿ثيّبات وَأَبْكَارًا﴾ وسط العاطف[١] بينهما لتنافيهما ﴿يَأَيُّهَا[٢] الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصى ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب ﴿نارًا وَقُودُهَا﴾ ما يوقد بها ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ حجارة من كبريت ؛ فإنها أشد وأنتن، أو حجارة الأصنام ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ هى خزنة النار ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ ليس فى قلوبهم مثقال ذرة من الرحمة والشفقة، ومنظرهم مزعج ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى، وما أمرهم بدل من لفظ الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيما يستقبل، أو لا يمتنعون ويفعلون، فإن عدم الامتناع لا يدل على الفعل، فإنه ربما لا[٣] يقدر ﴿يَأَيُّهَا[٤] الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى يقال لهم ذلك ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فى الدنيا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ

(*) [ورد موقوفا ومرفوع والموقوف أصح كما قال ابن كثير فى "تفسيره" (٢/٢٩٣)].

(١) يعنى هما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فلابد أن يتوسط بينهما العاطف بخلاف الصفات المتقدمة/ ١٢ منه.

(٢) ولما وعظ أهل البيت موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة فقال:"يا أيها الذين آمنوا" الآية/١٢وجيز.

(٣) وقيل: كرر توكيدًا / ١٢ وجيز.

(٤) ولما وعظ المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم عن النار ذكر ما يقال لأصحاب النار عند دخولها فقال: "يا أيها الذين كفروا" الآية/ ١٢ وجيز.

ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وصفت التوبة بالنصح بالمجاز وهو فى الحقيقة صفة التائب، فإنه ينصح نفسه بالتوبة، أو معناه خالصة، يقال: ناصح، أى خالص من الشمع، أو توبة تنصح، وتخيط ما خرق الذنب، وهى ترك الذنب، والعزم على عدم العود والندم، ثم إن كان الحق لآدمى رده . وعن الحسن هو أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته، وعن بعض المحققين أن عدم المؤاخذة بالذنب الذى تاب منه إذا لم يعد إليه فإذا عاد إليه فقد يؤاخذ به وفى الحديث الصحيح: "من أحسن فى الإسلام[1]، لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية، ومن أساء فيه أخذ بالأول والآخر"[*] **﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** فيه إشعار بأن العبد ينبغى أن يكون بين الخوف والرجاء، وأنه تفضل لا يجب عليه شيء **﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ﴾** ظرف ليدخلكم **﴿وَالَّذِينَ[2] آمَنُوا**

---

(١) التأويل بأن المراد بالإساءة النفاق بعيد جدًّا/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) والذين آمنوا بالموافقة، فى الحديث إنه -صلى الله عليه وسلم الله- تضرع فى أمر أمته فأوحى الله إليه إن شئت جعلت حسابهم إليك فقال: يا رب أنت أرحم بهم فقال الله: =

﴿مَعَهُ﴾ عطف على النبي، أو مبتدأ خبره قوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ على الصراط، يقولون حين يرون أن نور المنافقين قد طفئ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَأَيُّهَا النَّبِى جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجة وإقامة الحدود ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[١]﴾ جهنم ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ أى جعل امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لهم، أو مثل لهم مثلاً مثل امرأة نوح فى أن قرابة أحد وإن كان نبيًّا لا ينفع مع الكفر، قيل: هذا تخويف لعائشة وحفصة ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بإظهار الإيمان مع إسرار الكفر لا بالفاحشة[٢] ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ النبيّان ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من الإغناء ﴿وَقِيلَ﴾ لهما يوم القيامة ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ مع سائر الكفرة ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ[٣] فِرْعَوْنَ﴾ فى أن وصلة الكافر أي[٤] كافر كان لا تضر مع

إذن لا أخزيك فيهم وأما قوله: "ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته"[آل عمران:١٩٢] فالمراد دخول الخلود لا دخول التطهير/ ١٢ وجيز.

(١) ولما قال: "يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا" كأن فيه تعريض لغيرهم فصرح أنهم أهل الخزى كما قال: "من تدخل النار فقد أخزيته"[آل عمران:١٩٢]/ ١٢ وجيز.

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط إنما كانت خيانتهما فى الدين وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم/ ١٢ منه.

(٣) جعل الله تعالى حال امرأة فرعون مثلا لحال المؤمنين ترغيبا لهم فى الثبات على الطاعات والتمسك بالدين والصبر فى الشدة وأن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون وقد كانت تحت أكفر الكافرين وصارت بإيمانها بالله فى جنات النعيم وفيه دليل على أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان/ ١٢ فتح.

(٤) رأى وصلة كانت/ ١٢ وجيز.

الإيمان ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ بدل من امرأة فرعون ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾ من نفسه ﴿وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ نقل أنه[1] لما تبين لفرعون إسلامها أوتد لها فشد يديها ورجليها. فقالت: رب ابن لى عندك بيتًا، فأبصرت بيتها فى الجنة فضحكت فقال: ألا تعجبون من جنونها، فقبض الله روحها رضى الله عنها ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ صانته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أى بواسطة جبريل كما مر فى سورة الأنبياء ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ بما أوحى الله إلى الأنبياء ﴿وَكُتُبِهِ﴾ جنس الكتب المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من الرهط المطيعين لله؛ لأن عشيرتها أهل صلاح، أو من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب، وفيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين.

والحمد لله والمنة.

---

(١) نقل هذا المعنى أبو يعلى والبيهقى بسند صحيح مع اختلاف يسير/١٢ كذا فى الدرالمنثور.

سورة الملك مكية

وهی ثلاثون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِىَ فِيهَا فَوۡجٌ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقًا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

﴿تَبَارَكَ﴾: تعظم، ﴿الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: التصرف فى الأمور كلها، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ[1] وَالْحَيَاةَ﴾، اختلف العلماء هل الموت صفة وجودية مضادة للحياة كما دل عليه الآية أو هو عدم الحياة فمن قال بالثانى ذكر فى تفسيرها قدّرهما أو أوجد الحياة وأزالها، وعن بعض المراد أوجد الخلق من العدم، فسمى العدم موتا كما قال تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم"[البقرة:٢٨] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعاملكم معامة المختبر، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: أخلصه وأصوبه، والجملة واقعة موقع ثانى مفعولى البلوى المتضمن معنى العلم، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً[2]﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، فهو إما مفعول ثان، أو صفة السماوات، ﴿مَّا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾: اختلاف وعدم تناسب، والجملة إما صفة، أو حال أي: ما ترى فيها، فوضع الظاهر موضع المضمر تعظيمًا لخالقهن، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾: فى معنى التسبيب أي: قد نظرت إليها مرة فانظر إليها أخرى نظر تأمل هل ترى فيها من خلل؟ والفطور الشقوق، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: رجعتين أخريين، وهو كَلَبَّيْكَ فى أن المراد منه التكثير والتكرير، وفعل مثل هذا المفعول المطلق واجب الحذف[3] إذا كان المصدر

---

(١) هذه الآية مستدل من قال: إن الموت صفة وجودية مضادة لصفة أخرى وجودية، وصرح صاحب الفوائد إن عدمية الموت كانت منسوبة إلى القدرية، ثم شاعت وعندهم أن خلق بمعنى قدر، وهذا أجدر من تفسيرهم بأوجد الحياة وأزالها/١٢وجيز.

(٢) مطابقة بعضها فوق بعض، ونصبه على أنه وصف لسبع، وصف بالمصدر للمبالغة، وكأنه لم يذكر العرش والكرسى لأنهما ليسا من جنس السماوات، وطورهما خلاف ما عند أهل الهيئة/١٢وجيز.

(٣) فلا يجب حذف هنالك، لأنه غير مضاف، وعبارة ابن الحاجب فى الكافية مخلة إلا أن يقال أنه اكتفى بالمثال/١٢منه.

مضافًا نحو: سعديك ولبيك، ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً﴾: بعيدًا عن إصابة ما يهوى، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل لطول التردد، وكثرة المراجعة، ﴿وَلَقَدْ[1] زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ أي: زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم،﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً[2] لِّلشَّيَاطِينِ﴾: ولها فائدة أخرى، وهى رجم الشياطين المسترقة للسمع، وكونها مراجم أن الشهب منقضة من نار الكواكب، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾: فى الآخرة، ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾: طرحوا فى جهنم، ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾: لجهنم ولأهلها لقوله: "لهم فيها زفير"[الأنبياء:١٠٠] ﴿شَهِيقاً﴾، هو أول نهيق الحمار، وهو أقبح الأصوات،﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي، ﴿تَكَادُ

(١) قال المقبلى فى حاشية الكشاف إن قوله "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح" يكذب المنجمين، والزاعمين علم الفلك فى قولهم إن بعض النجوم فى السماوات كقولهم: إن زحل فى السابعة، والمشترى فى السادسة، والمريخ فى الخامسة، والشمس فى الرابعة، والزهرة فى الثالثة، والعطارد فى الثانية، والقمر فى الدنيا، وهذا من واضحات علمهم بزعمهم، فغيره أكذب منه، وكان البيضاوى يتعاطى هذه الحرفة البائرة؛ لأنه قال: هنا لا ينافى ذلك كون بعض النجوم مركوزًا فى سماوات فوق هذه، وتقدم له فى البقرة أنه إذا ضم العرش إلى السبع السماوات وافق كلام الأوائل إن الأفلاك ثمانية، انتهى هذا ما نقل فى منهية الفتح/١٢.

(٢) والنجوم قارة فيها لا تنفصل، والشهاب كقبس ينفصل من المصابيح يرجم بها، وبهذا صرح على بن أبى طالب، وابن عباس -رضى الله عنهم/١٢وجيز.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها فى البر والبحر، فمن تكلم فيها بغير ذلك فقد تكلم فيما لا يعلم، وتعدى وظلم، ذكره البخارى تعليقًا/١٢.

﴿تَمَيَّزُ﴾: تنقطع، ﴿مِنَ الغَيْظِ[1]﴾: على الكفار، ﴿كُلَّمَا أُلْقِى فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة، ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: ينذركم من عذاب الله؟ ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: كذبنا وأفرطنا فى التكذيب حتى نفينا الإنزال رأسا، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾: من تتمة كلامهم للرسل على أن المعنى قال الأفواج: قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم، وقلنا: ما أنتم إلا فى ضلال عظيم[2]، أو الخطاب له، ولأمثاله على التغليب، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾: كلام الرسل، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾: الدلائل، ﴿مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: فى عدادهم، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾: حين لا ينفعهم، ﴿فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ[3]﴾ أي: فبعدًا لهم مفعول مطلق وجب حذف فعله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: غائبين عن أعين الناس أو عن الله أو يخشون عذابه غائبًا عنهم، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: يستوى عنده السر والجهر لأنه عليم بضمائر الصدور قبل التكلم، فيكف لا يعلم ما تكلم به؟! ﴿أَلاَ يَعْلَمُ﴾: قول السر، والجهر، ﴿مَنْ خَلَقَ﴾: الأشياء، ﴿وَهُوَ

---

(١) وهل تستبعد من قدرة الله أن يجعل للنار غيظًا؟! فإن استبعدت فاجعل ذلك تمثيلا لشدة اشتعالها لهم، أو المراد غيظ الزبانية/١٢وجيز.

(٢) إشارة إلى جواب ما يقال أن الظاهر "إن أنتم إلا فى ضلال كبير"/١٢منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر الآية أن لو كان جمعًا عاشوا فى بعد عن الإسلام بحيث ما لم يطرق سمعهم كلام نبي، وما تفوهوا قط على تكذيب نبي، فهم غير داخلين فى "كلما ألقي" فإن أثبتوا ما يقتضيه العقل من وجود صانع عالم قادر لئلا يندرجوا فى "لو كنا نعقل" فلا بعد أن يعفو الله عنهم عفوًا فإنه هو المتبادر من تلك الآية مع الآيات الأخر، وبعض الأحاديث يؤيد ذلك/١٢وجيز.

﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: المتوصل علمه إلى ما ظهر وما بطن أو ألا يعلم الله مخلوقه؟ فإن كل شيء من خلق الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾: لينة لكى تسيروا فيها، وتزرعوا، ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها، أو جبالها، ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾: من رزق الله الذى فيها من الحبوب، والثمار، أو وطرقها معناه: فسافروا فيها حيث شئتم، واطلبوا من نعم الله بالتجارة وغيرها، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجع فكونوا على حذر فى العمل، ﴿أَأَمِنتُم مَّن﴾[1]

---

(١) أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد فى قوله: "أأمنتم من فى السماء" قال: الله.١٢/ در منثور، وذكر صاحب الفتح أقوالا إلى أن قال: وقيل: هو الله سبحانه، وهو الحق، لأن ظاهر النظم القرآنى يقتضى أن البارى تعالى فوق السماء، وفى بمعنى على، والمعنى مَنْ ثبت واستقر فى السماء أي: علا العالي، وهو العرش، وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام فى الحموية: إن الله يوصف بالعلو، والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول، ولا بالتحتية قط لا حقيقة، ولا مجازًا ثم من توهم أن كون الله تعالى فى السماء أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده فى رب، وما سمعنا أحدًا يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدًا ينقله من أحد، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قوله الله تعالى، ورسوله أن الله فى السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل واحد منهم أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأول؛ بل عند المسلمين أن الله تعالى فى السماء وأنه على العرش واحد إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله فى العلو، لا فى السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السماوات، والأرض، وأن الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقاته لا نسبة له إلى قدرة الله تعالى وعظمته، فكيف يتوهم أن خلقًا يحصره ويحويه؟! وقد قال سبحانه "ولأصلبنكم فى جذوع النخل"[طه:٧١] وقال: "فسيروا فى الأرض"[النحل:٣٦] بمعنى على، ونحو ذلك وهو كلام عربى حقيقة لا مجازا وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف، وأنها متواطئة

﴿فِي السَّمَاءِ﴾: ملكوته وسلطانه، ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾: فيغيبكم فيها كما

= فى الغالب لا مشتركة، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله تعالى قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه" الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات أيضًا فإن الإنسان لو أنه يناجى السماء أو أنه يناجى الشمس، والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه، وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم- المثل بذلك، ولله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا أو إمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبى صلى الله عليه وسلم- "ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخليا به" فقال له أبو رزين العقيلي، كيف يا رسول الله، وهو واحد، ونحن جميع؟ فقال النبى -صلى الله عليه وسلم: "سآتيك بمثل ذلك فى آلاء الله تعالى، هذا القمر كلكم يراه مخليًا به، وهو آية من آيات الله تعالى" وقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى مشابهًا للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوه يوم القيامة، وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا، ومن كان له نصيب فى المعرفة بالله، والرسوخ فى العلم بالله يكون إقراره بالكتاب، والسنة على ما هما عليه أوكد انتهى.

وقال ابن القيم فى النونية فصل:

هــذا وتاســعها النصــوص بأنــه ... فــوق الســماء وذا بلا حسبان
فاستحضــــر الوحــــيين وانظــــر ... ذاك تلقــاه مبيــنا واضح التبيان
ولسوف تنظر بعض ذلك عن قريــ ... ــــب كى تقوم شواهد الإيمان
وإذا أتــتك فــلا تكن مستوحشًا ... مــنها ولاتــك عــندها بجــبان
ليســت تــدل عــلى انحصار إلهنا ... عقــلا ولا عــرفًا ولا بلســان
إذا أجمــع الســلف الكــرام بأن ... معــناها كمعــنى فوق بالبرهان
أو أن لفــظ سمائــه يعــنى بــه ... نفــس العلــو المطلــق الحقــان =

فعل بقارون، بدل اشتمال مِنْ مَنْ، والباء للتعدية؛ لأن الخسوف لازم، ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرب، أي: يحركها عند الخسف حتى يلقيهم إلى أسفل، والأرض تعلو عليهم، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا ذات حجارة[1] ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: عند معاينة العذاب، ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: كيف إنذاري، ولا ينفعكم العلم، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارى عليهم بالعذاب، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهن، وفوقهم ظرف لصافات، أو حال، وصافات حال من ضميره، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أجنحتها بعد

= والرب فيه وليس يحصره — من المخلوق شيء عز ذو السلطان

كل الجهات بأسرها عدمية — فى حقه هو فوقها ببيان

قد بان عنها كلها فهو المحيط — ولا يحاط بخالق الأكوان

ما ذاك ينقم بعد ذو التعطيل — من وصف العلو لربنا الرحمن

أيرد ذو عقل سليم قط ذا — بعد التصور يا أولى الأذهان

والله ما رد امرئ هذا بغير — الجهل أو بحمية الشيطان

انتهى. وقال فى موضع آخر:

ظن الحمير بأن فى للظرف والرْ — حمن محوى بظرف مكان

والله لم يُسمع بذا من فرقة — قالته فى زمن من الأزمان.

لا تبهتوا أهل الحديث به — فماذا قولهم تبا لذى البهتان.

بل قولهم إن السماوات العلا — فى كف خالق هذه الأكوان

حقا كخردلة ترى فى كف ممسكها — تعالى الله ذو السلطان

أترونه المحصور بعد أم السماء — يا قومنا ارتدعوا عن العدوان

كم ذا مشبهة، وكم حشوية — فالبهت لا يخفى على الرحمن

/انتهى.

(١) كما فعل بآل لوط/١٢وجيز.

البسط وقتًا بعد وقت وعدل إلى صيغة الفعل ليعلم أن القبض طارئ غير أصيل، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: في الجو أن يسقطن، ﴿إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾: برحمته الواسعة، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: فمن أراد حفظه يحفظه، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الكَافِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أم متصلة لئلا يلزم استفهامين معادلة للقرائن التى قبلها أي: أمنتم من عذاب الله؟ ألم تعلموا أن الحافظ هو الله؟ أم لكم جند ينصركم من دون الله؟ إن أراد بكم خسفًا وإرسال حاصب، أم لكم رازق يرزقكم إن أمسك الله رزقه عنكم؟ وجاء بصورة الاستفهام إشعارًا بأنهم اعتقدوا أن لهم ناصرًا، ورازقًا غير الله فيسأل عن تعيينه، فهذا خبر من، والذى مع صلته صفته أو بدله، وينصركم صفة جند، وإتيان اسم الإشارة للحقارة، ﴿بَل لَّجُّوا﴾: تمادوا، ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: عناد، ﴿وَنُفُورٍ﴾: تباعد عن الحق، ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾: يقال: كببته، فأكب أي: صار ذا كب نحو: قشع الله السحاب، فأقشع أي: صار ذا قشع أي: يعثر كل ساعة، ويخر لعدم علمه بالطريق الوعر، ﴿أَهْدَى أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: قائمًا لا عثور له، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: مستو غير منحرف، وهذا تمثيل الكافر والمؤمن بالسالكين، مع أنهم فى الآخرة كذلك، فالمؤمن يمشى على الصراط قائمًا إلى الجنة، والكافر يمشى على وجهه إلى نار جهنم، وقد صح أنه قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟! قال: "الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم"(*)، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾: تشكرون شكرًا قليلا[1] لهذه

(*) البخارى فى "الرقائق" (٦٥٢٣).

(١) فقليلا صفة لمصدر محذوف، وما زائدة، والجملة مستأنفة أو حال/١٢ وجيز.

النعم ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾: بثكم، ونشركم، ﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى[1] هَذَا الوَعْدُ﴾ أي: الحشر، ﴿إِن كُنتُمْ﴾: أيها النبي، والمؤمنون، ﴿صَادِقِينَ قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ﴾: علم وقت الحشر، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: لا يعلمه إلا هو، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾: منذر، ﴿مُّبِينٌ﴾: ولا يحتاج الإنذار إلى تعيين وقت البلاء، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: الوعد، فإنه بمعنى الموعود، ﴿زُلْفَةً﴾: أي: ذا زلفة، يعني لما قامت القيامة ورأو أنها كانت قريبة، ﴿سِيئَتْ﴾: قبحت، ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بأن علتها الكآبة، ﴿وَقِيلَ﴾: لهم تقريعًا، ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾: من الدُّعاء أي: تطلبون وتستعجلون به، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾: من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾: فأخر آجالنا، ﴿فَمَن يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فإنه واقع بهم لا محالة مِتْنا أو بقينا، وهذا كأنه جواب لقولهم نتربص به ريب المنون أو معناه أخبروني: إنا مع إيماننا نخاف عذابه ونرجو رحمته، فأنتم ما تصنعون مع كفركم؟! ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: لعلمنا بأن غيره لا يتأتى منه النفع والضر، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾: منا ومنكم، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائرًا في قعر الأرض، ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ[2]﴾: ظاهر تناله الأيدي، والدلاء[3] عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "إن سورة في القرآن

---

(١) استفهام سخرية/١٢.

(٢) ويستحب أن يقول القارئ -عقب معين: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفئوس والمعاول، فذهب ماء عينه وعمى نعوذ بالله من الجرأة على الله وآياته/١٢ جلالين.

(٣) هذا الحديث رواه أهل السنن الأربعة،وقال الترمذي: حديث حسن[وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٣١٥)]/١٢منه.

ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذى بيده الملك" وعنه -عليه الصلاة والسلام- "لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتي"[1].

والحمد لله الذى هدانا لهذا.

(١) رواه الطبراني، وقال: هذا حديث غريب[أخرجه الطبرانى من طريق: محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهانى عن سلمة بن شبيب عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس... فذكره. كما قال ابن كثير (٤/٣٩٥) وقال: هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف]/١٢منه.

سورة ن مكية

وهي ثنتان وخمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾
بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾
وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ
كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾
فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ
وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ
حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا

طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ن﴾، عن بعضٍ: المراد منه الحوت الذى هو حامل الأرضين السبع، أو الدواة، وقد نقل إن أول شيء خلق القلم، ثم النون أي: الدواة، فقال له: اكتب ما يكون من عمل، أو رزق إلى يوم القيامة، أو لوح من نور، وفيه حديث مرسل(*) وعلى الوجوه يكون قسمًا بحذف حرفه، ﴿وَالْقَلَمِ﴾: الذى خط اللوح المحفوظ، أو جنس القلم كقوله تعالى "الذى علم بالقلم"(١)(العلق:٤)، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من أعمال العباد وأحوالهم أو الأقلام أسنده إلى الآلة، وجعلها بمترلة أولى العلم، ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، جواب القسم أي: ما أنت بمجنون متلبسًا بنعمة ربك حال عن المستكن فى الخبر، وقيل: متعلق بمعنى النفى أي: انتفى منك بسبب نعمته الجنون، لا كما يقول الكفرة، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾: على الإبلاغ والصبر، ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٢)﴾: لأنك تحتمل من الأذى ما لا يحتمل غيرك، ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾: يا محمد، ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾: المشركون الذين رموك بالجنون، ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، الجنون مصدر، كالمجلود والمعقول، أو الباء زائدة، أو بمعنى: فى أي: فى أى

(*) أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" وقال ابن كثير (٤٠١/٤): وهذا مرسل غريب.

(١) فإنه أخ اللسان، ومطية الفطنة، ونعمة عظيمة/١٢وجيز، وقال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم ما قام دين، ولم يصلح عيش، والله أعلم بما يصلح خلقه/١٢در منثور، وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد"، أخرجه الترمذى وصححه[وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الترمذى" (٢٦٤٥)]/١٢فتح.

(٢) قيل لعائشة صف لى خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت: خلقه القرآن. هذا ما فى الوجيز، وعزاه السيوطى إلى مسلم، وابن أبى شيبة، والحاكم وغيرهم/١٢وجيز.

الفريقين من فريقك، وفريقهم المجنون، أو المفتون: الشيطان، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾: فلا عقل لهم أصلا، وهو المجنون حقيقة، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: الفائزين بالعقل الكامل، ﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾: صمم على معاداهم، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ[1]﴾، من المداهنة أي: تلاينهم، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: فيلاينونك مثل أن تعظم دينهم وآلهتهم، فيعظمون دينك وإلهك، والفاء للسببية، أي: فهم يدهنون حينئذ أو للعطف، أي: ودوا مداهنتك فمداهنتهم، ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ﴾: كثير الحلف، ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير القلب والرأي، ﴿هَمَّازٍ﴾: مغتاب عياب، ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقال للكلام سعاية وإفسادًا، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يمنع نفسه عن الخير، أو الناس عنه، ﴿مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن الحد، ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الآثام، ﴿عُتُلٍّ[2]﴾: غليظ جاف، وفى الحديث[3] "هو الشديد الخلق الصحيح الجسم الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس رحيب الجوف"، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعدما عد من النقائص، ﴿زَنِيمٍ[4]﴾: دَعِيٌّ

---

(١) كما قالوا: سامحنا سنة فى تعظيمنا آلهتنا، ثم نطيعك/١٢وجيز.

(٢) والظاهر أن هذه الأوصاف التى هى مذكورة بصيغة المبالغة ليست لمعين ألا ترى إلى قوله: "كل حلاف"، وقوله: "إنا بلوناهم" نعم ربما ينطبق على معين، واعلم أن اللفظ الثقيل كالعتل والخرطوم فى الذم من الفصاحة/١٢وجيز.

(٣) رواه أحمد فى مسنده[وذكره الهيثمى فى "المجمع" (١٢٨/٧) عن عبدالرحمن بن غنم وقال: رواه أحمد وفيه شهر وثقه جماعة وفيه ضعف وعبدالرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح]/١٢منه.

(٤) عن ابن جرير قال -عليه السلام: "تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقصمًا، فكان للناس ظلومًا" قال: فذلك العبد الزنيم، وهكذا رواه أبو حاتم، ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد، والحسن، وقتادة، وغيرهم إن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى فى المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك[رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين كما قال ابن كثير (٤٠٤/٤)]/١٢منه.

منسوب إلى قوم ليس منهم، قيل: هو وليد بن المغيرة، وكان ولد الزنا، أو من له زنمة، وهى قطعة من جلد تعلق فى حلق الشاة يعني: يعرف بالشر كما يعرف الشاة بزنمتها، ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: كذب آيتنا، لأن كان ذا مال وبنين يعنى يجعل مجازاة نعمنا الكفر بآيتنا، فهو متعلق بما يدل عليه قوله "قال أساطير الأولين" لا بقال؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، أو متعلق بلا تطع أي: لا تطعه لماله، وبنيه مع تلك المعايب، ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: سنجعل على أنفه علامة، ووقعت يوم بدر، وفى لفظ الخرطوم استخفاف، فإنه لا يكاد يستعمل إلا فى أنف الخنزير والفيل، أو سنلحق به شيئًا ظاهرًا لا يفارقه، ونذله غاية الإذلال، فإن صاحب المال والبنين متكبر غالبًا، أو نسود وجهه يوم القيامة، أو سنبين أمره بيانًا ظاهرًا كما يظهر السمة على الخراطيم، ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أهل مكة بالقحط[1] ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ[2]﴾: كما امتحنا أصحاب بستان باليمن كان لرجل يتصدق منها على الفقراء فلما مات قال أبناؤه: كان أبونا أحمق إذ كان يصرف منها شيئًا كثيرًا على الفقراء، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾: فحلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: ليقطعن ثمرها، ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين فى الصبح خفية عن المساكين، ﴿وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾: لا يقولون إن شاء الله قيل: لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾: على الجنة، ﴿طَائِفٌ﴾: بلاءٌ طائف، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: نزلت نار فأحرقتها، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: فى بيوتهم، ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: الجنة، ﴿كَالصَّرِيمِ﴾: كالليل الأسود المظلم أو كالزرع الذى حصد يابسًا، ﴿فَتَنَادَوْا﴾ أي: نادى بعضهم بعضًا، ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين فى الصباح،

---

(١) فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أكلوا الجيف، والرمم/١٢فتح.

(٢) عن سعيد بن جبير قال: هى أرض باليمن يقال لها: "ضروان" بينها وبين صنعاء ستة أميال/١٢در منثور.

﴿أَنِ اغْدُوا﴾: بأن أقبلوا غدوة، ﴿عَلَى حَرْثِكُمْ﴾، فتعديته بعلى لتضمين معنى الإقبال[١]، ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: قاطعين الثمر، ﴿فَانطَلَقُوا﴾: ذهبوا، ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: يتساررون فيما بينهم، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾، أن مفسرة بمعنى أي، والنهى عن تمكين[٢] المسكين من الدخول أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل، ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾: على جد وجهد، أو على منع المساكين، أو الحرد اسم لبستانهم أو على غيظ وغضب، والحرد فى اللغة القصد والمنع والغضب، ﴿قَادِرِينَ﴾: عند أنفسهم على ثمارها أو على حرد متعلق بقادرين أي: غدوا قادرين على نكد، وحرمان لا على انتفاع، فإنه ما حصل لهم إلا الحرمان يقال: حاردت السنة، إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الإبل إذا منعت درها، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: الجنة مسودة، ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾: طريق جنتنا ليست هذه بجنتنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: يعنى لما تأملوا وعلموا أنها هى رجعوا عما كانوا، وقالوا: بل نحن حرمنا نفعها، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعقلهم وخيرهم، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: هلا تسبحونه، وتشكرونه على ما أعطاكم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: سبحوا واعترفوا بذنبهم، حيث لا ينفع فيما مضى، وعن بعض[٣] معناه: هلا تستثنون، وسمى الاستثناء تسبيحًا؛ لأنه تعظيم الله، وإقرار بأن له القدرة فتزهه عن العجز، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضًا[٤]، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا

---

(١) قال صاحب البحر: الذى فى حفظى أن غدا متعد بعلى لا بإلى، فلا نحتاج إلى أن نقول: فيه تضمين معنى الإقبال/١٢وجيز.

(٢) يعنى ظاهره النهى عن الدخول للمسكين، وحقيقة نهى لهم عن تمكينه منه/١٢منه.

(٣) هو مجاهد، والسدي، وابن جريج/١٢منه.

(٤) فى منعهم للمساكين، وعزمهم على ذلك يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا: أنت خوفتنا الفقر، ويقول الثالث لغيره: أنت رغبتنى فى جمع المال، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، حيث قالوا: "يا ويلنا" الآية/١٢فتح.

﴿كُنَّا طَاغِينَ﴾: متجاوزين الحد، **﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا﴾**: فى الدنيا، أو فى الآخرة، **﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ[1]﴾**: راجون الخير، وقبول التوبة، **﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾**: هكذا عذاب من بدل نعمة الله كفرًا، أو كفرانًا، **﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾**: منه وأشق، **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**: لاحترزوا عن موجب العذاب أو لو كانوا من أهل العلم لعلموا أن عذاب الآخرة أشد.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ

---

(١) عن ابن مسعود -رضى الله عنه- بلغنى أهم تابوا وأخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى "الحيوان" وعنبه يحمل البغل منها العنقود/١٢وجيز، وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ قال: لقد كلفتنى لقتا والمعظم يقولون: إهم تابوا، وأخلصوا، حكاه القشيري/١٢فتح.

﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: عند حال من قوله: ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: لا تنغيص فيها أصلا، نزلت حين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هى فى الدنيا لم يفضلونا، و لم يزيدوا علينا، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، أنكر الله ما يدعون، وأبطله، ثم قال لهم- على طريق الالتفات: ﴿مَا لَكُمْ﴾ أى شيء لكم؟ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هذا الحكم الأعوج أتحكمون من عند أنفسكم ورأيكم؟! ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾: من الله، ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تقرءون، ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ[1]﴾:هذا كما تقول: علمت أن فى الدار لزيد، أو حاصله: هل لكم من الله كتاب تقرءون[2] فيه أن ما تشتهونه وتختارونه لكم؟! والجملة حكاية للمدروس قيل ضمير فيه الثانية جاز رجعها إلى عند ربهم، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾: عهود

---

(١) أي: تقرءون فى هذا الكتاب الذى هو من الله إن لكم فى هذا الكتاب ما تخيرونه من تغيير وتبديل، وزيادة ونقصان، أو معناه هل لكم كتاب سماوى تقرءون فيه أن كل ما تختارون ثابت لكم فى هذا الكتاب؟ فاخترتم عبادة الأوثان. الاستفهام الأول للتوقيف على خطأ ما قالوا والتوبيخ، والثانى للتعجب، والثالث للإنكار، وأم جاز أن يكون منفصلة أي: بل ألكم كتاب، وبل للانتقال لا لإبطال ما قبل،والهمزة للإنكار، ولما اسم إن وما موصولة، ولكم خبرها، وقوله: "إن لكم" من باب التعليق لتضمنه معنى العلم، وأصله أن لكم بفتح الهمزة، فلما جاءت اللام كسرت/١٢وجيز.

(٢) فى ذلك الكتاب/١٢.

مؤكدة بالأيمان، ﴿بَالِغَةٌ﴾: متناهية فى التوكيد، ﴿إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾، متعلق إما ببالغة، أو بمتعلق لكم، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾، جواب القسم، فإن حاصله أم أقسمنا لكم، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ﴾ أي: الحكم، ﴿زَعِيمٌ﴾: قائم يدعيه،ويصححه، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾: فى هذا القول من البشر؟! ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾: فى دعواهم يعني: إن هذا الدعوى مهمل لا يشاركهم أحد، أو معناه أم لهم آلهة غير الله تصحح لهم ما يدعون، وتثبت فليأتوا بها حتى تصحح، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ[1]﴾، مقدر باذكر، أو متعلق بـ"فليأتوا"، أي: يوم يشتد الأمر، وكشف الساق مثل فى ذلك، أو يوم يكشف عن حقائق الأمور وخفياها، وفى الصحيحين سمعت النبى -صلى الله عليه وسلم- "يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة"،وقد نقل[2] عنه - عليه

---

(١) وقد أغنانا الله سبحانه فى تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد أخرج البخاري، وغيره عن أبى سعيد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا" وهذا الحديث ثابت من طرق فى الصحيحين، وغيرهما،وله ألفاظ فى بعضها طول، وهو حديث مشهور معروف، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وذلك لا يستلزم تشبيها، ولا تجسيمًا، فليس كمثله شيء.

دعوا كل قول عند قول محمد　　　فما آمن فى دينه كمخاطر.

قال الشيخ أحمد ولى الله المحدث الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة: واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث،وسموهم مجسمة ومشبهة، وقالوا: هم المستترون بالبلكفة، وقد وضح على وضوحًا بينا أن استطالتهم هذه ليست بشيء، وأنهم مخطئون فى مقالتهم رواية، ودراية، وخاطئون فى طعنهم أئمة الهدى انتهى/١٢فتح.

(٢) رواه أبو يعلى، وابن جرير، وفى الرواة رجل مبهم[وكذا قال ابن كثير فى "تفسيره" (٤/٤٠٨)]/١٢منه.

الصلاة والسلام- "يوم يكشف عن ساق نور عظيم يخرون له سجدًا(*) "، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي: الكافرون والمنافقون، فإن المؤمنين يسجدون بلا دعاء، ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾: السجود، لأنه صار ظهرهم طبقًا[1] واحدًا بلا مفاصل كلما أرادوا السجود خروا لقفاهم عكس السجود، ﴿خَاشِعَةً﴾، حال من فاعل يدعون، أو لا يستطيعون، ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: لا يرفعونها لدهشتهم، ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تلحقهم، ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: فى الدنيا، ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾: أصحاء، فلا يسجدون لله عن كعب الأحبار، والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعات، ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: كله إلى فإني عالم بما يستحق لا تشغل قلبك بهم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنقربهم من العذاب درجة درجة بالإمهال، وإكمال الصحة، والنعمة، ﴿مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: إنه استدراج، وهو إنعامنا عليهم بالمال، وطول العمر، والصحة، فلم يشكروا، وحسبوا أنهم أحباء الله، والثروة قد تكون نعمة، وقد تكون نقمة، والعلامة الشكر، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء سمى الاستدراج كيدًا؛ لأنه فى صورة الكيد، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾: يا محمد ﴿أَجْراً﴾: على الهداية، ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غرامة، ﴿مُّثْقَلُونَ﴾: بحملها، فلذا يعرضون عنك، وأم منفصلة، والهمزة للإنكار، ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾: علم الغيب، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: فلا يحتاجون إليك وإلى علمك، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ[2]﴾: بإمهالهم، ﴿وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ[3]﴾: يونس -عليه السلام- فى العجلة والضجر كما مر فى

(*) هذا التأويل من المصنف فى كشف الساق، والصحيح ما ورد فى الحديث "يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة". البخاري.

(١) قال أكثر السلف: وفى الصحيحين ما يدل على ذلك/١٢منه.

(٢) فإنه -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يدعو على ثقيف/١٢وجيز.

(٣) قيل: فيه مناسبة بتفسير من فسر النون بالحوت/١٢منه.

سورة الأنبياء، ﴿إِذْ نَادَى﴾: في بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مغموم، ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: بقبول توبته، ﴿لَنُبِذَ﴾: لطرح، ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بالفضاء من بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، حال كونه مجرمًا ملومًا يعني لما تداركه برحمته نبذه على حال غير حال الذم، واللوم ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ[1]﴾: من الأنبياء، ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إن مخففة، ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ أي: ينظرون إليك بنظر البغضاء، ويكادون يزلقون به قدمك ويزلونها كما تقول: نظر إلى نظرًا يكاد يأكلني، ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: القرآن، فإنهم لم يملكوا أنفسهم حسدًا حينئذ، وعن بعض: إن فيهم العين فأرادوا أن يصيبوه بالعين[2]، فعصمه الله، ونزلت، فمعناه يكادون يصيبونك بالعين لكن قوله، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ﴾: لمجيئه بالقرآن، ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: يناسب الوجه الأول، لأن شأن العَيَّانين المدح لا الذم، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، فكيف يمكن نسبة من جاء بمثله إلى الجنون.

والحمد لله على الهداية والدراية.

---

(١) من الكاملين فى الصلاح، قيل: لم يكن نبيًّا حين ذهب مغاضبًا،ولهذا فسر من الصالحين بمن النبيين،ولما أمر -عليه الصلاة والسلام- بالصبر أخبره بشدة عداوتهم ليتلقى ذلك بالصبر، ويحترز عنهم، فقال: "وإن يكاد الذين" الآية/١٢وجيز.

(٢) أخرج البخارى عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "العين حق" وأخرج الطيالسي، والبخارى فى تاريخه، والبزار عن جابر أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال "أكثر من يموت من أمتى بعد قضاء الله وقدره بالعين" [وقال البزار ولا نعلم بروى هذا الحديث عن النبى إلا بهذا الإسناد وتعقبه ابن كثير بأن له وجه آخر فذكره وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات و لم يخرجوه]/١٢در منثور.

سورة الحاقة مكية

وهى اثنتان وخمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى

سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿**الْحَاقَّةُ**﴾، سميت القيامة بها؛ لأنها واجبة الوقوع من حق يحق بالكسر أي: الساعة الواجبة، أو التي فيها حواق الأمور أي: ثوابتها كالحساب والعقاب، فيكون من باب تسمية الشيء باسم ما يلابسه أي: ذو الحاقة، ﴿**مَا الحَاقَّةُ**﴾، استفهام لتفخيم شأنها، وهذه الجملة خبر للحاقه، أي: أى شيء هي؟ كقولك: زيد ما زيد؟ بوضع الظاهر موضع المضمر، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ**[1]﴾: وأى شيء أعلمك ما هي؟ يعنى لا علم لك بكنهها لعظمها، فما مبتدأ، وأدراك خبر، ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**﴾ أي: بها وسماها قارعة لقرعها القلوب بالمخافة، ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ أي: بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة، وهى الصيحة، وعن بعض بسبب طغيانهم، فتكون مصدرا كالعافية "كذبت ثمود بطغواها"(الشمس:١١) ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ**﴾: شديدة البرد، ﴿**عَاتِيَةٍ**﴾، أصل العتو مجاوزة الحد أي: عتت على خزانها، فخرجت بغير حساب، أو عتت على عاد، فلم يقدروا ردها، ﴿**سَخَّرَهَا**﴾: سلطها، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾، استئناف، أو صفة، ﴿**سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً**﴾: متتابعات أو

---

(١) ولما ذكرها، وفخمها أتبع ذلك بذكر من كذب بها، فما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة، وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم، فقال: "كذبت ثمود" الآية/١٢كبير، نعم يمكن بيانها بنظائر ما وقع بالأمم السابقة من أنواع العذاب المختلفة طولا وقصرًا، وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها، فتفصيل ذلك أنه "كذبت ثمود" الآية/١٢تبصير الرحمن.

نحسات، أو قاطعات جمع حاسم صفة لسبع ليال، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ أي: لو كنت حاضرًا، أو استحضار لصورهم كأنه يراهم، ﴿فِيهَا﴾: فى تلك الأيام، ﴿صَرْعَى﴾: موتى جمع صريع حال، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول، ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: خالية الأجواف، أو ساقطة، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾: من بقية أو نفس باقية، ولا يبعد أن يراد منها، هل ترى باقية من العذاب لهم؟ يعني: قد وصل العذاب غايته، ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾: من الأمم الكافرة، وقراءة كسر القاف، وفتح الباء، فمعناه من عنده من أتباعه، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾: قرى قوم لوط أي: أهلها، ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾: بالخطيئة، ﴿فَعَصَوْا﴾ أي: كل منهم، ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زائدة فى الشدة، ﴿إِنَّا[1] لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: تجاوز عن الحد زمن نوح، ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾: فى السفينة، فكل من بقى من البشر من أصلاب من فى السفينة، ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: تلك الفعلة، وهى إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين، ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً[2]﴾: عبرة وعظة، ﴿وَتَعِيَهَا﴾: تحفظها، ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي: من شأنها أن تحفظ ما سمعت به، ولا تضيعه بترك التفكر والعمل به،وفى الحديث "لما نزلت سألت الله أن يجعلها[3] أذن علي" فكان

---

(١) ولما ذكر أمر فرعون، وذكر إغراقهم مَنَّ على من نجا، فقال: "إنا لما طغى الماء" الآية/١٢وجيز.

(٢) تذكرون بها كيفية النجاة عن أهوال القيامة،وهو لمن رآها "وتعيها" أي: تحفظ ما يسمع منها ليوصلها إلى آخرين "أذن واعية" لمن لم يرها، ولما فرغ عن ذكر النظائر السابقة أشار إلى ما يقع فى القيامة من نظائرها، "فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة" هى نظيرة صيحة ثمود، وتحصل بها ريح بها "حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة"، فالريح كريح عاد، والحمل كحمل المؤتفكات/١٢تبصير الرحمن.

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن مردويه، وأبى نعيم[وقال ابن كثير (٤/٤١٢) وهو حديث مرسل]/١٢.

على يقول: ما سمعت شيئًا من رسول الله —صلى الله عليه وسلم- فنسيته، ﴿فَإِذَا[1] نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: لا تثنى فى وقتها، والمراد النفخة الأولى[2] لما ذكر حال المكذبين رجع إلى شرح أهوال القيامة، ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: رفعت عن أماكنها، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: ضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة، فيصير الكل هباء منثورا، أو بسطتا فصارتا أرضًا لا عوج لها يقال: أرض دكاء، أى مستوية متسعة، ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: حينئذ، ﴿وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾: قامت القيامة، ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: من المجرة، هكذا روى عن على -رضى الله عنه ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفة ساقطة القوة، ﴿وَالْمَلَكُ﴾، المراد منه الجنس، ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: جوانبها جمع رجا بالقصر يعنى أنها تنشق، وهى مسكن الملائكة، فيأوون إلى ما حولها من حافاتها، ﴿وَيَحْمِلُ[3] عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: فوق رءوس الثمانية[4]، ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾: من الملائكة بعد ما بين شحمة أذن ملك منها وعنقه

---

(١) ولما كان الطوفان كقيامة قامت، ففيها تفجير البحور، أعقبه بذكر أحوالها فقال: "فإذا نفخ فى الصور" الآية/١٢وجيز.

(٢) التى بها خراب العالم/١٢وجيز.

(٣) أخرج الحاكم، وصححه عن ابن عباس -رضى الله عنهما- مرفوعًا قال: يحمل ثمانية ملك على صورة الأوعال،وفى رواية عنه رءوسهم عند العرش، وأقدامهم فى الأرض السفلى، ولهم قرون كقرون الوعلة، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام، وروى أن ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين السماء والأرض، وروى أن لكل ملك منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، ولابن جرير عن أبى زيد مرفوعًا "يحمله اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية"[أخرجه الحاكم (٢/٥٠٠) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى]/١٢كمالين.

(٤) ولا يلزم إضمار قبل الذكر إلا لفظًا لا تقديرًا/١٢منه.

بخفق الطير[1] سبعمائة عام، وعن بعض ثمانية صفوف، وعن بعض المفسرين: المراد بالعرش عرش يوضع يوم القيامة فى الأرض لفصل القضاء لا العرش العظيم، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾: على الله لإفشاء الأحوال،وإظهار العدل، ﴿لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: سريرة كانت تخفى فى الدنيا، ولما كان اليوم يطلق على زمان ممتد يقع فيه النفختان، وأهوال القيامة مطلقًا صح أن يقال فيه العرض، والحساب، وفى الحديث "يعرض الناس[2] ثلاث عرضات، فأما عرضتان، فجدال، ومعاذير وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدي، فآخذ بيمينه وأخذ بشماله" ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾: تبجحًا[3]، ﴿هَاؤُمُ﴾، اسم فعل للجمع أي: خذوا، ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، منصوب بالفعل الثانى عند البصريين، والهاء للسكت تثبت فى الوقف، وتسقط فى الوصل، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾: علمت، ﴿أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: أيقنت أنى أحاسب، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، جعل الرضا للعيش مجلوزًا، وهو لصاحبها أو هو كلابن وتامر أي: منسوبة إلى الرضا، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: رفيعة هي،وقصورها أيضًا، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾: ثمارها قريبة يتناولها الراقد، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، بإضمار القول، ﴿هَنِيئاً﴾، صفة مصدر محذوف[4]، ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: بسبب ما قدمتموه من الخيرات، ﴿فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ[5]﴾: الماضية فى الدنيا، وقد روى عن ابن

---

(١) هذا مذكور فى الحديث، رواه أبو داود، وفى كتاب السنة من سننه وابن أبى حاتم[وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح أبى داود" (٣٩٥٣)]/١٢منه.

(٢) رواه الإمام أحمد، والترمذي[قال الترمذى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة. وضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى"]/١٢منه.

(٣) بتقديم الجيم على الحاء المهملة/١٢.

(٤) أي: أكلا وشربًا هنيئًا، أو تقديره هنئتم هنيئًا/١٢منه.

(٥) أخرج البيهقى عن نافع قال: خرج ابن عمر -رضى الله عنهما- فى بعض نواحى المدينة، ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة له فمر بهم راعى غنم، فسلم فقال ابن عمر: =

عباس -رضى الله عنهما- إن هذا فى الصائمينَ خاصة أي: بدل ما أمسكتم فى الأيام الجائعة، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾: تحسرًا، ﴿يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا﴾: الموتة التى متها، ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾: القاطعة لأمري، فلم أبعث، أو يا ليت تلك الحالة التى أنا فيها كانت الموتة، فإنها أسهل، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ﴾: ما حصل لى من المال وغيره، ومفعول أغنى محذوف، أو ما على تقدير أن يكون استفهامية إنكارية[1]، ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ[2]﴾: ضل عنى حجتي، أو زال عنى ملكى وقوتي، ﴿خُذُوهُ﴾: لما أمر الله بذلك ابتدره سبعون ألف[3] ملك، وروى "لا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لى ولك، فيقول: إن الرب عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك ﴿فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: لا تدخلوه إلا الجحيم، ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ

= هلم يا راعى هلم فأصب من هذه السفرة، فقال له: إنى صائم، فقال ابن عمر: الصوم فى مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت فى هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟! فقال له: إنى والله ضيعت أيامى الخالية، فقال له ابن عمر وهو يريد يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه، فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها، فتفطر عليه؟ فقال له: إنها ليست لى بغنم إنها غنم سيدى فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلا إذا فقدها، فقلت: أكلها الذئب؟ فولى الراعى عنه، وهو رافع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، وهو يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعى ووهب منه الغنم[أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان"(٥٢٩١)]/١٢در منثور.

(١) فيه إشارة إلى أن ما إما نافية، أو استفهامية/١٢منه.

(٢) سلطانيه: قوتي، وحجتي،وهاء كتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيه للسكت تثبت وقفًا، ووصلا اتباعًا لمصحف الإمام، والنقل، ومنهم من حذفها وصلا/١٢جلالين.

(٣) ذكره ابن أبى الدنيا فى الأهوال/١٢منه.

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ أي: طويلة، وفى الحديث ما يدل[1] على أنها أطول من مسافة بين السماء والأرض، **﴿فَاسْلُكُوهُ﴾**: أدخلوه فيها، وعن ابن عباس[2] -رضى الله عنهما- يدخل فى استه، ثم يخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين[*] يشوي، **﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ﴾**، استئناف للتعليل، **﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾**: لا يرغب، **﴿عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾**: على إطعامه، وفيه إشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل، وبأن أشنع الذمائم البخل، وكان أبو الدرداء يحض امرأته على تكثير المرق للمساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها بالحض؟ **﴿فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾**: قريب يحميه، **﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾**: دم وقيح يسيل من لحومهم، أو شجرة فيها، **﴿لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ﴾**: أصحاب الخطايا، والمراد المشركون.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ

---

(١) حديث ذكره الإمام أحمد، والترمذي/١٢منه، هو إقرارهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله[وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٨٥٦): إسناده صحيح]/١٢وجيز.

(٢) نقله السيوطى فى الدر المنثور، وقال: أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم/١٢.

(*) وفى نسخة ن: حتى.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢ ﴾

﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾، لا مزيدة، أو رد لكلام المشركين، وقيل: لا أقسم بظهور الأمر بحيث لا يحتاج إلى القسم، **﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾**: بما فى السماء، والأرض، **﴿وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾**: بما هو فى علم الله، و لم يطلع عليه أحد، **﴿إِنَّهُ﴾**: القرآن، **﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾**: على الله يبلغه عن الله، فإن الرسول هو المبلغ، **﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾**: يخيله من عند نفسه كما تزعمون، **﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾**: تصدقون تصديقًا قليلا[1]، أو المراد من القلة العدم، **﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ[2]﴾**: تذكرون تذكرًا قليلا، فلذلك التبس عليكم الأمر، ولما كان عدم مشابهة القرآن للشعر أظهر ذكر الإيمان مع الأول، والتذكر مع الثاني، **﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾** أي: هو تنزيل، **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾**: الرسول، **﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾**: يختلق، ويفترى، **﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ[3]﴾**: بيده اليمنى

---

(١) هو إقرارهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض قالوا: الله/١٢وجيز.

(٢) ذكر الإيمان مع نفى الشعر، والتذكر مع نفى الكهانة، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على تذكر أحواله -صلى الله عليه وسلم- وتذكر معانى القرآن المنافية لطريقة الكهانة، ومعانى أقوالهم قال أبو جهل: إن محمدًا الشاعر، وقال الوليد بن المغيرة: ساحر وقال عقبة: كاهن فنزلت هذه الآية،كذا قال مقاتل/١٢فتح.

(٣) قال ابن جرير: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس فى الأخذ بيد من يعاقب، وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة: باليمين أي: بالقوة والقدرة، وبه قال ابن عباس،-رضى الله عنه- وقال ابن قتيبة: إنما أقام اليمين مقام القوة؛ لأن قوة كل شيء فى ميامنه، وقيل المعنى: لقتلناه صبرًا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط/١٢فتح.

منه ليكون أشد، فإن القتّال إذا وقف بين يديه بحيث ينظر المقتول إلى السيف مريدًا قتله من خلفه يأخذه بيده اليمنى، وإذا وقف خلفه مريدا قتله من قفاه يأخذ بيساره، أو اليمين بمعنى القوة، **﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾**: نياط القلب،وهو حبل الوريد، **﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾**: دافعين عن القتل، أو عن نفسه بأن تحولوا بيني وبينه، **﴿وَإِنَّهُ﴾** أي: القرآن، **﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾**: فإنهم المنتفعون به، **﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾**: فنجازيهم، **﴿وَإِنَّهُ﴾** الضمير للقرآن أو للتكذيب، **﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ﴾**: يوم يرون ثواب الإيمان به، **﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾** اليقين هو العلم الذى زال عنه اللبس، والحق هو الثابت، فالإضافة إما بمعنى اللام، أو بمعنى من أو بيانية، **﴿فَسَبِّحْ﴾**: الله، **﴿بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾**، والعظيم إما صفة المضاف أوالمضاف إليه.

والحمد لولى الحمد.

سورة المعارج مكية

وهی أربع وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ (١٣) وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٣١) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أي: دعا داعٍ،﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: البتة، ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾، هو نضر[1] بن الحارث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فالباء لتضمين معنى دعا بمعنى استدعى، وقيل: لتضمين معنى استعجل،وعن الحسن[2]، وقتادة لما خوفهم الله تعالى العذاب قال بعضهم: سلوا عن العذاب على من يقع؟ فنزلت، فعلى هذا الباء لتضمين معنى اهتم، أو الباء بمعنى عن، كما قيل في: "فاسئل به خبيرًا"(الفرقان:٥٩) و يكون للكافرين خبر محذوف جوابًا للسائل، أي: هو للكافرين، ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾: يرده صفة أخرى لعذاب على الوجه الأول، وجملة مؤكدة للكافرين على الثاني، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: دافع من جهته، لأنه قدره، وقيل تقديره هو من الله ،﴿ذِي الْمَعَارِجِ[3]﴾: ذى السماوات، فإن الملائكة تعرج فيها أو ذى الدرجات أو ذى الفواضل، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: جبريل، أو خلق أعظم من الملك يشبهون الناس، وليسوا ناسًا، وعن بعض المفسرين: المراد أرواح المؤمنين، فقد ورد أنها يصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السابعة، ﴿إِلَيْهِ[4]﴾: إلى محل قربته، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: من سنى الدنيا لو صعد غير الملك، وذلك لأن غلظ كل أرض خمسمائة،

---

(١) وهو ممن قتل يوم بدر صبرا/١٢فتح كما فى الدر المنثور من رواية النسائى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه[أخرجه النسائى فى "تفسيره" والحاكم فى "المستدرك" (٥٠٢/٢) وقال: "صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه" ورمز له الذهبى فى "التلخيص" أنه على شرط البخارى]/١٢.

(٢) أخرجه ابن المنذر على ما نقله السيوطى فى الدر المنثور/١٢.

(٣) ذى الدرجات التى تصعد فيها الملائكة، وقال ابن عباس -رضى الله عنهما: ذى العلو والفواضل/١٢فتح.

(٤) أي: إلى الله عز وجل هذا ما فى اللباب وفى الوجيز أي: إلى العرش، وهو الذى استوى عليه/١٢.

وبين كل أرض إلى أرض كذلك، وكذا السماء، فيكون إلى محدب سماء السابعة أربعة عشر ألف عام، وبينها إلى العرش ستة وثلاثون، فيكون خمسين ألف سنة، هكذا نقل عن ابن عباس -رضى الله عنهما، أو المراد[1] يوم القيامة أي: تعرج الملك والروح للعرض والحساب فى يوم كذا جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة،ويخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا، وفى الأحاديث الصحاح "إن طول يوم القيامة خمسون ألف سنة"[*] وقيل فى يوم متعلق بواقع، وعن[2] بعض المراد مدة الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، وعن بعض[3] اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة خمسون ألف سنة ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً[4]﴾، على التكذيب، والاستهزاء، وذلك قبل آية القتال، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾: العذاب، أو يوم القيامة، ﴿بَعِيداً﴾: من الإمكان، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾: من الوقوع، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾، ظرف لمقدر مثل يقع لدلالة المقام، أو لقريبًا، أو بدل عن "فى يوم" على ثانى وجوهه ﴿كَالْمُهْلِ﴾: كدردى الزيت، وقيل: كالفلز[5] المذاب، ﴿وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: كالصوف المندوف، ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾: قريب عن قريبه للشدة، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ[6]﴾، التبصير التعريف،

---

(١) وقد صح ذلك عن ابن عباس أيضًا، وعكرمة، والضحاك،وابن زيد وغيرهم/١٢منه.

(*) انظر "تفسير ابن كثير" (٤/٤١٩-٤٢٠) والدر المنثور (٦/٤١٦-٤١٧).

(٢) قول عكرمة، ومجاهد/١٢.

(٣) قول محمد بن كعب/١٢منه.

(٤) أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله: "فاصبر صبرا جميلا" قال: لا تشكوا إلى أحد غيري/١٢در منثور.

(٥) فلز بكسرتين وتشديد زاى معجمة يطلق على جواهر الأرض كلها.

(٦) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله: "يبصرونهم" قال: يعرف بعضهم بعضًا ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض/١٢در منثور.

والإيضاح أي: يبصر الأحماء الأحماء، ومع ذلك لا يسأل عنه لاشتغالهم بحال أنفسهم استئناف، أو حال وذو الحال فى معنى المعرف بالاستغراق، أو صفة لحميما، ولما كان الحميم عامًّا جمع الضميرين، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي﴾ "لو" بمعنى أن، ﴿مِنْ عَذَابِ[1] يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ أي: هو بحيث يتمنى الافتداء بأقرب الناس فضلا عن أن يهتم بحاله، ويسأل عنه، ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته، ﴿الَّتِي تُئْوِيهِ﴾: تضمه فى النسب، أو فى الشدائد، أو المراد من الفصيلة الأم، ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ أي: يود لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء، وهيهات أن ينجيه، فثم للاستبعاد، ﴿كَلَّا﴾، ردع للمجرم عن الودادة، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار، أو ضمير مبهم يفسره ما بعده، ﴿لَظَى﴾: لهب، أو هو علم للنار، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ الشوى: الأطراف، أو جمع شواة، وهي جلدة الرأس، أو لحم الساقين، أو محاسن الوجه، وأم الرأس، أو اللحم والجلد، أو الجوارح ما لم يكن مقتلا، ﴿تَدْعُوا﴾: النار إلى نفسها بأسمائهم، ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾: عن الحق، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة، ﴿وَجَمَعَ﴾: المال، ﴿فَأَوْعَى﴾: فأمسكه فى وعائه، و لم يصرفه فى الخير، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾، التعريف للاستغراق، ﴿خُلِقَ هَلُوعًا[2]﴾: شديد الحرص قليل الصبر، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾: لم ينفق أصلا، والأحوال الثلاثة مقدرة، أو محققة، لأنه مجبول طبيعته على الجزع، والبخل عند الفقر، والمال، ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾: إلا من قدر الله أنه من أهل التوحيد، والطاعة،

---

(١) قرئ بتنوين عذاب، ونصب يومئذ به؛ لأنه بمعنى تعذيب/١٢بيضاوي.

(٢) قال ابن عباس -رضى الله عنهما- تفسيره ما بعده، وهو قوله تعالى: "إذا مسه الشر" الآية/١٢لباب.

وسأل محمد بن عبدالله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال: قد فسره الله تعالى، ولا يكون تفسيرًا أبين من تفسيره، وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به، ومنعه الناس، وهذا طبعه، وهو مأمور بمخالفة طبعه، وموافقة شرعه/١٢مدارك.

فإنه ما خلقه كذلك، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ[1]﴾: لا يتركون فريضة، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾، كالزكاة وغيرها، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، مر تفسيره فى سورة "والذاريات" ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: بيوم الجزاء، فلا يعملون السيئات، ولو عملوا نادرًا يتوبون عن قريب خوفًا عن الجزاء، ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، معترضة تدل على أن ليس لعاقل الأمن من عذاب الله، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، سبق فى أول سورة "قد أفلح المؤمنون" ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: لا يخونون، ولا يغدرون، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ[2]

---

(١) فإن قلت: كيف قال على صلاتهم دائمون، ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون؟ قلت: بمعنى إدامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها، وأن لا يتركوها فى شيء من الأوقات، وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها، والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها، وهو أن يأتى بها العبد على أكمل الوجوه، وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة: منها ما هو سابق للصلاة كاشتغال بالوضوء، وستر العورة، وإبصار المكان الطاهر للصلاة، وقصد الجماعة، وتعلق القلب بدخول وقتها، وتفريغه عن الوسواس، والالتفات إلى ما سوى الله -عز وجل- وأما الأمور المقارنة للصلاة، فهى أن لا يلتفت فى الصلاة يمينًا، ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب فى جميعها بالخشوع، والخوف وإتمام ركوعها، وسجودها وأما الأمور الخارجة عن الصلاة، فهو أن يحترز عن الرياء، والسمعة، وخوف أن لا يقبل منه مع الابتهال، والتضرع إلى الله تعالى فى سؤال قبولها، وطلب الثواب، فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها، والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهيآتها/١٢الباب.

(٢) وهذه الشهادة من جملة الأمانات، إلا أنه خصها بالذكر لفضلها، لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع/١٢الباب.

قَائِمُونَ﴾: محافظون عليها لا يكتمون،ولا يزيدون، ولا ينقصون، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾**: على أركانها، وواجباتها،ومستحباتها افتتح فى وصفهم بذكر الصلاة، واختتم بها كما فى سورة المؤمنين لشرفها، وكمال الاعتناء بها، **﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ**[1] **مُكْرَمُونَ﴾**: عند الله.

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين حولك مادى أعناقهم إليك، **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾**: فرقًا شتى، جمع عزة نزلت فيمن يجتمع حوله -عليه السلام- يستمعونه، ويستهزئون به، وعن اليمين إما متعلق بعزين، أو هو أيضًا حال، أو بمهطعين، **﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾**، كانوا يقولون: لو كانت جنة، فلندخلنها قبلهم، **﴿كَلاَّ﴾**، ردع عن هذا الطمع، **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا**

---

(١) ولما قال: "أولئك فى جنات مكرمون" دل على أن من هو ينقص تلك الصفات ليس فى جنات، فهذا لابد أن لا يطمع أحد منهم فى الجنة، فقال: "فمال الذين كفروا" الآية/١٢وجيز.

يَعْلَمُونَ[1]﴾ أي: من تراب، ثم من نطفة، وهي جملة للتعليل، كأنه قال: ارتدعوا عن طمع الجنة، لأن الدليل دالٌّ على ضلالكم، فإنكم على استحالة البعث وهو ممكن، لأنا خلقناكم من نطفة، وكذا وكذا، ومن كان قادراً على مثل ذلك كيف لا يقدر على الإعادة، أو معناه إنا خلقناهم من نطفة قذرة فمن أين يدعون التقدم من غير تطهير النفس بالإيمان، والأعمال؟ أو إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات:٥٦)، ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**﴾: مشارق الكواكب، ومغاربها، ﴿**إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ**﴾: على أن نعيدهم يوم القيامة بأبدان خير من هذه، ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾: عاجزين مغلوبين، أو معناه نحن قادرون على أن نهلكهم، ونأتي بدلهم بخلق خير منهم، ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾، هذا قبل وجوب القتال، ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ**﴾: القبور، ﴿**سِرَاعًا**﴾: مسرعين إلى إجابة الداعي، ﴿**كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ**[2] **يُوفِضُونَ**﴾: يسرعون إلى النصب يبتدرون أيهم يستلمه أول

---

(١) عن بشر بن جحاش قال: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم "فمال الذين كفروا" إلى قوله: "مما يعلمون" ثم بزق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على كفيه، ووضع عليها أصبعه، وقال يقول الله: "ابن آدم أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك، وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت، ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت: أوان الصدقة"[أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان" (٣٤٧٣)]/١٢فتح.

(٢) قرأ الجمهور نصب بفتح النون، وسكون الصاد، وهو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع الشخص نحوه، وقال أبو عمرو: هو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته/١٢فتح،وقيل: هو كل ما نصب، وعبد من دون الله/ مدارك.

فعلوا حين عاينوا أنصابهم فى الدنيا، أو يسارعون إلى علامة وغاية منصوبة، **﴿خَاشِعَةً﴾**: ذليلة خاضعة، **﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾**: تلحقهم، **﴿ذِلَّةٌ﴾**: هوان، **﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾**: فى الدنيا.

والحمد لله على الإيمان.

سورة نوح مكية

وهى تسع أو ثمان وعشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ﴾: بأن أنذر، أي: بأن قلنا له أنذر، ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾،

لتضمن الإنذار معنى القول جاز أن يكون أن[1] مفسرة، ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: بعضها، وهو ما سبق وقيل: من[2] زائدة، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: منتهى آجالكم،ولا يستعجلكم بالعقوبة، فإن الطاعة وصلة الرحم يزاد بهما في العمر[3]، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾: الأجل الأطول، ﴿إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ﴾: فآمنوا قبل مجيئه، أو إن الأجل المقدر إذا جاء على الوجه المقدر به أجلا لا يؤخر، فبادروا في حين الإمهال، ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من أهل العلم لعلمتم ذلك، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ أي: دائمًا، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً﴾: من الحق، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾: إلى الإيمان، ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: لئلا يسمعوا دعوتي، ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: تغطوا بالثياب لئلا يروني، أو لئلا أعرفهم، ﴿وَأَصَرُّوا﴾: على ضلالهم، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن اتباعي، ﴿اسْتِكْبَاراً﴾، قالوا: "أنؤمن لك واتبعك الأرذلون"(الشعراء:١١١)، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ أي: دعوتهم مرة بعد أخرى بأي وجه أمكنني و"ثم" للتراخي الزماني، أو الرتبي، "وجهارا" مصدر من غير لفظه، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: بالتوبة، ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً[4]﴾: كثير الدرور

---

(١) فيه إشارة إلى أن في "أن اعبدوا الله"، و"أن أنذر" يحتمل الوجهين، فيجوز في الأول أن يكون مفسرة أيضًا، وفي الثانية أن يكون تقديره بأن اعبدوا الله/١٢منه.

(٢) اختار ابن جرير "أن" من هاهنا بمعنى عن، أي: يصفح لكم عن ذنوبكم/١٢منه.

(٣) كما أن بعض المعاصي يستعجل العقوبة/١٢وجيز.

(٤) عن بعض المفسرين: إن قوم نوح لما كذبوه زمانًا طويلا حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم،ومواشيهم، فلهذا قال لهم نوح: "استغفروا ربكم" إلخ/١٢منه.

حال، والمفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: لا تخافون له عظمة، حتى تتركوا عصيانه "والله" إما حال من وقارًا، أو مفعول ترجون بزيادة اللام، و"وقارًا" تمييز[1] كفجرنا الأنهار عيونًا، أو لا ترون له عظمة، أو لا تعتقدون الوقار، فيثيبكم على توقيركم، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: نطفة، ثم علقة، ثم وثم حال موجبة لتعظيمه وتوقيره ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ﴾: فيهن، ﴿سِرَاجاً﴾: تزيل الظلمة كما يزيلها السراج، ولو كان القمر والشمس فى أحدهن نورًا وسراجًا لصدق أنهما فيهن، أو إضاءتهما فى السماوات كلها، وكلام ابن عباس يدل عليه، ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي: أنشأكم منها، فإن آدم منها، أي: أنبتكم فنبتم نباتًا، فاختصر دلالة على سرعة نفاذ أمره، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾: من الأرض، ﴿إِخْرَاجًا﴾: بالحشر أكده بالمصدر كما أكد الإنشاء دلالة على أنه فى التحقق كهو، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾: تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، ﴿لِتَسْلُكُوا﴾: متخذين، ﴿مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾: واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

---

(١) يعني إذا كان وقارًا مفعول تخافون فلله حال؛ لأن خاف لا يعدى باللام، وإذا كان الله هو المفعول بزيادة اللام فوقارًا تمييز/١٢منه.

سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾: فيما أمرهم به، ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ أي: اتبعوا رؤساءهم الأخسرين بسبب الأموال والأولاد، ﴿وَمَكَرُوا﴾، عطف على لم يزده وجمع الضمير باعتبار المعنى، ﴿مَكْرًا كُبَّارًا[1]﴾: عظيمًا في الغاية

(١) قال الرازي: ذكر أبو زيد البلخي في كتابه في الرد على عبدة الأصنام أن العلم بأن هذه الخشبة المنحوتة في هذه الساعة ليست خالقة للسماوات، والأرض، والنبات والحيوان علم ضروري، والعلوم الضرورية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها بين العقلاء، وعبادة الأوثان دين كان موجودًا قبل مجيء نوح -عليه السلام- بدلالة هذه الآية، وقد استمر ذلك الدين إلى هذا الزمان، وأكثر سكان أطراف المعمورة على هذا الدين فوجب حمل هذا الدين على وجه لا يعرف فساده بضرورة العقل، وإلا لما بقى هذه المدة المتطاولة في أكثر أطراف العالم، فإذا لابد أن يكون للذاهبين إلى ذلك المذاهب تأويلات، ثم بين وجوه التأويلات إلى أن قال: الوجه الرابع أنه كان يموت أقوام صالحون، فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشتغلون بتعظيمها، وغرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله، وهو المراد من قولهم: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفا" (الزمر:٣)، ولهذا السبب نهى الرسول -عليه السلام- عن زيارة القبور أولا، ثم أذن فيها انتهى ما في الكبير ملخصًا/١٢.

لاتباعهم فى تسويلهم أنهم على الحق كما يقولون فى القيامة، "بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا" الآية (سبأ:٣٣)، ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: عبادها، ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا[١] وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ أي: لا تذرن الآلهة سيما هؤلاء هى أسماء آلهتهم، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾: الأصنام، ﴿كَثِيرًا﴾: من الخلق كما قال الخليل: "واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرًا" الآية (إبراهيم:٣٥،٣٦)، وعن مقاتل، وقد أضل رؤساؤهم كثيرًا، ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾، عطف على "رب إنهم عصوني" ﴿إِلاَّ ضَلاَلاً﴾، دعاء عليهم لتمردهم وعنادهم، كما دعا موسى "ربنا اطمس على أموالهم"(يونس:٨٨) ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾: من أجلها وما مزيدة للتأكيد، ﴿أُغْرِقُوا﴾: بالطوفان، ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾: فإنه يعرض عليهم النار فى القبور بكرة وعشيا، أو المراد نار جهنم، والتعقيب لعدم الاعتداد لما بين الإغراق، والإدخال كأنه نومة، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾: ما نصرهم آلهتهم، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: أحدًا يدور فى الأرض، أو نازل دار، وأصله ديوار، ففعل به ما فعل بسيد، ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾: صبياهم، ﴿وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ

---

(١) أخرج البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب تعبد، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل،وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث، فكانت لمراد، ثم لبنى غطيف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومه أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم عبدت/١٢در منثور.

فَاجِرًا[1] كَفَّارًا﴾، قال ذلك لخبرته بهم، وتجربته لمكثه بينهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾، كانا مؤمنين، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾: داري، أو مسجدي، أو سفينتي، ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: إلى القيامة، ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾: هلاكًا.

والحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم.

(١) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- والكلبى ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرنيه، فيموت الكبير، وينشأ الصغير على الكفر/١٢منه.

سورة الجن مكية

وهى ثمان وعشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، الضمير للشأن، ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾: جماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، ﴿مِّنَ الْجِنِّ[1]﴾، أمر الله رسوله أن يخبر قومه أن جماعة من الجن استمعوا للقرآن، فآمنوا به وصدقوه، ﴿فَقَالُوا﴾: حين رجعوا إلى قومهم، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا[2] قُرْآناً

---

(١) واختلف هل رآهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أم لم يرهم؟ فظاهر القرآن أنه لم يرهم، لأن المعنى: قل يا محمد لأمتك أوحى إلى على لسان جبريل أنه استمع نفر من الجن، ومثله قوله: "وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن"(الأحقاف:٢٩)، ويؤيد هذا ما ثبت فى الصحيح قال "ما قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الجن، وما رآهم" وروى ابن مسعود أنه رآهم ورجحه العلماء، والحق صحتهما وأن الأول وقع أولا، ثم نزلت السورة، ثم أمر بالخروج إليهم/١٢فتح.

(٢) أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي،والطبرانى عن ابن عباس قال: "انطلق النبى -صلى الله عليه وسلم- فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين، وخبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: "يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا" فأنزل الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم "قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن" وإنما أوحى إليه قول الجن/١٢در منثور، وفى الفتح اختلفوا فى وجود الجن فأنكره معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم، وسموهم بالأرواح السفلية، وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية، إلا أنهم أضعف، وأما =

﴿عَجَباً[1]﴾: فى نهاية البلاغة مصدر وضع للمبالغة موضع العجيب، ﴿يَهْدِي﴾: الخلق، ﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾: إلى الصواب، والسداد، ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾، ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك، ﴿وَأَنَّهُ﴾ أي: الشأن، ﴿تَعَالَى جَدُّ﴾: عظمة، ﴿رَبِّنَا﴾، أو علا ملكه، أو غناه، وقراءة "إن" بالكسر عطف على "إنا سمعنا" من جملة المقول، وأما الفتح، فعلى العطف على "به" فى "آمنا به" بحذف حرف الجر وحذفه من أن وإن كثير والأولى عندى أن يكون عطفًا لعلى أنه استمع أي: أوحى إلى هذا الكلام، وهو أنه تعالى جد ربنا حكاية عن كلام الجن حتى لا يحتاج فى وأنه كان رجال وغيره إلى تمحل عظيم، فتأمل، ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾ بيان لقوله تعالى: "جد ربنا"، كأنه قال: تعالى عظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: إبليس، أو جاهلنا، ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾ أي: قولا ذا شطط، وهو مجاوزة الحد فى الظلم، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: حسبنا أن أحدًا لن يفترى عليه، فكنا نصدق ما أضافوا إليه حتى تبين لنا من القرآن افتراؤهم، و"كذبا" مصدر؛ لأنه نوع من القول، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ﴾ إذا نزلوا واديًا فى الجاهلية قالوا: أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه، كما كانت عادتهم دخول بلاد الأعداء فى جوار رجل كبير منهم،وخفارته، ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: الجنُّ الإنسَ، ﴿رَهَقًا﴾: إخافة وإرهابًا، عن عكرمة: كان إذا نزل الإنس واديًا هرب الجن منهم، فلما سمع الجنُّ يقول الإنسَ: نعوذ بأهل هذا الوادى قالوا: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالجنون، والخبل،

= جمهور أرباب الملل، وهم أتباع الرسل والشرائع، فقد اعترفوا بوجودهم فلا اعتداد بمنكريهم، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل/١٢.

(١) لبدعته وحسن مبانيه،ودقة معانيه، وغرابة أسلوبه مع كونه متباينًا لسائر الكتب/١٢ منه.

أو فزاد الجن تكبرًا وطغيانًا بسبب استعاذة الإنس بهم، ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: أي: الإنس، ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾: أيها الجن، ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾: بعد ذلك بالرسالة أو لا بعث، ولا حشر، وهذا قول نفر من الجن لقومهم حين رجعوا إليهم، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا﴾: طلبنا، واللمس والمس استعير للطلب، لأن الماس طالب متعرف، ﴿السَّمَاءَ﴾ أي: بلوغها لاستراق السمع، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً﴾، اسم بمعنى الحراس كالخدم، ﴿شَدِيداً﴾: من الملائكة، ﴿وَشُهُبًا﴾: من النجوم، ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾: قبل ذلك، ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾: من السماء، ﴿مَقَاعِدَ﴾: صالحة للترصد، ﴿لِلسَّمْعِ[1]﴾: لاستماع أخبار السماء، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ[2] لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: راصدًا لأجله يمنعه من الاستماع، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾: بحراسة السماء، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيرًا، وهذا من أدبهم، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، ثم اعلم أن الكواكب يرمى بها قبل المبعث، لكن ليس بكثير، والأحاديث تدل عليه، وبعد مبعثه قد كثرت الشهب بحيث لم يقدر الجن بعد على استراق السمع من غير أن يأتيه شهاب، فهال ذلك الإنس والجن، نعم: قد يسترق كلمة فيلقيها إلى صاحبه، ثم يدركه الشهاب كما ورد فى الصحيحين، وهذا هو الذى حملهم على تطلب السبب فى ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها حتى وجدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ فى الصلاة فعرفوا أن هذا هو السبب فى حراسة السماء، فآمن من آمن منهم، وتمرد من تمرد، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا﴾: قوم، ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾، وهم الطالحون، أو المقتصدون، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أي: كنا ذوى مذاهب متفرقة[3]،

---

(١) قوله: للسمع إما صفة والأظهر أنه متعلق بنقعد/١٢وجيز.

(٢) الآن ظرف زمان للحال، ويستمع مستقبل، فاتسع فى الظرف واستعمل الاستقبال/ ١٢.

(٣) كأن قولهم هذا اعتذار عن تمرد بعضهم/١٢وجيز.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: علمنا، ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ﴾: إن أراد بنا أمرًا، ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ﴾: إن طلبنا، ﴿هَرَبًا﴾: هاربين، وفى الأرض وهربا حالان وفائدة ذكر الأرض تصوير أنه مع تلك البسطة ليس فيها بمهرب من الله، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾: القرآن، ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، كرروا ذلك للافتخار، ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ﴾أي: فهو لا يخاف بحذف المبتدأ للدلالة على الاختصاص، ولذلك لم يقل لا يخف، ﴿بَخْسًا﴾: نقصًا فى الجزاء، ﴿وَلاَ رَهَقًا﴾: ظلمًا، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ[1]﴾: الحائرون عن الحق، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا﴾: قصدوا، ﴿رَشَدًا[2]﴾: عظيمًا، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ[3] فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: كما لكفار الإنس، ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾، عطف على أنه استمع لا غير أي: وأن الشأن لو استقام الجن أو الإنس والجن، ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: الحسنى، وآمنوا كلهم، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا[4]﴾: مطرًا كثيرًا،ووسعنا عليهم فى الرزق، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنحشرهم، ﴿فِيهِ﴾: فى سقى الماء كيف يشكرونه "آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" (العنكبوت:١،٢) أو معناه[5] أن

(١) والظاهر أن الكلام كله من قول الجن، وقيل من قوله: "فمن أسلم" قول الله لمحمد -صلى الله عليه وسلم/١٢وجيز.

(٢) فيه دليل على أن الجن يثاب بالجنة، وقد قدمنا هذا البحث فى الحاشية على سورة الرحمن تحت قوله تعالى: "سنفرغ لكم أيها الثقلان" (الرحمن:٣١)/١٢.

(٣) لأنه لا يمكن عطفًا على محل به فى "آمنا به" لأنه لا معنى لقوله آمنا بأن لو استقاموا اللهم إلا أن يقال عبر تعالى كلامهم بهذه العبارة،وأصل كلامهم آمنا بأن لو استقمنا على الطريقة لأسقينا ماء، وهو بعيد جدًّا/١٢منه.

(٤) فإن الجن يحتاجون أيضًا إلى أكل وشرب/١٢وجيز.

(٥) الأول: قول ابن عباس -رضى الله عنه- ومجاهد وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والسدى ومحمد بن كعب القرظى وقتادة والضحاك، والثانى قول: ربيع بن أنس وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان، وهو قول أبى مجلز / ١٢ منه.

لو استقاموا على طريقتهم القديمة من الكفر لأوسعنا عليهم الرزق استدراجًا كما قال تعالى: "فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم" الآية(الأنعام:٤٤) ﴿**وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ**﴾: و لم يؤمن به، ﴿**يَسْلُكْهُ**﴾: يدخله، ﴿**عَذَابًا صَعَدًا**﴾: شاقا يعلو المعذب مصدر وصف به عن ابن عباس -رضى الله عنهما- هو جبل فى جهنم، ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ**﴾: مواضع بنيت للعبادة، أو المراد جميع الأرض، أو أعضاء السجود، ﴿**لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا**﴾: فلا تعبدوا أيها الإنس والجن، ﴿**مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾: فيها، أو بها نزلت حين قالت الجن: ائذن لنا يا رسول الله فنشهد معك الصلوات فى مسجدك، أو حين قالوا: كيف نشهد الصلاة ونحن ناءون عنك؟ وعن قتادة اليهود والنصارى أشركوا بالله فى كنائسهم فأمرنا الله بالتوحيد، ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ قال الجن لقومهم: لما قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعبد الله ويصلى كاد أصحابه من الإنس عليه متراكمين للحرص على العبادة والاقتداء، أو كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين ليبطلوه[١]، ويطفئوه، أو لما قام[*] يصلى كاد الجن يكونون عليه متراكمين تعجبًا، وحرصًا على الاستماع.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ

---

(١) أي: لإبطال صلاته، وإطفاء نوره،ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره/١٢وجيز.

(*) فى النسخة ن: كان.

ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً**﴾: وليس هذا بأمر منكر[1] عجيب بدع، وهذا يؤيد الوجه الثاني في قوله: كادوا يكونون عليه لبدا، ﴿**قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ رَشَدًا**﴾ أي: لا ضرًّا ولا نفعًا، ولا رشدًا، أوغيًّا، بل الكل بيد الله إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، ﴿**قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ**﴾: إن أرادني بسوء، ﴿**وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً**﴾: ملجأ أميل إليه، ﴿**إِلاَّ بَلاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ**﴾ أي: لا أملك نفعًا إلا أن أبلغ عن الله، وأبلغ رسالته التي أرسلني بها، و "من الله" صفة لبلاغا لا صلة[2] له، وقوله: "قل إني لن يجيرني" معترضة تؤكد نفى الاستطاعة، أو الاستثناء منقطع أي: لكن الإبلاغ هو الذي يجيرني من عذاب الله، ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: ولم يؤمن، ﴿**فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ**[3] **فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا**﴾، غاية لمحذوف دل عليه الحال أي: لا يزالون على ما هم عليه حتى وقيل: لقوله يكونون عليه لبدًا على التوجيه الثاني، ﴿**مَا يُوعَدُونَ**﴾: من العذاب، ﴿**فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا**﴾: هو، أو هم، ﴿**قُلْ إِنْ**﴾ أي: ما، ﴿**أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا**﴾، غاية كأنهم قالوا متى يكون وقت ما تعدنا فقيل له، قل لا أدرى أهو حالٌّ أم مؤجل، ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾ أي: هو عالمه، ﴿**فَلاَ يُظْهِرُ**﴾:

---

(١) بل المنكر العجيب هو الإشراك/١٢وجيز.

(٢) لأن البلاغ مستعمل بعن لا بمن/١٢وجيز.

(٣) جمعه باعتبار معنى من/١٢وجيز.

لا يطلع[1]، ﴿عَلَى غَيْبِهِ[2]﴾، المختص به بدلالة الإضافة، ﴿أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى﴾:

---

(١) إطلاع الأنبياء من الملك وهو علم، أو من إلقاء الله فى روعهم فهو أيضًا علم، وإما للأولياء من الكرامات، وأن تضم إليها علامات الصدق، فما هى إلا ظن غاية الأمر أنها ربما تصل إلى الظن الغالب، وهو ليس بعلم، وقوله لا يظهر على غيبه أحدًا ينادى على أن المراد منه العلم/١٢وجيز.

(٢) على قوله: "فلا يظهر على غيبه أحدًا" قال الواحدي: وفى هذا دليل على من ادعى أن النجوم تدل على ما يكون من حادث فقد كفر بما فى القرآن، قال فى الكشاف: وفى هذا إبطال للكرامات، لأن الذين تضاف إليهم الكرامات،وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وفيه أيضًا إبطال للكهانة والسحر والتنجيم؛ لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء، وأدخله فى السخط. قال الرازي: وعندى أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه إذ لا صيغة عموم فى غيبه، فيحمل على غيب واحد، وهو وقت القيامة؛ لأنه واقع بعد قوله: "أقريب ما توعدون" الآية، فإن قيل: فما معنى الاستثناء حينئذ؟ قلنا: لعله إذا قربت القيامة يظهره، وكيف لا وقد قال: "ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تتريلا" (الفرقان:٢٥)، فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة، أو هو استثناء منقطع أي: من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه،ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والإنس، ويدل على أنه ليس المراد أنه لا يطلع أحد على شيء من المغيبات إلا الرسل أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين، وقد عرفا بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ظهوره، وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع إليهما كسرى، فثبت أن الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات، وأيضًا أطبق أهل الملل على أن معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلة، ويكون صادقا فيها، وأيضًا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد إلى خراسان، وسألها عن أمور مستقبلة فأخبرته بها فوقعت على وفق كلامها، قال: وأخبرنى ناس محققون فى علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل، فكانت على وفق خبرها، وبالغ أبو البركات

للاطلاع ، ﴿مِن رَّسُولٍ﴾، بيان لمن، ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾

= فى كتاب التعبير فى شرح حالها، وقال: فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارًا مطابقًا، وأيضًا فإنا نشاهد ذلك فى أصحاب الإلهامات الصادقة، ويوجد ذلك فى السحرة أيضًا، وقد نرى الأحكام النجومية مطابقة، وإن كانت قد تتخلف فلو قلنا: إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيكون التأويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه.

قال محمد بن على الشوكاني: أما قوله:إذ لا صيغة عموم فى غيبه، فباطل فإن إضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به أئمة الأصول وغيرهم، وأما قوله: أو هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني، وأما قوله: إن شقا وسطيحا إلخ فقد كانا فى زمن تسترق فيه الشياطين السمع، ويلقون ما يسمعونه إلى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح، وفى قوله: إلا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد بيانه فى هذه الشريعة، وأنه كان طريقًا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وقالوا "وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا"، فباب الكهانة فى الوقت الذى كانت فيه مخصوص بأدلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة على هذه الآية، وأما حديث المرأة الذى أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد فى الحديث "إن فى هذه الأمة محدثين، وإن منهم عمر"، فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضًا وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله: فى آخر كلامه، فلو قلنا: إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيقال له: ما هذه بأول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه، وأمثال نبض بها عرق فلسفتك، وركض بها الشيطان الذى صار يتخبطك فى مباحث تفسيرك، يا عجبًا لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة، ونحوه موجبًا لتطرق الطعن إلى القرآن،وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا:

أي: يجعل من جميع جوانبه حرسًا من الملائكة يحفظون الوحى من أن يسترقه الجن، فيلقيه إلى الكهنة، والرسول من أن يتشبه الشياطين فى صورة الملك، ﴿لِيَعْلَمَ﴾: النبي، ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الملائكة، ﴿رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾، وليس بشيطان جاء بصورة ملك،

= وإذا رامت الذبابة للشمس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من أبيات منها:

مهب رياح سده بجناح وقابل بالمصباح ضوء صباح.

فإن قلت إذا قد تقرر بهذا الدليل القرآنى أن الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذى أظهره الله على ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته، قلت: نعم، ولا مانع من ذلك، وقد ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة، فمن ذلك ما صح أنه قام مقامًا أخبر فيه بما سيكون إلى يوم القيامة، وما ترك شيئًا مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة، ورجعوا إليه وثبت فى الصحيح، وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كموج البحر، فقال: إن بينك وبينها بابا، فقال عمر: هل يفتح أو يكسر؟ فقال: بل يكسر، فعلم عمر أنه الباب، وأن كسره قتله كما فى الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة: هل كان عمر يعلم ذلك؟ فقال: نعم كما يعلم أن دون غدًا الليلة، كذلك ما ثبت من إخباره لأبى ذر بما يحدث له مما حدث له، وإخباره لعلى بن أبى طالب بخبر ذى الثدية ونحو هذا مما يكثر تعداده، ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل،وإذا تقرر هذا فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الأمة بشيء من أخبار الغيب التى أظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم- وأظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم- لبعض أمته وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل، والكل من الفيض الربانى بواسطة الجناب النبوى انتهى كلامه رحمة الله تعالى عليه/١٢.

وعن كثير من السلف، من الله حرس على كل يخبرونه إذا جاء أحد يخبره أنه ملك من الله، أو شيطان فاحذر، أو ليعلم أن قد أبلغ الأنبياء ويتعلق علمه بتبليغهم رسالاته محروسة عن التغيير، ﴿وَأَحَاطَ﴾: الله، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما عند الرسل، عطف على أبلغوا على التوجيه الأول، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: معدودًا فهو حال، أو عددا[1] بمعنى إحصاء، أو أحصى بمعنى عَدَّ.

والحمد لله على وفور أفضاله.

(١) فيكون مصدرًا.

سورة المزمل مكية

وهى تسع عشرة أو عشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ ۞ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ[١]﴾ أي: المتلفف[٢] بثوبه أصله المتزمل، أدغم التاء فى الزاء، أو أيها النائم، أو أيها المتحمل للقرآن من الزمل الذى هو الحمل، ﴿قُمِ﴾: إلى الصلاة، ﴿اللَّيْلَ﴾: كله، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾، كان قيام الليل فرضًا على الكل، ثم نسخ، ﴿نِّصْفَهُ﴾، بدل من قليلا[٣]، وهذا النصف الخالى عن الطاعة، وإن ساوى النصف المعمور بذكر الله فى الكمية لا يساويه فى التحقيق، بل هو القليل، وذلك النصف بمترلة الكل، ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾: الضمير إلى النصف أو الليل المقيد بالاستثناء، والحاصل واحد، ﴿قَلِيلاً﴾، وهو الثلث، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، وهو الثلثان، وهذا هو الوجه فى الإعراب، والمعنى من غير تكلف الموافقُ لكلام[٤] السلف، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً[٥]﴾: بينه، واقرأه على تؤدة،

---

(١) فى خطابه بهذا الاسم تنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل، واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب/١٢فتح.

(٢) لما جاءه الملك وهو بغار حراء رجع إلى خديجة، وقال: "زملوني"، وعادة العرب إذا قصدت الملاطفة مع المخاطب ناداه باسم مشتق من حالة تلبس بها حالة الخطاب كما خاطب -صلى الله عليه وسلم- على بن أبى طالب، بأبى تراب حين كان نائمًا وقد لصق بجنبه التراب/١٢وجيز.

(٣) ولو قال: قم نصف الليل، لكان تركيبًا متعارفًا خاليًا عن نكتة عظيمة هي: أن الوقت الكثير فى غير ذكر الله قليل حقير لا يعبأ به فى جنب وقت معمور بذكره تعالى/١٢وجيز.

(٤) إشارة إلى الوجوه الأخرى التى بينها الزمخشري، فإنها غير موافقة لكلام السلف مع ما فيها من التكلف فتأمل/١٢وجيز.

(٥) والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة، لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراءُ هذه الزمان من أهل مصر، وغيره فى مكة المكرمة، وغيرها بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون والحمقاء

=

وتبيين حروف، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾: تَلَقِّيْهِ لعظمة الكلام، وفى الحديث "يترل عليه الوحى فى يوم شديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقًا"(*) وأيضا "كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها أى باطن عنقها، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه"(**) أو ثقيل العمل به على المكلفين، والجملة كالعلة لقيام الليل فإن الطاعة سيما فى الليل تعين الرجل على نوائبه وتسهل عليه المصائب، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: قيامه مصدر كالعافية، أو ساعاته، فإنها تنشأ أي: تحدث واحدة بعد أخرى أو النفس الناشئة التي تنشأ وتنهض من مضجعها إلى العبادة، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: كلفة، أو أشد ثباتًا فى الخير، وأما قراءة الوِطأ، فبمعنى المواطأة يعني: موافقة القلب، والسمع، والبصر، واللسان بالليل أشد وأكثر، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: وأشد مقالا، وأصوب قراءة لسكون الأصوات فيه، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾: تقلبًا، وإقبالا وإدبارًا فى أشغالك، وأصله سرعة الذهاب، أو فراغًا وسعة للنوم(١) والحوائج جملة فيها حث على قيام الليل، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: ودم على ذكره، ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: انقطع، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله لعبادتك، ﴿تَبْتِيلاً﴾، لما لم ينفك التبتل الذى هو لازم عن التبتيل الذى هو متعد يمكن أن يؤتى بمصدر أحدهما عن الآخر، وفيه مبالغة مع رعاية الفواصل أي: انقطع وجرد نفسك عما سواه تبتيلا، ﴿رَّبُّ﴾ أي: هو رب، ﴿الْمَشْرِقِ

= والجاهلون بالشرائع، وأدلتها الصادقة، وليس هذا بأول قارورة كسرت فى الإسلام/١٢ فتح.

(*) صحيح أخرجاه فى الصحيحين.

(**) أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر والحاكم وصححه عن عائشة رضى الله عنها- كما قال السيوطى فى "الدر المنثور" (٤٤٣/٦).

(١) هذا قول مجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، وأبى العالية، وأبى مالك وغيرهم رحمهم الله/١٢منه رح.

﴿وَالْمَغْرِبِ﴾، وقراءة الجر، فعلى البدل من ربك، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً[1]﴾: فإن وحدته فى الألوهية تقتضى التوكل عليه، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾: بالإعراض عنهم، والمداراة معهم، وترك المكافأة،وقيل: هذا آية القتال، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: دعني وإياهم، فإني منتقم لأجلك عنهم، ﴿أُوْلِي النَّعْمَةِ﴾: أرباب التنعم، والترفه[2] هم صناديد قريش، ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾: زمانًا، أو إمهالا، ﴿قَلِيلاً[3] إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾: قيودًا ثقالا، ﴿وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يغص فى الحلق، ولا يترل فيه بسهولة كالزقوم، ﴿وَعَذَاباً أَلِيماً﴾: نوعًا آخر لا يمكن تعريفه، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تضطرب، ظرف لمتعلق لدينا، ﴿الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً﴾: مثل رمل مجتمع، ﴿مَّهِيلاً﴾: منثورًا أي: تصير كذلك بعدما كانت حجارة صمًّا، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش، ﴿رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: فى القيامة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أي: ذلك الرسول الذى أرسلنا إليه، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾: ثقيلا، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي: كيف تتقون يومًا؟ أي: عذاب[4] يوم يجعل الولدان من شدة هوله شيبا إن كفرتم فى الدنيا، كأنه قال، هب أنكم لا تؤاخذون فى الدنيا كما

---

(١) أي: إذا عرفت أنه المختص بالربوبية فاتخذه قائمًا بأمورك، وعول عليه فى جميعها وقيل: كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر، وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار/١٢فتح.

(٢) والترفه صفة ذم، فإن الفسق ناشئ منها قال تعالى: "أمرنا مترفيها ففسقوا فيها"(الإسراء:١٦)، أو ذكرهم بقلة الشكر والجهالة، فإن النعمة يلزم العاقل شكرها، والنعمة بالفتح التنعم، وبالكسر الإنعام وما ينعم به/١٢وجيز.

(٣) يعني قليلا إما صفة ظرف محذوف، أو صفة مفعول مطلق محذوف/١٢منه.

(٤) فعلى هذا يومًا مفعول به تتقون على حذف المضاف/١٢منه.

أخذنا فرعون، فكيف تتقون أنفسكم هول القيامة إن دمتم على الكفر، ومتم عليه؟ أو "يوما" مفعول لكفرتم بمعنى جحدتم، أي: كيف تتقون الله إن جحدتم ذلك اليوم، وفى ذكر "إن" التي للشك إشعار بأنه لا ينبغي الشك مع إرسال هذا الرسول النور المبين، وفى الحديث "قرأ -صلى الله عليه وسلم- يوم يجعل الولدان شيبًا، قال: ذلك حين يقال لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثًا إلى النار، قال: من كم يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[1]" ﴿**السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾: منشق بسبب ذلك اليوم وهوله، أو الباء للآلة، أو منفطر بالله وبأمره، وتذكير منفطر على تأويل السقف، ﴿**كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً إِنَّ هَذِهِ**﴾: الآيات، ﴿**تَذْكِرَةٌ**﴾: عظة، ﴿**فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾: يتقرب إليه بالطاعة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى**﴾: أقل، ﴿**مِن ثُلُثَى اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ**﴾، وفى قراءة نصب نصفه وثلثه عطف على أدنى، ويكون المراد من أدنى من ثلثى الليل الربع،

---

(١) والحديث صريح فى أن شيبهم للهول لا للطول[أخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس. كما قال السيوطى فى "الدر المنثور" (٦/٤٤٧)]/١٢وجيز.

ليكون تجاوزًا عن الأمر فيترتب عليه قوله: "فتاب عليكم"، ويكون موافقًا لتلك القراءة معنى،﴿وَطَائِفَةٌ﴾، عطف على فاعل تقوم، ﴿مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: يقومـــون أقـــل، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: لا يعرف مقادير ساعاهما إلا هو، فيعلم القدر الـــذى يقومون فيه، ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾: أن لن تطيقوا ما أوجب عليكم من القيـــام، أو لن تستطيعوا ضبط الساعات، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: عاد عليكم بالعفو والتخفيف، وعـــن غير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله أوجبه على المســـلمين أولا من قيام الليل[1] واختلفوا فى المدة التى بينهما سنة، أو قريب منها أو ستة عشر شهرًا أو عشر سنين، ﴿فَاقْرَءُوا[2] مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: من غير تحديد لوقت لكن قوموا من الليل ما تيسر عبر عن الصلاة بالقراءة، ومذهب حسن البصرى وبعض آخر: الواجـــب على حملة القرآن أن يقوموا من الليل، ولو بشيء منه، وفى الحديث ما يدل على ذلك، ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾: لا يستطيعون القيام الذى قررناه، ﴿وَآخَـــرُونَ

---

(١) وأما من قال: إن قوله "وطائفة من الذين معك" حيث لم يقل، والذين معك دليل علـــى انه لم يمكن واجبًا على الجميع فدليله ضعيف واه، فإن كثيرًا تمم إحياء الليـــل وصيـــام الدهر، والرياضة الصعبة، ولهذا قال: "وطائفة من الذين"/١٢وجيز

(٢) ونعم ما قال الحسن البصري، وغيره: يبقى الوجوب على الكل على قدر من الليل غـــير معين، وفى الحديث ما يدل على ذلك، وهذا كالصريح، فـــإن الســـنة باقيـــة علـــى حالها/١٢وجيز، وفى الفتح: وليس فى قوله "فاقرءوا ما تيسر منه" ما يدل على بقاء شيء من الوجوب، لأنه إن كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت فى المغرب، والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة،وإن كان المراد به الصلاة من الليل، فقد وجدت صـــلاة الليل بصلاة المغرب والعشاء، وما يتبعهما من التطوع، وأيضًا الأحاديث الصحيحـــــة المصرحة كقول السائل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- "هل على غيرهـــا؟ يعـــنى الصلوات الخمس، فقال: لا إلا أن تطوع" تدل على عدم وجوب غيرها، فارتفع بهـــذا وجوب قيام الليل وصلاته على الأمة/١٢.

يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾: يسافرون للتجارة، واجتماع كلفة السفر، وكلفة إحياء الليل بالصلاة فى غاية من الصعوبة، **﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، هذا إخبار عن الغيب، فإن السورة مكية، والقتال شرع فى المدينة، **﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ**[١] **مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾**: المفروضة عن بعض: إنه نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس، **﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾**: الواجبة، وهذا يدل على قوله من قال: إن فرض الزكاة بمكة لكن المقادير والمصرف لم يبين إلا بالمدينة، **﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾**، يريد سوى الزكاة من الصدقات، **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ﴾**، هو ضمير الفصل، **﴿خَيْرًا﴾**: من الذى تؤخرونه، أو من الذى أعطيتموه، وهو ثانى مفعولى تجدوه، **﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾**: نفعًا، وجزاء، وفى الصحيح قال -عليه السلام- "أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ قالوا: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: اعلموا ما تقولون، قالوا: ما نعلم إلا ذلك، قال: إنما مال أحدكم ما قدم، ومال وارثه ما أخر"، **﴿وَاسْتَغْفِرُوا**[٢] **اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) كرر ذلك على سبيل التوكيد، ثم أمر بعمودى الإسلام البدني، والمالى فقال: "وأقيموا الصلاة" الآية/١٢وجيز.

(٢) يعنى اقرءوا ما تيسر، وصلوا وزكوا، وأقرضوا واستغفروا/١٢وجيز.

سورۃ المدثر مکیۃ

وھی ست وخمسون آیۃ وفیھا رکوعان

بسم اللہ الرحمن الرحیم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى
ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠
ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا
۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا
عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ
۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ
سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا
عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ ۝٣١ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: المتدثر، أي: لابس الدثار[1]، الأصح بل الصحيح أنه أول سورة نزلت بعد فترة الوحي جمعًا بين الأحاديث الصحاح، وعليه الجمهور، فإن أول ما نزلت "اقرأ باسم ربك" (العلق:١) وفي صحيح مسلم "إنه -عليه السلام- يحدث عن فترة الوحي قال: فبينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فخفت منه، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله "يا أيها المدثر قم فأنذر" وفي الطبراني "تأذى من قريش فتغطى بثوبه محزونًا(*)، فنزلت" ﴿قُمْ﴾: من مضجعك، أو قم قيام جد، ﴿فَأَنذِرْ﴾، ترك المفعول للتعميم، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: خصص ربك بالتكبير، والتعظيم، والفاء في مثله بمعنى الشرط، كأنه قال: ما يكن من شيء فكبر أنت ربك، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: لا تكن عاصيًا غادرًا، والعرب تقول للفاجر: دنس الثياب، وإذا وفى، وأصلح، مطهر الثياب، أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة، أو طهر ثوبك من النجاسات، فإن المشركين لا يطهرون، أو أعرض عما قالوا، ولا تلتفت إليهم، ﴿وَالرُّجْزَ﴾: الأصنام، ﴿فَاهْجُرْ﴾، أو اترك ما يؤدي إلى العذاب، ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: لا تعط طالبا لكثير نهى أن يهب شيئًا طامعًا في عوض أكثر، وهذا خاصة له عليه السلام، أو نهي تنزيه، أو لا تمنن بنبوتك على الناس طالبًا لكثرة الأجر منهم، أو لا تضعف عن الطاعة طالبًا لكثرة الخير، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾: استعمل الصبر لله، فيشمل الصبر على الأذى، وعلى الطاعات، ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: نفخ في الصور، الفاء للسببية، كأنه قال: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم عسير، ﴿فَذَلِكَ﴾، الفاء للجزاء، ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، إذا ظرف لما دل عليه الجزاء، لأن معناه عسر الأمر عليهم، وذلك مبتدأ خبره "يوم عسير"، و"يومئذ" إما بدل من ذلك،

---

(١) وهو ما يلبس فوق الشعار، وهو الذي يلي الجسد/١٢وجيز.

(*) أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس -رضي الله عنه- كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٦/٤٥٠).

أو معمول له فإنه إشارة إلى وقت النقر أي: وقت النقر فى ذلك اليوم، أو ظرف مستقر ليوم عسير أي: وقت النقر وقت عسير حال كون ذلك الوقت فى يوم القيامة، ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: عليهم تأكيد، وتعريض بحال المؤمنين[1]، ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا[2]﴾:، حال من الضمير المحذوف أي: خلقته حال كونه وحيدًا لا مال له، ولا ولد له، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدودًا﴾: مبسوطًا كثيرًا[3] قيل: وحيدًا حال من مفعول ذرني، أو من فاعل خلقت أي: ذرنى وحدى معه، فإنى أكفيكه، أو كان ملقبًا بالوحيد فى قومه، فسماه الله تهكما، فيكون نصبًا بتقدير أعني، أو وحيدًا عن أبيه، فإنه ولد الزنا فالمراد منه وليد بن المغيرة، وهو كما مَرَّ زنيم، ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حضوراً معه لا يغيبون للتجارة لاستغنائهم وخدمهم يتولون الأمر، وهم ثلاثة عشر، أو عشرة، أو سبعة،

---

(١) فإنه يسير عليهم كما مر فى الحديث/١٢منه.

(٢) وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، وأنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذى يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسلفه وإنه ليعلو، وما يعلى، وإنه ليحتم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعنى حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يَأْثِرُهُ عن غيره، فنزلت "ذرنى ومن خلقت وحيدًا" أخرجه الحاكم وصححه البيهقى فى الدلائل، وقد أخرجه عبدالرزاق عن عكرمة، وكذا غير واحد/١٢فتح.

(٣) كان لوليد بن المغيرة بين مكة والطائف نعمه، وعبيده، ومزارعه، قاله ابن عباس/١٢وجيز.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾: بسطت له فى المال، والجاه، وطول العمر بسطًا، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: على ما أوتيه، ﴿كَلاَّ﴾، ردع له عن الطمع، ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾: معاندًا مستأنفة تعليل للردع قيل: ما زال بعد نزول الآية فى نقصان، ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾: سأغشيه، ﴿صَعُوداً﴾، عقبة شاقة المصعد مثل للإلقاء فى الشدائد، وفى الحديث[1] "الصعود جبل فى النار"، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- "صخرة فى النار يسحب عليها الكافر على وجهه﴿إِنَّهُ فكَّرَ﴾: فيما يخيل طعنًا فى القرآن مستأنفة علة للوعيد، ﴿وَقَدَّرَ﴾: فى نفسه ما يقول فيه، ﴿فَقُتِلَ﴾، دعاء عليه، ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾، تعجيب من تقديره نحو : قاتلهم الله أنى يؤفكون، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، تكرير للمبالغة، وثم للدلالة على أن النظر الثانى فيما قدر يورث تعجبًا أبلغ من الأول، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: فى أمر القرآن مرة أخرى، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبض بين عينيه، كما هو شأن المهتم المتفكر، ﴿وَبَسَرَ﴾: اشتد عبوسه، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: عن الحق، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: عن اتباعه، ﴿فَقَالَ﴾: حين خطرت هذه الكلمة بخاطره من غير تلبث، والفاء يدل عليه، ﴿إِنْ هَذَا﴾: القرآن، ﴿إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يروى عن السحرة، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ البَشَرِ﴾: كالتأكيد للأول، نقل[2] إن وليد بن المغيرة مرة سمع القرآن، فمال قلبه إليه، فلامه قومه، فقالوا: لابد أن تقول قولا نعلم أنك منكر: قال: والله لا يشبه رجزة، ولا قصيده، ولا أشعار الجن، ووالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، فقالوا: والله لا

---

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه،وابن مردويه،والبيهقي، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج قال ابن كثير: وفيه غرابة ونكارة انتهى، وقد أخرجه جماعة من قول أبي سعيد[الحاكم فى "المستدرك" (٢/٥٠٨) وقال: صحيح على شرط البخارى و لم يخرجاه وأقره الذهبى فى "التلخيص"]/١٢فتح.

(٢) أخرجه الحاكم، وصححه، والبيهقى فى الدلائل/١٢فتح.

نرضى إلا أن تقول فيه، قال: دعونى حتى أفكر، فلما فكر قال: سحر يأثره عن غيره[1]، فنزلت: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾، تعظيم لأمرها، ﴿لاَ تُبْقِي﴾: شيئًا يلقى فيها إلا أهلكته، ﴿وَلاَ تَذَرُ﴾: بعد الإهلاك، فإنه يعاد "كلما نضجت جلودهم"الآية [النساء:٥٦] ، ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مسودة، ﴿لِّلْبَشَرِ﴾: للجلد، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: ملكًا، نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفًا، فيرميهم فى جهنم حيث أراد. لما نزلت قال أبو جهل: أنتم الدهم الشجعاء أيعجز كل عشرة منكم أن تبطشوا بواحدة من خزنتها؟ فقال أبو الأسود الجمحي: يا معشر قريش اكفونى منهم اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابًا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة أنه يقف على جلد بقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وهو الذى قال: إن صرعتنى آمنت بك، فصرعه -عليه السلام- مرارًا و لم يؤمن فنزل قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾: لا رجالا، فمن ذا الذى يغلب الملائكة، ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وما جعلنا عددهم إلا عددًا قليلا هو سبب لفتنتهم للاستهزاء به يعنى إخبارى بأنهم على هذا العدد، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: بصدق القرآن،وبأن هذا الرسول حق، لأنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية، فإخبار الله بأنهم على هذا العدد المخصوص علة لاستيقانهم،والوصف أعني: افتتان الكفار بهذا العدد[2] لا مدخل له، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾: بسبب الإيمان به، أو بتصديق أهل الكتاب، ﴿وَلاَ يَرْتَابَ﴾، عطف على يستيقن، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: فى ذلك جمع لهم إثبات اليقين، ونفى الشك للتأكيد،

---

(١) رجع إلى كفره ضالا لأجل خواطرهم/١٢وجيز.

(٢) كأنه قال: وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر؛ لأن حال هذه العدة القليلة وأن يفتتن بها من لا يؤمن بالله كأنه قيل، ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين، وحيرة الكافرين/١٢منه رح.

والتعريض بحال من عداهم، فليس لهم يقين، ولهم ريب وشك، ﴿**وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾: شك، ونفاق، ﴿**وَالْكَافِرُونَ**﴾: المشركون، وفى الآية إخبار عن[1] الغيب، لأنها مكية فظهر النفاق فى المدينة، ﴿**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا**﴾ أى شيء أراد الله بهذا العدد؟! ﴿**مَثَلاً**﴾، حال من هذا أو تمييز له،وسموه مثلا لغرابته، ومرادهم إنكاره،وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص، ﴿**كَذَلِكَ**﴾: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى، ﴿**يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ[2] رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾: لا يعلم عددهم، وكمية الموكلين بأمر دون أمر إلا الله، وحكم أمثال ذلك كحكم أعداد السماوات والأرض، وغيرهما لا يطلع عليه إلا بعض المقربين، ﴿**وَمَا هِيَ**﴾: السقر التى وصفت، ﴿**إِلاَّ ذِكْرَى[3]**﴾: تذكرة، ﴿**لِلْبَشَرِ**﴾.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾

---

(١) فهو معجزة له -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر، وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة/١٢فتح.

(٢) قال عطاء: يعنى من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم إلا الله وحده، والمعنى أن خزنة النار، وإن كانوا تسعة عشر فلهم من الأعوان،والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه/١٢فتح.

(٣) فدع الكم والكيف واتعظ بها/١٢وجيز.

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

﴿كَلاَّ[1]﴾، ردع لمن أنكرها، ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: أدبر على المضى كقبل بمعنى أقبل، وقيل: من دبر الليل النهار إذا خلفه، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسفَرَ﴾: أضاء، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر، ﴿لإِحْدَى الكُبَرِ﴾: لإحدى البلايا الكبر، جمع كبرى، أسقطت ألف التأنيث كتائها، يقال: فُعَلٌ فى جمع فُعْلةٍ، وعن مقاتل دركات جهنم سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي[2] جواب القسم أو تعليل "لكلا" والقسم معترض للتوكيد، ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ تميز أي: إنها لإحدى الدواهى إنذارًا كقولك: هو أحد الرجال كياسة، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾، بدل من البشر، ﴿أَن يَتقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ مفعول شاء أي: نذيرًا لمن شاء التقدم والسبق إلى الخير، أو التأخر، والتخلف عنه، أو أن يتقدم مبتدأ، ولمن شاء خبره نحو "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف:٢٩) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة عند الله فى القيامة مصدر كالشتيمة[3]، فإن فعيل الصفة لا يؤنث، ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: فإنهم فكوا

---

(١) قال ابن جرير الطبري: المعنى رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم أي: ليس الأمر كما يقول، ثم أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده، وهذا هو الظاهر من معنى الآية/١٢ فتح.

(٢) أي: جملة إنها لإحدى الكبر/١٢منه.

(٣) بمعنى الشتم/١٢فتح.

رقاهم بحسن أعمالهم، ونقل عن علي -رضى الله عنه- إنهم أطفال المسلمين لأنه لا أعمال لهم يرتهنون بها ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، حال من أصحاب اليمين، ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يتساءلون المجرمين عن حالهم، فحذف المفعول؛ لأن ما بعده يدل عليه، ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: ما أدخلكم، ﴿فِي سَقَرَ﴾، بيان للتساؤل، وهذا أولى الوجوه، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ[1] الْمِسْكِينَ﴾ أي: ما عبدنا ربنا، وما أحسنا إلى خلقه، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾: فى الباطل، ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ[2] وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: أى مع هذا كله كنا نكذب بالقيامة، ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ[3]﴾: الموت، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: لو شفعوا أجمعين لهم، وهو قول الله، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: ما لهؤلاء الكفرة معرضين عن التذكير؟ فـ"معرضين" حال من الضمير، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: كأنهم فى نفارهم عن الحق حمر وحشية فرت مِنْ مَنْ يصيدها، أو من الأسد، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ قالوا: إن سرك أن نتبعك، فأت كلاًّ منا بكتاب من السماء أن اتبع يا فلان محمدًا فإنه رسولك، أو كل منهم يريد أن يترل عليه كما نزل عليك قال تعالى: "وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى" الآية(الأنعام:١٢٤)، ﴿كَلاَّ﴾: ردع عن تلك الإرادة، ﴿بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾، ولهذا أعرضوا عن التذكرة، ﴿كَلاَّ﴾،

---

(١) فيه دليل علَى أن الكفار مخاطبون بالشرعيات، والفروع فقول صاحب الكشاف: يحتمل أن يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك، وهو ترك الصلاة، وترك الإطعام، والخوض فى الباطل مع الخائضين، والتكذيب بيوم القيامة، وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الطعام تخيل منه كما قال صاحب الانتصاب: إن تارك الصلاة يخلد فى النار/١٢فتح.

(٢) أرادوا المجاهرة بالفسق/١٢وجيز.

(٣) أي: الموت، وكأن سؤالهم سؤال تقريع ليعترفوا بلسانهم بجهلهم، وخسرانهم وإلا فهم عالمون بالسبب/١٢وجيز.

ردع عن الإعراض، ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: فمن شاء اتعظ به، أو حفظه، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾: وما يتعظون به، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ذكرهم، أو مشيئتهم، ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾: هو أهل أن يتقى، فلا يجعل معه إله، ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ : وأهل لأن يغفر لمن اتقى أن يجعل معه إلها، كذا رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه فى تفسير "هو أهل التقوى وأهل المغفرة".

والحمد لله رب العالمين.

سورة القيامة مكية

وهى أربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾

﴿لا أُقْسِمُ﴾، زيادة لا النافية على القسم للتأكيد[1] شائع، **﴿بِيَوْمِ القِيامَةِ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** هى نفس المؤمن لم تزل تلومه: لم قلت كذا لما فعلت؟ لم تركت؟ أو

(١) قال المبرد: لا زائدة لتأكيد القسم، وقال الفراء: لا نافية ومنفيها ما اشتهر عن الكفار من إنكار البعث ورد بأن الفصحاء يزيدونها فى مستهل قصائدهم وقيل: منفيها أقسم =

النفس مطلقًا تلوم يوم القيامة نفسه إن عمل خيرًا لم ما استكثرته؟ وإن شرا لم عملته؟ وجواب القسم محذوف نحو "إنكم مبعوثون" يدل عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ﴾: جنسه، أو الكفار منهم، ﴿أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾: بعد تفرقها لعدم قدرتنا، ﴿بَلَى﴾: نجمعها، ﴿قَادِرِينَ﴾، حال من فاعل نجمع المقدر، ﴿عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾: أن نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية كخف البعير، فلا يمكنه القبض، والأخذ، وفنون الأعمال، أو على أن نضم الأنامل بعضها إلى بعض كما كانت على صغرها، فكيف بكبار العظام، ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾: ليدوم على الفجور فيما يستقبله من الأوقات،والمعنى على إنكار الحسبان، أولاً ثم الإضراب عنه بالإخبار عن حال بما هو أدخل فى اللوم والتوبيخ، وفيه إيماء بأنه عالم بوقوع الحشر لكنه متغاب، ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: متى يكون إنكارًا أو استهزاء، ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: تحير فزعًا من شدة الأهوال، ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: ذهب ضوءه، ﴿وَجُمِعَ[1] الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: جمع بعض أجزاء الشمس إلى بعض، ويلف كالحصير، وكذا[2] القمر، أو جمع بينهما، فلا يكون كل واحد فى فلك، ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: أين الفرار؟

= كأنه قال: لا أقسم؛ لأنه لا حاجة إلى القسم لظهوره، وقيل: زيدت توطئة للنفى بعده نحو "فلا وربك لا يؤمنون" (النساء:٦٥) ويقدر هنا لا يتركون سدى ورد بأنه لم يقصر على النفى نحو "لا أقسم بهذا البلد" (البلد:١) لقوله: "لقد خلقنا الإنسان فى كبد" (البلد:١-٤)ومثله "فلا أقسم بمواقع النجوم" بقوله: "إنه لقرآن كريم"(الواقعة:٧٥-٧٧) وقيل: أصله لاقسم بدليل قراءة ابن كثير ثم أشبع اللام فظهر الألف ورد بأن نون التأكيد لازم هذا اللام وكلام الله على طريقة كلام العرب فالقول ما قال المبرد/١٢ وجيز.

(١) ولم يقل جمعت لتغليب المذكور، وهو القمر مع أن الشمس مؤنث غير حقيقي /١٢ وجيز.

(٢) هذا قول جمع من السلف/١٢وجيز.

﴿كَلاَّ﴾، ردع عن طلب الفرار، ﴿لاَ وَزَرَ﴾: لا ملجأ، ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: وحده، ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: استقرار العباد، ﴿يُنَبَّؤُا الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: بأعمال أوائل عمره وأواخره، أو بما عمله وما تركه، أو بأعمال عملها، وبأعمال أخرها فعمل بها كسنة حسنة وسيئة، ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ[1]﴾: حجة بينة تشهد جوارحه عليه نحو: لما جاءت آياتنا مبصرة أو عين بصيرة يعنى لا يحتاج إلى الإنباء، ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه جمع معذار، وهو العذر، أي: لا ينفعه عذره؛ لأن من نفسه من يكذبه، وعن بعض: ولو ألقى الستور وأخفى الذنب كل الإخفاء، وأهل اليمن يسمون الستر معذارًا، ﴿لاَ تُحَرِّكْ﴾: يا محمد، ﴿بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لتأخذه على عجلة قد صح عن ابن عباس -رضى الله عنهما- وغيره: إنه إذا نزل جبريل بالوحى قرأ النبى -عليه السلام- قبل فراغه مسارعة إلى الحفظ، وخوفًا من الانفلات، فنزل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾: فى صدرك، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: إثبات قراءته فى لسانك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾: بلسان الملك عليك، وأصغيته، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: فاتبع قراءته، وكن مقفيًا له فيه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا[2] بَيَانَهُ﴾: بيان ما أشكل عليك، ﴿كَلاَّ﴾، ردع لإلقاء المعاذير، ﴿بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾: تختارون الدنيا على العقبى، ولا تعملون للعقبى، والخطاب لجنس الإنسان؛ لأن فيهم من

---

(١) ولما ذكر منكر البعث، وإعراضه عن آيات الله، واختياره للعاجلة للفجور أعقبه بحاله، من تناهى اهتمامه بالآيات لنفسه ولغيره، وبرجاء أن يهديه الله فكمال اعتنائهم فى العاجلة، وتمام اهتمامه فى الآجلة، فظهر بذلك تباين من يرغب فى تحصيل آيات الله، ومن يرغب عنها فبضدها تبين الأشياء فقال: "لا تحرك به لسانك" الآية/١٢وجيز.

(٢) وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة؛ لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور، وأصل الدين، فكيف بها فى غيره؟! والمناسبة بين هذه الآية،وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها/١٢فتح.

هو كذلك، أو الكفار وقوله: "لا تحرك" إلى قوله: "ثم إن علينا بيانه" اعتراض بذكر ما اتفق فى أثناء نزول هذه الآيات مع ما فيه من إنكار العجلة، وإن كان فى أمور الخير، وما قبل الاعتراض وما بعده فى التوبيخ على حب العجلة، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة، ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، من النضارة أي: حسنة بهية مشرقة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[1]﴾:

---

(١) أي: تنظر إليه عيانًا بلا حجاب، هكذا قال جمهور أهل العلم، والمراد به ما تواتر به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر، قال ابن كثير: هذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة، والتابعين، وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام/١٢. وقال الإمام شمس الدين ابن القيم -رحمه الله- فى كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح: الآيات والأحاديث، والآثار المنقولة عن الصحابة فى دلالتها على العلو، والرؤية أعظم من أن تحصر، وليس مع نفاة الرؤية، والعلو مما يصلح أن يذكر، ثم ذكر مفاسد قولهم فى نفى الرؤية إلى أن قال: فقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكر أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، ولكل عدو لله ولرسوله مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، ثم أطال الكلام فى ذكر دلائل الرؤية إلى أن قال: والدليل السابع: قوله عز وجل: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"، فأنت إذا حفظت هذه الآية عن تحريفها عن موضعها،والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها وجدتها منادية هذا صريحًا أن الله سبحانه يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا، فتأويل نصوص المعاد، والجنة والنار، والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجد متأول مثل هذه

=

تراه عيانًا حين يرى ربه لا يلتفت إلى غيره، والنظر إلى غيره فى جنب النظر إليه لا

= النصوص، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديه بأداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته، وموضوعه، صريح فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: "انظرونا نقتبس من نوركم"(الحديد:١٣)، إن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: "أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض" (الأعراف:١٨٥)، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله "انظروا إلى ثمره إذا أثمر" (الأنعام:٩٩)، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل النظر، وكيف وقد قال -صلى الله عليه وسلم: "وجوه يومئذ ناضرة قال: من البهاء، والحسن إلى ربها ناظرة، قال: فى وجه الله -عز وجل" فاسمع أيها الإنسان تفسير النبى -صلى الله عليه وسلم، والأحاديث الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري،وجرير بن عبدالله، وصهيب، وعبدالله بن مسعود، وعلى بن أبى طالب، وأبو موسى الأشعري،وعدى بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين، وجابر بن عبد الله وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبى بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وحديثه موقوف، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها فى مظانها انتهى. وأيضًا قد بين رحمه الله هذه المسألة أتم بيان فى خاتمة قصديته النونية بأشعار لطيفة رشيقة بحيث تنشرح منها الصدور، وتلتزمها الأسماع، حيث قال:

ويـــرونه ســـبحانه مـــن فوقهم   نظـــر العـــيان كما يرى القمران

هـــذا تواتـــر عـــن رسول الله لم   يـــنكره إلا فاســـد الإيمـــان

إلخ فمن يشاء فليطالعها/١٢.

يعد[1] نظرًا، ولهذا قدم المفعول، والأحاديث الصحاح فى تفسير تلك الآيـــة وأقـــوال السلف والخلف على ذلك بحيث يعد المكابر معاندًا، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: شديد العبوس، ﴿تَظُنُّ﴾: تتوقع، ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: داهية تكسر فقار الظهر، فهذا مـــا يفعل بهم فى مقابلة النظر إلى الرب لكون ذلك غاية النعمة، وهذا غاية النقمة، والظـــن فى البلاء أشد، والتنوين فى وجوه، ونظائره كقلوب يومئذ واجفة للتنويع، ويقوم مقـــام الوصف المخصص للمبتدأ، أو كان هذا أولى مما قيل: إن بعض المذكور كناظرة وصف مخصص، وبعضه كإلى ربها ناظرة خبر، ﴿كَلَّا﴾، ردع عن إيثار الدنيا، ﴿إِذَا بَلَغَـتِ﴾: النفس[2]، ﴿التَّرَاقِيَ﴾: أعالى الصدور، ﴿وَقِيلَ﴾، القائل الملك، ﴿مَنْ رَاقٍ[3]﴾: مـــن يرقى بروحه ملك الرحمة، أو ملك العذاب، أو القائل الحاضرون مـــن يرقيه مما به، ﴿وَظَنَّ﴾: المحتضر، ﴿أَنَّهُ﴾: أن ما نزل به، ﴿الفِرَاقُ﴾: فـــراق الدنيـــا، ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾، الساق مثل فى الشدة أي: التفت شدة فراق الدنيا بشـــدة إقبال الآخرة،وقيل: التوت الساق بالساق عند قلق الموت، ﴿إِلَـــى رَبِّـــكَ يَوْمَئِـــذٍ الْمَسَاقُ﴾: المرجع يسوق الملك الروح إلى السماوات كما فى الحديث.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝٣٥ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ

---

(١) جواب عما قال الزمخشري: من أنه لا يجوز أن يكون النظر بمعناه؛ لأنه يلزم أن يكـــون النظر إلى غير وجه الله، ولاشك فى بطلانه/١٢منه.

(٢) دل عليه سياق الكلام/١٢وجيز.

(٣) وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- مـــن يرقـــى بروحـــه لكراهـــة الملـــك بـــروح الكافر/١٢وجيز.

فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَلاَ صَدَّقَ﴾ أي: الإنسان المذكور فى قوله: "أيحسب الإنسان" أو المراد أبو جهل ما يجب تصديقه، ﴿وَلاَ صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ﴾: الحق، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: يتبختر افتخارًا، وسرورًا، ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾، دعاء عليه من الولى، وهو القرب أي: قاربه ما يهلكه فعل فيه ضمير الهلاك بقرينة السياق، ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِى يُمْنَى[1] ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾: فقدره الله، ﴿فَسَوَّى﴾: عدله، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: من الإنسان ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: الصنفين، ﴿الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾: الذى أنشأ هذا الإنشاء، ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى﴾، والسنة أن يقول بعده سبحانك فبلى، أو بلى بغير فاء.

والحمد لله وحده.

(١) يصب فى الرحم/١٢.

سورة الدهر(*) مكية

وهي إحدى وثلاثون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٥) قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ

(*) وتسمى أيضًا سورة الإنسان.

مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿هَلْ[1] **أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾**: قد أتى على جنس بنى آدم، **﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾**: طائفة من الزمن الممتد، **﴿لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾**: لم يعرف، و لم يذكر، وعن بعض المراد آدم، فإنه ملقى أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه،والجملة حال من الإنسان، أو وصف لحين بحذف الراجع أي: لم يكن فيه شيئًا، **﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِ نسَانَ﴾**: بنى آدم، **﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾**، جمع مشج أي: أخلاط أي: من نطفة قد اختلط، وامتزج فيها ماء الرجل والمرأة، أو ألوان فما للرجل لون وللمرأة لون **﴿نَّبْتَلِيهِ﴾**: مريدين اختباره[2]، **﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾**: فإنه بالسمع والبصر يتمكن من الطاعة والمعصية، **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾**: بينا له طريق الحق، **﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوراً﴾**، حالان من أول مفعولى هدينا أي: هديناه فى حاليه جميعًا، أو مقسومًا إلى الحالين بعضهم شاكر بأن سلكوا طريقًا هديناهم، وبعضهم كفور بالإعراض عنه، **﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاً وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا**[3] **إِنَّ الأَبْرَارَ﴾**، جمع بر أو بارَّ، **﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾**:

---

(١) فى مغنى النحو: إنه فسر جماعة منهم ابن عباس، والكسائي، والفراء،والمبرد هل أتى بمعنى قد أتى وقال جمع من النحاة: هل لا يأتى بمعنى قد أصلا، وتفسير ابن عباس أراد أن الاستفهام فى الآية للتقرير، وليس باستفهام حقيقي/١٢وجيز.

(٢) إشارة إلى أن قوله نبتليه جملة حالية/١٢منه.

(٣) يعنى مآلهم أنهم فى سعير، وعلى أيديهم وأرجلهم السلاسل، وعلى أعناقهم الأغلال/١٢وجيز.

من خمر، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾: تخلق منها رائحة الكافور، وبياضه وبرده، فكأنها مزجت بالكافور، أو تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك، ﴿عينا﴾، بدل من محل من كأس بحذف مضاف أي: خمر عين، أو نصب على الاختصاص، أو الكافور اسم عين فى الجنة، فيكون عينًا بدلا منه، ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: ملتذًّا بها، أو يشرب بمعنى يروى، فلذلك عدى بالباء، أو الباء زائدة، أو بمعنى من، ﴿عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يجرونها حيث أرادوا من منازلهم، ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ[1]﴾، مستأنفة كأنه قيل: لأى سبب رزقوا ذلك؟ وعن بعض المراد بالنذر الواجب أي: يوفون بما يجب عليهم من الصلاة، والزكاة، وغيرهما، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: منتشرًا غاية الانتشار فيجتنبون عن المعاصي، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ[2]﴾ الأولى أن يكون الضمير للطعام ليكون موافقًا لقوله تعالى "لن تنالوا البر" الآية(آل عمران:٩٢)، ولأن فيما بعده، وهو لوجه الله فنية أن يكون تقديره على حب الله، ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: وإن كان من أهل الشرك أمر[3] —عليه السلام- يوم بدر بإكرام الأسراء أو المراد المسجون من المسلمين، أو المراد الأرقاء نزلت حين نذر[4] على وفاطمة صوم ثلاث فى مرض ولديهما إن بريا فلما صاما وأرادا الإفطار وقف عليهما مسكين فآثراه فباتا بلا عشاء، ثم وقف عليهما فى الليلة الثانية يتيم، فآثراه فباتا جائعين ثم فى الثالثة أسير من

---

(١) والنذر نوعان نوع نذر الشرط نحو أن يقول: هذا منذور إن رزقنى الله الصحة ونوع نذر قربة لأن رزقه الله العافية، وهذا النوع ممدوح محمود/١٢وجيز.

(٢) فى الصحيح "أفضل الصدقة أن تتصدق، وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى، وتخشى الفقر" أي: فى حال محبتك للمال، وحاجتك عليه وإليه/١٢وجيز.

(٣) كذا قاله ابن عباس رضى الله عنه وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة/١٢منه.

(٤) أخرجه ابن مردويه/فتح، وروى البغوى الإمام المحدث ذلك عن مجاهد وعطاء وابن عباس رضى الله عنه أن الآية نزلت فى على بن أبى طالب/١٢منه.

المشركين فآثراه فلم يفطرا فى صوم ثلاث إلا بالماء(*)، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾: قائلين ذلك بلسان الحال، أو المقال ليعرف الفقير أنها صدقة ليست للمجازاة، ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾: خالصًا غير مشوب بحظ النفس، ﴿لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾، مصدر كالقعود، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾، مستأنفة للتعليل، ﴿يَوْمًا﴾ أي: عذابه، ﴿عَبُوسًا﴾، مجاز أي: عبوسًا فيه أهله، أو كالأسد العبوس فى الضرر والشدة، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديد العبوس، عن عكرمة وغيره، يعبس الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- العبوس الضيق، والقمطرير الطويل، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾، بدل عبوس الكفار، ﴿وَسُرُورًا﴾، بدل حزنهم، ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾: على ترك الشهوات، وأداء الواجبات، ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: يلبسونه، ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا﴾، حال من أول مفعولى جزاء، أو صفة لثانى مفعوليه على مذهب الكوفية، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: السرر فى الحجال، ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا﴾: لا حرٌّ مزعجٌ،ولا بردٌ مؤلم، بل هواء معتدل، ﴿وَدَانِيَةً﴾: قريبة، ﴿عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا﴾، الواو للعطف على متكئين، "ولا يرون" يحتمل أن يكون حالا من ضمير متكئين، ﴿وَذُلِّلَتْ﴾: سهلت، ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها، ﴿تَذْلِيلاً﴾: لا يمتنع على قطافها فى أى حال يكونون من القيام، والرقود يحتمل أن يكون الواو حالا من ضمير عليهم

(*) هذا الحديث ذكره القرطبى فى تفسيره، وقال الترمذي: الحكيم أبو عبدالله فى نوادر الأصول: فهذا حديث مزوّق مزيف قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفًا ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم. وذلك لأنه بفعله هذا ضيع من يعول، حيث قال -صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت"[وذكره الواحدى فى: "أسباب النزول" (٣٣١/١)].

بحذف العائد أي: وذلك لهم، ﴿**وَيُطَافُ**[1] **عَلَيهِم بِآنِيَةٍ**﴾، الباء للتعدية، ﴿**مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ**﴾: أباريق بلا عروة، ﴿**كَانَتْ قَوَارِيرَاْ**[2] **قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ**﴾ أي: جامعة بين صفاء الزجاجة، وبياض الفضة، ولينها ونصب قوارير على البدل، أو بتقدير أعني، ﴿**قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾، الضمير للطائفين بها الدال عليه "يطاف عليهم" أي: قدرَ الخدمُ الآنيةَ على قدر ريهم وحاجتهم لا يزيد فيها الشراب، ولا ينقص، وهو ألذ للشارب، وقيل: مرجع هذا الضمير مرجع سائر الضمائر فى الآية أى قدروها فى أنفسهم، فجاءت مقاديرها، وأشكالها كما تمنوه، ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا**﴾: خمرًا، ﴿**كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْنًا فِيهَا**﴾، المعنى والإعراب كما مر فى كان مزاجها كافورًا عينًا، والعرب يستطيب طعم الزنجبيل جدًا، وعن قتادة وغيره: الأبرار يمزج لهم من هذا تارة ومن ذاك أخرى، وأما المقربون فيشربون من كل منهما صرفًا، ﴿**تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**[3]﴾، لسلاسة فى الحلق ليس فيها إحراق الزنجبيل، ولدغه مع أن فيها طعمه، أو سميت به، لأنها تسيل عليهم فى السبل، والطرق، والمنازل، ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ**[4] **مُّخَلَّدُونَ**﴾: لا

---

(١) ولما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم، وصف شرابهم بقوله: "ويطاف عليهم" الآية/١٢فتح.

(٢) قرأ حفص بغير الألف فى الوصل فيهما، ووقف على الأول بالألف وعلى الثانى بغير الألف/١٢.

(٣) ولما وصف شرابهم، ووصف آنيته وصف السقاة الذين يسقونهم، فقال: "ويطوف عليهم" الآية/١٢فتح.

(٤) وفى الخازن: فى سورة الواقعة، والصحيح الذى لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور، و لم يولدوا و لم يخلقوا عن ولادة انتهى، قلت: والله أعلم بهم، ولا أقول فيهم بشيء ظنًا وتخمينًا إذ لم يرد نص صريح صحيح فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فالوقف أولى وأحوط/١٢فتح.

يموتون، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾: من صفاء ألوانهم،وطراوتهم، وانبثاثهم في منازلهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: إذا وجدت الرؤية في الجنة، ترك مفعوله ليعم، ﴿رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾: واسعًا، ﴿عَالِيَهُمْ﴾، بالنصب حال من عليهم[1] وبسكون الياء مبتدأ، وقوله: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾، خبره، وهو ما رقّ من الثياب، ﴿خُضْرٌ﴾، بالجر صفة سندس، وبالرفع صفة ثياب، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: هو ما غلظ من الثياب،وله بريق، ولمعان بالرفع عطف على ثياب، وبالجر على سندس، ﴿وَحُلُّوا﴾، عطف على ويطوف، ﴿أَسَاوِرَ﴾، جمع سوار، ﴿مِن فِضَّةٍ﴾، وهذا للأبرار، وأما المقربون فيحلون من أساور من ذهب، أو للأبرار أساور من ذهب، وفضة، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾، عين على باب الجنة من شرب منها نزع ما كان في قلبه من الأخلاق الرديئة، أو طاهرًا من الأقذار لم يدنسه الأيدي، والأرجل كخمر الدنيا، أو لأنه يرشح عرقًا له ريح كالمسك، ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾: غير مضيَّع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٣١﴾﴾

---

(١) من ضمير عليهم/١٢.

﴿إِنَّا[1] نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنزِيلاً﴾: متفرقًا منجمًا آية بعد آيـــة،وفى تكريـــر الضمير مع التأكيد بإن مزيد اختصاص التنزيل، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّـــكَ﴾: بتأخـــير نصرك، ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا[2] أَوْ كَفُورًا﴾، لفظ أو للدلالة على أن إطاعة كـــل واحد منهما قبيح، فالجمع بين الطاعتين أقبح، والآثم الكافر؛ لأن الفسوق فى الأفعـــال يظهر من الكافر، والكفور المنافق، لأنه صفة القلب، ولا تطع الكافرين، والمنـــافقين، وعن بعض الآثم[3]عتبة، فإنه ركَّاب الفسوق، والكفور الوليد، فإنه الغالى فى الكفـــر، وهما قالا لو رجعت عن هذا الأمر لزوجناك ابنتينا بغير مهر، وأعطيناك من المال حـــتى ترضى، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً[4] وَأَصِيلاً﴾: أول النهار وآخره، ﴿وَمِنَ اللَّيْـــلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾، كما قال: "ومن الليل فتهجد بـــه نافلـــة لـــك" (الإسراء:٧٩)وعن بعض المراد صلاة الصبح، والعصر، والمغرب،والعشاء، والتـــهجد، ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾: الدار العاجلة، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾: وراء ظـهورهم، أو أمامهم، ﴿يَوْماً ثَقِيلاً﴾: شديدًا، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: ربطـــــهم، وتوثيق مفاصلهم، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ﴾: فى شدة الأســـر بعـــد إهلاكـــهم، ﴿تَبْدِيلاً﴾، والمراد النشأة الأخرى، والتبديل فى الصفات، أو المراد إذا شئنا أهلكنـــاهم،

---

(١) ولما ذكر حال الإنسان، وقسمه إلى العاصى والطائع، وحذر عما أعد للعاصي، ورغـب فيما أعد للمطيع أعقبه بما شرف به نبيه، وأرشده، فقال: "إنـــا نحـــن نزلنـــا عليـــك القرآن"/١٢وجيز.

(٢) وهم قائلون -كما مر: سامحنا فى عبادة أصنامنا نسامحك فى عبادة ربك، ولو رجعـــت إلى دين عبدالمطلب جدك لآتيناك كذا وكذا/١٢وجيز.

(٣) وهو قول مقاتل ذكره البغوي/١٢منه.

(٤) نقل عن عكرمة أن المراد من البكرة الصبح، ومن الأصيل الظهر والعصر، ومن الليـــل فاسجد المغرب والعشاء، ومن قوله سبحه ليلا طويلا التهجد/١٢منه.

ونأت بخلق جديد مثلهم بدلهم فالتبديل في الذوات، وحقه حينئذ إن بدل إذا لكن جيء بإذا على المبالغة كأن له وقتًا معينًا، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة، ﴿فَمَن[1] شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا ومسلكًا إلى الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾: ذلك، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فيعلم من يستحق الهداية، فيقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فييسر له أسبابها،وله الحكم في ذلك، ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: بهدايته، ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، نصب الظالمين بفعل يفسره ما بعده، مثل أعد.

اللهم أدخلنا برحمتك في رحمتك ولا تجعلنا من الظالمين.

---

(١) قوله: "فمن شاء" ليس للتخيير، بل للتحذير من اتخاذ غير سبيله/١٢وجيز.

سورة المرسلات مكية

وهى خمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠ ﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ[1] عُرْفًا﴾، أقسم سبحانه بالرياح المرسلة حال كونها متتابعات[2] تهب شيئًا فشيئًا، أو بالملائكة حال كونهم يتبع بعضهم بعضًا وعن بعض[3] المراد بالعرف المعروف أي: الملائكة التي أرسلت للمعروف[4] من الأوامر والنواهي[*]، ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾، وبالرياح الشديدة الهبوب، أو بالملائكة العاصفات عصف الرياح فى امتثال أمر الله، ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، وبالرياح التى تنشر السحاب فى آفاق السماء، أو بالملائكة الناشرات أجنحتهن لنزول الوحي، أو التى نشرن الشرائع فى الأرض، ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾، وبالملائكة[5] الفارقات بين الحق والباطل بسبب الوحي، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، وبالملائكة الملقيات إلى الرسل وحيًا، ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: لإعذار المحققين، أو إنذار المبطلين، ويحتمل أن يكونا بدلين من ذكرا، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من مجيء القيامة، ﴿لَوَاقِعٌ﴾، هو جواب القسم، ﴿فَإِذَا[6] النُّجُومُ

---

(١) أخرج البخارى ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود –رضى الله عنه– قال: بينما نحن مع النبى –صلى الله عليه وسلم– فى غار بمنى إذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثب علينا حية فقال النبى –صلى الله عليه وسلم: "اقتلوها" فابتدرناها فذهبت، فقال النبى –صلى الله عليه وسلم: "وقيت شركم كما وقيتم شرها"/١٢فتح.

(٢) تقول العرب: الناس إلى فلان عرفًا واحدًا إذا توجهوا إليه متتابعين/١٢وجيز.

(٣) هذا مروى عن ابن مسعود –رضى الله عنه/١٢منه.

(٤) فعلى هذا عرفا مفعول له لا حال كالوجهين الأولين/١٢منه.

(*) وفى النسخة ن: الأمر والنهى.

(٥) روى عن مجاهد إن المراد منه الرياح يفرق بين السحاب لكن نقل ابن كثير عن السلف الإجماع على أن المراد من الفارقات، والملقيات الملائكة/١٢منه.

(٦) الظاهر أن إذا فى قوله: "فإذا النجوم" و"إذا السماء" وغيرهما ظرف لقولنا يقال المقدر فى قوله: "لأى يوم" وجاز أن يكون ظرفا للويل، وعلى هذا يومئذ بدل من إذا فتأمل/١٢منه.

﴿طُمِسَتْ﴾: مُحي نورها، أو محقت ذواتها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: انشقت، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: قلعت، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: جمعت، وعين لها الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم، ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: يقال لأى يوم أخرت؟ وضرب الأجل لجمعهم، وهو تعظيم لليوم، وتعجيب منه، ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾، بين الخلائق بيان ليوم التأجيل، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾، لعظمته لا يكتنه كنهه، ﴿وَيْلٌ[1] يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك اليوم، هو مثل سلام عليك فى العدول إلى الرفع، ويومئذ ظرف للويل، ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم المكذبة، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾: نتبعهم أمثالهم من الآخرين ككفار مكة، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفعل، ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ[2] وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، التكرير للتوكيد، وهو حسن شائع فى عرف العرب ولغتهم، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: نطفة ذليلة، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، هو الرحم، ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾: مقدار، ﴿مَّعْلُومٍ﴾: من الوقت، ﴿فَقَدَرْنَا﴾: ذلك تقديرًا من التقدير[3] لا من القدرة، ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾: نحن، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾، اسم لما يكفت أي: يضم، ويجمع أي: كافتة،

---

(١) وكررت هذه الآية فى هذه السورة عشر مرات، لأنه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشيء عذابًا سوى تكذيبه بشيء آخر، ورب شيء كذب به هو أعظم جرمًا من التكذيب بغيره، فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب، وقال الكرخي: التكرار فى مقام الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا/١٢فتح.

(٢) ولما ذكر إفناء الجميع أعقبه ببيان أصل الخلقة ليستدل به على تجويز البعث فقال: "ألم نخلقكم" الآية/١٢وجيز.

(٣) يعنى إن قرئ بتخفيف الدال فإن الأولى أن يكون من التقدير لدلالة قراءة قدرنا بتشديد الدال عليه مع قوله: "إلى قدر معلوم" فلا تغفل/١٢منه.

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾، مفعول كفاتا، أو تقديره تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتًا فى بطنها قيل: كفاتا حال وأحياء ثانى مفعولى جعل أو بالعكس فالمراد من الأحياء ما ينبت، ومن الأموات ما لا ينبت، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالا ثوابت، ﴿شَامِخَاتٍ﴾: طوالا، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذبًا من الأمطار والأنهار، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ انطَلِقُوا﴾ أي: يقال لهم فى ذلك اليوم اذهبوا، ﴿إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: فى الدنيا، ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ﴾ أي: ظل دخان جهنم، ﴿ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب، ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾: كسائر الظلال، ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ﴾: وغير مغن[1] عنهم من حر اللهب شيئًا، ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾، هو ما تطاير من النار، ﴿كَالْقَصْرِ﴾: كل شررة كالقصر فى العظم، أو هو جمع قصرة أي: شجرة غليظة، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- كنا نعمد إلى الخشبة، فنقطعها ثلاثة أذرع،وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء، فكنا نسميه القصر، ﴿كَأَنَّهُ﴾ أي: الشرر، ﴿جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾، جمع جمال جمع جمل شبه الشرر بالقصر فى عظمه حين ينفض من النار، وبالجمالات فى اللون،والكثرة، والتتابع، والاختلاط،وسرعة الحركة حين يأخذ فى الارتفاع، والانبساط، ومن قرأ بضم الجيم فالمراد الحبال العظيمة من حبال السفن شبهه بها فى امتداده، والتفافه، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾: للقيامة حالات وأيام، ففى بعضها يخاصمون، وفى بعضها يقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: لا يحصل لهم الإذن، ولا الاعتذار عقيبه فيعتذرون عطف على يؤذن، وما جعله جوابا[2] لإيهام أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: بين المحق والمبطل، ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾: حتى يمكن الفصل، ﴿فَإِن كَانَ

(١) فيه إشارة إلى أن محله الجر كقوله: "لا ظليل"/١٢منه.

(٢) يعنى ما جعله منصوبًا جوابًا، ولم يقل فيعتذروا بحذف النون لهذا الإيهام/١٢منه.

لَكُمْ كَيْدٌ﴾: فى الفرار مني، ﴿فَكِيدُونِ﴾، تقريع وتهديد على كيدهم فى الدنيا لإطفاء دين الله، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾، مقابل للمكذبين، ﴿فِى ظِلالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مستقرون فى أنواع الترفع، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مقولا لهم ذلك، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾: فى العقيدة والعمل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِّلْمُكَذِّبِينَ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا[1] قَلِيلاً﴾، كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، استئناف علة لقلة التمتع، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِّلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾: فى الدنيا، ﴿لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أي: صلوا، ﴿لاَ يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به مع أنه لا حديث يساويه أو يدانيه، فلا حديث أحق بالإيمان منه، وقد ورد "من قرأ والمرسلات عرفا" "فبأى حديث بعده يؤمنون" فليقل آمنت بالله،وبما أنزل.

والحمد لله وحده.

---

(١) وقيل: هو حال من المكذبين، ويقال لهم ذلك فى الآخرة إيذانًا بأهم كانوا فى الدنيا أحقاء بأن يقال لهم ذلك، وكانوا من أهله تحسيرًا وتقريعًا كما يدعى لمن هلك بعد الهلاك إشعارًا بأنه حقيق بأن يقال له ذلك فى حياته/١٢.

سورة النبأ مكية

وهي أربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾

﴿عَمَّ﴾، حرف جر دخل على ما الاستفهامية، وحذف الألف في كثرة الاستعمال، **﴿يَتَسَاءَلُونَ[1]﴾**، كان أهل مكة يتساءلون فيما بينهم عن القيامة استهزاء، ومعنى هذا

---

(١) قال الواحدي: قال المفسرون: لما بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبرهم بتوحيد الله، والبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل الله **﴿عم يتساءلون﴾**/١٢فتح.

الاستفهام التفخيم والتعظيم، ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾، بيان للشأن المفخم، أو صلة يتساءلون، و"عم" متعلق بفعل يفسره ما بعد، وقراءة[1] "عمه" دالة عليه، والنبأ: القيامة، وعن بعض: القرآن، ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: بالإنكار[2] والشك، أو ضمير يتساءلون لجنس الناس، ويكون الاختلاف بالإقرار، والإنكار، ﴿كَلَّا﴾، ردع عن هذا التساؤل، والاختلاف، ﴿سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، تكرير للمبالغة، و"ثم" للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً﴾: فراشًا، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾: للأرض حتى لا يتحرك يعني: ومن قدر على مثل هذا كيف لا يقدر على البعث؟! ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾: أصنافًا ذكرًا وأنثى، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً[3]﴾: قطعًا عن الحس، والحركة استراحة للبدن أو موتًا، فإن النوم أخو الموت، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾: غطاء يستركم عن العيون، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾: وقت معاش تحصلون فيه ما تعيشون به، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً﴾: سبع سموات، ﴿شِدَاداً﴾: محكمات، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً﴾ أي: الشمس، ﴿وَهَّاجاً﴾: متلألئًا حارًا، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ[4]﴾، هي السحائب، التي شارفت أن تعصرها الرياح، كأعصرت الجارية،

---

(١) فإنه وقف عليه، ثم ابتدأ بقوله: ﴿يتساءلون﴾ كأنه قال: يتساءلون عمه؟ ثم قال ﴿يتساءلون﴾/١٢منه.

(٢) هذا إذا كان ضمير يتساءلون لكفار مكة، كما أشرنا إليه/١٢منه.

(٣) أصل السبت: القطع/١٢منه.

(٤) عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة ، ومقاتل، والكلبي، وغيرهما: إن المراد من المعصرات: الرياح، وعن عكرمة وأبي العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري: إنها السحاب، وعن حسن وقتادة: إن المراد منها: السماوات، فالمراد من قولنا كما صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه صح عنه أن المطر من السماء يأتي إلى السحاب، لا أن تفسير المعصرات بالسماوات هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما/١٢منه.

إذا دنت أن تحيض، أو الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، فهمزة أعصرت للحينونـــة، والرياح كالمبدأ الفاعلي للمبدأ؛ لأنها تنشئ السحاب فجاز أنه منه، أو هي السماوات، فـإن الماء يترل من السماء إلى السحاب كما صح عن ابن عباس، وغيره، فالسماوات يحملـــن السحاب على العصر، فالهمزة للتعدية، ﴿مَاءً ثَجَّاجاً﴾: منصبًا لكثرته، ﴿لِنُخْـــرِجَ بِــهِ حَبّاً﴾: من الحنطة، والشعير، ﴿وَنَبَاتاً﴾: خضرًا مما يأكل الناس، والأنعـــام، ﴿وَجَنَّـــات أَلْفَافاً﴾: ملتفة بعضها ببعض، جمع لف بكسر اللام، أو بضمها جمع لفاء[1]، فيكون جمـــع الجمع، أو جمع ملتفة بحذف الزوائد، ﴿إِنَّ يَوْمَ[2] الْفَصْلِ كَانَ﴾: في علم الله، ﴿مِيقَاتاً﴾: وقتًا محدودًا انتهى الدنيا عنده، أو تنتهي الخلائق إليه، ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، بـــدل أو عطف بيان، ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾: زمرًا وجماعـــات، ﴿وَفُتِحَـــتِ السَّـــمَاءُ﴾: شـــقت، ﴿فَكَانَتْ﴾: فصارت، ﴿أَبْوَاباً﴾: ذات أبواب، أو من كثرة الشقوق كان الكل أبـــواب، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾: في الهواء كالهباء، ﴿فَكَانَتْ سَرَاباً﴾: كسراب، فإنها كانت شـــيئًا فالآن لا شيء، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾، هو الحد الذي فيه الحـــراس أي: موضـــع يرصد الكفار فيه، أو طريقًا وممرًا إلى الجنة، ﴿لِلطَّاغِينَ[3] مَآباً﴾: مرجعًا، ﴿لابِثِينَ فِيـــهَا أَحْقَاباً﴾: حقبًا[4] بعد حقب إلى ما لا يتناهى، وعن علي[5]: كل حقب ثمانون سنة، كـل

---

(١) كخضراء، وخضر وأخضار/١٢منه.

(٢) ولما ذكر عجائب آياته الدالة على كمال قدرته، أعقبه بقوله﴿إن يوم الفصل﴾ ليستدل العاقل عن تلك الآيات على إمكان مثل ذلك اليوم/١٢وجيز.

(٣) قوله: ﴿للطاغين﴾ على التفسير الأول: يحتمل أن يكون متعلقًا بمرصادًا، وأما على الوجه الثاني: فلابد أن نقول إنه متعلق﴿بمآبا﴾ ،لا بقوله: ﴿مرصادًا﴾/١٢منه.

(٤) الحقب الدهر، كذا في الصحاح/١٢وجيز.

(٥) وكذا قال أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وجم غفير مـــن الصحابـــة -رضـي الله عنهم/١٢منه. أخرج ابن جرير عن خالد بن معـــدان، في قولـــه:"لابثـــين فيـــها

=

يوم منها ألف سنة مما تعدون، ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً﴾: روحًا ينفس عنهم حر النار، أو نومًا، ﴿وَلاَ شَرَاباً﴾: يسكن من عطشهم، ﴿إِلاَّ حَمِيماً﴾ أي: لكن يذوقون فيها ماء في غاية الحرارة، ﴿وَغَسَّاقاً﴾: ماء يسيل من جلود أهل النار، وعيوهم، أو الزمهرير، ويحتمل أن قوله: "لا يذوقون" حال من ضمير "لابثين"، أو صفة "أحقابًا" على أن ضمير فيها للأحقاب، وحاصله: لابثين فيها أحقابًا غير ذائقين إلا حميمًا، وغساقا، وبعد ذلك يبدلون جنسًا آخر من العذاب، ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم، أو موافقًا لها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ﴾: لا يخافون، ﴿حِسَاباً﴾: ولا يؤمنون بيوم الدين، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾: تكذيبًا، وفعال بمعنى تفعيل شائع مطرد، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾: في الإحصاء، والكتابة معنى الضبط، والتحصيل، فيكون كتابًا مفعولا مطلقًا من أحصينا، لأن أحصى بمعنى كتب، أو بالعكس، وجاز أن يكون حالا بمعنى المكتوب في اللوح، ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم: ذوقوا،وهو مسبب عن عدم الخوف عن الحساب، وتكذيب الآيات، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾، عن بعض السلف: لم يترل على أهل النار آية أشد من هذه.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾

= أحقابا"، وقوله: "إلا ما شاء ربك"، أنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة/ ١٢ در منثور.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾: محل فوز، أو فوزًا وظفرًا بالبغية، **﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾**: بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة، سيما العنب، بدل اشتمال، أو بعض من مفازًا، **﴿وَكَوَاعِبَ﴾**: نساءً استدارت ثديهن، **﴿أَتْرَاباً[١]﴾**: مستويات في السن، **﴿وَكَأْساً دِهَاقاً[٢]﴾**: مملوة، **﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً﴾**: كلامًا خاليًا عن الفائدة، **﴿وَلاَ كِذَّاباً[٣]﴾**: تكذيبًا أي: لا يكذب بعضهم بعضًا، **﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾**، بمقتضى وعده، نصب بمصدر مؤكد لقوله: "إن للمتقين مفازا"، **﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾** أي: تفضلا كافيًا[٤]، بدل من جزاء[٥]، **﴿رَبِّ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾**، بالجر بدل من "ربك"، وبالرفع مبتدأ، **﴿الرَّحْمَنِ﴾**، بالجر صفة، وبالرفع مع رفع "رب"، فيكون خبرًا له، ومع جره فتقديره: هو الرحمن[٦] أو مبتدأ خبره قوله: **﴿لاَ يَمْلِكُونَ﴾** أي: أهل السماوات،

---

(١) جمع تِرب بكسر التاء، وسكون الراء/١٢.

(٢) من دهق الحوض: ملأه/١٢.

(٣) والمعنى: إن هؤلاء السعداء، لا يسمعون كلامهم المشوش الباطل الفاسد، والحاصل أن النعم الواصلة إليهم تكون خالية عن زحمة أعدائهم، وعن سماع كلامهم الفاسد، وأقوالهم الكاذبة الباطلة/١٢ كبير.

(٤) من أحسبه الشيء: إذا كفاه/١٢ منه.

(٥) لا أنه مفعول به لجزاء؛ لأن المصدر المؤكد لا يعمل بلا خلاف من النحاة، كذا في البحر/١٢ وجيز.

(٦) يعني فيه ثلاث قراءات رفع "رب" بعد رفع "الرحمن"، وجره مع جره، وجره مع رفعه/١٢ منه.

والأرض، ﴿مِنْهُ﴾: من الله، ﴿خِطَاباً[1]﴾، فمنه صلة يملكون، أي: لا يُمّلكهم الله خطابًا واحدًا، إشارة إلى أن مبدأ الملك منه، نعم إن أُذِنَ لهم فيقدرون على تكلّمه وخطابه، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ[2]﴾، هو بنو آدم[3]، أو خلق أعظم من الملائكة على صورة البشر، أو جبريل، أو أشرف الملائكة يعني صاحب الوحي، أو القرآن أو ملك بقدر جميع المخلوقات، هو صَف، وسائر الخلائق صف، ﴿وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً﴾ أي: صافين، ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ[4] إِلاَّ مَنْ أَذِنَ[5] لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، ويوم ظرف لا يملكون، أو لا يتكلمون، وفيه تقرير، وتوكيد لقوله: "لا يملكون منه خطابًا"، فإن الملائكة مع أنهم من

---

(١) ولما ذكر أن أحدًا من الخلق لا يمكنه أن يخاطب الله في شيء، أو يطالبه بشيء قرر هذا المعنى، وأكده، فقال: ﴿يوم يقوم الروح﴾ الآية/١٢ كبير.

(٢) أخرج مسلم وأبو داود، والنسائي، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عائشة -رضي الله عنها- إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: "سبوح قدوس رب الملائكة والروح"/١٢در منثور.

(٣) قوله: هو بنو آدم.. إلخ، هذا قول ابن عباس، والحسن، وقال قتادة: هذا ما كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يكتمه، والثاني: قول مجاهد وأبي صالح، والأعمش، ونقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أيضًا، والثالث: قول الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك، والرابع: قول مقاتل ابن حيان، والخامس: قول ابن زيد، والسادس: قول ابن مسعود/١٢منه.

(٤) وذلك؛ لأن الملائكة أعظم المخلوقات قدرًا ورتبة، وأكثرهم قدرة ومكانة، فبين أنهم لايتكلمون في موقف القيامة إجلالا لربهم، وخوفًا منه، وخضوعًا له، فكيف حال غيرهم/١٢ كبير.

(٥) تقريرًا، وتأكيدًا لقوله: "لا يملكون"، فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق، وأقربهم من الله، إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابًا، كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم/١٢ بيضاوي.

أفضل الخلائق مقربون غير عاصين إذا لم يقدروا أن يتكلموا إلا بإذنه فكيف غيرهم؟ ﴿وَقَالَ صَوَاباً﴾ أي: للتكلم شرطان: الإذن، والتكلم بالصواب، فلا يشفع مثلا لغير المستحق، أو له شرطان: الإذن والتكلم بالصواب في الدنيا، فالكافر لا يتكلم يعني كلامًا ينفعهم، أو ينفع غيرهم، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ[1]﴾: الكائن لا محالة، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾: مرجعًا بالطاعة، وأنواع القربات، ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾: عذاب الآخرة، وكل ما هو آت قريب، مع أن مبدأه الموت، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من خير وشر، والمرء عامّ، وقيل: الكافر، والمراد مما قدمت يداه الشر، وما إما موصولة مفعول "ينظر"، وإما استفهامية مفعول "قدمت"، قُدِّمت لصدارتها، و"يوم" بدل من "عذابًا" بحذف مضاف، أي: عذاب يوم، أو بدل اشتمال فلا يحتاج إلى تقدير، أو صفة أخرى لعذابًا، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾: في هذا اليوم، وفي الحديث "يود ذلك حين يحكم[2] الله بين الحيوانات، حتى ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم قال لها كوني، ترابًا، فتصير الحيوانات ترابًا فعند ذلك يتمنى الكافر، ويتمنى أن يكون في الدنيا ترابًا، فلم أخلق، و لم أكلف"(*).

والحمد لله على الإسلام.

---

(١) أي: الثابت الكائن/١٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي/١٢.

(*) وفي نسخة، "فلم يخلق و لم يكلف".

سورة النازعات مكية

وهي ست وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشۡطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبۡحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبۡقًا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أقسم سبحانه بالملائكة التي تترع[1] أرواح الكفار، ﴿غَرْقًا﴾: إغراقًا في الترع، فإنها تترعها من أقاصي الأجساد من الأنامل والأظفار بعسر وشدة، أو المراد النجوم التي تترع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها قطع الفلك كله حتى تنحط في

(١) هذا قول ابن عباس وابن مسعود –رضي الله عنهم– وغيرهما من السلف/١٢منه.

أقصى الغرب، أو المراد قسي الغزاة تنزع السهام إغراقًا في النزع، والأصح الأول، وهو قول أكثر الصحابة، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: الملائكة التي تنشط، أي تخرج أرواح المؤمنين، كما ينشط العقال من يد البعير بسهولة، أو النجوم التي تخرج من برج إلى آخر، أو الغزاة تخرج السهم للرمي، ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾: الملائكة التي تسبح في مضيها، وتسرع في قضاء الحوائج، أو السيارات، فكل في فلك يسبحون، أو خيل الغزاة تسبح في جريها، أو السفن[1]، ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾: الملائكة[2] التي سبقت ابن آدم بالإيمان والأعمال، أو أرواح المؤمنين تسبق شوقًا إلى لقاء الله، أو النجوم تسبق بعضها بعضًا في السير، أو خيل الغزاة، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة التي تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها، والسلف ما اختلفوا في هذا الأخير، و لم ينقل عنهم إلا قول واحد، وجواب القسم محذوف، وهو مثل "لتبعثن" وما بعده يدل عليه، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ أي: تضطرب، وتتحرك الواقعة التي ترجف عندها الأجرام، كيوم ترجف الأرض، والجبال، وهي النفخة الأولى، ويوم ظرف لجواب القسم المحذوف، ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، والجملة حال، وفي الترمذي وغيره "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا ذهب ثلث الليل، قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه[*]"، ﴿قُلُوبٌ﴾، مبتدأ خصص بتنكير التنويع، ﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: شديدة الاضطراب خائفة، ﴿أَبْصَارُهَا﴾ أي: أبصار أصحابها، ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة من الخوف، ﴿يَقُولُونَ﴾ مستأنفة للتعليل، كأنه قال: لأنهم يقولون في الدنيا: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى: أي: الحياة بعد الموت، يقال: رجع في حافرته، أي: من

---

(١) فإنها تجري في كف الله سبحانه كما ورد في الحديث/ ١٢وجيز.

(٢) قاله علي -رضي الله عنه- ومسروق وغيرهما/١٢منه.

(*) وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٩٩٩).

حيث جاء، وعن مجاهد: أئنا لمردودون إلى الحياة حال كوننا في الحافرة أي القـــبرة، ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ أي: أئذا كنا عظامًا بالية تردوا، المحذوف عامل إذا، ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: ذات خسران، يعني: إن صحت فنحن إذا خاسرون، وهـــذا منهم استهزاء، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، هذا قول الله أي: لا تستصعبوها فما هي إلا صيحة، والمراد النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ[1]﴾ أي: فإذا الناس أحيـــاء على وجه الأرض، والساهرة: الأرض المستوية، وعن قتادة: هي جهنم، ﴿هَلْ أَتَـــاكَ حَدِيثُ[2] مُوسَى﴾، وهذا تسلية من الله لرسوله، ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَـــدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي على الأصح، كما مر في سورة طه، ﴿اذْهَبْ﴾، أي: قـــال لـــه اذهب، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾: تكبر وتمرد، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّـــى[3]﴾: أي هل لك ميل، ورغبة إلى أن تتطهر من الشرك، والطغيان، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى معرفته[4]، ﴿فَتَخْشَى[5]﴾: من عقابه، ﴿فَأَرَاهُ[6]﴾ أي: فذهب فبلغ فأراه، ﴿الْآيَةَ

---

(١) ولما أقسم بأن البعث حق، واتبعه إنكارهم، أعقب تسلية قلب محمد -صلى الله عليـــه وسلم- بحكاية موسى وفرعون وانتقام الله منه، فقال: ﴿هل أتاك حديـــث موســـى﴾ الآية/١٢وجيز.

(٢) توقيف لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على جمع الناس لاستماع الحكاية/١٢.

(٣) تلطف في الاستدعاء، فإن كل عاقل له رغبة في التحلي بالفضـــائل، والتطـــهر عـــن الرذائل/١٢.

(٤) والوصول إلى عنايته ووصاله/١٢وجيز.

(٥) الخشية: ملاك الأمر/١٢وجيز.

(٦) هذه الفاء هي الفصيحة لإفصاحها عن كلام محذوف، يعني فذهب، فقال له ما قال مما حكاه الله في غير موضع، وأجاب عليه بما أجاب، إلى أن قال: "إن كنت جئت بآيـــة =

﴿الْكُبْرَى﴾ أي: المعجزة الكبرى، ﴿فَكَذَّبَ﴾: بأنها من الله، ﴿وَعَصَى﴾: الله، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: أعرض عن الطاعة، ﴿يَسْعَى﴾: ساعيًا في الفساد، وإبطال أمره، ﴿فَحَشَرَ﴾: جمع جنوده، ﴿فَنَادَى﴾، في المجمع، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾: لا رب فوقي، قيل: هم يعبدون الأصنام، فأراد ربها وربكم، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: نكال الآخرة بالإحراق ونكال الدار الدنيا بالإغراق، وعن مجاهد نكال الكلمة الآخرة، وهي قوله "أنا ربكم الأعلى" ونكال الكلمة الأولى، وهي قوله: "ما علمت لكم من إله غيري" (القصص:٣٨)، وبينهما أربعون سنة، ونصب نكال، بأنه مصدر مؤكد أو مفعول له، أي: للتنكيل فيهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾: لمن كان من شأنه الخشية.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ

= فأت بها" (الأعراف:١٠٦)، فعند ذلك أراه الآية الكبرى، واختلف فيها ما هي، فقيل: العصا، وقيل: يده، وقيل: فلق البحر، وقيل: هي جميع ما جاء به من الآيات التسع، والأول أولى، ثم اليد، والأكثرون على أنه أراهما له، وأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحادها معنى، أو أراد بالكبرى العصا وحدها، لأنها كانت مقدمة على الأخرى، ولا ينافي هذا قوله في الآية الأخرى: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ وكل آياته كبرى، لأن الإخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته إياه، وهو العصا واليد، ثم أردف ذلك برؤية الكل، ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته، فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع، إنما ظهر على يده -عليه السلام- بعدما غلب السحرة، على مهل في نحو من عشرين سنة/١٢فتح.

وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿**أَأَنْتُمْ**[1]﴾: يا منكري البعث، ﴿**أَشَدُّ**﴾: أصعب، ﴿**خَلْقًا**﴾، بعد الموت، ﴿**أَمِ السَّمَاءُ**﴾ ثم بين كيفية خلقها فقال: ﴿**بَنَاهَا**﴾، ثم بين البناء فقال: ﴿**رَفَعَ سَمْكَهَا**﴾: جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدًا رفيعًا، ﴿**فَسَوَّاهَا**﴾: عدلها مستوية بلا فطور، أو تممها وأصلحها، من سويت أمره إذا أصلحته، ﴿**وَأَغْطَشَ**﴾: أظلم، ﴿**لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾: أبرز ضوء شمسها، أضاف الليل والنهار إلى السماء، لأنهما يحدثان بحركتها، ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾: بسطها، خلق الأرض قبل السماء لكن دحوها بعدها، نقل ذلك عن ابن عباس، وفيه إشكال لأن الدحو هو البسط، وخلقُ الجبال، والأنهار، والمراعي، كما صرح ابن عباس، وقد مر في سورة "حم" السجدة أن ذلك مقدم على خلق السماء، ويدل على ذلك صريح الآية في تلك السورة، وأيضًا كثير من الصحابة صرحوا بأن خلق نفس الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماء في الخميس والجمعة، قيل: فالوجه أن يجعل الأرض منصوبًا بمضمر، نحو تذكر وتدبر، أو اذكر الأرض بعد ذلك

---

(١) ولما تم مجمل أمره، وقف من هو على دينه في إنكار البعث بقدرته التامة، فقال: "أأنتم" الآية/١٢ وجيز.

وإن جعل مضمرًا على شريطة التفسير، جعل بعد ذلك إشارة إلى المذكور سابقًا، من ذكر خلق السماء لا خلق السماء نفسه، ليدل على أنه متأخر في الذكر عن خلق السماء، تنبيهًا على أنه قاصر في الدلالة عن الأول، لكنه تتميم، ولو قلنا: إن "ثم" في قوله "ثم استوى إلى السماء" في سورة حم السجدة، لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة، ويكون دحو الأرض بعد خلق السماء، لما يبقى مخالفة بين الآيتين، لكن مخالف لإطباق أهل التفسير، ثم خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام، ثم خلق السماء وما فيها في يومين، إلا ما نقل الواحدي في البسيط، عن مقاتل: أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها، وعلى أي وجه لا يخلو عن إشكال فلا تغفل، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾: عيونها، ترك العطف لأنه حال بتقدير[1] "قد" أو بيان للدحو وهو المراد منه، ﴿وَمَرْعَاهَا﴾: رعيها، الرعي بالكسر: الكلاء، وبالفتح: المصدر، والمرعى يقع عليهما، وعلى الموضع، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾: أثبتها حتى لا يتحرك، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعًا، ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾: الداهية، التي تطم[2] وتعلو وتغلب على الدواهي، ﴿الْكُبْرَى﴾: وهي القيامة، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾: ما عمل في الدنيا، وقد نسيها بدل من إذا جاءت، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى[3]﴾: أظهرت لمن له عين، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾: تمرد، ﴿وَآثَرَ[4]﴾

---

(١) في البحر إنه حال، ولهذا ترك العطف، وعند الأخفش: إن الماضي يقع حالا من غير احتياج إلى تقدير/١٢وجيز.

(٢) قاله المبرد، وقال مجاهد،وغيره: هو من طم السيل الركية، أي: دفنها، والطم: الدفن/ ١٢فتح.

(٣) أي: أظهرت النار المحرقة إظهارًا بينًا مكشوفًا، لا يخفى على أحد، والظاهر أنها تبرز لكل راء، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمت الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمًا إلى غمه وحسرة إلى حسرته/١٢فتح.

(٤) أي: قدمها على الآخرة باتباع الشهوات المحرمات، ولم يستعد لها ولا عمل عملها/١٢فتح.

﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، على الآخرة، **﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾** أي: هي مأواه واللام ساد مسد الإضافة للعلم به،**﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾** ، أي : مقامه بين يديه في الآخرة ، **﴿وَنَهَى النَّفْسَ[1] عَنِ الْهَوَى﴾**: زجرها عن اتباع شهوتها ، **﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾** ، وجواب فإذا جاءت هو قوله : "فأما" كأنه قال: فإذا جاءت ، فإن الطاغي للجحيم مأواه ، وإن الخائف للجنة مأواه ، وزيادة إما لزيادة المبالغة ، وتحقيق الترتيب ، والثبوت على كل تقدير ، أو جوابه محذوف كأنه قال: فإذا جاءت وقع ما وقع ، وقوله، "فأما" تفصيل لذلك المحذوف ، **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾** : متى ، **﴿مُرْسَاهَا﴾**: إرساءها وإقامتها ، **﴿فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾**: في أي شيء أنت يا محمد، من أن تذكر وقتها لهم ، يعني ما أنت من تبيين وقتها في شيء ، وقيل: تتمة لسؤالهم ، أي : سألوا متى وقتها؟ وفي أي شيء أنت من ذكرها؟ أي : هل لك يقين أو ظن أو جهل؟ والجواب قوله: **﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾** ، أي : منتهى علمها إلى الله وحده ، **﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾** ، لا مُعين وقتها ، **﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾**: في الدنيا ، وقيل: في القبر ، **﴿إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾** ، أي : ضحى تلك[2] العشية يعني : استقصروا مدة لبثهم في الدنيا كأنها لم تبلغ يومًا كاملاً ، ولكن ساعة منه إما عشية أو ضحاه كما تقول آتيك العشية أو غداها.

والحمد لله حق حمده .

---

(١) قال مقاتل : هو الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر مقامه للحساب فيتركها ، والهوى : ميل النفس إلى شهواتها / ١٢ فتح .

(٢) والإضافة تكون بأدنى ملابسة ، ولما كانتا من يوم واحد، كان بينهما ملابسة مصححة لإضافة إحداهما إلى الأخرى / ١٢ فتح .

سورة عبس مكية

وهي اثنتان وأربعون آية وفيها ركوع واحد وكذا إلى آخره(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦

(*) أي كل سورة ستأتي ستكون ركوعا بذاتها.

لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى[1]﴾: أعرض ، ﴿أَن جَاءَهُ﴾ ، أي : لأن جاءه ، ﴿الأَعْمَى﴾ ، نزلت حين جاء عبد الله بن أم مكتوم النبيَّ -عليه السلام-، وكان ممن أسلم قديمًا، فجعل يسأل عن شيء ويلح ، وهو عليه السلام يخاطب بعض عظماء قريش طمعًا في إسلامهم ، فعبس في وجه عبد الله وأعرض عنه ، وهو ضرير ، وأقبل عليهم ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ، أيّ شيء يجعلك دارياً بحال هذا الأعمى ، ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ، يتطهر من الآثام بما يتعلم منك ، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ ، ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ ، وينتهي عن المحارم، ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾: عن الله بماله ، ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾: تتعرض له بالإقبال، ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾: بأس وضرر ، ﴿أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ ، في ألاَّ يتزكى بالإسلام ، فلم أعرضت عنه وتعرضت له ؟! ، ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى﴾: يسرع ، هو ابن أم مكتوم ، ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾: الله ، ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾: تتشاغل ، نقل أنه عليه السلام بعد

---

(١) قد أجمع المفسرون، على أن سبب نزول الآية، أن قومًا من أشراف قريش كانوا عند النبي -صلى الله عليه وسلم، وقد طمع في إسلامهم فأقبل عبد الله بن أم مكتوم ، فكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه ، فأعرض عنه ، فنزلت ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، ويقول : أترى بما أقول بأسًا؟ ، فيقول: لا ، ففي هذا نزلت ، أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن المنذر وابن حبان والحاكم ، وصححه ، وابن مردويه / ١٢ فتح .

ذلك يكرمه ، ويقول إذا جاءه: "مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي " واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين ، ﴿كَلاَّ﴾(*) ، ردع عن معاودة مثله ، ﴿إِنَّهَا﴾: القرآن ، وتأنيثه لتأنيث الخبر ، ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾: اتعظ به ، أو حفظه ، أو أن الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم تذكرة، فمن شاء ذكره ، ﴿فِي صُحُفٍ﴾ ، أي : هو مثبت في صحف ، أو صفة لتذكرة ، ﴿مُّكَرَّمَةٍ ﴾ ، عند الله ، ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: رفيعة القدر ، ﴿مُّطَهَّرَةٍ ﴾: من أيادى الشياطين ، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١)﴾ ، ملائكة هم الرسل، والسفير هو الرسول ، ﴿كِرَامٍ﴾ ، على الله ، ﴿بَرَرَةٍ﴾: أتقياء ، ولعل الصحف ما بأيدي الملائكة، ينتسخون القرآن من اللوح المحفوظ، حين يتزلونه إلى السماء الدنيا ، أو المراد من السفرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القراء ، والسفرة: الكتبة ، فالمراد من الصحف ما بأيدي الناس من المصاحف والألواح(**) ، ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (٢) ﴾: ما أشد كفره ، دعاء على من أنكر البعث بأبلغ

(*) وتسمى في اللغة؛ حرف ردع وزجر.

(١) جمع سافر، ككتبة، وكاتب قال ابن عباس : سفرة :كتبة ، وقال : هم بالنبطية القراء ، والمعنى :إنها بأيدي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد ، وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذي يقرأ القرآن ، وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران) ، وعن وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن وقتادة : هم القراء / ١٢ منه، مع شيء من الفتح .

(**) في الأصل: ألواح.

(٢) لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين، عجب عباده المؤمنين من ذلك ، فكأنه قيل : وأي سبب في هذا العجب ، والترفع منه مع أن أوله نطفة قذرة ، وآخره جيفة مذرة ، وفيما بين الوقتين حمال عذرة ، فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجًا لعجبهم / ١٢ كبير .

وجه وأشده ، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾: شيء حقير مهين ، ﴿خَلَقَهُ ﴾ ، بيان لما أنعم عليه ، ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ ، أطوارًا إلى أن تم خلقته ، أو هيأه لما يصلح من الأشكال، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ ، إلى الخروج من بطن[1] أمه ، ﴿يَسَّرَهُ ﴾ ، أو الطريق إلى الحق ذلل له نحو: " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورًا " (الإنسان:٣)، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أمره بالقبر ، أو صير له قبرًا يدفن فيه ، و لم يجعله ممن يلقى كالسباع تكرمة له ، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾: أحياه بعد موته ، ﴿كَلاَّ﴾ ، ردع للإنسان عن الكفر ، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ ، أي : لم يقض الإنسان أبدًا ما أمره الله من الفرائض، وفي البخاري عن مجاهد (لا يقضي أحد ما أمره به)، أي : جميع ما كان عليه ، فإن الإنسان لا ينفك عن تقصير ، وقيل معناه: كلا إن القيامة توجد الآن ، لأنه لم يقض ، و لم ينفذ ما أمره الله ، وقدره من مدة حياة الدنيا وكمية بني آدم، فكأنه ردع لاستعجالهم بقولهم " أيان يوم القيامة "(القيامة.٦) ، ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، فيه امتنان واستدلال بإحياء الأرض على البعث ، ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾: المطر ، وقراءة (أنا) بالفتح على بدل الاشتمال من طعامه ، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴾ ، بالنبات ، ويحتمل أن يكون المراد الشق بالكراب على البقر ، وأسند الفعل إلى الموجد، والمقرر أن إسناد الفعل حقيقة لمن قام به لا لمن صدر عنه إيجادًا ، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرض ، ﴿حَبًّا﴾ ، كالحنطة ، ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾: القتّ ، فإنه يقطع ، ويقضب مرة بعد أخرى[2] ، أو مطلق علف الدواب ، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾: عظامًا

---

(١) قالوا : إنه كان رأس المولود في بطن أمه من فوق ، ورجلاه من تحت ، فإذا جاء وقت الخروج انقلب، فمن ذا الذي أعطاه ذلك الإلهام إلا الله ، ومما يؤكد هذا التأويل أن خروجه حيًا من ذلك المنفذ الضيق، من أعجب العجائب / ١٢ كبير .

(٢) أي : يقطع في السنة الواحدة مرات / ١٢ وجيز .

لكثرة أشجارها واتساعها ، أو عظم أشجارها وغلظها ، ﴿وَفَاكِهَةً[1] وَأَبًّا ﴾: مرعى من علف الدواب ، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعًا ، ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾: اسم من أسماء القيامة ، صخه: ضرب أذنه، فأصمها سميت صيحة القيامة بها، لأنه تصخ الآذان من شدتها ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ ، بدل من إذا جاءت ، ﴿مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ ، حذرًا من أن يطلب منه حسنة من حسناته، لعله ينجو بها، أو لاشتغاله بشأن نفسه ، أو حذرًا من مطالبتهم في التبعات ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ، يكفيه في الاهتمام به ، ويشغله عن غيره ، وهو جواب "إذا جاءت" وفي الحديث (إن عائشة سألت ، أينظر بعضنا عورة بعض ؟ حين قال عليه السلام: يحشرون حفاة عراة غرلاً ، فقال : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه[*]، أو قال : ما يشغله عن النظر) ، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾: مضيئة ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾: فرحة بما نال من كرامة الله ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: كُدُورة، ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشاها ، ﴿قَتَرَةٌ ﴾: سواد ، وظلمة ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ، وكان جمع الغبرة إلى سواد الوجه لجمعهم الفجور إلى الكفر.

اللهم لا تحشرنا بحق القرآن فيهم .

---

(١) كالتين ، والتفاح / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٦٧) وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" حسن صحيح.

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾: جمع بعضها إلى بعض ، فتُلَفّ، أو أظلمت ، أو أذهبت ومحيت ، أو ألقيت في جهنم ، والأولى أن يكون رافع الشمس فعلاً مضمرًا يفسره ما

بعده لأن :"إذا" طالب[١] للفعل ، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ[٢]﴾: تناثرت ، وتساقطت من السماء إلى الأرض ، أو تغيرت فلم يبق لها ضوء ، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ، عن وجه الأرض ، أو سيرت في الهواء ، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾: الحوامل من الإبل التي وصلت في حملها إلى الشهر العاشر ، وهي خيار الأموال عند العرب ، ﴿عُطِّلَتْ﴾: تركت وسيبت ، أو العشار: السحاب عطلت عن المطر ، أو المراد: الأرض، التي تُعَشَّر، عُطّلت عن الزرع ، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ، جمعت، فاختلط الناس والدواب والطيور ، وماج بعضها في بعض ، أو بعثت ليقتص بعضها[٣] من بعض ، أو أميتت، عن ابن عباس :حشر كل شيء الموت سوى الجن والإنس ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ[٤]﴾: أوقدت فصارت ناراً ، وعن كثير من السلف : يرسل

---

(١) وعند الأخفش والكوفيين: يجيء الجملة الاسمية بعد إذا، (فإذا الشمس كورت) مبتدأ وخبر/١٢ وجيز .

(٢) يقال: انكدرت الطير ، أي : سقطت عن عشها / ١٢ منه .

(٣) قال الشهاب في ريحانة الألباء : وهاهنا أمر نفيس نمحو به السيئات ، وبحث عظيم نحيي به عظام الرفات ، وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى وتنشر ، ويقتص بعضها من بعض ، فأكثر أهل الحديث والسنة والأصول على أنه كذلك ، لوجوده في القرآن في قوله تعالى : "وإذا الوحوش حشرت"، وأقوال سيدنا ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- في خبر القصاص يوم القيامة "يؤخذ للجماء من القرناء"/ ١٢فتح.

(٤) عن أبي العالية قال : ست من آيات هذه السورة في الدنيا ، والناس ينظرون إليها وست في الآخرة، (إذا الشمس كورت) إلى (وإذا البحار سجرت) هذه في الدنيا ، والناس ينظرون إليها ، (وإذا النفوس زوجت) إلى (وإذا الجنة أزلفت) هذه في الآخرة أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر هذا في الفتح ، وقال الرازي تحت هذه الآية يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا ويمكن وقوعها أيضًا بعد قيام القيامة وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين مختصة بالقيامة / ١٢ .

الله على البحر الدبور، فتسعرها فتصير نارًا ، أو ملئت، وفجر بعضها إلى بعض، فتصير الكل بحرًا واحدًا أو ييبست فلم يبق فيها قطرة ماء ، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾: بالأبدان ، أو قرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله ، أي : الأمثال من الناس بينهم ، أو نفوس المؤمنين بالحور العين ، ونفوس الكافرين بالشياطين ، أو قرنت نفس الصالح مع الصالح في الجنة ، ونفس الطالح مع الطالح في النار ، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾: البنات المدفونة حية ، ﴿سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ، وسؤالها لتوبيخ قاتلها ، وتبكيته كتبكيت النصارى بسؤال "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين"(المائدة:١١٦) ، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾: صحائف الأعمال ، ﴿نُشِرَتْ﴾ ، للحساب ، فإنها كانت مطوية، أو فرقت بين أصحابها ، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾: كشفت وأزيلت كما يكشف الغطاء عن الشيء ، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾: أوقدت شديدًا ، ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾: قربت من المؤمنين ، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ ، من خير وشر ، وهو جواب إذا، والمراد زمان ممتد من النفخة الأولى، وهي زمان التكوين إلى آخر الموقف، ونفس في معنى العموم كتمرة خير من جرادة ، وقيل معناه: علمت نفس كافرة ما أحضرت ، فالتنوين للتنويع ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ ، خَنَسَ: تأخر ، واختفى ، وخنس الكواكب: رجع ، ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ ، الجواري: السيارة ، يقال كنس الوحش إذا دخل كناسه، عن علي وغيره رضي الله عنهم: هي النجوم تخنس بالنهار ، وتكنس بالليل ، أي : تطلع في أماكنها ، أو المراد السيارات منها، سوى النيرين تجرى معهما ، أو ترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس ، أو المراد الوحش تأوى إلى كناسها، وعليه ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ[1] ﴾: أقبل ظلامه ، أو أدبر ، والأول أولى لقوله تعالي : "والضحى والليل إذا سجى"

---

(١) ذكر أهل اللغة: أن عسعس من الأضداد ، يقال : عسعس الليل إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر / ١٢ كبير .

(الضحى:٢،١)، "والليل إذا يغشى" (الليل:١) والتحقيق أن الواو للعطف، والظرف في مثل هذه الموضع معمول مضاف مقدر، أي : وبعظمة الليل إذا ، فإن الإقسام بالشيء إعظام له، كما صرح الزمخشرى في "لا أقسم بيوم القيامة" (القيامة:١) لا أنه معمول لفعل القسم لفساد المعنى، إذ ليس المراد أن إقسامه في الليل ، وفي الصبح، أو إذا بدل كأنه قيل: والليل وقت غشيانه ، ومثل هذا الشائع ، **﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾**: إذا أضاء ، **﴿إِنَّهُ﴾**: القرآن ، **﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ[1] كَرِيمٍ﴾**: جبريل ، قال عن الله ،

---

(١) قال ابن تيمية في بعض فتاواه : في كلام الرب جل جلاله وإن احتج محتج بقوله : " وإنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين " قيل له: قال في الآية الأخرى: " إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون " (الحاقة:٤٢،٤٠)فالرسول في هذه الآية جبريل ، والرسول في الأخرى محمد، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه إضافة إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث ، ولهذا قال: " لقول رسول " ، ولم يقل ملك ، ولا نبي ، ولا ريب أن الرسول بلغه كما قال : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " (المائدة:٦٧)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموسم و يقول : " ألا رحل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) ، ولما أنزل الله : " الم غلبت الروم " (الروم:٢،١)، خرج أبو بكر الصديق ، فقرأها على الناس فقالوا : هذا كلامك أم كلام صاحبك؟ فقال: ليس بكلامي ، ولا كلام صاحبي ، ولكنه كلام الله ، وإن احتج بقوله "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" ، قيل له: هذه الآية حجة عليك فإنه لما قال : "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" علم أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث، لأن النكرة إذا وصفت مُيِّزَ بها بين الموصوف وغيره، كما لو قال: ما يأتيني من رحل مسلم إلا أكرمته، وما أكل إلا طعامًا حلالاً، ونحو ذلك، ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقولـه الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديدًا، فإن الله كان ينـزل القرآن شيئًا =

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾: شديد القوى ، ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: ذى مكانة ، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾: في السماوات بين الملأ الأعلى ، فإنه من سادة الملائكة ، ﴿أَمِينٍ﴾ ، على الوحي والأمر ، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: محمد عليه السلام ، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ ، كما زعمتم، وهذا أيضًا من جواب القسم ، والكلام مسوق لحقيقة المترل، ليدل على صدق ما فيه من أهوال القيامة ، ووصف الآتي بالقول يؤيد ذلك ، ويشد عضده ، وأما وصف من أنزل عليه فلا مدخل[1] له في هذا الغرض الذي هو حقية القرآن، ولذا وصف جبريل، واكتفى في وصف محمد عليهما السلام بنفي الجنون المزعوم المنافي لأن يكون صاحبه ممن أنزل عليه، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: محمدٌ جبريلَ على صورته[*]، ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: هو

= بعد شيء، فالمترل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المترل آخرًا ، وكلما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال : "كالعرجون القديم" (يس:٣٩)، وقال : " تالله إنك لفي ضلالك القديم " (يوسف:٩٥)، وقال : " إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم " (الأحقاف:١١)، وقال : " أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون " (الشعراء:٧٦)، وكذلك قوله : " جعلناه قرآنًا عربيًا " لم يقل جعلناه فقط حتى يظن أنه بمعنى خلقناه ، ولكن قال : " جعلناه قرآنًا عربيًا " (الزخرف:٣)، أي : صيرناه عربيًا لأنه قد كان قادرًا على أن يترله أعجميًا ، ونزله عربيًا فلما أنزله عربيًا، كأن قد جعله عربيًا دون عجمي ، وهذه المسألة في أصول أهل الإيمان والسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم ، والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع، والله أعلم / ١٢ .

(١) هذا رد الزمخشري حيث قال : وناهيك بهذا دليلاً على مبائنة مترلة جبريل علا بمترلة أفضل الإنس محمد عليه السلام، إذا وازنت بين الذكرين حين فرقت بينهما وقايست بين قول إنه لقول رسول الله ، وبين قوله : " وما صاحبكم بمجنون "١٢/ منه .

(*) أي رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على هيئته التي خلق عليها. والحديث في البخاري.

الأفق الأعلى من ناحية المشرق ، ﴿وَمَا هُوَ﴾: محمد ، ﴿عَلَى الغَيْبِ﴾: على كل ما اطلع عليه مما كان غائبًا عنه ، ﴿بِضَنِين ﴾: بمتهم ، ومن قرأ بالضاد فمعناه ليس ببخيل عليه ، بل يبذله لكل أحد ويعلمه ، ﴿وَمَا هُوَ﴾: القرآن ، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ ، فليس بشعر ، ولا كهانة وسحر ، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ ، هذا يقال لمن ضل الطريق، مثلت حالهم بحاله في عدولهم عنه إلى الباطل ، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾: عظة ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: لجميع الخلائق ، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ ، على الطريق الحق، بدل من العالمين فإن بالقرآن لم ينتفع إلا من أراد الاستقامة فكأنه لم يوعظ به غيره ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ ، الاستقامة ، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، ﴿رَبُّ العَالَمِينَ ﴾: مالك الخلق، عن سفيان[1] الثوري : لما نزلت " لمن شاء منكم أن يستقيم " قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله : " وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين " .

---

(١) وهكذا روى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أبي هريرة / ١٢ .

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ[1]﴾: انشقت ، ﴿وَإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾: تساقطت ، ﴿وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾: فتح بعضها إلى بعض، فصارت بحرًا واحدً ، أو فتحت مجاريها فيذهب ماؤها فلا يبقي بحر ، ﴿وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب

(١) أخرج النسائي عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء فطول، (فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفتان أنت يا معاذ؟ أين أنت عن "سبح اسم ربك" ، "والضحى" ، "وإذا السماء انفطرت" وأصل الحديث في الصحيحين ولكن بدون ذكر "إذا السماء انفطرت" ، وقد تفرد بها النسائي / ١٢ فتح .[أخرجه النسائي في "تفسيره"]

ترابها[1]، وبعث من فيها من الموتى أحياء ، **﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ[2] وَأَخَّرَتْ﴾**، جواب إذا، ومعناه ما مر في سورة لا أقسم ، **﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾** ، أيّ شيء جرأك على عصيان من لطف بك حتى قابلت الطاعة بالمعاصى ، وما عرفت أن الكرم يقتضى عدم التسوية بين المطيع والعاصى ، عن ابن عباس وغيرهما: غره والله جهله ، **﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾**: جعل أعضاءك سليمة مسواة ، **﴿فَعَدَلَكَ ﴾**: صيرك معتدلاً متناسبة الخلق ، وقراءة التخفيف إما بمعنى التشديد ، وإما بمعنى عدلك وصرفك عن صورة غيرك ، وخلقك خلقة حسنة لا كالبهائم ، **﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾**: ركبك في أي صورة شاء ، فما زائدة، في الحديث[3] (إن

---

(١) يقال : بعثر يبعثر بعثرة: إذا قلب التراب ، ويقال: بعثر المتاع: قلبه ظهراً لبطن ، وبعثرت الحوض وبحثرته: إذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله ، قال الرازي : المراد من هذه الآيات أنه إذا وقعت هذه الأشياء، التي هي أشراط الساعات فهناك يحصل الحشر والنشر، وهي هاهنا أربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات ، واثنان يتعلقان بالسفليات ، والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا، وانقطاع التكاليف، والسماء كالسقف ، والأرض كالبناء ، ومن أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف ، ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ، ثم بعد تخريب السماء والكواكب، يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار ، ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات ، وأشار إلى ذلك بقوله : " وإذا القبور بعثرت " ، ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال : " علمت نفس " الآية / ١٢ فتح .

(٢) أي : ما قدمت من عمل خيراً وشرًا، وأخرت من سنة حسنة ، أو سيئة، لأن لها أجر ما سنه من السنن الحسنة ، وأجر من عمل بها، كما في الحديث ، ولما أخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر ما يدل عقلاً على وقوعه فقال : " يا أيها الإنسان ما غرك " الآية/١٢ فتح .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ، والطبراني في أثناء حديث مطول/١٢ منه .

النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ، ثم قرأ "في أي صورة ما شاء ركبك") ، وعن عكرمة وغيره : إن شاء في صورة كلب ، أوخنزير ، لكن بلطف الله خلقه في شكل حسن ، ﴿كَلاَّ﴾ ، ردع عن الاغترار بالرب الكريم ، ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ ، إضراب إلى بيان حقيقة ما هو السبب في الاغترار والدين: والجزاء ، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾: ملائكة كرامًا على الله يكتبون الأعمال ، والأقوال ، وكرامًا صفة لحافظين ، ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ[1]﴾ ، فالجزاء ثابت محقق ، وأنتم تكذّبون به ، ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، يعني: لأجل ذلك يكتبون ، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ، ﴿يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾: قط بعد دخولها ، بل هم مخلدون فيها ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ، فيه تعجيب وتعظيم لشأنه ، أي : لا يدرى كنهه أحد ، وإن تأمله مرات ، ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا يقدر أحد على نفع أحد ، ولا على ضره ، وقراءة "يوم" بالرفع فعلى البدل من يوم الدين ، أو هو يوم لا تملك ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: وحده لا كما ملكهم في الدنيا بعض الأمور ظاهرًا .

---

(١) وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال : ما أشدها من آية على الغافلين / ١٢ فتح .

سورة التطفيف مختلف فيها

وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى
سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم
مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ
كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾
يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾
تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ
مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟
فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ

حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، التطفيف: البخس ، والنقص في الكيل والوزن ، وعن[1] ابن عباس: لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة كانوا من أخبث[2] الناس كيلاً ، فأنزل الله، فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: يكتالون حقوقهم من الناس ، ﴿يَسْتَوْفُونَ ﴾: يأخذونها وافية ، ولما كان اكتيالهم منهم أخذ حق عليهم عداه بعلى ، قال الفراء : من وعلي يعتقبان في هذا الموضع ، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ ، أي : كالوا هم ، ﴿أَو وَزَنُوهُمْ﴾ ، أي : لهم، فهو من باب حذف الجار وإيصال الفعل ، قيل: فيه حذف المضاف ، أي : كالوا مكيلهم وموزونهم ، ﴿يُخْسِرُونَ ﴾: ينقصون ، وهؤلاء كأن عادتهم في أخذ حقهم من الناس الكيل دون الميزان لتمكنهم الاكتيال من الاستيفاء والسرقة بتحريك المكيال ونحوه ليسعه ، وأما إذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعًا ، ولذا ما ذكر الوزن في الأول ، ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ ، فإن الظن بالبعث رادع عن مثل تلك القبائح ، ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: لعظم[3] ما فيه ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ ، منصوب بأعني ، أو معوثون ، أو بدل من الجار والمجرور ، ﴿لِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾: لحكمه ، ﴿كَلاَّ﴾ ، ردع عن الغفلة عن البعث ، وعن التطفيف ، ﴿إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ﴾: الذي فيه

---

(١) أخرجه ابن مردويه ، والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح/١٢ فتح .

(٢) وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدًا أو يدفع إلى غيره ناقصًا قليلاً/١٢ فتح .

(٣) يعني : وصف اليوم بالعظم لعظم ما فيه / ١٢ منه .

أعمالهم ، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾: هي أرض السابعة، السفلى[١] فيها الشياطين ، وأرواح الكفار ، وهي صخرة تحت الأرض السابعة أو بئر في جهنم ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ[٢]﴾ ، لعظمه وغاية قباحته ، ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ، من المفسرين من جعله خبرًا ثانيًا لقوله : " إن كتاب الفجار " أو خبر محذوف ، أي : هو يعني كتاب الفجار كتاب مرقوم مسطور بَيّن مفروغ عنه ، ومنهم من قال: السجين: كتاب جامع هو ديوان الشر فيه أعمال الأشرار ، وهو كتاب مرقوم ، وسمي الكتاب سجينًا الذي هو الحبس ، والتضييق، لأنه سبب الحبس في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش[٣]، هو مسكن إبليس وجنوده استهانة ، وليشهده الشيطان ، وقيل: كتاب ، أي : موضع كتاب بحذف المضاف ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن الحد ، ﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في الحرمات ، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ﴾ ، من فرط الجهل والعناد ، ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ كَلاَّ﴾ ، ردع عن هذا القول ، ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ، أي : ليس الأمر كما يقوله من أن ذلك أساطير الأولين ، بل كثرة ارتكابهم الآثام، صارت سببًا لحصول الرين في قلوبهم ، ولهذا تفوه بهذه المقال ،

---

(١) هذا قول عبد الله بن عمر ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقد نقل فيه حديث ، والقول الثاني قول الكلبي ، ونقل عن مجاهد أيضاً ، والثالث نقل فيه حديث غريب منكر/١٢ منه .

(٢) عن الزجاج: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ، ولا قومك / ١٢ منه .

(٣) وهذا ظاهر القرآن لكن قول كثير من السلف ، وقد نقل فيه حديث لا بأس به أن السجّين اسم للأرض السابعة، أو لصخرة تحتها فيها الشياطين ، وأرواح الكفار، وعلى هذا توجيه القرآن أن قوله : "كتاب مرقوم" خبر ثان لقوله : "إن كتاب الفجار" ، وقوله: "وما أدراك ما سجين " معترضة بين الخبرين، أو تقديره : هو كتاب مرقوم ، ومرجع هو كتاب الفجار أو التقدير موضع كتاب مرقوم ، فحذف المضاف لعلم من يعلم معني السجّين به/ ١٢ وجيز .

وكذب به ، وفي الحديث[١] (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلوا قلبه ، وذاك الران الذي ذكره الله في القرآن "كلا بل ران") ، ولفظ الترمذي والنسائي ، وابن ماجة (إن العبد) بدل إن المؤمن ، وعن كثير من السلف: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت، والرين: الصدأ ، ﴿**كَلاَّ**﴾ ، ردع عن الكسب الراين ، ﴿**إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾: فلا يرونه ، أو عن رحمته وكرامته ، ﴿**ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ**﴾: ليدخلوها ، ﴿**ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ كَلاَّ**﴾ ، ردع عن التكذيب ، أو تكرير للأول ، ﴿**إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾ ، عن كثير من السلف: هي السماء السابع ، وفيها أرواح المؤمنين ، أو لوح من زبرجد خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه ، أو قائمة العرش اليمنى ، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ**﴾ ، الكلام فيه ما مر في نظيره بعينه ، ﴿**يَشْهَدُهُ**[٢] **الْمُقَرَّبُونَ**﴾: يحضره من كل سماء مقربوها ، ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿**عَلَى الأَرَائِكِ**﴾: على السرر في الحجال ، ﴿**يَنظُرُونَ**﴾: إلى ملكهم ونعيمهم ، أو إلى الله، أو إلى عدوهم كيف يعذبون ، ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾: بهجة التنعم ورونقه ، ﴿**يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ**[٣]﴾: خمر خالص ، ﴿**مَّخْتُومٍ**﴾: يختم أوانيه إكرامًا لهم كعادة الملوك ، ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾: مقطعه[٤] عن الفم ، وآخره مسك ، أو تختم[٥] الأواني

---

(١) روى الحديث ابن جرير ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهذه العبارة التي نقلنا هي في مسند الإمام أحمد / ١٢ منه .

(٢) وهذا التفسير الإلهي يغني عن تفاسير الخلق / ١٢ فتح .

(٣) الرحيق من أسماء الخمر ، قاله ابن مسعود ، وغيره من السلف / ١٢ .

(٤) المقطع النهاية / ١٢ .

(٥) والحاصل أن المختوم ، والختام إما أن يكون من ختام الشيء وهو آخره، أو من ختم الشيء ، وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الأشياء بالطين ونحوه / ١٢ فتح .

بالمسك مكان الطين ، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ**﴾: فليرتغب ، ﴿**الْمُتَنَافِسُونَ**[١]﴾: المرتغبون ، وفي الحديث المرفوع: (أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة ماء على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم) ، ﴿**وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ**﴾ ، أي : تمزج تلك الخمر للأبرار من تسنيم ، هو عين في الجنة ، ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾: صرفًا ، وتمزج للأبرار ، ونصب عينًا على المدح ، أو الحال ، والكلام في بها كما مر في سورة " هل أتى على الإنسان" ، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا**﴾: كفار قريش ، ﴿**كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾: يستهزءون بفقراء المؤمنين ، ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾: يشير بعضهم بعضًا بأعينهم استهزاء ، ﴿**وَإِذَا انقَلَبُوا**﴾: رجعوا أي: هؤلاء المجرمون ، ﴿**إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ**﴾: ملتذين بالسخرية ، ﴿**وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ**﴾ ، نسب المجرمون المؤمنين إلى الضلال ، ﴿**وَمَا أُرْسِلُوا**﴾ ، قال الله تعالى : وما أرسل المجرمون ، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾: على المؤمنين ، ﴿**حَافِظِينَ**﴾ ، لأعمالهم، شاهدين برشدهم وضلالهم ، ﴿**فَالْيَوْمَ**﴾ ، أي : القيامة ، ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**﴾ ، في مقابلة ما ضحكوا بهم في الدنيا ، ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ**﴾ ، إليهم في النار ، أو إلى الله، حال من يضحكون، ﴿**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ**﴾: هل جوزوا ، ﴿**مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ ، من السخرية ، وغيرها.

والحمد لله وحده .

---

(١) وأصل التنافس: التشاجر على الشيء ، والتنازع فيه، بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه، يقال : نفست الشيء عليه نفاسة ، أي : ضننت به ، ولم أحب أن يصير إليه ، قال البغوي : أصله من الشيء النفيس، الذي تحرص عليه نفوس الناس، فيريده كل واحد لنفسه ، وينفس به على غيره أي : يضن به / ١٢ فتح .

سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ۝٢٥﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، عن علي رضي الله عنه (تنشق من المجرة[1]) ، **﴿وَأَذِنَتْ**

(١) المجرة: منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة، لا يميزها البصر، فيراها كبقعة بيضاء يقال لها بالفارسية كبكشاي.

﴿لِرَبِّهَا﴾: سمعت[1] له في أمره بالانشقاق، وأطاعت وانقادت ، ﴿وَحُقَّتْ﴾ ، وهي حقيقة بأن تستمع وتنقاد ، ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾: مد الأديم ، وبسطت فلم يبق فيها جبال ، وبناء ، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: ما في بطنها من الأموات والكنوز ، ﴿وَتَخَلَّتْ ﴾: بلغ جهده في الخلو، حتى لا يبقى في باطنها شيء ، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ ، تكرار للأول ، أو أذنت في الإلقاء والتخلية ، وجواب إذا محذوف، يدل عليه ما بعده ، ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ ، أي : جاهد بالعمل إليه ساعٍ فملاقٍ لربك فيجازيك ، أو فملاق لكدحك ويصل إليك جزاؤه ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ، أي : سهلاً بلا تعسير ، وفي الصحيحين عن عائشة: قال عليه السلام: (من نوقش الحساب عذب) ، قالت : فقلت أليس الله يقول : " فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا"؟ ، قال : ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) وفي غيرهما عنها قالت : قال عليه السلام : (إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبًا ، فقلت) الحديث ، إلخ ، ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾: في الجنة من الحور ، والآدميات ، ﴿مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ[2] ظَهْرِهِ ﴾ ، يثنى شماله إلى ورائه ، ويعطى كتابه بها ، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾: هلاكًا يقول : يا ثبوراه ، ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾:

---

(١) إنها أطاعته في الانشقاق ، ولم تأب ، ولم تمتنع مشتق من الأذن وهو الاستماع للشيء، والإصغاء إليه، وحق لها أن تطيع ، وتنقاد ، وتسمع ، وقد استعمل الأذن في الاستماع في أشعار العرب وفي الحديث (ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن) قال الشاعر :

صم إذ سمعوا خيرًا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذن

(٢) نقل أنه تغل يداه إلى عنقه ، ويجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله وراء ظهره/١٢ منه .

يدخل النار ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾: في الدنيا ، ﴿مَسْرُورًا﴾ ، باتباع هواه ، وبدنياه ليس له هم الآخرة ، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: لن يرجع إلى الله ، ﴿بَلَى﴾: يرجع إلى الله ، ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾: عالمًا بأعماله ، فيعيده ويجازيه ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ[1]﴾: الحمرة بعد الغروب ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: البياض الذي يلي الحمرة ، وعن مجاهد: النهار كله ، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع ، وضم من دابة وغيرها ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: استوى وتم بدرًا ، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة بعد الموت ، أو حالاً بعد حال من مثل الصغر والكبر ، والهرم ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، أو لتركبن ما طابق سنن من كان قبلكم ، وفي الحديث (لتركبن سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) ، والظاهر أن "لتركبن" بالضم على خطاب الجنس ، فإن النداء له ، وبالفتح على خطاب الإنسان في " يا أيها الإنسان " باعتبار اللفظ ، وعن بعض[2] من السلف: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ، أي : ليلة المعراج ، أو درجة بعد درجة في الرتبة ، وكان منشأ هذا قول ابن عباس كما بيناه في

---

(١) والشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة، قال الواحدي : هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعًا ، قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق ، وكان أحمر ، وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء ، وقال أسد بن عمرو وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه: إنه البياض ، ولا وجه لهذا القول ، ولا متمسَّك له، لا من لغة العرب، ولا من الشرع ، قال في الصحاح: الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب العتمة ، وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا / ١٢ فتح .

(٢) هو الشعبي ، وروى عن ابن مسعود ، ومسروق ، وأبي العالية / ١٢ منه .

الحاشية[1] ، و"عن طبق" صفة ل"لطبقًا" ، أي : طبقًا مجاوز الطبق ، أو حال من ضمير تركبن، أي مجاوزين لطبق ، **﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾**: بالقيامة ، **﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ ﴾**: إعظامًا[2] وإكرامًا ، **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾**: به، مكان السجود والخضوع ، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾**: بما يضمرون في أنفسهم ، **﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** ، الاستثناء منقطع، وقيل متصل ، أي : إلا من تاب وآمن منهم ، **﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾**: غير مقطوع ، أو منقوص ، ولله المنة[3] على أهل الجنة في كل حال دائمًا سرمدًا .

والحمد لله حق حمده ، والصلاة على نبيه

---

(١) في البخاري عن ابن عباس: (لتركبن طبقًا عن طبق)، حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم، وعن ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه: (لتركبن طبقًا عن طبق) ، قال : يعني نبيكم حالاً بعد حال هذا لفظه ، ثم اعلم أن هذه العبارة يحتمل أن مراده أن هذا التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون قول (نبيكم) مرفوعًا على أنه فاعل ، قال : وهو الأظهر ، ويحتمل أن يكون مراده أن النبي عليه السلام ليركبن حالاً بعد حال فيكون رفع نبيكم بخبرية هذا ، هذا هو المتبادر إلى كثير من الرواة/١٢ منه .

(٢) إعظامًا وإكرامًا للقرآن ، أي :لا يتواضعون، تعجَّب من انتفاء إيمانهم، وقد وضحت الدلائل/١٢ .

(٣) هذا رد لمن قال : معناه غير ممنون عليهم كما فسره القاضي أيضًا / ١٢ منه .

سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ[1]﴾: النجوم العظام، أو هي البروج الاثني عشر، أو

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق) أخرجه أحمد، وعن جابر بن سمرة:=

البروج التي فيها الحرس ، ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: القيامة ، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ ، اختلفوا فيه ، والحديث المرسل والضعيف على أنها يوم جمعة ، وعرفة ، وعليه كثير من السلف ، أو الشاهد محمد ، والمشهود: القيامة ، أو الجمعة ، أو الله، أوهما ابن آدم ، والقيامة ، أو ابن آدم ، والجمعة ، أو عرفة ، والقيامة ، أو يوم الذبح وعرفة ، أو الله والخلف، أو عكسه، أو أعضاء بني آدم وبنو آدم، والجمعة والنحر، أو آدم والقيامة، أو الملك والقيامة، أو الملك وبنو آدم، أو هذه الأمة وسائر الأمم، أو الله والقيامة ، ﴿قُتِلَ﴾: لعن ، ﴿أَصْحَابُ[1] الْأُخْدُودِ﴾ ، الأظهر أن جواب القسم محذوف ،

= (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق ، والسماء ذات البروج) أخرجه أحمد والدارمي، وأبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي وغيرهم / ١٢ فتح .

(١) أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم والترمذي، والنسائي، والطبراني عن صهيب (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال له ذلك الكاهن: انظروا لي غلامًا فهمًا -أو قال: فطنًا لقنا- فأعلمه علمي، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه، قال: فنظروا له على ما وصف، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن، وأن يختلف إليه، فجعل الغلام يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة، فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال إنما أعبد الله، فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطئ على الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام: إنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك: أين كنت؟ فقل: عند أهلي، وإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ فأخبرهم: إني كنت عند الكاهن، فبينما الغلام على ذلك، إذ مر بجماعة من الناس كثير، قد حبستهم دابة، يقال: إنها كانت أسدًا، فأخذ الغلام حجرًا فقال: اللهم إن كان ما يقول ذلك الراهب حقًا فأسألك أن أقتل هذه الدابة، وإن كان ما يقول الكاهن حقًا فأسألك أن لا أقتلها، ثم رمى، فقتل الدابة فقال الناس: من قتلها ؟ قالوا: الغلام، ففزع الناس إليه، وقالوا: قد علم هذا الغلام علمًا =

وهذا دليله كأنه قال : إنهم ، أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود ، وقيل: تقديره لقد قتل[1] أصحاب الأخدود ، وهو جواب القسم ، والأخدود: الشق

= لم يعلمه أحد، فسمع أعمى فجاءه فقال له : إن أنت رددت علي بصري فلك كذا وكذا ، فقال الغلام : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك ؟ قال : نعم ، فدعا الله فرد عليه بصره ، فآمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم ، فبعث إليهم، فأتي بهم، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويتردون حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع الغلام، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر ، فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر، فأغرق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك: إنك لن تقتلني حتى تصلبني ، وترميني ، وتقول إذا رميتني : بسم الله رب الغلام ، فأمر به فصلب ، ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام ، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ، ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علمًا ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب هذا الغلام ، فقيل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك، قال : فخد أخدودًا ثم ألقى فيها الحطب والنار ، ثم جمع الناس، فقال : من رجع عن دينه تركناه ،، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار ، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود، فقال : يقول الله : " قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود " حتى بلغ " العزيز الحميد " فأما الغلام فإنه دفن ، ثم أخرج فيذكر أنه خرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه، كما وضع حين قتل ، ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف، وقد رواها مسلم في أواخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب / ١٢ فتح .

(١) والجواب يشير إلى أن من فعل مثل فعلهم من أذى المسلمين، ليفتنوهم عن دينهم ملعونون مطرودون، فإنهم آذوا بعض المؤمنين لأن آمنوا / ١٢ وجيز .

في الأرض ، واختلف فيهم، لكن اتفقت كلمتهم على أن بعض الكفرة عمدوا إلى بعض المؤمنين عشرين ألفًا أو أقل أو أكثر، من أهل فارس ، أو اليمن ، أو الحبشة أو نجران أو الشام ، وقهروهم أن يرجعوا إلى الكفر فأبوا، فحفروا لهم في الأرض أخاديد، وأججوا فيها نيرانًا ، وأوعدوهم عليها فلم يقبلوا الكفر فقذفوهم فيها لعنهم الله ، ورحمهم الله(*) ، ﴿النَّارِ﴾ ، بدل اشتمال من الأخدود ، ﴿ذَاتِ الوَقُودِ ﴾ ، صفة تبين عظمتها ، أي : لها كثرة ما يرتفع به لهبها ، ﴿إِذْ هُمْ﴾: الكفار ، ﴿عَلَيْهَا﴾: على حافة النار ، ﴿قُعُودٌ ﴾ ، يعذبون المؤمنين ، ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾: مشاهدون لهذا التعذيب الأليم ، أو يشهد بعضهم لبعض عند أميرهم وملكهم بأنه لم يقصر فيما أمر به ، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: ما عابوا ، وما كرهوا ، ﴿مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ ، ما هو حقيق بأن يكون سببًا للثناء ، والألفة جعلوه سببًا للعيب والكراهة ، ﴿العَزِيزِ الحَمِيدِ(١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ، وصفه بصفات توجب الإيمان به وحده ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ، بالإحراق ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا(٢)﴾ ، لم يندموا عما

(*) أي : لعن الله القاذف ، ورحم المقذوف في النار من هؤلاء القوم (أصحاب الأخدود) .

(١) وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما في قوله :

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم ... يسلوا عن الأهل والأوطان والحشم

وقول الآخر :

ولا عيب فيها غير شكلة عينها ... كذاك عتاق الطير شكلاً عيونها

وقول الآخر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

١٢/فتح .

(٢) عن الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة / ١٢ .

أسلفوا ، ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ، لكفرهم ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ، العذاب الزائد في الإحراق بما أحرقوا المؤمنين ، وعن بعض[1] لهم عذاب الحريق في الدنيا ، وذلك لأن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم[2] ، أو المراد الذين بلوهم بالأذى على العموم لا أن المراد أصحاب الأخدود خاصة للفاتنين عذابان لكفرهم ، ولفتنتهم ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ، المراد منهم المطروحون في الأخاديد ، أو أعم ، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ ، أخذه بالعنف لأعدائه ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ ، مضاعف ، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ ، الخلق، ﴿وَيُعِيدُ﴾ ، بعد الموت ، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ ، للمؤمنين ، ﴿الْوَدُودُ﴾ ، المحب لهم ، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، مالكه ، ﴿الْمَجِيدُ﴾ ، العظيم في الذات ، والصفات ، وقراءة الكسر على صفة العرش فمعناه علوه وسعته ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ[3]﴾ ، لا يزاحمه أحد ، ولا شيء ، ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ ، يا محمد ، ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ، هما بدل من الجنود ، والمراد من فرعون هو وقومه ، وهذا تقرير لقوله : "إن بطش ربك لشديد"، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قومك يا محمد ، ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ ، للقرآن ، ولك أيُّ تكذيب ، فلا يعتبرون بسماع قصة من قبلهم ، ومعنى (بل) الإضراب عن الأمر بالإسماع ، والتذكير، كأنه قال: ذكّر قومك بشدة بطش ربك ، وأسمعهم حكاية فرعون و ثمود لعلهم يتعظوا به ، بل هم في تكذيب عظيم لا يمكن لهم الارتداع ، والاتعاظ ، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ، ﴿بَلْ هُوَ﴾: بل هذا الذي كذبوا به ، ﴿قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾: عظيم في اللفظ والمعنى ، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ،

---

(١) هو ربيع بن أنس والكلبي / ١٢ منه .

(٢) حكاه جمع من السلف / ١٢ وجيز .

(٣) لما هدد قريشًا بأصحاب الأخدود، هددهم ثانيًا بفرعون ، وقومه فقال : (هل أتاك) الآية / ١٢ وجيز .

بالرفع صفة القرآن ، أي : محفوظ من الزيادة ، والنقصان ، وبالجر صفة اللوح ، وعن أنس بن مالك وغيره: إن هذا اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل ، وعن مقاتل : هو عن يمين العرش ، وفي الطبراني ، قال عليه السلام: (إن الله قد خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء وصفحاتها من ياقوت حمراء قلمه نور ، وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ، ويميت ، ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء"[*].

(*) أخرجه الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنه- كما في "ابن كثير" (٤/٤٩٧) و"الدر المنثور" (٦/٥٥٨).

سورة الطارق مكية
وهي سبع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: الكوكب ، وسماه طارقًا لأنه يظهر في الليل ، فالطارق: الآتي ليلاً **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾**: المضيء ، أو الذي يثقب الشياطين إذا أرسل إليها ، والمراد الجنس ، وقيل: الثريا ، أو زحل عبر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بعدما عظّم شأنه تعظيمًا على تعظيم **﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾**: ما كل نفس إلا عليها حافظ يحفظ عملها ، أو يحفظها من الآفات ، وقراءة "لما" بالتخفيف ، فتقديره: إن الشأن كل نفس لعليها ، فما صلة ، وهو جواب القسم على الوجهين **﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾**: يتفكر في مبدأ خلقه ليعترف بصحة الإعادة، فلا يعمل ما يضره في عاقبته، لأن عليه حافظًا يحفظ أعماله ، أو لما لطف عليه بأن وكَّل عليه حافظًا يحفظه من الآفات ، فليتأمل هو في مبدأ خلقه ليعترف بإعادته ، فلا يكون منكرًا لقول ربه ، ولما أرسل لأجله المرسلين **﴿خُلِقَ﴾**

جواب الاستفهام ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ[١]﴾: ذى دفق كتامرٍ ولابنٍ، أو مدفوق: مصبوب، وهو الممتزج من ماء الرجل والمرأة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾: صلب الرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾: ترائب المرأة، وهي عظام صدرها ﴿إِنَّهُ[٢] عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي: إن الله الذي خلق الإنسان من ماء كذا، القادر على رجعه، وإعادته بعد موته. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: تتميز، وتتعرف ما أُسِرَّ في القلوب من العقائد، وما أُخْفي من الأعمال، ظرف لرجعه، والفاصل غير أجنبي، لأنه عامل، أو تفسير للعامل على المذهبين، أو معناه: إن الله لقادر على رجع الماء إلى مخرجه[٣]، ثم قال اذكر يوم تبلى السرائر ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ[٤]﴾: يمنعه عن عقاب أراده الله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ[٥]﴾: المطر، سماه به، لأنه يرجع حينًا فحينًا، قيل: وصف السماء بالرجع لأنه يرجع في كل دورة إلى ما كان يتحرك منه ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: الشق بالنبات، والعيون ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: فاصل بين الحق والباطل

---

(١) والدفق: دفع الماء بعضه بعضًا، فصح أن الماء دافق بعضه، ومدفوق بعضه، الممتزج من مني الرجل، والمرأة، ولذا لم يقل من ماءين، لاتحادهما بعد المزج في الرحم/١٢ وجيز.

(٢) الضمير للخالق الدال عليه خُلِقَ / ١٢ وجيز.

(٣) وعليه كثير من السلف / ١٢ وجيز.

(٤) أي: ما للإنسان من قوة من جانب نفسه، ولا ناصر من جانب غيره، يدفع عقاب الله إن أراده، لما أقسم على أن لكل نفس حافظ لأعماله، ورتب عليها إثبات البعث، أعقبه بإقسام على إثبات حقية القرآن الناطق بالبعث، فقال: " والسماء ذات الرجع " الآية / ١٢ وجيز.

(٥) قيل: العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض/١٢ منه.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾: فإنه جد وحق كله ﴿إِنَّهُمْ﴾ أهل مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْـــدًا ﴾ في إطفاء نور القرآن ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أقابلهم بما يشبه الكيد في استدراجي لهم ﴿فَمَـهِّلِ الكَافِرِينَ﴾: فلا تستعجل بإهلاكهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾: إمهالاً يسيرًا، كرر وخالف بين الفعلين[1] لزيادة التسكين، والتصبير.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) يعني: مهل وأمهل ، وإنما دلت المخالفة على الزيادة من الإشعار بالتغاير، فهو أوكـــد من مجرد التكرار، كما قالوا في حديث: بكّر وابتكر / ١٢ وجيز .

سورة الأعلى مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

﴿**سَبِّحِ اسْمَ[1] رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ أي : نزه ذاته الذي هو أعلى من أن يقاس بغيره فالاسم مقحم ، والأعلى صفة لربك، أو نزه أسماءه عمَّالاً يصح فيه من المعاني ،

---

(١) نزه ذاته الذي هو أعلى من أن يقاس بغيره، فالاسم مقحم للتعظيم ، ولما نزل قال صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم) كما رواه أبو داود وابن ماجه والدارمي ، فجعل فيه سبحان ربي الأعلى بترك لفظ الاسم في سجودهم فالحديث دال على إقحامه / ١٢ وجيز . [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه"]

والأعلى إما صفة للاسم ، أو للرب ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّى﴾: خلقه ، ولم يأت به متفاوتًا غير ملتئم ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ[١]﴾: الأشياء على وجه معين ﴿فَهَدَى﴾: فوجهها إليه ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ﴾ من الأرض ﴿الْمَرْعَى ﴾: ما يرعاه الدواب ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد خضرته ﴿غُثَاءً﴾: يابسًا ﴿أَحْوَى[٢] ﴾ أسود ، وقيل: أحوى حال من المرعى ، أي : من شدة الخضرة أسود ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ على لسان جبريل ، أو سنجعلك قارئًا ﴿فَلاَ تَنسَى﴾ فهذا وعد من الله ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ نسيانه بأن نسخ[٣] تلاوته ، أو إلا ما شاء الله لكن لم يشأ، وعن مجاهد وغيره، كان عليه السلام يستعجل بالقراءة قبل إتمام قراءة جبريل مخافة النسيان ، فنزل هذا الوعد فلم ينس بعد ذلك شيئًا ، وقيل: نفي بمعنى النهي ، أو نهي ، والألف للفاصلة نحو : السبيلا، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾: ما ظهر من الأحوال وما بطن ، فلا يفعل إلا ما فيه الحكمة البالغة ، ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ ، عطف على سنقرئك ، أي : نُعدّلك ﴿لِلْيُسْرَى ﴾: للشريعة اليسرى السمحة ، أو نسهل عليك أفعال الخير ، وقيل: معناه إنه يعلم الجهر مما تقرأه بعد فراغ جبريل ، وما يخفى مما تقرأه في نفسك معه مخافة النسيان ، ثم وعده وقال ، نيسرك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى[٤] ﴾: عظ بالقرآن إن

---

(١) أي : قدر لكل شيء ما يصلحه فهداه إليه ، وعرفه وجه الانتفاع / ١٢ منه .

(٢) أي : أسود حال من المرعى، أخر لكونه في فاصلة لأن النبات في حال اليبس يصير أصفر لا أسود ، ولما أمره بالتسبيح لمن رباه، أعقبه بما هو عين تربية الرسول في رسالته فقال : " سنقرئك " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) وعلى هذا النفي بمعناه المتبادر لا أنه بمعنى النهى / ١٢ وجيز .

(٤) أي : ذكر بالقرآن، إن رأيت أن التذكير نافع ، وهذا القيد والشرط لتوبيخ قريش وتقريعهم ومعناه استبعاد انتفاعهم به .

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا   ولكن لا حياة لمن تنادي

وجيز .

نفعت التذكير، قال علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وحاصله إن كنت جربت أن الموعظة لا تنفع فلا تتعب نفسك ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: يتعظ ، وينتفع بها ﴿مَن يَخْشَى﴾: الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ، أي : الذكرى ، ويتباعد عنها ﴿الأَشْقَى﴾ من الكفرة لتوغله في الكفر والعناد ، أو المراد من الأشقى الكافر في علم الله ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى﴾: نار جهنم، فإنها أشد حرًّا من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلاَ يَحْيَى[1]﴾: حياة يجد منها روح الحياة، فهذا للكافر ، وأما المذنب ففي صحيح مسلم وغيره (إن أناسًا دخلوا النار بخطاياهم يموتون في النار ، فيصيرون فحمًا ، ثم يخرجون فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم منها ، فينبتون كالحبة في حميل السيل) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾: تطهر نفسه من الكفر والمعصية ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّى﴾: الصلوات الخمس نحو : " أقم الصلوة لذكري " (طه:١٤)، وعن كثير من السلف المراد من أعطى صدقة الفطر[2] فصلى العيد ، وعلى هذا يكون النزول سابقًا على الحكم ، لأن السورة مكية ، و لم يكن بمكة عيد ولا فطر كما قالوا في قوله : " وأنت حل بهذا البلد"(البلد:٢) كما سيجيء ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾: تختارون ﴿الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عن ابن مسعود قال : حين وصل إلى هذه الآية ، آثرناها لأنا رأينا زينتها ، ونساءها ، وطعامها ، وشرابها ، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل ، وجاز أن يكون

---

(١) يعني: حياة يجد منها روحًا ، وسنذكر أن الصّلى لا يكون إلا للكافر ، وأما المؤمن الذي يدخل النار، مدة أرادها الله لتطهيره فيموتون في النار ، ويصير كالجمرة فلا يجدون ألم النار ، ثم يلقون على نهر من الجنة فينبتون كالحبة من حميل السيل ، كما في صحيح مسلم وغيره ، وأما الموت الذي فيها فهو موت حقيقي أو غشي يعدم إحساس العذاب، فيه خلاف / ١٢ وجيز .

(٢) هو المنقول عن علي وعمر بن عبد العزيز وأبي الأحوص / ١٢ منه .

الخطاب للأشْقَيْنَ على الالتفات ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا﴾ عن كثير من السلف : الإشارة إلى أربع آيات متقدمة من قوله : " قد أفلح من تزكى " ، وعن بعض منهم : الإشارة إلى جميع السورة ﴿لَفِي الصُّحُفِ[1] الأُولَى﴾: الكتب السماوية المتقدمة ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ بدل من الصحف الأولى ، وفي مسند الإمام أحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة.

الحمد لله رب العالمين .

(١) لم تنسخ في شرع من الشرائع، هذا كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن من كلام النبوة الأولى، (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)" / ١٢ وجيز .

سورة الغاشية(١) مكية

وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾

---

(١) أخرج أحمد ، ومسلم ، وأهل السلف عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ، وفي الجمعة سبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا ، وفي لفظ (وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما) / ١٢ فتح .

﴿هَلْ[١] أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾: القيامة، لأنها تغشى الناس بشدائدها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾: ذليلة ﴿عَامِلَةٌ﴾: في النار، كالصعود والهبوط مع جر السلاسل فيها ﴿نَّاصِبَةٌ﴾: تتعب في ذلك العمل ، أو عملت وتعبت في أعمالٍ في الدنيا لا تنفع في الآخرة على غير طريقة السنة[٢] أو عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها، فهي في نصب منها في الآخرة ﴿تَصْلَى﴾: تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً ﴾: متناهية في الحر ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾: انتهى غليانها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾: هو اليابس من الشِّبْرِق ، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا فإذا يبس صار سمًّا قاتلاً ، ويكون الضريع طعام هؤلاء ، والزقوم وغيره[٣] طعام غيرهم ، أو في بعض الأحوال ليس طعام الكل إلا هذا ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ وفائدة الطعام أحد الأمرين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾: ذات بهجة ﴿لِسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ[٤] ﴾ في الآخرة، لما رأت ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾: المحل ، أو القدر ﴿لاَ تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب ، أو الوجوه ﴿فِيهَا لاغِيَةً ﴾: لغوًا ، أو كلمة ذات لغو ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ التنكير للتعظيم ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾: رفيعة السمك إذا أراد أن[٥] يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترفع ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الكوب : إناء لا عروة له ﴿مَّوْضُوعَةٌ ﴾ بين أيديهم ﴿وَنَمَارِقُ[٦]﴾: وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ ﴾: بعضها بجنب بعض ﴿وَزَرَابِيُّ[٧]﴾: بسط

---

(١) وفي هذا الاستفهام تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر / ١٢ .

(٢) هذا قول عكرمة ، والسدي / ١٢ منه .

(٣) فلا مخالفة بين هذه الآية ، وبين قوله : " ولا طعام إلا من غسلين " (الحاقة:٣٦)/ ١٢ منه.

(٤) في الآخرة تقابلها "عاملة ناصبة" على التفسير الثاني وهذا يؤيده، والمفسرون غفلوا عنه/١٢ وجيز .

(٥) هكذا قال كثير من السلف / ١٢ منه .

(٦) ففي أي : مكان يريد يمكن الاستناد ، والاتكاء من غير احتياج إلى نقل الوسائد/١٢ وجيز.

(٧) مبسوطة مهيأة للجلوس عليها لا تبلى، ولا تغير، ولما وصف الجنة بما وصف بعد أن ذم جهنم، ذكر للمكذبين صنعه ليستدلوا به، فقال: "أفلا ينظرون إلى الإبل" الآية/١٢ وجيز .

فاخرة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ لما كذب الكفار عجائب الجنة التي ذكرها الله في تلك السورة ، فذكرهم الله صنعه ، والإبل أغرب حيوان وأنفعه عند العرب ، ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ بلا عمد ﴿وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾: راسخة لا تميل لئلا تميد الأرض بأهلها ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ[1]﴾: بسطت، نبه العرب في بواديهم بما يشاهد من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسماء الذي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على كمال قدرة خالِقه ، فلا تنكر الجنة ونعيمها ، والبعث وأهوالها ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ما عليك إلا البلاغ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾: بمتسلط فتكرههم على الإيمان ﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾: لكن من تولى وكفر ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ﴾: عذاب جهنم ، أو الاستثناء متصل أي : فذكرهم إلا من انقطع طمعك من إيمانه نحو : " فذكر إن نفعت الذكرى " (الأعلى:٩)، وقيل: لست بمتسلط عليهم إلا على من تولى ، فإن جهادهم وقتلهم تسلط ، وعلى هذا يكون وعدًا برخصة القتال ، فإن السورة مكية ، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا[2] حِسَابَهُمْ ﴾ ، في المحشر ، وتقديم الخبر للتخصيص والتشديد في الوعيد.

والحمد لله المجيد الفعال لما يريد

---

(١) ولما حضهم على النظر أمر بالتذكير فقال : " فذكر " لا يَهْتَمَّنَّكَ كونهم لا ينظرون "إنما أنت مذكر" / ١٢ وجيز .

(٢) ولفظ "علينا" دال على تحتم الحساب / ١٢ وجيز .

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ

إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم سبحانه بالصبح ، أو بصبح يوم[١] النحر ، أو بصلاة الفجر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي[٢] الحجة ، أو العشر الأول من المحرم ، أو من رمضان ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ يوم النحر شفع لأنه عاشر ، ويوم عرفة وتر لأنه تاسع ، أو اليومان من أيام التشريق ، والوتر اليوم الثالث ، أو الصلاة المكتوبة منها شفع ، ومنها وتر، أو الخلق والله ، والقول[٣] فيهما أكثر لكن الذي أوردناه ما اتفق عليه أكثر السلف والثلاث الأول منقول بالحديث أيضًا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إذا يمضي ، أو إذا يُسْرَى فيه كقولهم صلَّى المقامُ ، والمراد ليلة المزدلفة، أو مطلق الليالي ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾: المقسم به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾: مقسم به ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾: عقل ،

(١) هذا هو الذي عليه كلام أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) وقد ورد في فضل هذه العشر أحاديث ، وليس فيها ما يدل على أنها المرادة بما في القرآن هنا بوجه من الوجوه / ١٢ فتح .

(٣) وفي الفتح بعد نقل الأقوال الكثيرة ، ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين ، والضعف الظاهر ، والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطئ ، والذي ينبغي التعويل عليه ، ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب ، وهما معروفان واضحان ، فالشفع عند العرب: الزوج ، والوتر : الفرد ، فالمراد بالآية إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه من المعدودات، بأنه شفع أو وتر ، وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية ، فإن كان الدليل يدل على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك ، وإن كان الدليل يدل على أنه مما دلته هذه الآية، لم يكن ذلك مانعًا من تناولها لغيره ، ولم يجزم ابن جرير بشيء من الأقوال في الشفع والوتر / ١٢ .

فالاستفهام للدلالة على استحقاقها، لأن يعظم بالإقسام بها فيدل على تعظيم المقسم عليه ، وتأكيده من طريق الكناية ، أو في ذلك القسم قسم له، فللدلالة على أن ذوى العقول يؤكدون بمثله المقسم، فيدل على تأكيد القسم عليه أيضًا ، وجواب القسم محذوف نحو : ليعذبن إن لم يؤمنوا، ويدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ أي : عاد الأولى ، يعني أولاده سموا باسم أبيهم ، وهم الذين بعث الله فيهم هودًا فكذبوه، وأهلكهم "بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال" الآية (الحاقة:٦،٧) ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد على حذف مضاف ، أي : سبط إرم ، فإنهم أولاد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح ، أو عاد بن عوص بن إرم ، أو اسم بلدهم ، أي : عاد أهل إرم علم قبيلة أو بلدة فلم ينصرف ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ هم سكان بيوت الشعر التي ترتفع بالأعمدة ، أو طوال الأجسام على تشبيه قدهم بالأعمدة ، أو أبنية بنوها ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ[1]﴾: مثل تلك القبيلة

---

(١) وقد ذكر جماعة من المفسرين، أن إرم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ، ودورها ، وبساتينها ، وأن حصباءها جواهر ، وترابها مسك ، وليس بها أنيس ، ولا فيها ساكن من بني آدم ، وأنها لا تزال تنتقل من موضع إلى موضع تارة تكون باليمن ، وتارة تكون بالشام ، وتارة تكون بالعراق ، وتارة تكون بسائر البلاد، وهذا كذب بحت لا ينفق على من له أدنى تمييز ، وزاد الثعلبي في تفسيره فقال : إن عبد الله بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة ، وهذا كذب على كذب ، وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء ، وفاقرة عظمى ، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجرءون على الكذب تارة على بني إسرائيل ، وتارة على الأنبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على رب العالمين ، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها ، بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة =

للقوة وعظم التركيب ، وفي الحديث[1] (كان الرجل منهم يأتى على الصخرة ، فيلقيها على الحى -أي :القبيلة- فيهلكهم) ، وقيل: لم يخلق مثل أبنيتهم ، وأما حكاية جنة شداد بن عاد المشهورة المذكورة في أكثر التفاسير فعند المحققين من السلف والمؤرخين أنها من مخترعات[2] بني إسرائيل ، ولا اعتبار له ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾: قطعوا ﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾: وادي القرى كما قال تعالى : " وتنحتون من الجبال بيوتًا " الآية (الشعراء:١٤٩) ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾: ذي الجنود الكثيرة ، أو لأنه يعذب بالأوتاد ، أو له جبال وأوتاد يلعب بها عنده ﴿الَّذِينَ﴾ صفة للمذكورين ﴿طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ الإضافة بمعنى من ، أي : سوطًا من المعذب به ، أي : نصيبًا أو شدة عذاب، فإن السوط عندهم غاية الإهانة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ[3] ﴾ هو مكان يترقب فيه الرصد، وهذا تمثيل لإرصاده العباد بالجزاء ، وأنهم لا يفوتونه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرصد خلقه فيما يعملون، قيل: هو جواب القسم ، وما بينهما اعتراض ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ﴾ هو كالمبين لقوله : "إن ربك لبالمرصاد" لأنه لما ذكر أنه تعالى يرصد خلقه في أعمالهم يعد بعض ذمائمهم[*] ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾ أي : امتحنه بالنعمة ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال

= والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا / ١٢ فتح .

(١) ذكره ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : لا تغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العماد ، فإن ذلك كله من خرافات الإسرائيليين من وضع الزنادقة، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ، فهذا وأمثاله مختلق لا حقيقة له / ١٢ .

(٣) عن مقاتل بن سليمان قال : أقسم الله : " إن ربك لبالمرصاد " يعني: الصراط/١٢ .

(*) وفي النسخة (ن): أعمالهم.

﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بالسعة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ دخول الفاء في خبر المبتدأ ، لما في (أمـــا) من معنى الشرط ، وإذا ظرف ليقول أي : أما الإنسان فيقول وقت ابتلائه بالغنى : ربي أكرمن ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ﴾: اختبره بالفقر ﴿فَقَدَرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُـــولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أي : وأما هو فيقول وقت ابتلائه بالفقر : ربي أهانني ﴿كَلاَّ﴾ ردع عن القطع بأن الغنى إكرام والفقر إهانة ، فكثيرًا ما يكون بالعكس ﴿بَـــل لاَّ تُكْرِمُـــونَ الْيَتِيمَ﴾ أي : بل فعلهم أقبح من قولهم ﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ﴾: يحثون أهلهم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي : على إطعامه ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: ذا لَـــمٍّ ، أي : جمع بين الحلال والحرام ، فإنهم لا يورثون النساء والصبيان ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: كثيرًا مع الحرص ﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عن ذينك وإنكار ثم أتى بالوعيد فقـــال: ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ، أي : دكا بعـــد دكـــة حـــتى ســـويت الأرض والجبال ، فلم يبق تلال ولا وهاد، ظرف ليتذكر الإنسان ﴿وَجَاءَ[1] رَبُّكَ﴾: لفصل

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه في شرح حديث النزول: قال الشيخ أبـو عثمان : ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب، كل ليلة إلى السماء الدنيا مـــن غـــير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبتـــه رســـول الله وينتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره، ويكلون علمـــه إلى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكـــر المجـــيء والإتيـــان المذكورين في قوله تعالى : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلـــل مـــن الغمـــام " (البقرة: ٢١٠)، وقوله عز وجل : " وجاء ربك والملك صفا صفا " ثم ذكر بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا كـــل ليلـــة إلى السماء الدنيا" كيف ينزل ؟ قال : قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيـــف، ينزل بلا كيف، ثم ذكر بسنده مناظرة إسحاق بن إبراهيم مع بعض الجهمية عند الأمير =

القضاء جيئة تليق بقدسه من غير حركة ونقلة ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ مصطفين محدقين بالجن والإنس ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ في صحيح مسلم (يؤتى بجهنم يومئذ

= عبد الله بن طاهر، فسأل عن حديث النزول الصحيح هو، قال : نعم ، فقال له بعضهم: أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال : نعم ، قال: كيف ينزل ؟ فقال إسحاق: أثبته فوق؟ فقال : أَثْبِتَّهُ فوق ، فقال إسحاق : قال الله عز وجل : "وجاء ربك والملك صفا صفا" ، فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة ، فقال إسحاق : أعز الله الأمير من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟!

ثم ذكر ابن تيمية ثلاثة أقوال لمثبتي النزول في خلو العرش إلى أن قال : والقول الثالث: - وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها- إنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء ، ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيامة، كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض، بحيث يبقى السقف فوقهم ، بل الله منزه عن ذلك، وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى.

وهذه المسألة تحتاج إلى البسط ، ثم بسط الكلام في الرد على منكري النزول، وإبطاله شبههم إلى أجزاء كثيرة ، وذكر كلام الحافظ ابن مندة في خلو العرش، ثم رده ردًّا طويلاً مشبعًا، وأثبت أن العرش لا يخلو منه، وذكر المذاهب في نزول الرب والكلام فيه إلى أن قال : والقول المشهور عن أهل السنة والحديث: هو الإقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتي وينزل ، وغير ذلك من الأفعال اللازمة ، قال أبو عمر الطلمنكي: أجمعوا -يعني أهل السنة والجماعة- على أن الله يأتي يوم القيامة ، والملائكة صفا صفا لحساب الأمم، وعرضها كما شاء ، وكيف شاء " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر " (البقرة:٢١٠)، وقال تعالى : " وجاء ربك والملك صفا صفا " وقال : وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا على ما أتت به الآثار، كيف شاء لا يحدون في ذلك شيئًا، انتهى مختصرًا، وملتقطًا / ١٢ .

لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، بدل من " إذا دكت " ﴿يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ﴾ معاصيه ، أو يتعظ ويندم ﴿وَأَنَّى لَهُ﴾ أي : أنى ينفعه فإن اللام للنفع[١] ﴿الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾: الأعمال الصالحة ﴿لِحَيَاتِي﴾: هذه، أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ أي : لا يعذب أحد من الزبانية أحدًا ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل تعذيب الإنسان وإيثاقه فإن عذابه أشد ، فضمير عذابه للإنسان والإضافة إلى المفعول ، وهذا أرجح[٢] الوجوه لكن على هذا يلزم أن عذاب بعض الكفار أشد من عذاب الشياطين ، فكأنه كذلك ، وكذلك معنى يعذب ، ويوثق على قراءة المجهول﴿يَا[٣] أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ أي : يقول الله للمؤمن ذلك، المطمئنة: الساكنة الدائرة مع الحق ، أو المطمئنة بذكر الله ، أو الآمنة من عذاب الله ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾: إلى جوار الله ، وثوابه ، يقال لها ذلك عند الاحتضار ، وعند البعث ، وفيه إشعار بأن النفوس قبل الأبدان كانت موجودة في عالم القدس ، وعن بعض[٤] من السلف معناه : ارجعي يا نفس إلى صاحبك ، أي : بدنك الذى كنت فيه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾: عند الله ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي : في زمرة الصالحين، الذين

---

(١) قال الزمخشري -وتبعه القاضي : لابد من تقدير حذف المضاف ، أي : ومن أين له منفعة الذكرى؟ وإلا فبين " يتذكر الإنسان " ، وبين " وأنى له الذكرى " تناقض، والشارح أشار إلى رده بأن اللام للنفع ، فلا حاجة إلى تقدير / ١٢ منه .

(٢) لأنه موافق لقراءة المجهول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) ولما وصف حال من اطمئن إلى الدنيا، وصف حال من اطمئن إلى معرفته وعبوديته ، فقال : " يا أيتها النفس " الآية / ١٢ كبير .

(٤) نقل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، وهو قول عكرمة والكلبي، واختاره ابن جرير / ١٢ منه .

هم عباد الله على الحقيقة ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ عن سعيد بن جبير : مات ابن عبـــــاس بالطائف فجاء طير لم نر على خلقته ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجًا منه ، فلما دفـــن تليت عليه هذه الآية على شفير القبر لا ندرى[1] من تلاها ، رواه الطبراني عن غيره

والحمد لله حق حمده.

(۱) أخرجه ابن أبي حاتم / ۱۲ فتح .

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠ ﴾

﴿**لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ**﴾: مكة ﴿**وَأَنْتَ حِلٌّ**﴾ يعني: في المستقبل ﴿**بِهَذَا البَلَدِ**﴾: تقاتل فيه، وتصنع ما تريد من القتل، والأسر، فهذه جملة معترضة بوعده فتح مكة، وفي الحديث: (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض لم يحل لأحد قبلي ولا بعدي إنما أحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة(*))، قيل: معناه: أقسم بمكة حال حلولك فيها، فيكون تعظيمًا للمقسم به ﴿**وَوَالِدٍ**﴾: آدم ﴿**وَمَا وَلَدَ**﴾: ذريته، أو إبراهيم وذريته، أو كل والد، وكل مولود، وعن ابن

(*) أخرجه البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنه.

عباس وعكرمة : الوالد العاقر ، وما ولد الذي يلد وإيثار ما على من لإرادة الوصف كما في "والله أعلم بما وضعت" (آل عمران:٣٦) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: تعب ، يكابد مصائب الدنيا والآخرة[١]، فعلى هذا يكون تسليته عليه السلام عما يكابده من قريش ، أو في استقامة واستواء[٢] ، وعن مقاتل : في قوة ، قيل: نزلت في كافر قوى قد ذكرناه في سورة المدثر ﴿أَيَحْسَبُ﴾ الضمير لبعضهم ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: فينتقم منه ، فإن الكفار لا يؤمنون بالقيامة والمجازاة ، وعلى ما فسره مقاتل ، فمعناه : لأنه مغرور بقوته، يظن أن لن يقدر عليه أحد ، ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: أنفقت مالاً كثيرًا، يفتخر بما أنفقه رياء وسمعة ، أو معاداة للنبي عليه السلام ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ[٣]﴾: يظن أن الله لم يره ، ولا يسأله من أين كسبه وأين أنفقه ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا[٤]﴾ يعبر به عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على النطق والأكل، وغيرهما ويكون جمالاً ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: طريقي الخير والشر ، والثديين ، روى الحافظ ابن عساكر عن النبي عليه السلام: (يقول الله تعالى: يا ابن آدم إن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لسانًا وجعلت له غلافًا، فانطق بما أحللت، فإن عرض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجًا ،

---

(١) من أول خلقه إلى الجنة فتزول عنه المشقات ، وإما إلى النار فيضاعف شدائده ، ولكن لأجل مكابدته للشدائد يحسب أن له قوة ومنعة / ١٢ منه .

(٢) الكبد الاستواء ، وهو قول ابن مسعود ، وعكرمة ، ومجاهد ، والنخعي ، والضحاك ، وغيرهم ، ويروى عن ابن عباس أيضًا/١٢ منه .

(٣) ثم عدد عليه نعمه قبل أن تكون له قوة، فقال : " ألم نجعل له " الآية / ١٢ .

(٤) و لم يتعرض للسمع، لأنه لا يمكن الإفصاح عما في الضمير إلا بالسمع/١٢ وجيز .

وجعلت له سترًا فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض لك ما حرمت عليك، فأرخ عليك سترك يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقامي[*]) ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ اقتحم: دخل وتجاوز بشدة، جعل الأعمال الصالحة عقبة، وعملها اقتحامًا لها، لما فيه من مجاهدة النفس ، أي : فلم يشكر تلك النعم بأعمال تلك الحسنات ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أي : لم تدرِكْه صعوبتها ، وثوابها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ تفسير للعقبة ، أي : تخليصها من الرق ، وفي الحديث (من أعتق[1] رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار) ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي : ذي مجاعة، الناس محتاجون إلى الطعام ﴿يَتِيمًا﴾ مفعول طعام ، أو تقديره: أطعم يتيمًا ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: ذا قرابة منه ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: افتقار ، هو من لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ، أو ذو عيال ، أو غريب فقير ، وقراءة "فَكَّ" و"أَطْعَمَ" على الفعل فبدل من اقتحم ، ولما كان حاصل معنى " فلا اقتحم[2] العقبة " فلا فك[3] رقبة ، ولا أطعم يتيمًا أو مسكينًا، وقع لا موقعه فإنها قلما تدخل على الماضي إلا مكررة ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على اقتحم ، أي : ولا كان من[4] المؤمنين ، وثم لتباعد رتبة الإيمان

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٤/٥١٢).

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من النار حتى الفرج بالفرج) / ١٢ فتح .

(٢) قحم في الأمر: رمى نفس فيه من غير روية / ١٢ .

(٣) لأن فك رقبة أو إطعام وفي تفسير للعقبة فمن لم يدخل العقبة التي هي هذا أو هذا فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما / ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى أن "لا" قلما تدخل على الماضى إلا مكررة نحو : " فلا صدق ولا صلى " (القيامة:٣١)، والتكرار هنا بحسب المعنى، كأنه قال : فلا اقتحم العقبة ، ولا كان من

=

عن العتق والإطعام ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أي : بعضهم بعضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: بالرحمة على العباد ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى الذين آمنوا في قوله : " من الذين آمنوا " أو إلى ضد من ذمه فإنه في حكم المذكور ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: اليمين ، أواليمن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ﴾: الشمال ، أو الشؤم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة لا يدخل فيها روح ، ولا يخرجون منها آخر الأبد.

= الذين آمنوا فقوله : " ثم كان " قام مقام التكرير ، وجاء بثم لتباعد رتبة الإيمان عن العتق والإطعام / ١٢ وجيز .

سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥ ﴾

﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**[1] ﴾ أي : ضوءها إذا أشرقت ، وعن قتادة هو النهار كله ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا** ﴾: تبع طلوعه طلوعها ، وهو أول الشهر ، أو غروبها، يعني:

---

(١) أقسم سبحانه بهذه الأمور، وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وقال قوم: إن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم ومما سيأتي هو على حذف مضاف، أي: ورب الشمس ، وهكذا سائرها ولا ملجئ إلى هذا ولا موجب له، قال الرازي : المقصود من هذه السورة التوغيب في الطاعات ، والتحذير من المعاصي ، وقد أقسم تعالى بأنواع مخلوقاته، المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ، ويشكر عليها لأن ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب ، وأقسم الله في هذه السورة بسبعة أشياء، إلى قوله : " قد أفح من زكاها "، فأقسم بالشمس وضحاها، فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح صارت =

حين كونه بدرًا ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ الضمير للشمس ، فإنها تنجلي تامًّا إذا انبسط النهار ، أو للظلمة وإن كانت غير مذكورة للعلم بها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي : الشمس، فإنها تغيب في الليل، وتحقيق عامل مثل هذا الظرف قد مر في سورة التكوير عند قوله : " والليل إذا عسعس " (التكوير:١٧)، فلا تغتر بما يرى بادى الرأي ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي : ومن بناها، والعدول إلى (ما) على الوصفية ، والبلوغ في الغاية للإبهام فإن (ما) أشد إبهامًا ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: ومن بسطها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: من سوى خلقها، بتعديل الأعضاء ، والقوى ، ومنها المفكرة ، أو خلقها مستقيمة على الفطرة القويمة ، وفي صحيح مسلم: (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) وتنكير نفس[1] للتكثير نحو : "علمت نفس" ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: علمها ، وبين لها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وجاز أن يكون (الماءات) الثلاثة مصدرية، كما قال الفراء والزجاج ، وقوله : " فألهمها " عطف على ما بعد ما كأنه قيل: ونفس وتسويتها فإلهامها فجورها ، والمهلة فيها عرفية ، ولا محذور ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾: من طهرها الله من الأخلاق الدنية، وتأنيث الضمير لأن (من) في معنى النفس ، أو من طهر النفس ، وإسناد الضمير إليه لقيامه به ، والأول أرجح لما في الطبراني وغيره أنه عليه السلام إذا قرأ " فألهمها فجورها وتقواها " وقف ثم قال : (اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها[*]) ، وفي صحيح مسلم (إنه كان عليه السلام يدعوا بهذا الدعاء) وعن ابن عباس رضي الله

= الأموات أحياء ، وتكاملت الحياة وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها، انتهى / ١٢ فتح .

(١) كتمرة خير من جرادة / ١٢ .

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥١٩/٤) وفي مسنده ابن لهيعة وفيه كلام.

عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : "قد أفلح من زكاها" أفلحت[1] نفس زكاها الله عز وجل ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾: دسها الله ، ونقصها وعدلها عن الهدى ، وأصله دسسها كتقضَّى وتقضّض[2]، وهو جواب القسم بحذف اللام للطول، أي : لقد أفلح ، أو هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس، تابع لقوله : " فألهمها " ، والجواب محذوف ، أي : لَيُدَمْدِمَنَّ الله على كفار مكة إن لم يؤمنوا كما دمدم على ثمود ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا[3] ﴾ بسبب طغيانها ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أي : كذبت حين قام ﴿أَشْقَاهَا﴾ أشقى ثمود ، عن عمار[4] بن ياسر قال : قال عليه السلام لِعَلِي: (ألا أحدثك بأشقى الناس ، قال : بلى ، قال : رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا -يعني قرنه- حتى تبتل منه هذه -يعني لحيته-) ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ نصب على التحذير ، أي: احذروا عقرها ﴿وَسُقْيَاهَا ﴾: وشربها في يومها ، فإن لها شرب يوم ، ولكم شرب يوم معلوم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾: قتلوا الناقة ﴿فَدَمْدَمَ﴾: فأطبق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ﴾: بسببه ﴿فَسَوَّاهَا ﴾: فسوّى الدمدمة بينهم ، ولم يفلت منهم أحد ، أو فسوّى ثمود بالإهلاك ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أي : ولا يخاف الله

---

(١) أخرجه أبو حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والديلمي / ١٢ فتح .[من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وجويبر هذا ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ابن كثير (٤/٥١٩)].

(٢) تقضض الطائر : هوى ليقع / ١٢ منه .

(٣) قال ابن عباس: اسم العذاب الذي جاءها الطغوى ، فقال :كذبت ثمود بعذابها ، أخرجه ابن جرير / ١٢ در منثور .

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر أخرجه أحمد ، والحاكم ، والبغوي ، والطبراني/١٢ فتح .[والهيثمي في "المجمع" (٩/١٣٦) وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثوقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار].

عاقبة الدمدمة وتبعتها، كما يخاف الملوك فيبقى بعض الإبقاء ، أو لا يخـــاف ذلـــك الأشقى عاقبة فعلته ، والواو للحال.

والحمد لله وحده .

سورة الليل مكية

وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾: الخليقة بظلامه **﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾**: بان وظهر **﴿وَمَا خَلَقَ﴾** أي : ومن خلق ، وقيل: مصدرية **﴿الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾** أي : صنفيهما ، أو آدم وحواء **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾**: مساعيكم **﴿لَشَتَّى[١]﴾** أي : أشتات مختلفة وأعمالكم متضادة ، **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾**: ماله لوجه الله **﴿وَاتَّقَى﴾**: محارمه(*) **﴿وَصَدَّقَ**

---

(١) هذا هو المقسم عليه ، ثم فصل السعي بقوله : " فأما من أعطى " الآية / ١٢ وجيز.

(*) أي : الذي حرمه الله على العباد .

﴿بِالْحُسْنَى﴾: بالمجازاة وأيقن أن الله سيخلفه ، أو بالكلمة الحسنى ، وهي كلمة التوحيد ، أو بالجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ في الدنيا ﴿لِلْيُسْرَى﴾: للخلة التي توصله إلى اليسر، والراحة في الآخرة ، يعني للأعمال الصالحة[1] ، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾: بالإنفاق في الخيرات ، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾: بالدنيا عن العقبى ، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ ، في الدنيا ، ﴿لِلْعُسْرَى﴾: للخلة المؤدية إلى الشدة في الآخرة ، وهي : الأعمال السيئة، ولهذا قالوا: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾: هلك ، أو سقط وتردى في جهنم ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ ، أي: واجب علينا بمقتضى حكمتنا ، ﴿لَلْهُدَى﴾: للإرشاد إلى الحق ، أو طريقة الهدى علينا فمن سلكها وصل إلينا ، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ ، فنعطي ما نشاء لمن نشاء ، ومن طلب عن غيرنا فقد أخطأ ، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: تتلهب ، وفي الصحيح (إن أهون أهل النار عذابًا رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه) ﴿لَا يَصْلَاهَا[2]﴾: لا يلزمها مقاسيًا شدتها ، ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾: الكافر ، ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾: بالحق ، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة ، وفي الحديث: (لا يدخل النار إلا شقي ، قيل: ومن هو ؟ قال: الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية[*])

---

(١) والعقيدة الصحيحة / ١٢ .

(٢) الصلى في اللغة أن يحفر حفير ، ويجمع فيه جمر كثير ثم يدس الشاة بين أطباقه، فأما ما يشوى على الجمر أو في التنور، فلا يقال: إنه فيه مصلى ، وقد ذكر ذلك الزمخشري أيضًا في سورة الغاشية ، فلهذا قيل : الصلى أشد العذاب ، فعلى هذا قول : " لا يصلاها إلا الأشقى " معناه ظاهر / ١٢ وجيز .

(*) ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (٦٣٥٧).

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى[1]﴾: الذي اتقى عن الشرك والمعصية فلا يدخلها[2] أصلاً، وأما من اتقى الشرك، وحده فيمكن أن يدخلها، لكن لا يصلاها ولا يلزمها ، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾: يعطي ماله ويصرفه في طاعة الله ، ﴿يَتَزَكَّى﴾: يطلب تزكية نفسه وماله، بدل، أو حال ، ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾: فيقصد بإيتائه مجازاتها، ﴿إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ ، أي : لكن يؤتى لطلب مرضاة الله ، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾: من ربه حين يدخله في رحمته ، وعن كثير من المفسرين : إن هذه السورة في الصديق رضي الله

---

(١) لكن من لم يتق إلا عن الشرك ، ويرتكب المعاصي ، فيمكن أن يدخلها من غير أن يصلاها فإن تطهير المؤمنين بنار جهنم لا يكون إلا في الطبقة الأولى / ١٢ وجيز .

(٢) والأولى حمل الأشقى والأتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين، ويكون المعنى إنه لا يصلى صليًا تامًا لازمًا إلا الكامل في الشقاء ، وهو الكافر ، ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيدًا كاملاً، بحيث لا يحوم حولها فضلاً عن أن يدخلها إلا الكامل في التقوى ، فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولاً غير لازم ، ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيدًا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها ، والحاصل أن من تمسك من المرجئة بقوله : " لا يصلاها إلا الأشقى " زاعمًا أن الأشقى الكافر لأنه الذي كذب وتولى ، ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين ، فيقال ل فماذا تقوله: في قوله: "وسيجنبها الأتقى" ؟ فإنه يدل على أنه لا يجنب النار إلا الكامل في التقوى ، فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار ، فإن أولت الأتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله في الأشقى ، فخذ إليك هذه مع تلك ، وكن كما قال الشاعر :

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخرج منه لا علي ولا ليا

١٢ فتح .

عنه وهو الأتقى ، وأمية بن خلف هو الأشقى ، فيكون الحصر[1] ادعائيًا لا حقيقيًّا ، لأن غير هذا الأشقى غير ضال وغير هذا الأتقى غير مجنب بالكلية.

والحمد لله على كل حال

(١) كأن الجنة خلقت لهذا ، أو النار خلقت لهذا / ١٢ .

سورة الضحى مكية

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

﴿وَالضُّحَى﴾: وقت الضحى ، وهو صدر النهار ، أو المراد النهار ، **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾**: سكن ظلامه ، أو سكن أهله ، **﴿مَا وَدَّعَكَ**[1] **رَبُّكَ﴾** ، جواب القسم ، أي: ما تركك ترك المودع ، **﴿وَمَا قَلَى﴾**: وما أبغضك ، وحذف المفعول للعلم به، رعاية لفواصل الآي، اشتكى عليه السلام ، فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة قيل امرأة أبي لهب، وقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فنزلت، أو لما تأخر الوحي خمسة عشر يومًا أو أقل أو أكثر، قال المشركون : إن محمدًا قد قلاه ربه ، لما رد الله كلام المشركين ، ودفع عنه ما يسوءه، وعد له ما يسره فقال: **﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾** ، في الحديث (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا) ،

---

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن جندب البجلي قال : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فأتته امرأة فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، لم يقربك ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله " والضحى " / ١٢ فتح .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، عن ابن عباس أعطاه[1] في الجنة ألف قصـــر ، في كل منها ما ينبغي له من الأزواج والخدم ، وعنه[2] من رضاه عليه الســـلام أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وعن الحسن وغيره المراد الشفاعة ، واللام لام التـأكيد عند ابن الحاجب لا لام الابتداء ، دخل على الخبر بعد حذف المبتدأ ، ويكون تقديره: ولأنت سوف يعطيك ، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ، عدد عليه أياديـــه مـــن أول نشئه، والمنصوبان مفعولا يجد ، لأنه بمعنى العلم، أو الثاني حال ، وهو بمعنى المصادفة ، أي : فآواك ورباك وضمك إلى عمك ، وهو مع كفره رعاك وحماك ، ﴿وَوَجَـــدَكَ ضَالًّا﴾: جاهلاً ، ﴿فَهَدَى﴾: فعلمك، "ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً "الآية (الشورى:٥٢)، وقيل: ضل في شعاب مكة وهو صغير ، فـــهداه ، وقيل: أضله إبليس في طريق الشام عن الطريق في ليلة ظلماء ، فجاء جـــبريل فنفـــخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، ورده إلى القافلة ، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾: فقـــيرًا ذا عيال، ﴿فَأَغْنَى[3]﴾: فأغناك بمال خديجة ، ثم بالغنائم ، أو فأغناك عمـــن ســـواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغنى الشاكر ، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ كمـــا كنت يتيمًا فآواك الله، كن لليتيم كالأب الرحيم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ كمـــا كنت جاهلاً فعلمك، لا تزجر سائلاً مسترشداً طالب علم ، ولما هداك إلى مـــا هـــو روحك لا تزجر من يطلب منك قوت بدنه ، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّـــكَ فَحَـــدِّثْ﴾ ، فاشكر مولاك الذي أغناك ، فإن من شكر النعم أن يحدث بها ، ومـــن كفرهـــا أن

---

(١) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال الشيخ عماد الدين بن كثير : هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف/١٢ منه .

(٢) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أيضاً /١٢ فتح .

(٣) ولما عدد عليه النعم الثلاث، وصى بثلاث في مقابلـــها، فقـــال : " فأمـــا اليتيـــم " الآية/١٢وجيز .

يكتمه، "ومن لم يشكر الناس لم يشكر[1] الله"، أو ما جاءك من النبوة فحدث بها وادع إليها ، أو من القرآن فاقرأه أو بلغه، أو ما عملت من خير فحدث إخوانك ليتابعوك ، وجاز أن يكون نشرًا مشوشًا ، ويكون " أما بنعمة ربك فحدث " في مقابلة هداية الله له بعد الضلال، والمراد من التحديث تعليم الشرائع والقرآن ، وكيفية العبادة والدعوة إلى الإيمان ، والسنة التكبير بلفظ الله[2] أكبر، أو بزيادة لا إله إلا الله والله أكبر، من آخر والضحى، أو من آخر الليل إلى آخر القرآن ، ونقل عن الشافعي: أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال له : أحسنت وأصبت السنة.

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، وهذا المعنى رواه أبو داود أيضًا/١٢ منه .[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٦٥٤١)]

(٢) أخرج الحاكم ، وصححه وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان، من طريق أبي الحسن بن أبي بزة المقري قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسمعيل بن قسطنطين ، فلما بلغت " والضحى " قال : كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير ، فلما بلغت " والضحى " قال: كبر حتى تختم ، وأخبره عبد الله بن كثير: أنه قرأ على مجاهد ، فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنه أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وأخبر أبي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، هذا ما في الدر المنثور ، وفي الفتح ، وأبو الحسن المقري المذكور، هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقري قال ابن كثير : هذه سنة تفرد بها أبو الحسن المقريء ، وكان إمامًا في القراءات، وأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث ، ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير، فقال بعضهم : من آخر "والليل إذا يغشى" ، وقال آخرون: من آخر الفتح ، وذكروا في مناسبته التكبير من أول الضحى، أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ، ثم جاء الملك، فأوحى إليه " والضحى " كبَّر فرحًا وسرورًا و لم يرووا ذلك بإسناد، يحكم عليه بصحة ولا ضعف/ ١٢ .

سورة الانشراح مكية

وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ[1]﴾ ، أي : فسحناه ونورناه ووسعناه بالنبوة والحكمة ، أو إشارة إلى شق صدره في صباه ، وإخراج الغل والحسد وإدخال الرأفة والرحمة ، والحكاية مشهورة ، والهمزة لإنكار نفي الانشراح مبالغة[2] في إثباته ، **﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾**: غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، أو الخطأ والسهو ، **﴿الَّذِي أَنقَضَ﴾**: أثقل ، **﴿ظَهْرَكَ﴾** ، كأن الذنوب حمل يثقل الظهر ، **﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** ، "في الدنيا والآخرة، إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي[3]" ، **﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾** ، كضيق الصدر ، والوزر ، **﴿يُسْرًا﴾** ، كالشرح ، والوضع ، والتنكير للتعظيم ، **﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾** ، جاز أن يكون هذا تأكيدًا ، أو جاز أن يكون تأسيسًا مستأنفًا

---

(١) قيل: وزيادة لك في الموضعين ، وزيادة عنك في موضع، على طريقة الإيضاح بعد الإبهام، كأنه قيل: ألم نشرح لك ، ففهم أن ثمة مشروحًا ، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهمًا / ١٢ منه .

(٢) كأنه قال شرحنا لك صدرك ، ولذلك ترى عطف وضعنا عليه نحو : " ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا " (الشعراء:١٨)/١٢ وجيز .

(٣) رواه أبو يعلى، وابن جرير ، وابن أبي حاتم / ١٢ منه .

، وهو راجح لفضل التأسيس عليه ، وكلام الله محمول على أبلغ الاحتمالين، كيف لا والمقام مقام التسلية ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يغلب عسر يسرين" ، وذلك لأن المعرف المعاد عين الأول ، والنكرة المعادة غيره وذكر أن " مع " للمبالغة في اتصال اليسر به اتصال المتقاربين ، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من أمور دنياك ، أو من التبليغ ، أو من الجهاد ، ﴿فَانصَبْ﴾: فاتعب في العبادة ، أو من صلاتك واتعب في الدعاء ، فإن الدعاء بعد الصلاة مستجابة ، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ﴾: وحده ، ﴿فَارْغَبْ﴾: بالسؤال، أو اجعل نيتك في العبادة خالصة.

والحمد لله .

سورة التين مكية

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

﴿وَالتِّينِ﴾: هو المعروف، خص من بين الفواكه لأنه يشبه فواكه الجنة من حيث إنه بلا عجم[1] ، ﴿وَالزَّيْتُونِ ﴾ ، خصه، لأنه شجرة مباركة نور وفاكهة وإدام ، والأول: اسم مسجد دمشق ، أو الجبل الذي عندها ، والثاني: مسجد بيت المقدس ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴾: الجبل الذي كلم الله عليه موسى، قيل معنى سينين : المبارك بالسريانية ، وقد مر شرحه في " وشجرة تخرج من طور سيناء " الآية (المؤمنون:٢٠)، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾: أمانته أن يحفظ من دخله، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ، فهو من آمن، أو المأمون من الغوائل ، فهو من أمنه ، والمراد: مكة ، وعن كثير من العلماء أقسم بمحال ثلاثة، بعث الله في كل واحد نبيا من أولي العزم ، فالأول : كناية عن بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ، والثاني : طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى ، والثالث : البلد الحرام الذي أرسل فيه نبينا محمد –عليه وعليهم الصلاة

---

(١) ولا جلد / ١٢ وجيز .

والسلام ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: تعديل لشكله ، وتسوية لأعضائه ، وتزيين بعقله ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ، إلى النار في شر صورة ، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، استثناء متصل ، وهو كقوله : " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا " (العصر: ١-٣)، لفظًا ومعنى[١] ، وعن ابن عباس ، وبعض آخر: المراد من أسفل سافلين أرذل العمر ، فيكون الاستثناء[٢] منقطعًا، أي : لكن المؤمنين العاملين ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقطع على طاعتهم ، ويكتب لهم مثل ما كانوا يعملون في الشباب، وإن لم يعملوا في الهرم ، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾: فأي شيء يحملك يا إنسان على هذا الكذب، ويجعلك كاذبًا بعد هذه الأقسام الأكيدة ، أو الدليل الذي هو خلق البداءة في صورة حسنة ، ومن قدر على هذا قدر على الإعادة ، ﴿بِالدِّينِ﴾: بسبب الجزاء وإنكاره ، يعني :أي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيب الجزاء؟ فالاستفهام للتوبيخ ، أو معناه ، أيُّ شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل بالجزاء والبعث؟ فالاستفهام لإنكار شيء يكذبه دلالة ونطقًا ، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾: عدلاً وتدبيرًا لا ظلم ولا عجز له بوجه ، فلا محال ويقدر على البعث والجزاء ، ولابد منهما ، والسنة إذا قرأ " أليس الله بأحكم الحاكمين " أن يقال: بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين[٣].

---

(١) هذا التوجيه يصح على أن يفسر "أسفل سافلين" بالنار ، والثاني: خاص بأن يفسر بأرذل العمر فتأمل / ١٢ منه .

(٢) وعلى هذا معناه: رددنا عاجزين ناقصين في أمور الدنيا والدين، إلا من آمن وأطاع في شبابه ، فإنه غير ناقص في أمور الدين، يكتب له مثل ما كان يعمل/١٢ وجيز .

(٣) وعن أبي هريرة مرفوعًا: من قرأ والتين والزيتون، فقرأ "أليس الله بأحكم الحاكمين"، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، أخرجه الترمذي، وابن مردويه/١٢فتح.

سورة العلق مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩ ﴿١٩﴾﴾

﴿اقْرَأْ﴾ أي: القرآن **﴿بِاسْمِ﴾** أي: مفتتحًا باسم **﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** أي: الخلائق **﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾**: الذي هو أشرف المخلوقات **﴿مِنْ عَلَقٍ﴾**: جمع علقة، جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع **﴿اقْرَأْ﴾** تكرير للمبالغة **﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾**: الزائد في الكرم على كل كريم بنعم على العباد، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم، وتناهي جحودهم **﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾** أي: الخط الذي هو من جلائل النعم[1] **﴿بِالْقَلَمِ**

(١) ولولاه لما دونت العلوم والكتب السماوية، وما استقامت أمور الدنيا والدين/١٢ وجيز.

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أي : ما لا يقدر على تعلمه لولا[1] تعليم الله ، وقد صح أن هذه السورة إلى هذه الآية، أول آيات نزلت[2] في جبل حراء ﴿كَلاَّ﴾ ردع لمن كفر بنعمه بسبب طغيانه ، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾: ليتجاوز عن حده ﴿أَن رَّآهُ﴾: رأى نفسه ، لولا أن الرؤية بمعنى العلم، لامتنع أن يكون مرجع المفعول مرجع ضمير الفاعل ﴿اسْتَغْنَى﴾ أي : رأى نفسه غنيًّا ذا مال ، وهو ثاني مفعولي رأى ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ﴾ يا إنسان ، التفات للتهديد ﴿الرُّجْعَى﴾: الرجوع فيجازى طغيانك ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ أي : أبا جهل ﴿عَبْدًا﴾: هو أشرف العباد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذَا صَلَّى﴾ قال عليه اللعنة[3] : لئن رأيته ساجدًا لأطأن على عنقه ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ أخبرني، يا من له أدنى تمييز عن حال من ينهى[4] عبدًا من العباد إذا صلى، إن كان على طريقة سديدة في نهيه عن عبادة الله ، أو كان آمرًا بالتقوى، فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يزعم ، ألم يعلم بأن الله يرى حاله ، فيجازيه؟ أخبرني عن هذا الذي ينهى المصلى إن كان على

---

(١) مثل ما لا يتعلق به علم تصوري ولا تصديقي، كالمجهول المطلق/٢ وجيز .

(٢) في الصحيحين وغيرهما ، وهو قول أكثر المفسرين، كما قاله البغوي، لا كما قاله الزمخشري / ١٢ منه .

(٣) ذكر معنى هذا الحديث في الفتح ، وقال: أخرجه أحمد ومسلم ، والنسائي والبيهقي/١٢ .

(٤) حاصله أنه من قبيل كلام المنصف ، وإرخاء العنان لغاية التبكيت ، ولهذا ما ذكر تعظيم نبيه ، وقال : عبدًا " والخطاب بقوله: "أرأيت" لكل من يصلح أن يكون مخاطبًا على الوجه الأول/١٢ منه .

التكذيب للحق ، والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن، ألم يعلم بأن الله يـــرى فيجازيه ، فعلى هذا "أرأيت" الثاني تكرار للأول للتأكيد ، وأما الثـــالث فمستـــقل للتقابل بين الشرطين ، وحذف جواب الأول لدلالة "ألم يعلم" الذي هـــو جـــواب الثالث عليه عند من يجوز أن يكون الإنشاء جوابًا للشرط بلا فاء ، وعند من لم يجـوز يكون جواب الأول والثالث محذوفًا بقرينة "ألم يعلم" ، أو "أرأيت" الأولى فأختاهـــا متوجهات إلى "ألم يعلم" ، وهو مقدر عند الأولين[1] ، والحـــذف للاختصـــار ، أو معناه ما أعجب ممن ينهى عبدًا عن الصلاة، إن كان المنهي على الهدى آمرًا بـــالتقوى ، والناهي مكذب متولي ، أو معناه أخبرني إن كان الكافر على الهـــدى ، أو آمـــرا بالتقوى ، أما كان خيرًا له؟ أو معناه أخبرني يا كافر إن كان المنهي على الهـــدى في فعله ، أو آمرًا بالتقوى في قوله ، فما ظنك وأنت تزجره ، وعلى هذيـــن الوجـــهين جواب الشرط[2] الثاني فقط قوله : " ألم يعلم " ، ﴿**كَلَّا**﴾ ، ردع للناهي ، ﴿**لَئِن لَّـمْ يَنتَهِ**﴾ ، عما هو فيه ، ﴿**لَنَسْفَعًا**﴾: لنأخذن ، وكتابتها في المصحف بـــالألف علـــى حكم الوقف ، ﴿**بِالنَّاصِيَةِ**﴾: بناصيته ، فلنجرنه إلى النار ، ﴿**نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَـةٍ**﴾ ، بدل من الناصية أسند الكذب والخطأ إليها ، وهما لصاحبها مجاز المبالغة ، ﴿**فَلْيَـدْعُ**

---

(١) أي : أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى، ألم يعلم بأن الله يرى ، أرأيت إذا كان علـــى الهدى ، أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى ، وهذا كما تقول: أخبرني عن زيـد إن وفدت عليه ، أخبرني عنه إن استجرته ، أخبرني عنه إن توسلت إليه، أمـــا يوجـــب حقي؟/١٢ منه .

(٢) أي : "إن كذب وتولى" ، وجواب الشرط الأول أي : "إن كان على الهدى" محذوف فتأمل/١٢ منه .

نَادِيَهُ ﴾: أهل ناديه ، يعني: قومه وعشيرته فليستعن[1] بهم ، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾: ملائكة العذاب ليجروه إلى النار ، قال عليه اللعنة : واللات والعزى[2]، لئن رأيته يصلي لأطأن على رقبته ، فلما رآه جاءه فإذا نكص على عقبيه ويتقي بيديه ، فقيل له : مالك؟ قال : إن بيني وبينه خندقًا من نار ، وهولاً وأجنحة ، فقال عليه السلام : " لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا " ، ﴿كَلاَّ﴾ ، أي : ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ، ﴿لاَ تُطِعْهُ﴾: يا محمد ودم على طاعتك ، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾: ودم على السجود والتقرب إلى الله حيث شئت ، ولا تباله.

والحمد لله

(١) لما قال عليه اللعنة: لأطأن رقبته، كما ذكرناه توعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع توعده ، قال : أيتوعدني محمد ؟ والله ما بالوادي أعظم ناديًا مني ، فهذا إشارة إلى مفاخرته / ١٢ وجيز .

(٢) أخرجه أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقي / ١٢ در منثور .

سورة القدر مكية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**[1]﴾ ، أي : القرآن ، ﴿**فِي لَيْلَةِ**[2] **الْقَدْرِ**﴾: لعظمة شأنها ، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ ، أي : من ألف[3] شهر ليس فيها تلك الليلة ، والعمل في تلك الليلة أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ولذلك ثبت في الصحيحين (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) نزلت، حين ذكر عليه السلام "رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب الصحابة من ذلك" فأعطوا ليلة خيرًا من مدة ذلك الغازي ، والأصح أنها من خصائص هذه الأمة ، وأنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ،

---

(١) ذكر الواحدي : أنها أول سورة نزلت بالمدينة /١٢ وجيز .

(٢) أخرج ابن الضريس وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله : " إنا أنزلناه في ليلة القدر "، قال : أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة عن الذكر، الذي عند رب العزة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم جعل جبريل يترل على محمد بجواب كلام العباد وأعمالهم/ ١٢ در منثور .

(٣) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر / ١٢ فتح .

وأنها في أوتارها ، وأنها تختلف في السنين جمعًا بين الأحاديث ، ولا خلاف بين السلف في أنها باقية[1] إلى يوم القيامة، سميت بها لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام إلى السنة المقبلة ، أو لمنزلتها وقدرها عند الله ، ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: جبريل ، أو ضرب من الملائكة ، ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ ، مع نزول البركة ، والرحمة ، قال عليه السلام: (الملائكة في الأرض في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى) ، وعن كعب الأحبار: (لا يبقى بقعة إلا وعليها ملك يدعو للمؤمنين ، والمؤمنات، سوى كنيسة، أو بيت نار، أو وثن، أو موضع فيه النجاسات، أو السكران، أو الجرس ، وجبريل لا يدع أحدًا إلا صافحه فمن اقشعر جلده ورق قلبه ، ودمعت عيناه فمن أثر مصافحته ، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ، أي : تتنزل من أجل كل أمر قُدِّر في تلك السنة ، ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ ، ليس هي إلا سلامة لا يقدر فيها شر وبلاء ، أو لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ، أو ما هي إلا سلام لكثرة سلام الملائكة على أهل المساجد ، وعن مجاهد : سلام هي من كل أمر وخطر ، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ ، غاية تبين تعميم السلامة ، أو السلام كل الليلة، أي : وقت طلوعه ، والمطلع بالكسر أيضًا مصدر كالمرجع ، أو اسم زمان كالمشرق على خلاف القياس ، ويستحب أن يكثر فيها من قول اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

والحمد لله .

---

(١) لا كما زعم بعض طوائف الشيعة من رفعها على ما فهموه، من الحديث الذي فيه: "فرفعت" ، والمراد منه رفع علم وقتها بعينها، لأنه قال : "فالتمسوها في التاسعة ، والخامسة ، والسابعة" / ١٢ منه .

سورة البينة مختلف فيها

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**﴾: اليهود والنصارى ، ﴿**وَالْمُشْرِكِينَ**﴾: عبدة الأوثان ، ﴿**مُنفكّينَ**[1]﴾: عن كفرهم ، ﴿**حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ**﴾ ، أي : الرسول

---

(١) قال أبو سعود(ابن مسعود): منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان، والعزم على إنجازه ، وهذا الوعد من أهل الكتاب – مما لا ريب فيه، وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم، بعدما شاء ذلك مـــن =

أتاهم بالقرآن ، فبين ضلالتهم فدعاهم إلى الإيمان، فآمن بعضهم ، ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، بدل من البينة ، ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ، أي : ما في الصحف المطهرة، فإنه مكتوب في الملأ الأعلى في الصحف كما مر في سورة عبس ، ﴿فِيهَا﴾: في الصحف المطهرة ، ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾: مكتوبات، مستقيمة، لا خطأ فيها ، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ، أي : تفرقهم واختلافهم، بعدما أقام الله عليهم الحجج، فإنهم اختلفوا فيما أراده الله من كتبهم ، قال تعالى : " لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " (آل عمران:١٠٥)، وفي الحديث: (اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة ، هي ما أنا عليه وأصحابي)، أو معناه : لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد عليه السلام حتى بعثه الله ، فلما بعث تفرقوا فآمن بعض ، وكفر أكثرهم ، ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ ، أي : بما في الكتابين ، ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، أي : إلا لأجل عبادة الله على هذه الصفة نحو " وما أرسلنا

= أهل الكتاب- واعتقدوا صحته، بما شاهدوا من نصرهم على أسلافهم، وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم . انتهى ملخصاً ، قال الواحدي : ومعنى الآية إخبار الله تعالى عن الكفار أنهم لم ينتهوا عن كفرهم ، وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم، فبين لهم ضلالتهم ، وجهالتهم ، ودعاءهم إلى الإيمان ، وهذا بيان عن النعمة، والإنقاذ به عن الجهل والضلالة ، والآية فيمن آمن من الفريقين ، قال: وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظمًا وتفسيرًا، وقد تخبط فيها الكبار من العلماء ، وسلكوا في تفسيرها طرقًا لا تفضي بهم إلى الصواب، والوجه ما أخبرتك، فاحمد الله إذ أتاك بيانها من غير لبس ، ولا إشكال ، قال : ويدل على كون البينة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه فسرها وأبدل بقوله الآتي: "رسول من الله يتلوا صحفًا مطهرة " ، يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن ، ويدل على ذلك، أنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، انتهى كلامه / ١٢ فتح .

من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلــه إلا أنــا فــاعبدون" (الأنبيــاء:٢٥)، ﴿حُنَفَاءَ﴾: مائلين عن كل دين باطل ، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ ، عطف على يعبــدوا ، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، لكنهم حرفوه ، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾: أي دين الملة والشريعة المستقيمة ، وقيل: هي جمع القيم ، أي : دين الأمة القائمة لله ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَــرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ، أي : يوم القيامــة ، ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾: الخليقة ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ، استدل أبو هريرة ، وطائفة من العلماء على تفضيل أولياء الله من المؤمنين على الملائكة بهذه الآية ، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِــن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ، فيه مبالغات لا يخفى[1] على المتأمل ، ﴿رَّضِــيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ، استئناف، بما حصل لهم زيادة على جزائهم ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِــكَ﴾ ، أي : هذا الجزاء ، ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ، فاتقاه حق تقواه ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

(١) تقديم المدح ، وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحه في مقابلة ما وصفوا به ، والحكم عليــه بأنه من عند ربهم ، وجمع جنات ، وتقييدها إضافة ووصفًا بما يزداد لها نعيمًا ، وتأكيد الخلود بالتأييد/١٢ منه .

سورة الزلزال مكية

وقيل مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿إِذَا[1] زُلْزِلَتِ﴾: حركت ، ﴿الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ، المقدر لها عند النفخة ، ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: من الأموات ، والكنوز، وألقاها من جوفها على ظهرها ، ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ ، تعجبًا من تلك الحالة ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، بدل من إذا ، و ناصبها تحدّث، أو عامل إذا مضمر نحو: اذكر ، وعامل يومئذ تحدث ، ﴿تُحَدِّثُ﴾: الأرض الخلق بلسان القال[2] ، ﴿أَخْبَارَهَا﴾ ، وفي الترمذي[3] ،

---

(١) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ إذا زلزلت الأرض، عدلت له بنصف القرآن ، ومن قرأ قل هو الله أحد، عدلت بثلث القرآن ، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون، عدلت له بربع القرآن) أخرجه الترمذي ، وابن مردويه/ ١٢.[وحسن الشيخ الألباني الحديث دون فضل {إذا زلزلت} في "صحيح الترمذي" (٢٣١٧)]

(٢) صرح بذلك عظماء الصحابة / ١٢ وجيز .

(٣) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح / ١٢ منه .[وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي"]

والنسائي "قرأ عليه السلام هذه الآية قال : إن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما علم على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا" ، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ ، أي : تحدث بسبب إيحاء الرب ، وأمره بالتحديث ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾: يرجعون عن موقف[1] الحساب ، ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين أصنافًا، وأنواعًا ما بين شقي وسعيد ، ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ، أي : جزائها ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: وزن نملة صغيرة، أو ما يرى في الشمس من الهباء ، ﴿خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا[2] يَرَهُ﴾ ، عن ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أحكم آية في كتاب الله ، وكان عليه السلام يسميها "الفاذة الجامعة"[*]، وفي إحباط بعض أعمال الخير ، والعفو عن بعض أعمال الشر، إشكال، اللهم إلا أن يقال: الآية مشروطة بعدم الإحباط ، والعفو ، وما ذكره النسائى ، وابن ماجه إنه لما نزلت قال أبو بكر : إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ، فقال عليه السلام: "ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة" ، فلا يخلو عن إشكال لأن قوله : " فمن يعمل " مترتب على قوله : " يومئذ يصدر "، فالظاهر

---

(١) كذا فسره السلف ، وقيل: يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف / ١٢ منه.

(٢) وإن لم يجز به، ويعفى عنه. قال تعالى : " مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " (الكهف:٤٩)، وعلى هذا لا إشكال في الآية ، وكان صلى الله عليه وسلم يسميها: الفاذة الجامعة ، وعن ابن مسعود: هذا أحكم آية في كتاب الله ، ولو جعلت معنى ليروا أعمالهم جزاء أعمالهم ، فالآية تامة المعنى أيضًا ، فإن عمل الخير المحبوط والشر المعفو يرى جزاءهما ، فإن عمل الشر الذي به حبط عمل خيره، لو لم يكن له عمل الخير لكان ذاك الشر أكثر ، وإن عمل الخير الذي بسببه عفي عن عمل شره، لو لم يكن له عمل الشر لكان ذاك الخير أكثر نفعاً ، فصدق أنه رأى جزائهما هذا هو تحقيق الكلام ، والبحث ، والمناقشة جهل / ١٢ وجيز .

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٤/٥٤٠) وعزاه لابن جرير.

أن رؤية جزاء الأعمال في الآخرة لا في الدنيا، اللهم إلا أن يقال: قد تم الكلام عند قوله: "ليروا أعمالهم" ، وقوله : " فمن يعمل " ابتداء كلام وحكم على حياله ، وعن سعيد[1] بن جبير: كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه ، وكان آخرون يرون أن لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة ، والنظرة ، والغيبة وأشباهها، فرغبهم الله في القليل من الخير ، وحذرهم عن القليل من الشر ، فنزلت : " فمن يعمل مثقال ذرة " إلخ.

والحمد لله .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم / ١٢ در منثور .

سورة العاديات مختلف فيها

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾[١] ، أقسم بالخيول التي تعدو في سبيل الله ، ﴿ضَبْحًا ﴾: تضبح ضبحًا، أو ضابحات ، وهو صوت نفسه عند العدو ، ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾: الخيول، التي توري النار بحوافرها ، ﴿قَدْحًا ﴾: صاكّات بحوافرها الحجارة ، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾: تغير على العدو ، ﴿صُبْحًا ﴾: في وقته ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾: هيجن ، ﴿نَقْعًا ﴾: غبارًا ، ﴿فَوَسَطْنَ﴾: توسطن ، ﴿بِهِ﴾: بذلك الوقت ، ﴿جَمْعًا ﴾: من الأعداء ، وعن علي[٢] رضي الله عنه: المراد الإبل حين تعدو من عرفة إلى مزدلفة ، ثم جماعة توقدون

---

(١) عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأبطأ خبرها ، فشق ذلك عليه فأخبره الله خبرهم ، وما كان من أمرهم فقال : " والعاديات ضبحًا "، الحديث أخرجه بن مردويه ، وكذا أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والدارقطني / ١٢ در منثور .

(٢) نقله في الدر المنثور ، وعزاه إلى ابن جرير وابن الأنباري ، الحاكم ، وقال: صحححه/ ١٢ .

النار في مزدلفة ، ثم المسرعات منها إلى منى فإنها في الصبح ، ويكون الإغارة سـرعة السير ، ثم إثارة النقع في الطريق ، ثم التوسط متلبسات بالنقع في الجمع ، وهو اسـم مزدلفة ، وعلى هذا الضبح الذي هو للفرس مستعار للإبل ، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّـهِ﴾، أي: لنعم ربه ، ﴿لَكَنُودٌ﴾: لكفور ، ﴿وَإِنَّهُ﴾: الإنسان ، ﴿عَلَى ذَلِـكَ﴾: علـى كنوده ، ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بلسان[1] حاله ، أو وعيد مـن الله ، أي : إن الله على كنوده لشهيد ، ﴿وَإِنَّهُ﴾: الإنسان ، ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾: لأجل حب المـال ، ﴿لَشَدِيدٌ[2]﴾: بخيل ، أو لقوي مبالغ ، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾: الله ، ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾: بعـث ، ظرف "يعلم" ، ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾: من الموتى ، ﴿وَحُصِّلَ﴾ ، أي : أظهر محصـلاً ، ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ، من الخير والشر ، أجرى العلم مجرى اللازم ، أي : أليس لـه العلم الكامل بما عليه الأمر في ذلك اليوم؟ ثم يؤكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّـهُم بِـهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: هو يوم القيامة ، ﴿لَّخَبِيرٌ﴾. لعالم فيجازيهم.

والحمد لله .

---

(١) بلسان حاله، لا يمكن جحوده لظهور أمره / ١٢ وجيز .

(٢) ولما عد عليه قبائح أفعاله خوفه ، فقال : "أفلا يعلم إذا بعثر" / ١٢ كبير .

سورة القارعة مكية

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾، مبتدأ وخبر، أي: القارعة ما هي؟ كما مر في سورة الحاقة، **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ﴾**، ظرف لما دل عليه القارعة، أي: تقرع يوم، **﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾**: في الذلة، والاضطرار، والتطاير إلى الداعي، كتطاير الفَرَاش إلى النار، **﴿وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾**: كالصوف، **﴿المَنفُوشِ﴾**: المندوف، في خفة سيرها وتطايرها، **﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾**: بترجيح قدر الحسنات، **﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾**: عيش، **﴿رَّاضِيَةٍ﴾**: ذات رضى، **﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾**: بأن ترجحت سيآته، **﴿فَأُمُّهُ﴾**: مأواه، أو أم رأسه، فإنه يطرح فيها منكوسًا، **﴿هَاوِيَةٌ﴾**، من أسماء جهنم، **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾**، الضمير للهاوية، والهاء للسكت، **﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾**: ذات حرارة شديدة فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزء.

اللهم أجرنا منها .

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾

﴿أَلْهَاكُمُ﴾: شغلكم ، ﴿التَّكَاثُرُ﴾: المباهات بكثرة الأموال والأولاد عن طلب الآخرة ، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: تمادى بكم إلى أن متم ، وقبرتم ، وفي الحديث: (حتى زرتم[1] المقابر: حتى يأتيكم الموت) ، وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه "مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت" ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر "[*] وعن عمر بن عبد العزيز حين قرأ ذلك قال : ما أدري المقابر إلا زيارة ، وما للزائر إلا أن يرجع إلى مترله إلى جنة أو نار[**]، وعن بعض معناه: تكاثرتم بالأحياء، حين قلتم: نحن أكثر عددًا وخدمًا وعشيرة، حتى إذا استوعبتم عددهم، صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات، بأن قلتم: هؤلاء قبور خدمنا ، وعشائرنا ، وأقاربنا ، ﴿كَلاَّ﴾ ، ردع عن الاشتغال بما يضره عما ينفعه ، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ، خطأ ما أنتم عليه ، ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

(*) ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي".

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٩٤٥٥).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ ، تكرير للتأكيد ، وثم للدلالة على أن التالي[1] أبلغ ، ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾، ما سترجعون إليه ، ﴿عِلْمَ اليَقِينِ﴾: علمًا يقينًا، من غير تذبذب، لما ألهاكم شيء عن طلب الآخرة، فجواب "لو" محذوف[2] ، ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾ ، جواب قسم محذوف تأكيد للوعيد ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ ، تكرير للتأكيد ، ﴿عَيْنَ اليَقِينِ﴾ ، أي : الرؤية التي هي نفس اليقين ، ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ[3]﴾: عن شكر ما أنعم الله به عليكم من لذات الدنيا ، وفي مسلم ومسند الإمام أحمد وغيرهما أنه عليه السلام أكل مع أبي بكر ، وعمر رطبًا وماء باردًا ، فقال : (هذا من النعيم الذي تسألون عنه) ، وفي الحديث: (يُسئل عن كل شيء إلا من ثلاثة خرقة كف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحر[4] والقر*) وكلام جمهور السلف على أن السؤال عام.

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أي : من الأول أشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك لا تغفل / ١٢ منه .

(٢) ولا يجوز أن يكون هو جواب (لو)، لأنه محقق الوقوع، بل جواب قسم محذوف، أوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيمًا لشأنه / ١٢ منه .

(٣) والسؤال عام لمؤمن وكافر، للنصوص الصريحة، والرؤية التي في قوله: "لترون"، رؤية قبل الدخول في النار، لقوله : " ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم " / ١٢ وجيز .

(٤) قال الترمذي وابن حبان في صحيحه: قال عليه السلام: (أول ما يسأل عنه العبد من النعيم أن يقال : ألم نصح لك جسمك ، ونرويك من الماء البارد؟) / ١٢ منه.
[وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" .]

(*) تفرد به الإمام أحمد كما قال ابن كثير (٥٤٦/٤).

سورة العصر مكية

وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

﴿وَالْعَصْرِ ﴾ ، أي : الدهر ، أو بصلاة العصر ، أو بوقته ، **﴿إِنَّ الإِنسَانَ﴾**: كلهم ، **﴿لَفِي خُسْرٍ[1] ﴾** ، في مساعيهم ، **﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** ، فإنهم فازوا، وربحوا، لأنهم اشتروا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية ، **﴿وَتَوَاصَوْا﴾**: أوصى بعضهم بعضًا ، **﴿بِالْحَقِّ﴾**: بالقرآن أو بما هو الخير ، **﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[2] ﴾**: على المصائب، أو عن

---

(١) اعلم أن هذه الآية كالتنبيه على أن الأصل في الإنسان أن يكون في الخسران ، والخيبة ، وتقرير أن سعادة الإنسان في حب الآخرة، والإعراض عن الدنيا ، ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية ، وإن الأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة، وهي: الحواس الخمس ، والشهوة ، والغضب ، فلهذا السبب صار أكثر الخلق مشتغلين بحب الدنيا، مستغرقين في طلبها، فكانوا في الخسران والبوار / ١٢ كبير .

(٢) هذه الآية وعيد شديد ، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسارة على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء وهي الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور/ ١٢ كبير.

المعاصي، يعني: يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويحكى عن بعض الأكابر أنه قال : فهمت معنى سورة " والعصر " عن بائع ثلج، يقول : ارحموا على من رأس ماله يذوب.(*)

اللهم وفقنا لمرضاتك(**).

(•) أى إنه تأمل كلام هذا الرجل فقاس خسران الإنسان بذهاب عمره هباء الذى هو رأس ماله بذهاب رأس مال هذا الرجل هباء وهو الثلج ، وهذه النكتة مناسبة جدًّا لإقسامه سبحانه بالعصر، ففيه إشارة إلى قيمة الوقت والزمن الذى هو رأس مال الإنسان.

(••) وفي النسخة (ن): بإرضائك .

سورة الهمزة مكية

وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾ ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: من اعتاد يكسر أعراض الناس ﴿لُّمَزَةٍ﴾: من اعتاد بالطعن فيهم ، وعن بعض السلف الأول: العيب بالغيب ، والثاني في الوجه ، وقيل: باللسان ، وبالعين ، والحاجب، نزلت في الأخنس بن شريق ، أو غيره ، وعن مجاهد: هي[١] عامة ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من كل، أو منصوب ، أو مرفوع بالذم ﴿وَعَدَّدَهُ﴾: عده مرة بعد أخرى ، أو جعله عدة وذخيرة للنوازل ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: لفرط غروره واشتغاله بالدنيا وطول أمله، لا يخطر الموت بباله، فيعمل أعمال من[٢] يظن الخلود ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسبانه ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾: ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾: من أسماء جهنم، لأنها يحطم ، ويكسر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾: أوقدها الله ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ[٣]﴾: تعلو على أوساط قلوبهم، فإنها ألطف ما في

(١) يعني: الوعيد عام يتناول من باشر مثل ذلك، وإن كان السبب خاصًّا، كذا في الوجيز/١٢.

(٢) ونعم ما قيل : إن السورة نعي بالويل على أهل الدنيا / ١٢ وجيز .

(٣) سبب تخصيص الأفئدة بذلك، هو: أنها مواطن الكفر، والعقائد الخبيثة، والنيات الفاسدة /١٢ كبير.

البدن ، وأشد تألمًا ، وعن كثير من السلف : تأكل كل جسده، حتى بلغت فؤاده جدّد خلقه **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾**: مطبقة **﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾** أي : موثقين في عمد ممدودة يعني: أرجلهم، وأيديهم في حديد كالعمود طويل ، هو حال من ضمير "عليهم".

والحمد لله .

سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد، جعل مشاهدة آثارها وسماع أخبارها بمنزلة الرؤية ﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾ نصب كيف بفعل ﴿رَبُّكَ بِأَصْحَابِ[1] الفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ في تخريب

---

(١) أخرج ابن المنذر ، والحاكم وصححه، وأبو نعيم والبيهقي، عن ابن عباس قال : أقبل أصحاب الفيل، حتى إذا دنو من مكة استقبلهم عبد المطلب، فقال لملكهم : ما جاء بك إلينا ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت ، فقال : أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا أمن، فجئت أخيف أهله ، فقال : إنا نأتيك بكل شيء تريد، فارجع، فأبى إلا أن يدخله ، وانطلق يسير نحوه، وتخلف عبد المطلب ، فقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ، ثم قال :

اللـــهم إن لكـــل إلـــه حلالاً فامـــنع حلالـــك لا يغلبن محالهم

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة نحو البحر، حتى أظلتهم طيرًا أبابيل التي قال الله: "ترميهم بحجارة من سجيل" ، فجعل الفيل يعج عجًّا، فجعلهم كعصف مأكول/١٢ ، وفي الكبير رجع عبد المطلب وأتى البيت ، وأخذ بحلقته ، وهو يقول :

=

الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في تضييع ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: جماعات جمع إبالة ، وهي الحزمة الكبيرة ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجر، معرّب سنككل ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾: ورق زرع ﴿مَّأْكُولٍ﴾: أكلته الدواب ورَاثَتْهُ، أو وقع فيه الإكال ، وهو أن يأكله الدود ، وقصته أن ملك اليمن أبرهة بنى كنيسة ، وأراد صرف الحج إليها ، فقصدها بعض قريش ، وأحدث فيها ، فلما رأى السدنة ذلك الحدث، أخبروا الملك بأن ليس هذا إلا من قريش غضبًا لبيتهم ، فتوجه الملك لتخريب الكعبة انتقامًا ، ومعه فيل عظيم اسمه محمود ، وقيل: معه فيلة أخرى ، فلما وصلوا قرب مكة تهيئوا للدخول، أرسل الله طيرًا من البحر، أمثال الخطاطيف مع كل في منقاره ورجليه ثلاثة أحجار، أصغر من حمصة ، فرمتهم ، فإن وقع الحجر على رأس رجل خرج من دبره، فهلكوا على بكرة أبيهم

والحمد لله رب العالمين .

=

لا هـــــم إن المـــــرء يمـــــنع	لــــــه فامـــــنع حلالـــــك
وانصـــرنا عـــلى آل الصـــليب	وعابديـــــه الـــــيوم آلـــك
لا يغلــــــــبن صـــــــــليبهم	ومحـــــالهم عـــــدوا محـــالك
إن كنـــت تـــاركهم وكعبتـــنا	فأمــــــر مـــــا بدالـــــك

ويقول :

يـــا رب لا أرجـــو لهـــم سواك	يـــا رب فامـــنع عـــنهم حماكا

فالتفت وهو يدعو، فإذا هو بطير من نحو اليمن ، فقال : والله إنها لطير غريبة، ما هي بنجدية ولا تهامية، إلى آخر القصة / ١٢ .

سورة قريش مكية

وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

﴿**لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ**[(١)]﴾ عن بعض من السلف : إنه متعلق بالسورة التي قبلها ، أي: أهلكهم فجعلهم كعصف مأكول ليبقى قريش ، وما ألفوا من الرحلتين ، وهما في مصحف أُبيّ سورة واحدة ﴿**إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ**﴾: رحلة في الشتاء ، ورحلة نصب بإيلافهم ﴿**وَالصَّيْفِ**﴾: ورحلة في الصيف، أطلق الإيلاف، ثم أبدل المقيد عنه للتعظيم ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ**﴾ الأظهر أن يتعلق لإيلاف، بقوله: "فليعبدوا" ، والفاء لما فيه من معنى الشرط ، أي : إن لم يعبدوه لسائر نعمه عليهم ، فليعبدوا لأجل إيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ، والصيف إلى الشام يتجرون ، ويتنعمون ، وهم آمنون في رحلتيهم، لا يتعرض عليهم أحد بمكروه، لأنهم أهل بيت الله ﴿**الَّذِي**

---

(١) أخرج البخاري في تاريخه ، والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه، والبيهقي في الخلافيات، عن أم هانئ بنت أبي طالب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : (فضل الله قريشًا بسبع خصال، لم يعطها أحد بعدهم: أني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم- والخلافة فيهم ، والحجابة فيهم ، والسقاية فيهم ، ونصروا على الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين- لم يعبده أحد غيرهم ، ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم " لإيلاف قريش ")/١٢ در منثور .[ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٥٣/٤) وقال حديث غريب]

﴿جُوعٍ﴾: عظيم أكلوا فيها الجيف ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: عظيم، أبنـــاء جنســـهم واقعون فيه ، فإن الناس غيرهم في حواليهم يغار عليهم ، وحاصله أن الله من عليـــهم بالأمن والرخص.

والحمد لله .

سورة الماعون مكية وقيل مدنية

وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

﴿أَرَأَيْتَ﴾ الاستفهام للتعجب **﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾**: بالجزاء والبعث **﴿فَذَلِكَ﴾** يعني: التكذيب بالدين، هو الذي يحمله على تلك المساوئ **﴿الَّذِي يَدُعُّ﴾**: يدفع دفعًا عنيفًا **﴿الْيَتِيمَ﴾** عن ابن عباس: هو بعض المنافقين **﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾**: لا يرغب **﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** أي : على إطعامه فضلاً عن أن يطعمه هو **﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾** أي: لهم ، وضع موضع الضمير، للدلالة على معاملتهم مع الخلق والخالق **﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾** أي : التزموا بالصلاة علانية ، ويتركونها بالسر **﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾**: يصلون في العلانية، لأجل أن يظن فيهم الإسلام **﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ[1]﴾**: ولا يعطون[2] الزكاة ، أو يمنعون عارية القدر ، والفأس[3] ، والدلو ،

---

(١) قال عكرمة : الماعون أعلاه الزكاة المفروضة ، وأدناه عارية المتاع ، ويلتحق بذلك البئر، والتنور في البيت ، فلايمنع جيرانه من الانتفاع بهما ، قال العلماء : ويستحب أن يستكثر في بيته مما يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم ، ويتفضل عليهم ، ولا يقتصر على الواجب /١٢ لباب .

(٢) هذا قول علي، أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والحاكم، كذا في الدر المنثور/١٢ .

(٣) قول ابن مسعود أخرجه الطبراني / ١٢ .

والملح ، والنار ، وأمثال ذلك سيما زكاة المال ، وعن بعض المراد من الذي يدع اليتيم، رجل[1] خاص من قريش ، فعلى هذا ليس المراد من قوله : " فويل للمصلين " هو الذي يدع لأنه ليس من أهل الصلاة ، بل لما عرف المكذب بمن هو يدفع اليتيم زجرًا لأن يحترز عنه ، وعن فعله ذكر استطرادًا ما هو أقبح ، يعني : إذا كان عنف اليتيم ، وترك إطعام الطعام بهذه المثابة ، فما بال المصلي الذي هو ساه عن صلاته ، فالاحتراز عنه وعن فعله أولى وأولى .

والحمد لله رب العالمين .

(١) يعني: أبا سفيان ، فإنه في كفره ينحر في كل أسبوع جزورًا، فأتاه يتيم وسأله، فقرعه بعصاه ، فعلى هذا فالمراد من قوله: "للمصلين"، غير من يدع، فإنه كافر لا يصلي/١٢ وجيز .

سورة الكوثر مكية أو مدنية

وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**﴾ في الأحاديث الصحاح[1] (هو نهر في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم، فأقول : رب إنه من أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، وعن أكثر السلف هو الخير الكثير ، ومنه ذلك النهر ، والنبوة والقرآن ، وعن عطاء: هو حوض في الجنة ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾: دم عليها مخلصًا شكرًا لما أعطيناك ﴿**وَانْحَرْ**[2]﴾ أي : البدن ونحوه على اسمه وحده ،

---

(١) نقله الإمام أحمد ، وهو في حديث صحيح مسلم ، وأبي داود ، وفي البخاري (إنه نهر في الجنة)/١٢ منه .

(٢) معناه : إن ناسًا كانوا يصلون لغير الله تعالى ، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي له ، وينحر له، متقربًا إلى ربه بذلك، قاله الخازن ، وفي حديث مسلم (لعن الله من ذبح لغير الله)، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرّب إليه شيئًا، فقالوا لأحدهم: قرّب ولو ذبابًا فقرّب ذبابًا فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا لآخر : قرب ، فقال : ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة) [أخرجه أحمد في "الزهد" ، وأبو نعيم في "الحلية" (٢٠٣/١)]، قال الإمام الشوكاني بعد ذكر الحديثين: فانظر لَعْنَه صلى الله عليه وسلم =

بخلاف ما عليه المشركون من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: مبغضك وعدوك، يا محمد ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: الأقل الأذل، الذي لا عقب له المنقطع ذكره ، نزل في بعض من المشركين يقول : دعوا محمد فإنه أبتر، فإذا هلك انقطع ذكره ، وقد روى[1] أنه إذا مات ابناه عليه وعليهما السلام قالوا: بتر محمد ، فقال الله: أعداؤك متصفون بما قالوا فيك، وما أنت إلا باق ذريتك الكرام إلى يوم القيامة ، وحسن ثنائك على رءوس الأشهاد إلى يوم التناد.

والحمد لله[2] .

= لمن ذبح لغير الله، وإخباره بدخول من قرب لغير الله النار، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم، الذي لا ينبغي إلا الله ، فما ظنك بما كان شركًا بحتًا؟
قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على قوله : "وما أهل به لغير الله" (البقرة:١٧٣) إن الظاهر أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه ، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين إلى الله، كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه يحرم، وإن قال فيه: بسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبيحتهم بحال لكن تجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح، انتهى / ١٢ .

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم / در منثور .

(٢) وهذا أخصر سورة، قد كتبنا في شرحها رسالة تليق بأن نلحقها بالتفسير ، لكن قد منعنا الاختصار /١٢ وجيز .

سورة الكافرون مكية

وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ نزلت حين قال رهط من قريش : هلم يا محمد تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلاهك سنة ، ونشركك في أمرنا كله[1] **﴿لاَ أَعْبُدُ﴾**: في المستقبل ، فإن "لا" على المضارع للاستقبال **﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾** : في الحال **﴿وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾**: في المستقبل **﴿مَا أَعْبُدُ﴾**: في الحال ، وذكر (ما) هاهنا للمطابقة ، أو لأن المراد، ما أعبد الباطل ، ولا تعبدون الحق **﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ﴾**: في الحال ، أو قط **﴿مَّا عَبَدتُّمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾**: في الحال ، أو قط **﴿مَا أَعْبُدُ﴾** لم يقل ما عبدت لأنه لم يطابق المقام ؛ لأنهم ينكرون ما هو عليه بعد النبوة ، ويعتقدونه ويعظمونه قبلها[2] ، وعن بعض العلماء : إن المراد من لا أعبد نفي الفعل ، ومن لا أنا عابد نفي الوقوع والإمكان ، فلا تكرار ، وعن بعض هو تكرار وتأكيد على طريقة أبلغ، فإن الثاني جملة اسمية ، وعن بعض: "ما" في الأخيرين مصدرية ، أي : ولا أنا عابد ، وتابع عبادتكم وطريقتكم ، ولا أنتم مقتدون عبادتي وطريقتي ، ولهذا قال: **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾**: الكفر **﴿وَلِيَ دِينِ﴾**: الإسلام، لا تتركونه ، ولا أترك ، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون .

---

(١) ونمولك ، ونزوجك من شئت من كرائمنا / ١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسره البخاري ، وكثير من السلف / ١٢ .

سورة النصر مدنية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي : لك على أعدائك **﴿وَالْفَتْحُ﴾**: فتح مكة ، فسر به جمهور السلف **﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾** هو حال إن جعلت رأيت بمعنى أبصرت **﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾** جماعات بعد ما كان يدخل واحدًا واحدًا ، أو اثنين اثنين، كانت أحياء العرب ينتظرون فتح مكة، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي لأنهم أهل الحرم ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل ، يعني إذا فتحت مكة قريتك التي أخرجتك ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، فقد فرغ شغلنا في الدنيا بك فتهيأ للقدوم علينا ، ولذلك قال: **﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾**: نزهه عما يقول الظالمون حامدًا له **﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾**: عما فرط منك من التقصير ، أو عن أمتك **﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾**: لمن استغفر منذ خلق الخلق ، وكان عليه السلام حين أنزلت أخذ في أشد ماكان اجتهادًا في أمر الآخرة ، وعن الإمام أحمد : قال عليه السلام لما نزلت : " إذا جاء نصر الله والفتح " (نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسي*) بأنه مقبوض في تلك السنة ، وعن أكثر السلف : إنها أجله عليه السلام ، وفي مسلم ، والطبراني ، والنسائي : إنها آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا ، وعن البيهقي وغيره : إنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع ، فيكون نزولها بعد فتح مكة بسنتين ، فلابد أن نقول: إن "إذا" الذي هو للاستقبال سلبت عن معناه ، وقيل: إن فتح مكة أم الفتوح ، والدستور لما يكون بعده من الفتوحات ، فهو وإن كان متحققًا في نفسه، لكنه متركب باعتبار ما يدل عليه.

(*) قال الشيخ أحمد شارك (٣٢٠١): إسناده صحيح.

سورة اللهب* مدنية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

﴿تَبَّتْ﴾: هلكت **﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾**: نفسه ، وعادة العرب أن تجعل التعبير عن الجملة باليدين نحو : بما قدمت يداك ، وقيل: المراد دنياه وأخراه **﴿وَتَبَّ﴾** الأول: دعاء ، والثاني: خبر ، أي : وقد حصل الهلاك والخسران ، نزلت[1] لما صعد عليه السلام الصفا ، فقال : (يا صباحا)، فاجتمعت إليه قريش قال : "أرأيتكم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟" قالوا : بلى ، قال : "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب : تبًا لك، ألهذا دعوتنا جميعًا؟ **﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾**: من عذاب الله **﴿وَمَا كَسَبَ﴾**: الذي كسبه ، وهو ولده ، فإنه قال: إن كان ما يقول ابن أخي حقًا، فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي ، وهو مات عليه اللعنة وبعدما أنتن دفنه بعض السودان ، وقد افترس أسد ولده في طريق الشام **﴿سَيَصْلَى﴾**: سيدخل **﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾**: اشتعال ، أي : جهنم **﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾** أي : تحمل الحطب في جهنم فتلقي على زوجها ليزداد عذابه ، لأنها كانت عونًا له في شره في الدنيا ، فتكون في القيامة عونًا عليه في شره وعذابه ، والجملة حالية **﴿فِي**

(*) أي: سورة المسد.

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما / ١٢ فتح .

جِيدِهَا﴾: عنقها ﴿**حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾ أي : مما مُسِد وفتل كالحطابين ، وعن ابن عباس وغيره: سلسلة من حديد فتل وأحكم منه ، وروى أنها تجمع الشوك ، وتطرح ليلاً في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فمعناه وإن حالها في جهنم على الصورة التي كانت عليه في الدنيا، حين تحمل الشوك على ظهرها ، وقيل معناه : إن امرأته حمالة الحطب في الدنيا، في عنقها حبل من ليف ، والغرض تحقيرها وتخسيس حالها ، فإنها من سادة نساء قريش ، فقوله : " وامرأته " إلخ من عطف الجملة ، ولا تكون حالية، أو هي عامة في الدنيا حمالة الحطب بين الناس لنائرة الشر ، وعن بعض إن لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقها في عداوة محمد ، فأعقبها الله منها حبلاً في عنقها من مسد النار.

والحمد لله.

سورة الإخلاص مكية

وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿قل هو[1] الله﴾ نزلت[2] حين قالوا : صف لنا ربك الذي تدعونا إليه ، فالضمير لما سئل عنه، و"الله" خبره **﴿أحد﴾** خبر بعد خبر ، أو بدل ، أو الضمير للشأن و"الله أحد" جملة هي خبره ، وعند المحققين : إن الأحدية لتفرد الذات ، والواحدية لنفي المشاركة في الصفات، **﴿الله الصمد﴾**: المصمود إليه في الحوائج ، أو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد ، وعن كثير من السلف[3]: إنه الذي لا جوف له لا

---

(١) ولو لم يرد في فضل هذه السورة إلا حديث عائشة عند البخاري ومسلم وغيرهما "إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً في سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلواتهم فيختم (بقل هو الله أحد) فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال : أخبروه أن الله تعالى يحبه" هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد لكفى به فضيلة /١٢ فتح .

(٢) ذكره الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن جرير / ١٢ منه .[وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٦٨٠)]

(٣) قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير، والضحاك والسدي، وغيرهم ، وروى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم /١٢ منه .

يدخل فيه ولا يخرج منه شيء ، ولذلك قالوا : ما بعده تفسيره ، وتكرير لفظ الله للإشارة بأن من لم يتصف، به لم يستحق الألوهية ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأن الولد من متجانسين، وهو الأحد الصمد الذي لا يجانسه ، ولا يماثله أحد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه هو الله الأحد الصمد ، فكيف يمكن أن يكون حادثًا محتاجًا إلى أحد مربوبًا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي : لم يكن أحد يكافئه ، ويماثله من صاحبة ؛ لأنه أحد صمد ، " وله " إما حال من كفوًا ، أو ظرف ليكن وقدمه ؛ لأن الغرض نفي المكافأة عن ذاته، تقديمًا للأهم ، وقد ثبت بروايات صحيحة إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، ومن قرأ مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، وفي الترمذي ، والنسائي (إنه سمع رجلاً يقرأها ، فقال عليه السلام : وجبت، قيل: وما وجبت ؟ قال : الجنة(*)) ، وفي مسند الدارمي، قال عليه السلام : (من قرأ " قل هو الله أحد " عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين بنى له قصرين ، ومن قرأها ثلاثين بنى ثلاثة، فقال عمر بن الخطاب : إذا لنكثر قصورنا ، فقال عليه السلام : الله أوسع من ذلك**) ، وفضائل تلك السورة في كتب الحديث لكثيرة.

والحمد لله رب العالمين .

(*) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٣٢٠).

(**) أخرجه الدارمي في "مسنده" (٣٤٢٩) وقال ابن كثير: هذا مرسل جيد.

سورة الفلق مختلف فيها

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

﴿**قُلْ**[1] **أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**[2] ﴾ هو الصبح ، أو الخلق كله ، لأنه ما من شـــيء إلا ويفلق ويفرق ظلمة العدم عنه ، أو هو بيت ، أو جب في جهنم إذا فتح صـــاح جميع

---

(١) أخرج أحمد ، والبزار ، والطبراني وابن مردويه، من طرق صحيحة عن ابن مسعود رضي الله عنه إنه كان يحك المعوذين من المصحف ، ويقول :لا تخلطوا القرآن بما ليس منـــه ، إنهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ هما ، وكان ابـــن مسعود رضي الله عنه لا يقرأ بهما ، قال البزار : لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتا في المصحف/١٢ در منثور.[قال ابن كثير (٥٧١/٤): وهذا هو المشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابـــن معود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم و لم يتواتر عنده ثم لعله رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك]

(٢) اعلم أن المستعاذ به هو الله وحده رب الفلق رب الناس، لا ينبغي الاستعاذة إلا بـــه ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، وقد أخبر تعالى في كتابه أن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقًا ، وهو الطغيان ، واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلام الله غير مخلوق، إن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بقوله : " قل أعوذ برب الفلق " و"أعوذ بكلمـات الله التامات" ، وهو لا يستعيذ بمخلوق أبدًا ، والمستعيذ هو الرسول صلـــى الله عليـــه وسلم، وكل من أتباعه إلى يوم القيامة ، كذا قال شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام في تفسير المعوذتين/١٢ .

أهل النار من شدة حره ، وذكر الرب ، لأن الإعاذة من المضار تربية ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: دخل ظلامه ، ولا شك أن المضار في الليل أكثر وأشد ، أو هو القمر إذا[1] وقب ، ودخل في الكسوف ، والاسوداد ، وعن بعض هو الثريا إذا سقطت ، ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها ، ويرتفع عند طلوعها ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ[2] فِي الْعُقَدِ﴾ أي : النساء ، والجماعات السواحر، اللواتي يعقدن عقدًا ، وينفثن عليها ، والنفث النفخ مع ريق ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: إذا أظهر حسده ، وعمل بمقتضاه ، فإنه إذا لم يظهر أثر ما أضمر، فلا ضرر منه إلا على نفسه لاغتمامه وهمه، وقد صح أن يهوديًا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة ، ودسه في بئر، فاشتكى ومرض عليه السلام لذلك أيامًا ، وقد روى ستة أشهر فجاءه جبريل ، وأخبره بالسحر ، والساحر ، وموضعه ، ونزلت المعوذتان إحدى عشرة آية ، فبعث عليه السلام فاستخرجها ، فجاء بها فكان كلما قرأ آية، انحلت عقدة ، فحين انحلت العقدة الأخيرة قام عليه السلام، كأنما نشط من عقال(**).

---

(١) رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وغيرهما عن عائشة قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأراني القمر حين طلع ، وقال : "تعوذي بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب" ، وقال أصحاب القول: بأنه الليل إذا ولج، هذا لا ينافي قولنا ، لأن القمر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، وكذلك النجوم فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم/١٢ منه .[وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٢٦٨١)]

(٢) أنث النفاثات ، لأن هذه الصناعات إنما تعرف بالنساء ، لأنهن يعقدون(*) وينفثن ، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر ، وإحكام الهمة والوهم فيه ، وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن ، وشدة شهوتهن ، فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى / ١٢ كبير .

(*) كذا بالأصل والصواب: يعقدن.

(**) أخرجاه في الصحيحين.

سورة الناس مختلف فيها

وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أضاف إلى الناس هاهنا ، لأن وسوسة الصدر، المستعاذ منه في تلك السورة لا تكون إلا للإنسان ، فكأنه قال : قل أعوذ بربي من شر موسوسي **﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾** عطفا بيان (لرب الناس) ، وهو من قبيل الترقي في صفات الكمال ، فإن الملك أعلى من الرب لأن كل ملك رب ومالك ، ولا ينعكس كليًا، ثم الإله الذي هو أعلى وخاص لله جعل غاية للبيان **﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ﴾** أي : الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد: الشيطان سمى بالمصدر مبالغة ، أو المراد: ذي الوسواس **﴿الخَنَّاسِ﴾**: الذي عادته الخنس ، أي : التأخر ، والرجوع عند ذكر الله تعالى **﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾**: إذا غفلوا عن ذكر ربهم **﴿مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾**[1] بيان "الذي" ، أو

---

(١) واعلم أن في هذه السورة لطيفة أخرى وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة ، وهي: أنه رب الفلق ، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات ، وهي: الغاسق ، والنفاثات ، والحاسد ، وأما في هذه السورة، فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة وهي: الرب ، والملك ، والإله ، والمستعاذ منه آفة واحدة ، وهي: الوسوسة ، والفرق بين الموضعين، أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن ، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين ، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت / ١٢ كبير .

"الوسواس" ، قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن " (الأنعام:١١٢)، وعن بعض : هو بيان للناس ، والناس يعمهما تغليبًا ، أو يطلق على الجن أيضًا ناس حقيقة ، أو لأن المراد من الناس الناسي ، ونسيان حق الله يعمهما ، وفي مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر إنه عليه السلام قال : "يا عقبة ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم؟ قال : قلت بلى ، قال : فأقرأني " قل هو الله أحد " ، و " قل أعوذ برب الفلق " ، و " قل أعوذ برب الناس "(*)، فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ بأعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس ، إلى آخر السورتين من غير لفظة " قل " كما لا يخفى، قلت: المقصود التعوذ بالسورتين المذكورة فيهما الاستعاذة، من حيث إنهما كلام الله المجيد ، والسورة هي مجموع " قل أعوذ " إلى تمام السورة ، وبدون " قل " بعض السورة ، وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات ، فربما لا ينفع لو غُيّر نظم القرآن مع أنه تكليم بجميع تلك الكلمات، فافهم، والله أعلم.

والحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر، أولاً وآخرًا، باطنًا وظاهرًا ، كلما ذكره الذاكرون، وسها عن ذكره الغافلون حمدًا يليق بعظمة جلاله ، وحسن نواله وجماله ، وأستعيذ بعفوه من كل زلل ، واستجير بصفحه ، وغفرانه من كل خطأ وخطل، حمدًا يوافي نعمه ، ويقابل كرمه ، والحمد لله على ما وفقني ورزقني فراغ البال للاشتغال بالتأمل في آيات كتابك ، ولكشف أستار غويصات خطابك، والآن أفر من فيح نار الجحيم، إلى ظل ظليل قرآنه الكريم، هاربًا من سواء عدلك، ماسكًا فضلك، إنك أنت الجواد الكريم، المنعم الرحيم ، وقد تم ، والحمد لله على جسيم إنعامه في عام سبعين وثمانمائة، في مكة الشريفة تجاه الكعبة، زادها الله شرفًا.

وأنا حامد لله مصلي على رسوله ، ومسلم عليه .

تم بحمد الله

(*) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٤٨/٤) وإسناده صحيح.

فہرس سور المجلد الرابع